

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجر

مقصودها وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمع للمعاني الموضحة^١ للحق من غير اختلاف أصلا ، وأشكل ما فيها وأمله في هذا المعنى قصة أصحاب الحجر ، فإن وضوح آيتهم عندهم^٢ وعند كل من شاهدها أو سمع بها كوضوح^٣ ما دل عليه^٤ مقصود هذه السورة في أمر^٥ الكتاب عند جميع العرب لاسيما قريش ، وأيضا آيتهم في غاية الإيضاح للحق والجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد المقتضى للاجتماع على الداعي ، ومن هنا يتضح ويتأيد ما اخترته^٦ من الإعراب لقوله تعالى ” كما أنزلنا

(١) الخامسة عشرة من سور القرآن ، وهي مكية مع ورود استثناء الآية الأولى وغيرها - كما في روح المعاني ٤ / ٢٦٧ ، وهي تحتوي على تسع وتسعين آية بالاتفاق ولا اختلاف فيها لا إجمالا ولا تفصيلا - كما صرح به في ثمر المرجان ٣ / ٣٧٧ (٢) هـ في ظ : الواضحة (٣) في ظ : عنهم (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اوضح (٥) في مد : عليها (٦) في ظ : آخر (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : احترز .

على المقتسمين^١ " من تعليق له بـ " كانوا عنا معرضين^٢ " المقتضى
 لشدة الملازمة بين شأنهم في كفرهم وشأن قريش في مثل ذلك - كما
 ستراه ، على [أن -^٣] لفظ ' الحجر ' يدل على ما دل [عليه -^٤] مقصود
 " السورة من " الجمع والاستدارة التي روحها الإحاطة المميزة للحاط به
 ه من غيره بلا لبس أصلا -^٥ والله أعلم^٦ .

(بسم الله) الواحد الأحد الجامع لما شئت^٧ من بدد^٨ (الرحمن)
 الذي [جمع -^٩] خلقه في رحمة^{١٠} البيان (الرحيم) الذي خص
 الأبرار بما أباحهم الرضوان .

لما ختم التي قبلها بعنوان الكتاب ، ابتداء هذه بشرح ذلك العنوان ،
 ١٠ وأوله وصفه بأنه جامع والخير كله في الجمع والشركه في الفرقة ،
 فقال تعالى : (الرَّحْمَنُ تِلْكَ) أي هذه الآيات العالية المقام ، النفيسة المرام
 (آيت الكتاب) أي الكامل غاية الكمال الذي لا كتاب على الحقيقة
 غيره ، الجامع [لجميع -^{١١}] ما يقوم به الوجود من الخيرات ، القاطع في
 قضائه من غير شك ولا تردد ، الغالب بأحكامه القاهرة في وعده
 ١٥ ووعيده وأحكامه في إعجازه لجميع من يعانده .

(١) آية ٩٠ (٢) آية ٨١ (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) زيد من م و مد .
 (٥ - ٥) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : السورتين (٦ - ٦) سقط ما بين
 الرقين من م و مد (٧) في ظ : سهلت . وفي م : شئت ، وفي مد : ست -
 كذا (٨) في ظ : زيد (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : رحمة .

ولما

ولما كان الغالب في هذه السورة القطع الذي هو من لوازم الكتاب قدمه، وذلك أنه قطع بأمر الأجل والملائكة، وحفظ الكتاب والرمي بالشهب، وكفاية المستهزئين، فكان كما قال سبحانه ﴿و﴾ آيات ﴿قرآن﴾ أى قرآن جامع ناشر مفصل واصل، إذ التوین للتعظيم ﴿مبين﴾ بجميع ما يجمع الهمم^٢ على الله فيوصل^٣ إلى السعادة، هـ وهذه الإبانة - [التى -^٤] لم تدع لبسا - هو متصف بها، مع كونه جامعا للأصول ناشرا للفروع^٥ لا خلل^٦ فيه يدخل منه عليه، ولا يضم يؤتى منه إليه، فاعجب لأمر حاوٍ لجميع و فرق وفصل [ووصل -^٧] : والإبانة : إظهار المعنى للنفس بما يميزه عن غيره، لأن أصل الإبانة

الفصل، فهذا شرح كونه بلاغا، فقصد هذه السورة اعتقاد / كون ١٠ / ١٧٤
القرآن بلاغا جامعا للأمر الموصلة إلى الله، مغنيا عن جميع الأسباب، فلا ينبغي الالتفات إلى شيء سواه "ذرهم ياكلوا"، "لا تمدن عيذك" "واعبد ربك حتى ياتيك اليقين" وكان الجمع بين الوصفين الدال كل منهما على الجمع إشارة إلى الرد عليهم في جعلهم القرآن عضين، وأن قولهم شديد المباحة لمعناه. مع أن المفهومين - مع تصادقهما على شيء ١٥ واحد - متغايران^٨، فالكتاب : ما يدون في الطروس^٩، [والقرآن :

- (١) في مد : إذا (٢) من ظ ، وفي الأصل وم ومد : الهم (٣) في ظ : فيتوصل .
- (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : الآيات (٥) زيد من ظ وم ومد .
- (٦-٦) من ظ وم ومد . وفي الأصل : لانه محل (٧) سقط من ظ .
- (٨) والطرس : الصحيفة عموما أو الصحيفة التى محبت ثم كتبت .

ما يقرأ باللسان، فكان الأول^١ إشارة إلى حفظه في الطروس -^٢ [بالكتابة، والثاني إلى حفظه في الصدور بالدراسة، وسيأتي قوله "وإنا له لحفظون" مؤيدا لذلك، وكل من مادني^٣ كتب وقرأ^٤ بجميع التقاليد تدور^٥ على الجمع^٦ .

٥. أما "كتب" - وتنقلب^٧ إلى كبت^٨ وتك^٩ وبكت^{١٠} وتك - فقال^{١١} في المجلد : كتبت الكتاب [أكتبه -^{١٢}] وهو من الجمع، والكتاب أيضا : الدواة - تسمية [للشيء -^{١٣}] باسم ما هو آله، والمكتب - كعظم : العنقود أكل بعض ما فيه - تشبيها له بالمكتوب، والكتيبة : الجيش والجماعة المستحيزة^{١٤} من الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف - انتهى . وكتبت البغلة - إذا جمعت بين شفرى رحمها بحلقه^{١٥} ؛ وقال القزاز : وأصله - أي الكتاب - ضمك الشيء إلى الشيء، فكانه سمي بذلك لضم^{١٦} الحروف بعضها إلى بعض^{١٧}، كتبت المزايدة - إذا خرزتها،

(١) في ظ : اول (٢) في ظ : الطروس ؛ والعبارة المحجوزة استدركت من ظ وم و مد (٣) زيد في الأصل : في، ولم تكن الزيادة في ظ وم و مد فخذناها . (٤) من ظ وم و مد، وفي الأصل : يدور (٥) من ظ وم و مد، وفي الأصل : الجميع (٦ - ٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ : ما كتبه (٧) من ظ و مد، وفي الأصل وم : ينقلب (٨) من م، وفي الأصل و ظ و مد : كتب (٩) في ظ : قال (١٠) زيد من ظ وم و مد (١١) من القاموس واللسان، وفي الأصل : المتحيزة، وفي ظ و مد : المتحيرة، وفي م : المتخيرة (١٢) من ظ و تاج العروس، وفي الأصل : بخلقه، وفي م و مد : بخلقه (١٣) من ظ و مد، وفي الأصل وم : يضم (١٤) أزيدت الواو بعده في الأصل و ظ وم، ولم تكن في مد فخذناها . (١) يعني

يعنى : فضمت^١ بعضها إلى بعض . و الكتبة - بالضم : السير يخرز به ،
وما يكتب به حياه الناقة ثلاثين^٢ عليها . و الإكتاب : شد رأس القربة^٣ ،
و الكتبية : جماعة تكتبوا ، أى تجمعوا ، و تكبت الرجل - بتقديم
الموحدة - إذا قبض ، ومنه الكتاب - بضم الكاف و تخفيف التاء
الفوقانية لسهم صغير يتعلم به الصياد الرمي - كذا قال القزاز إنه مخفف ، ه
و فى القاموس : وزنه كرماني - وزاد أنه مدور الرأس ، و كتبت
الناقة تكتيبا : صررتها ، و اكتب^٤ بطنه : أمسك ، و المكتوب : الممتلئ
و المتفخ ؛ و يلزم الجمع القطع و الغلبة التى هى من لوازم القدرة ، فمن
القطع : الكتاب بمعنى الفرض ؛ و الحكم و القدر ؛ و البتة : القطع
[و لذلك قيل للسيف : باتك ، أى قاطع ، و من الغلبة و القدرة : ١٠
الكتاب بمعنى القدر - °] ، قال ابن الأعرابي : و الكاتب عديم العالم ،
و قال القزاز : و الكاتب : الحافظ ، و هذان يرجعان أيضا^٦ إلى نفس
الجمع - جمع الحافظ المحفوظ و العالم المعلوم ؛ و كبت الله العدو - بتقديم
الموحدة : صرفه ذليلا ، و هو من تكبت الرجل - إذا قبض^٧ ، و عبارة

(١) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : فضمت (٢) من ظ و م ومد و القاموس ،
و فى الأصل : القرابة (٣) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد :
اكتبت - كذا (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : القرض .
(٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : أيضا يرجعان (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعيض .

القزاز: كبت أعداءه: اردمهم بغيظهم، أى فانتقموا وانجمعوا عما كانوا
انتشروا [له - ٢]، وكبت الرجل - إذا صرعه على وجهه، [وبكته - ٢]
تكيئا - إذا أنبه أو ضربه بعصى أو سيف ونحوهما، لما يلزمه من تصاغر
نفسه وتقبضها .

و أما 'قرأ' مهموزا .. وينقلب إلى رقا، و أرق، و أقر، [و - ٥]
غير مهموز يائيا وتراكيبه خمسة: قرى، و قير، و رقى، و ربق،
و يرق، و واويا وتراكيبه ستة: قرو، و قور، و رقو، و روق،
و وقر، و ورق - فهو للجمع أيضا، و يلزمه الإمساك، و ربما كان عنه
الانتشار، فن الجمع: قرأت القرآن، أى تلوته فجعلت بعض حروفه
١٠ و كلماته . آياته تاليا لبعض متصلا به مجموعا معه، و يلزم القراءة النسك،
ومنه القارئ و المتقرئ والقراء - كرمان . أى الناسك، [و يلزم عنه الفقه،
ولذا قيل: تقرأ - إذا تفقه، و هو من الجمع نفسه أيضا لأن الناسك
جمع النسك - ٢] إلى القراءة وانجمع همه، و الفقيه جمع الفقه ' إليها،
قال في المجمل: و القرآن من التقرء و هو الجمع، أى وزنا ومعنى،
١٥ و في القاموس: و قرأ عليه السلام: أبلغه كأقرأه . ولا يقال: أقرأه، إلا إذا

(١-١) من ظ و م و مد، و في الأصل: و هو يغيظهم (٢) زيد من ظ
وم و مد (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: تكيئا (٤) في ظ: يتقلب .
(٥) زبدت الواو من مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: ثانيا (٧) سقط
من ظ (٨) في ظ: كذا (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: همه (١٠) من ظ
وم و مد، و في الأصل: الفقيه .

كان السلام مكتوبا؛ وقال الزيدى في مختصر العين: وقرأت المرأة قرأ^١ - إذا رأت دما، وأقرأت - إذا حاضت [فهي مقرئ - انتهى].
فكأنه عبر بذلك عند رؤية الدم لأنه لا يعرف أن المرأة جمعت إلا برؤيته - ^٢ [، وهو من الانتشار الذى قد يلزم الجمع، أو يكون 'فعل' هنا - ^٣] / للإزالة، فعناه: أزال^٢ إمساك الدم كما أن هذا معنى ٥ / ١٧٥
'أقرأت' فان 'فعل' - لحفته وكثرة دوره - يتصرف في 'معاني جميع الأبواب، وقال في المجلد: وأقرأت المرأة: خرجت من طهر إلى حيض أو حيض إلى طهر، قلت: فالأول يكون فيه 'أفعل' للإزالة، والثاني للدخول في الشيء كما تقول: أتهم الرجل وأجد - إذا دخل في تهامة أو نجد، قال: والقرء: وقت يكون للطهر مرة وللحيض مرة، قلت: ١٠
فالأول للجمع نفسه، والثانى لأنه دليل الجمع، قال: والجمع قروء، ويقال: "القروء" هو الطهر، وذلك أن المرأة الطاهرة كان الدم اجتمع وامسك في بدنها فهو من: قرئت الماء، وقرى الآكل الطعام في شدقه. و [قد - ^٢] يختلف اللفظان فيهمز أحدهما ولا يهمز الآخر،

- (١) من م ومد، وفي الأصل وظ: غرا - كذا؛ وفي التاج: قال الأخفش: أقرأت المرأة - إذا صارت صاحبة حيض، فإذا حاضت قلت: قرأت - بلا ألف.
(٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم ومد (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: إزالة (٤) زيد بعده في الأصل: جميع، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (هـ - هـ) من ظ وم ومد، وفي الأصل: يكون وقتا (٦) في ظ وم ومد: الطاهر.

والمعنى واحد إذا كان الأصل واحداً، وقوم يذهبون إلى [أن - ١]
القرء: الحيض، وفي القاموس: و القرء^٢ - و^٣ يضم: الحيض و الطهر
ضد - وقد تقدم تخرج ذلك، والوقت - لأنه جامع لما فيه، والقافية^٤
- لأنها جامعة لتشمل^٥ الآيات، جمعه أقرؤ و قرء، و جمع الحيض أقرأ^٦،
و كأن العلة في ذلك أنه لما كان جمع الكثرة^٧ هو الأصل في الجمع،
لأن المراد بالجمع نفسه الكثرة، فكلم^٨ كان أكثر كان به أجدر، لما
كان كذلك^٩، وكان القرء بمعنى الطهر هو الأصل في مدلول الجمع،
^{١٠} كان أحق بجمع الكثرة الذي هو أعرق في الجمع^{١١}، ولما كان القرء
بمعنى الحيض فرعاً، كان له جمع القلة الذي هو فرع في باب الجمع؛
١٠. و أقرأت: حاضت [و - ١٢] طهرت، و أقرأت الرياح: هبت لوقتها -
لأن هبوبها دال على اجتماعها كظهور^{١٣} دم الحيض، و قرأ الشيء:
جمعه و ضمه، و الحامل: ولدت - لأن ظهور الولد هو^{١٤} المحقق لجمعها
إياه في بطنها، و أقرأ: رجع^{١٥} و دنا و أخر و استأخر و غاب و انصرف
(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد و القاموس، وفي الأصل:
القرء (٣) سقطت الواو من ظ (٤) في م: العافية (٥) من ظ و م و مد، وفي
الأصل: تشمل (٦) من القاموس، وفي الأصول كلها: أقرء (٧) زيدت الواو
بعده في الأصل و ظ، ولم تكن في م و مد فحدثنا (٨) من م و مد، وفي
الأصل و ظ: فلما (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لذلك (١٠-١٠) سقط
ما بين الرقین من ظ (١١) زيد من ظ و م و مد و القاموس (١٢) في ظ:
لظهور (١٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل و و (١٤) من م و القاموس،
وفي الأصل و ظ و مد: و جمع.

و تنسك كتنقرأ^١ ، بعضه للإيجاب وبعضه للسلب ، و المقرأة - كعظمة :
 التى^٢ ينتظر بها [انقضاء أقرائها -^٣] ، و قد قرئت : حبست لذلك ، و أقرأه^٤
 الشعر : أنواعه و أنحاءه - لأنها^٥ جامعة للأجزاء ، و القرعة - بالكسر :
 الوباء^٦ - لجمعه الهم ، و استقرأ الجمل^٧ الناقة : تاركها^٨ لينظر ألقت أم لا -
 من التبع و السبر^٩ ، و هو بمعنى جمع الأدلة ، و قرأت^{١٠} الناقة - [إذا -^{١١}] هـ
 حملت ، فهى قارئ^{١٢} ، أى جمعت فى بطنها ولدا ، و أقرأت - إذا استقر
 الماء فى رحمها ؛ و من الإمساك : رقا [الدم -^{١٣}] و الدمع رقوا -
 إذا انقطعا^{١٤} ، قال أبو زيد^{١٥} : و الرقوة - أى بالفتح : ما يوضع على الدم^{١٦}
 فيسكن ، و رقا بينهم : أصلح و أفسد ، و فى الدرجة : صعد ، و هى المرقاة
 و تكسر ، و رقا العرق : ارتفع - منه ما هو بمعنى الجمع ، و منه ما هو ١٠
 بمعنى الانتشار و العلو الذى ربما لزماه ، و من الإمساك : الأرق ، و هو
 السهر لأنه يمسك النوم ، و الإرقان : دود يكون فى الزرع - فكأنه يوجب
 الهم^{١٧} الذى يكون عنه الأرق ، و يمكن أن يكون من الانتشار الذى

(١) من القاموس ، و فى الأصول برمتها : كتقر (٢ - ٣) من ظ و م و مد
 و القاموس ، و فى الأصل : المعظمة الذى (٣) زيد من ظ و م و مد و القاموس .
 (٤) من ظ و م و القاموس ، و فى الأصل : اقرات ، و فى مد : قرأت (٥) فى
 ظ و م : لانه (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : لوما - كذا .
 (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الجمع (٨) من القاموس ،
 و فى الأصول : باركها (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : السير (١٠) فى
 ظ : قراه - كذا (١١) زيد من ظ و م و مد (١٢) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : انقطعا (١٣) سعيد بن أوس الأنصارى صاحب النوادر (١٤) من ظ
 و م و مد . و فى الأصل : الدمع (١٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم .

ربما يلزم^١ الجمع، ويمكن أن يكون من الجمع نفسه، لأنه يجمع الهم -
والله أعلم؛ وفي القاموس: والإرقان [بالكسر-^٢]: شجر أحمر،
والحناء، والزعفران، ودم الأخوين - كأنه^٣ سبب للعكوف عليه
بالاسترواح إليه، أو أنه يجمع؛ بصبغه لونا؛ إلى لون^٤، والإرقان أيضا:
هـ آفة تصيب الزرع والناس كالإرقان محركة^٥ وبكسرتين وفتح
الهمزة وضم الراء، والأرق والأرقان - بفتحهما، والأراق - كغراب،
والبرقان - محركة، وهذه أشهر داء يتغير منه لون البدن فاحشا إلى صفرة
أو سواد - كأن ذلك لما كان سبب الأرق^٦ كان هو الأرق^٧ البليغ،
وزرع مأروق^٨ وميروق: مؤوف^٩، والأقر - بضمين: واد واسع
١٠ ملؤه حمضا ومياها، وهو واضح في معنى الجمع^{١٠}، وقد مضى من هذه
المادة جملة في آخر / سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى "الرجال
يوحى إليهم من أهل القرى" وتأتى "بقيتها إن شاء الله تعالى في
[سورة -^{١٢}] سبجن عند قوله "وفي أذانهم وقرأ^{١٣}".

/ ١٧٦

(١) في ظ: يكون (٢) زيد من ظ وم ومد والقاموس (٣) من ظ وم
ومد، وفي الأصل: لأنه (٤-٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بصبغه
كونا (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كون (٦) من ظ وم ومد
والقاموس، وفي الأصل: محركا (٧-٧) سقط ما بين الرقبن من ظ (٨) من
ظ وم ومد والقاموس، وفي الأصل: مأروق (٩) من م ومد والقاموس،
وفي الأصل: مرادف، وفي ظ: مورف - كذا (١٠) في ظ: الجميع (١١) في
ظ: يأتى (١٢) زيد من ظ وم ومد (١٣) آية ٥٧ .

ولما وصف سبحانه هذا القرآن بما وصفه^١ من العظمة والإبانة لجميع^٢ المقاصد التي منها سؤال الكفرة^٣ عند رؤية العذاب التأخير للطاعة في قوله تعالى "وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب"^٤، كان كأنه قيل: ما له لم يبين [للكفرة-^٥] سوء عاقبتهم يانا يردهم؟ فقال سبحانه باسطاً لقوله "ولينذروا به"^٦:

(ربما يود) أشار تعالى بكونه^٧ مضارعاً إلى أن ودم لذلك يكون هـ كثيراً جداً متكرراً، وإيلاءه لربما - وإنما يليها في الأغلب الماضي - معلم بأنه مقطوع به كما يقطع بالماضي الذي تحقق ووقع (الذين كفروا) أي ولو وقتاً ما؛ والود: التمني وهو تقدير المعنى في النفس للاستمتاع، وإظهار ميل الطباع له إليه، وفيه اشتراك بين التمني والحب - قاله الرماني، وهو هنا للتمنى فانه بين مودودهم^٨ بقوله: (لو كانوا) أي كونا جليلاً ١٠ (مسليين هـ) [أي -^٩] عريقين^{١٠} في وصف الإسلام من أول أمرهم إلى آخره، قال الرماني: والإسلام: إعطاء الشيء على حال سلامة كالسلام الثوب إلى من يقصره، وإسلام الصبي إلى من يعلبه، فالإسلام

(١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بمن اوصفه - كذا (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: من - كذا (٣) العبارة من هنا إلى «لم يبين» ساقطة من ظ (٤) سورة ١٤ آية ٤٤ (٥) زيد من م و مد (٦) آخر آية من إبراهيم . (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لكونه (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اظهر (٩) من ظ، وفي الأصل: يودونهم، وفي م: مورودهم، وفي مد: مردودهم (١٠) من م، وفي الأصل و ظ و مد: عريقين (١١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: التوبة - كذا .

- الذى هو الإيمان - [إعطاء -] معنى الحق فى الدين بالإقرار والعمل به - انتهى . وقد كان ما^٢ أخبر الله به فقد ندم كل من أسلم من الصحابة على تأخير إسلامه لما علموا فضل الإسلام ورأوا فضائل السابقين - كما هو مذكور فى السير وفتوح البلدان^٣ . وسيكون ما شاء الله من ذلك ه فى القيامة وما قبلها ، فالمعنى أنكم إن كذبتم فى القبطع - فى نحو قوله " فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا^٤ " ، الآية - بأنكم ترجعون عن هذا الشم^٥ وتبرؤون من هذه السجايا والهمم ، فتسألون^٦ الله تعالى فى الطاعة ، وقد^٧ فات القوت بحلول حادث الموت إلى غيره ، فلا أقل من أن يكون عندكم^٨ شك فى الأمور التى يحوز كونها ، ولا ينبغي حينئذ للعاقل^٩ ترك الاهتمام بالاستعداد على تقدير هذا الاحتمال ، هذا - أعنى التقليل - مدلول " رب " ، وقال بعضهم^{١٠} : إنها قد^{١١} ترد للكثير ، وقال الجلال^{١٢}

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) فى ظ : مما (٣) من م ، وفى الأصل وظ ومد : افضل (٤) من م ، وفى الأصل وظ ومد : زاد (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : السكون (٦) ٤٤ من إبراهيم (٧) الشم : البعد (٨) من ظ وم ، وفى الأصل ومد : فيسلون (٩-٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فقد (١٠) من م ومد ، وفى الأصل : عه لم ، وفى ظ : كم (١١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : للغافل (١٢) وهو ابن درستويه - راجع التاج (رب) . (١٣) سقط من ظ (١٤) فى ظ : الحماد - خطأ ، والجمال ابن هشام هذا هو أبو محمد عبد الله بن يوسف المتوفى سنة ٧٦٢ ، ورد ذكره فى غير واحد من كتب التراجم .

ابن هشام في كتاب المغني^١ : إنه أغلب أحوالها ، واستدل بشواهد لا تدل عند^٢ التأمل . ولا يصح قول من نسب إلى الكشف ذلك ، فإن كلامه مأخوذ من الزجاج ، وعبارة الزجاج - كما نقلها الإمام جمال الدين محمد بن المكرم^٣ في كتابه لسان العرب و من خطه نقلت : من قال : إن 'رب' يعني بها التكثير فهو ضد ما تعرفه العرب ، فإن ه قال قائل : [فلم -^٤] جازت في قوله "ربما يود الذين كفروا" و'رب' للتقليل ؟ فالجواب أن العرب خطبت^٥ بما تعلمه في التهديد ، و الرجل يتهدد الرجل فيقول : لعلك ستندم على فعلك ؟ وهو لا يشك أنه يندم ، و يقول : ربما ندم الإنسان على ما صنعت ، وهو يعلم أن الإنسان يندم كثيرا ، ولكن مجازه أن هذا لو كان بما يود في حال واحدة من ١٠

أحوال العذاب^٦ ، أو كان الإنسان يخاف أن يندم على الشيء لوجب عليه اجتنابه ، والدليل على أنه معنى التهديد قوله تعالى " ذرهم يأكلوا

-
- (١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : المغني - كذا ، وهذا الكتاب - و اسمه الكامل : مغني القريب عن كتب الأعراب - من أمهات الكتب التي برزت إلى الوجود في فن النحو (٢) في ظ : عن (٣) المشهور باب منظور (٤) من م و مد واللسان ، وفي الأصل : راب ، وفي ظ : ربي (٥) زيد من ظ و م و مد واللسان (٦) في ظ : ربما (٧) من ظ و م و مد واللسان ، وفي الأصل : خطب (٨) في ظ : لك (٩) من ظ و م و مد واللسان ، وفي الأصل : هم . (١٠) من ظ و م و مد واللسان ، وفي الأصل : العقاب .

وَيَتَمَتَّعُوا" انتهى . فقد علم من هذا أنهم يطلقونها بمعنى " القلة فيما " يعلمون أنه كثير إرخاء للعنان^٢ وتنبهها على وجوب الأخذ بالاحوط ، وذلك واقع في التهديد ، و فرق كبير بين ما يعلم^٥ أنه^٦ كثير من أمر خارج عن العبارة المخبر بها عنه وبين ما تعرف كثرته من تلك العبارة ، وزيدت 'ما' فيها تأكيداً من حيث أنها تفهم أن [الأمر -^٧] لا يكون إلا كذلك ، ولتهيئتها لمجيء الفعل بعدها ؛ قال الإمام أبو حيان^٨ : و "ظاهر / أن [ما -^٩] في 'رب' ، مهية . وذلك " أنها من حيث " هي حرف جر - على خلاف فيه - لا يليها " إلا الأسماء . فجاء بها مهية " لمجيء الفعل بعدها . وعلى كثرة مجيء 'رب' في كلام العرب لم تجيء^{١٠} في القرآن إلا في هذا الموضع - انتهى . ودخلت فهنا على المضارع - وهي للماضي - لأنه لصدق الوعد كأنه عيان قد كان ، أو لأن 'ما' إذا لحقتها " سوغت دخولها على المستقبل كما تدخل على

/ ١٧

(١) ونص لسان فيه بعض زيادات و مفارقات لفظية ذات أهمية قليلة فلذا أهمنا ذكرها (٢-٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : اهله بما - كذا (٣) في ظ : العفة (٤) في ظ : كثير (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : تعلم . (٦) زيد بعده في الأصل : أمر ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها . (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) راجع لنهر على هامش البحرة / ٤٤٣ والبحر ٤٤٤ (٩) زيد من ظ و م ومد والنهر (١٠-١٠) في ظ : من حيث أنها . (١١) من ظ و م ومد والنهر ، وفي الأصل : لا يليها (١٢) من ظ و م ومد والنهر ، وفي الأصل : ممدودة (١٣) من م ومد والنهر ، وفي الأصل و ظ : لم ينجى (١٤) من ظ و م ، وفي الأصل و م : لحقتها ،

المعرفة - قاله الرماني .

ولما طرق^١ لهم سبحانه الاحتمال ، كان كأنه [قيل - ^٢] : هل
جوزوه فأخذوا^٣ في الاستعداد [له - ^٤] ؟ فقيل^٥ : بل استمروا على عنادهم ،
فقال - مستأنفا ملتفتا إلى ما أشار إليه في أول سورة ابراهيم في قوله
” الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة “ من^٦ المانع لهم عن^٧ ٥
الإذعان - : ﴿ ذرهم ﴾ يا أعز الخلق عندنا ! كالبهائم ﴿ ياكلوا ويمتعوا ﴾
والتمتع : التلذذ . وهو طلب اللذة حالا بعد حال كالقرب في انه
طلب القرب حالا بعد حال ﴿ ويلهم ﴾ أى يشغلهم عن أخذ حظهم
من السعادة ﴿ الامل ﴾ أى رجاءهم طول العمر وبلوغ ما يقدره^٨ الوهم
من الملاذ من غير سبب مهيئ لذلك . ١٠

ولما كان هذا أمرا لا يشتغل به إلا أحق ، سبب عنه التهديد
بقوله : ﴿ فسوف يعلمون ﴾ أى ما يحل بهم بعد ما فسخنا لهم من^٩
زمن التمتع .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير في برهانه : لما تقدم من وعيد
الكفار ما تضمنه الآي. المختتم بها^{١٠} سورة ابراهيم من لدن قوله سبحانه ١٥
” ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون “ إلى خاتمتها ، أعقب ذلك

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : اطرق (٢) زيد من ظ و م ومد .
(٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : فأخذ (٤) زيد من م (٥) من ظ و م
ومد ، وفي الأصل : قيل^٦ (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : بل (٧) زيد
بعده في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها (٨) في ظ :
يقرهم (٩) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : خاتمتها :

بقوله "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين" أى عند مشاهدة تلك الأحوال الجلائل، ثم قال تعالى تأكيداً لذلك الوعيد "ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون" ثم أعقب تعالى [هذا -^١] بيان ما جعله سنة في عباده من ارتباط الثواب والعقاب معجلة ومؤجلة ٥ بأوقات وأحيان، لا اقتصك لها عنها ولا تقدم ولا تأخر، إذ^٢ استعجال البطش في الغالب إنما يكون ممن يخاف الفوت، والعالم بحملتهم لله تعالى وفي قبضته لا يفوته أحد منهم ولا يعجزه، وقال تعالى "وما اهلكنا من قرية الا ولها كذب معلوم" و كان هذا [يزيد -^١] ايضاحاً لقوله عز وجل "انما يؤخرهم" ليوم تشخص فيه الابصار" وقوله "واقبر الناس يوم ياتيهم العذاب" وقوله "يوم تبدل الارض غير الارض" - الآية؛ وتأمل نزول قوله "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين" على هذا وعظيم موقعه في اتصاله به ووضوح ذلك كله، وأما افتتاح السورة بقوله "الرّ تِلْكَ الْآيَاتُ الْكُتُبِ وَقُرْآنِ مَبِينٍ" فاحالة على أمرين واضحين: أحدهما ما به [به -^١] سبحانه من الدلائل والآيات كما ١٥ يفسر، والثاني ما بينه القرآن المجيد وأوضحه وأطوى عليه من الدلائل والغيوب والوعد والوعيد وتصديق بعض ذلك بعضاً، فكيف لا يكون

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ : اذا (٣) في ظ و م و مد : فوخرهم، وما في الأصل هو قراءة الجمهور - راجع نثر المرجان ٣/٢٦٩ (٤) سقط من م و مد (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل : فاحله .
 المتوعد (٤) ١٦

المتوعد به في قوة^١ الواقع المشاهد ، لعدة البيان في^٢ صحة [الوقوع -^٣] ،
فالعجب من التوقف^٤ و التكذيب^٥ ثم أعقب هذا بقوله "ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين" - انتهى^٦ .

ولما هددوا بآية التمتع وإلهاء الأمل ، وكان من المعلوم جدا من
أحوالهم الاستعجال بالعذاب تكديبا و استهزاء ، كان الكلام في قوة
أن يقال: فقالوا: يا أيها الذي نزل عليه الذكر! عجل لنا ما تنوعدنا به ،
وكان هذا غائظا^٧ موجعا حاملا على تمنى^٨ سرعة الإيقاع بهم ، قيل في
الجواب: إن لهم أجلا بكتاب معلوم لا بد من بلوغهم له ، لأن المتوعد
لا يخاف الفتور فهو يهمل ولا يهمل ، لأنه لا يبدل^٩ القول لديه ، فليستعدوا

^{١٠} فان الأمر غيب^{١١} ، فاما من لحظة إلا / وهي صالحة لأن يتوقع فيها ١٠ / ١٧٨
العذاب ، فانا لا نهلكهم إلا إذا بلغوا كتابهم المعلوم ﴿ وما ﴾ جعلنا
هذا خاصا بهم ، بل هو^{١٢} عادتنا ، ما ﴿ اهلكنا ﴾ أى على ما لنا من
العظمة ، وأكد النفي فقال: ﴿ من قرية ﴾ أى من القرى .

ولما كان السياق للاهلاك^{١٣} واستعجالهم واستهزائهم به ، وكان

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : قوله (٢) سقط من ظ (٣) زيد من
ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : التوقع (٥) زيد بعده في
الأصل : معجزا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفناها (٦) من ظ و م
ومد ، وفي الأصل : بمعنى (٧) زيد بعده في الأصل و ظ : في ، ولم تكن
الزيادة في م ومد لحذفناها (٨ - ٩) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : فالامر
بحجب (٩) زيد بعده في ظ : أى (١٠) في مد : للاستهلاك .

تقديره سبحانه و كُتِبَ من عالم الغيب ، اقضى الحال التأكيد بما يدل على أنه محتوم ' مفروغ منه سابق تقديره على زمن الإهلاك ، فأتى بالواو لأن الحال بدون الواو كالجزء من سابقها ' كالخبر والنعت الذى لا يتم المعنى بدونه ، و التى ' بالواو هى زيادة فى الخبر السابق ، ولذلك احتيج إلى الربط ' بالواو كما يربط بها فى العطف ، فقال : (الا و لها)
 أى و الحال أنه لها فى الإهلاك أو ' لإهلاكها (كتب معلوم)
 أى أجل مضروب مكتوب فى اللوح المحفوظ ، أو يكون التقدير : فسوف يعلمون إذا ' جاءهم العذاب فى الأجل الذى كتبناه لهم : هل يودون الإسلام أم لا ؟ ثم بين الآية السابقة بقوله : (ما تسبق)
 ١٠ و أكد الاستغراق بقوله : (من امة) و بين أن المراد بالكتاب الأجل بقوله : (اجلها) أى الذى قدرناه [لها - ٧] (و ما يستأخرون)
 أى عنه شيئاً من الاشياء ، ولم يقل : تستأخرون - حملا على اللفظ كالماضى ،
 لئلا يصرفوه إلى خطابه صلى الله عليه و على آله و سلم تعنتا .

ثم لما أجابهم بهذا الجواب الدال على تمام القدرة وكمال العلم
 ١٥ الدالين على الوحدانية ، عطف على ما تقدم أنه فى قوة المأفوظ قوله

(١) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : المحتوم (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سابعا (٣) زيد فى ظ : مى (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الرابط (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : و (٦) فى ظ : اذ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يستأخرون .

- دالا على تركهم الجواب إلى التعنت و السفه - : ﴿ وقالوا ﴾ أى لم يجوزوا
أنهم يودون ذلك ، بل استمروا على العناد وقالوا : ﴿ يأيها الذى ﴾
ولما كان تكذيبهم بالتنزيل نفسه ، بنى للفعول قوله : ﴿ نزل عليه ﴾
أى بزعمه ﴿ الذكر ﴾ وبينوا^١ أنهم ما سموه تنزيلا إلا تهكما ، فقالوا
مؤكدین لمعرفتهم بأن قولهم منكر : ﴿ انك لمجنون^٢ ﴾ أى بسبب ادعائك^٣
أن الله انزل عليك ذكرا^٤ والذى تراه جنى^٥ يلقي إليك تخليطا ، فكان
هذا دليلا على عنادهم ، فانهم أقاموا انشتم مقام الجواب عما مضى صنعة
المغلوب المقطوع فى المناظرة ، ثم أتبعوه ما زعموا أنه دليل على قولهم
فقالوا : ﴿ لو ما ﴾ أى هلا ولم لا ﴿ تاتينا بالمشكة ﴾ دليلا على
صدقك إما للشهادة لك وإما لإهلاك من خالفك ﴿ ان كنت^٦ ﴾ ١٠
أى جلبة وطبعا ﴿ من الصدقين^٧ ﴾ فيما تقول ، أى ما وجه اختصاصك
عنا^٨ بنزول الملائكة عليك ورؤيتك إياهم وأنت مثلنا فى الإنسانية^٩
والنسب^{١٠} والبلد ؟ هذا بعد أن قامت على صدقه^{١١} الأدلة القاطعة
والبراهين الساطعة التى أعظمها القرآن الداعى لهم إلى المبارزة كل حين
المبيكت لهم بالعجز عن المساجلة^{١٢} كل وقت .

١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بين (٢) العبارة من هنا إلى « تخليطا »
ساقطة من م (٣) فى ظ و مد : حتى (٤-٥) تكرر ما بين الرقین فى الأصل
قط بعد « وطبعا » (٥) - قط من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : الانشا (٧) زيد بعده فى الأصل : والنشب ، ولم تكن فى ظوم و مد
لحذفها (٨) فى ظ : صدق (٩) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الساحة .

ولما كان في قولهم أمران . أجاب عن كل منهما على طريق
الاستنفاد على تقدير سؤال من كأنه قال : 'بما إذا أجابهم ؟ فقيل :
أجاب عن الثاني لأنه أقرب بقوله : ﴿ ما تنزل الملائكة ﴾ أى هذا
النوع ﴿ الا ﴾ تنزلا ملتبسا ﴿ بالحق ﴾ أى بسبب عمل الأمر الثابت ،
هـ وهو معنى ما قال البخارى في [كتاب *] التوحيد : قال مجاهد :
بالرسالة ^١ والعذاب . أما على الرسل فبالحق من الأقوال ، وأما على
المنذرين فبالحق من الأفعال من الهلاك والنجاة ، فلو نزلوا عليهم كما
اقترحوا لقضى الأمر بينك وبينهم فهلكوا ﴿ وما كانوا ﴾ أى الكفار
﴿ إذا ﴾ أى إذ تأتيهم الملائكة ﴿ منظرين ^{هـ} ﴾ أى حاصلهم الإنظار
١٠ على تقدير من التقادير ، لأن الأمر الثابت يلزمه نجاة الطائع وهلاك
العاصي في الحال من غير إمهال ، وكان حيثذ يفوت ما قضينا به من
تأخيرهم وإخراج من أردنا إيمانه من أصلاهم ، / وأجاب سبحانه عن
الأول بقوله مؤكدا لتكذيبهم : ﴿ انا نحن ﴾ أى على ما لنا من العظمة

/ ١٧٩

(١) سقط من ظ ومد (٢-٣) في ظ : بما ذا (٣) بحذف إحدى التائين على
التأنيث والبناء للفاعل من باب التفعّل ، وأما قراءة حمزة والكسائي وخلف
وحفص فبنونين : الأولى نون المضارعة مضمومة ، والثانية فاء الفعل مفتوحة ،
وبكسر الزاى مشددة من باب التفعّل ، وروى أبو بكر : تنزل .. بالبناء
للفعل - راجع نثر المرجان ٣ / ٣٨٠ (٤) في ظ : متلبسا (هـ) زيد من ظ وم
ومد (٦) راجع باب قول الله " فلا تجعلوا لله اندادا " وغيره (٧) من ظ وم
ومد والصحيح ، وفي الأصل : الرسالة (٨) في ظ : منتظرين .

لا غيرنا من جن ولا إنس (نزلنا) أى بالتدرج على لسان جبريل عليه السلام (الذكر) أى الموعظة والشرف (وانا له) [أى بعظمتنا وإن زعمت أنوف الحاسدين - ٢] (الحفظون) أى دائما ، بقدرتنا وعلينا ، لما فى سورة [هود من - ٢] أن ذلك لازم للحفظ ٢ فاتقى حيثلذ جواز أن ينزل على مجنون مخلط لا نسيا وهو على هذه الانساب ه البديعة والمناهيج الرفيعة ، فكان المعنى : أرسلناك به حال كونك بشرا لا ملكا ٥ قويا نبويا ، يلبون أنك أكملهم عقلا ، وأعلام همه ٦ ، وأيقنهم فكرا ، وأتقنهم أمرا ، وأوثقهم رأيا ، وأصلبهم عزيمة ٢ روى البخارى فى التفسير ٢ والفتن ٤ عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال ٩ : أرسل إلى أبو بكر رضى الله عنه مقتل أهل اليمامة وعنده عمر رضى الله ١٠ عنه ، فقال ١٠ أبو بكر : إن عمر أتانى فقال ١١ : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس ١٢ - وفى رواية ١٣ : بقراء القرآن - وإنى ١٤ أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، إلا أن

(١) زيد فى ظ : من (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) راجع آية ١٤ (٤) من م ومد ، وفى الأصل : المناهج (ه - ه) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : هما (٧) باب قوله "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" من سورة براءة (٨) باب ما يستحب للكتاب أن يكون أمينا عاقلا ، والحديث فيما عندنا من نسخة الصحيح المذكور فى كتاب الأحكام ، وكتاب الفتى يسبقه ، وربما يتداخل البابان (٩) واللفظ لكتاب التفسير (١٠ - ١١) سقط ما بين الرقيين من مد (١١) من ظ و م والصحيح ، وفى الأصل ومد : فى الناس (١٢) من كتاب الأحكام (١٣) فى ظ : انا .

تجمعه، وإني لأرى^٢ "أن تجمع" القرآن، قال أبو بكر: قللت لعمر:
 كيف أفضل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟
 فقال عمر: هو والله خير! فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله^٣
 لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت: وعمر
 جالس عنده لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا تهمل^٤،
 كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فتبع
 القرآن فأجمعه، فما الله لو كلفني نقل جبل من الجبال^٥ ما كان^٦ أثقل
 عليّ بما أمرني [به - ^٨] من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئا
 لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ فقال أبو بكر: هو
 ١٠ والله خير! فلم أزل أراجع حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له
 صدر أبي بكر وعمر، فقمت فكتبت القرآن^٩ أجمعه من الرقاع^{١١}
 والأكثاف والعصب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة
 آيتين مع خزيمة - أو أبي خزيمة - الأنصاري، لم أجدهما - [أي - ^{١١}]
 مكتوبتين - عند^{١٢} أحد غيره "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" - إلى آخرها،

(١) في مد: يجمعه (٢) من ظ وم ومد والصحيح، وفي الأصل: أرى.
 (٣-٢) من م ومد ونسخة من الصحيح، وفي الأصل: أن يجمع، وفي ظ:
 أن تجمعوا، وفي الصحيح: يجمع (٤) سقط من ظ (٥) زيدت الواو بعده في
 النسخ جمعا، ولم تكن في الصحيح فحذفناها (٦) في ظ: لا تهملك (٧-٧) في
 ظ: مكان (٨) زيد من ظ وم ومد والصحيح (٩) زيد في ظ: أن، وفي
 م: أي (١٠) في ظ: القرآن - كذا (١١) زيد من ظ وم (١٢) في
 الصحيح: مع.

وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى^١ ثم عند عمر حتى توفاه الله^٢، ثم^٣ عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم^٤. وساق هذا الأثر [أيضاً -^٥] في فضائل القرآن^٦، وروى بعده عن أنس رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم على عثمان رضي الله عنه، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وآذربيجان مع^٧ أهل العراق فأفرغ حذيفة رضي الله عنه اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف^٨ اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة - رضي الله عنها^٩ أن أرسلني^{١٠} إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، [وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن -^{١١}] بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم، فنسخوها [في المصاحف -^{١٢}]؛ وقال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان [قريش -^{١٣}]، فانما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى [إذا -^{١٤}]

(١ - ١) ما بين الرقين بياض في الأصل عبأناه من ظ و م و مد و الصحيح .

(٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عنهما (٣) زيد من ظ و م و مد .

(٤) باب جمع القرآن (٥) من ظ و م و مد و الصحيح، وفي الأصل: من،

وفي نسخة من الصحيح: في (٦) من ظ و م و مد و الصحيح، وفي الأصل:

باختلاف (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عنها (٨) من ظ و م و مد

و الصحيح، وفي الأصل: أرسل (٩) زيد من ظ و م و مد و الصحيح .

نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. وله عن خارجة بن زيد بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما نسخنا الصحف [في المصاحف - ٢] فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيرا أسمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقرأها، لم أجدها [مع - ٤] أحد إلا مع خزيمه الأنصاري - وفي رواية: فالتفتناها فوجدناها مع خزيمه - الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شهادته شهادة رجلين "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" فالحقناها في سورتها في المصحف. وفي الأثر الأول دلالة على أنه كان - لما أمره الصديق رضي الله عنه - لا يكتب شيئاً إلا إذا وجد ما كان [قد - ٦] كتب منه بحضرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمره، وقابله مع ذلك على المحفوظ في صدور الرجال؛ وفي الأخير دليل من قوله: نسخنا الصحف في المصاحف - إلى آخره، أنه أعاد التبع كما فعل أولاً ليصح

(١) من ظ و م و مد و الصحيح، وفي الأصل: مصحف (٢) من ظ و م و مد و الصحيح، وفي الأصل: مصحف (٣) زيد من ظ و م و مد و الصحيح - تفسير سورة الأحزاب، وراجع أيضاً باب قول الله عز وجل "من المؤمنين رجال" من كتاب الجهاد؛ وسقطت من ظ لفظه في (٤) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٥) من فضائل القرآن (٦) من الصحيح، وفي النسخ كافة: بشهادة (٧) زيد من ظ و م و مد.

قوله : فقدت^١ آية من سورة^٢ الأحزاب . لأن افتقادها^٣ فرع العلم بها ،
ومن أبعد البعيد أن يكون سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
كثيرا^٤ يقرأها ولا يحفظها ، ولا سيما وهو مذكور فيمن^٥ جمع القرآن
في حياة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما رواه البخاري من غير
وجه عن أنس رضي الله عنه^٦ ، والظاهر من مثل هذا التتبع^٧ الذي لا يجوز^٨
لمن مارس أمثال هذه المهم^٩ أن يفهم غيره أن يكون لا ينقل آية إلا
[إذا - ^{١٠}] وجد من حفاظها على حسب ما هي مكتوبة عدد التواتر
والله أعلم .

ولما كان هذا الكلام الذي قالوه عليه صلى الله عليه وعلى آله
وسلم شاقا وله غائظا موجعا ، قال تعالى^١ تسلية له على وجه راد عليهم : ١٠
(ولقد أرسلنا^٢) أى على ما لنا من العظمة والجلال والهيبة ؛ ولما كان
الإرسال بالفعل^٣ غير عام للزمان كله ، [قال - ^٤] : (من قبلك^٥)
أى كثيرا [من الرسل - ^٦] (في شيع^٧) أى فرق ، سموا شيعة لم تابعة
بعضهم بعضا في الأحوال التي يجتمعون عليها في الزمن الواحد من مملكة

- (١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فقد (٢) زيد في مد : الحساب - كذا .
(٣) في ظ : افتقاد (٤) في ظ : كان (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بمن .
(٦) وراجع على سبيل المثال باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من
كتاب فضائل القرآن (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : حالهم ، وزيد قبله
في مد : الأم (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) في ظ و م و مد : سبحانه .
(١٠) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بالفصل (١١) زيد بعده في الأصل فقط :
الاولين ، لخذفناها نظرا لورودها فيما سيأتي .

أو عمارة أو ديانة ' أو نحو ذلك' من الأمور الجارية في العادة (الاولين)
كلهم^٢، فإ أرسلنا إلا رجلا من أهل القرى مثلك يوحى إليهم،
ولم نرسل مع أحد منهم ملائكة تراها أمهم، بل جعلنا مكاشفة
الملائكة [أمرأ^٣] خاصا بالرسل، فكذبوا رسلهم (وما ياتهم)
عبر بالمضارع تصويرا للحال، إيدانا بما يوجب من الغضب، فإن 'ما'
تجعل ' المضارع حالا والماضي قريبا منه، وأكد النفي فقال:
(من رسول) أى على أى وجه كان (إلا كانوا به) أى جلبة وطبعا
(يستزهون^٤) مكررين لذلك دائما، فكأنهم تواصلوا بمثل هذا، ولم ينقص
هذا من عظمتنا شيئا، فلا تبتئس بما يفعلون بك؛ والاستهزاء فى الأصل:
١٠ طلب الهزوء، والمراد به هنا - والله أعلم - الهزء، وهو إظهار ما يقصد
به العيب على إيهام المدح كاللعب والسخرية، ولعله عبر عنه بالسين
المفهمة^٥ للطلب إشارة إلى أن رغبتهم فيه لا تنقضى كما هو شأن
الطالب للشيء، مع أنهم لا يقعون على مرادهم فى حق أهل الله أصلا،
لأنهم لا يفعلون من ذلك فعلا إلا كان ظاهر البعد عما يريدون،
١٥ لظهور ما يدعو إليه حزب الله وثباته، فكانوا لذلك كطالب^٦

(١-١) تكرر ما بين الرقنين فى الأصل نقط (٢) سقط من ظ وم ومد (٣) زيد
من ظ وم ومد (٤) من ظ وم ومد. وفى الأصل: يجعل (٥) تكرر فى ظ.
(٦) فى مد: تواصلوا (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: المهملة.
(٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لا ينقضى (٩) من ظ وم ومد، وفى
الأصل: فكذبوا (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: كطلب.

ما لم يقع ، وإنما كان الناس إلى ما يوجه الجهل من الاستهزاء ونحوه
أسرع منهم إلى ما يوجه العلم من الأخذ بالحزم^١ والنظر في العواقب ،
لما في ذلك من تعجل الراحة واللذة وإسقاط الكلفة بالزام [النفس -^٢]
الانتقال من حال إلى حال - قاله الرمانى .

ولما كانت قلوب أهل الضلال موصوفة بالضيق والخرج ، كان ه
الداخل إليها لا يدخل إلا بغاية العسر ، فلذلك قال جواباً لمن كأنه قال :

أهذا خاص^٣ بهؤلاء ؟ فقيل : لا ، بل (كذلك) أى مثل هذا السلك

العجيب الشأن ، و عبر / بالمضارع [الدال -^٢] مع التجدد على الاستمرار ، ١٨١ /

لاقتضاء المقام له كما تقدم في أولها^٤ فقال : (نسلكه) أى الذكر

(فى قلوب المجرمين^٥) أى العريقين^٦ فى الإجمام فى كل زمن كما يسلك^٧ ١٠

الخيطة والرمح^٨ ونحوه فيما ينظم فيه من مخطط وغيره بغاية العسر ،

فلا يتسع له المحل فلا ينتفع^٩ ، حال كونهم (لا يؤمنون به) لشيء من

الاشياء ، لأن صدورهم لا تنشرح^٩ له كما [رأيت -^٢] سنتنا^١ بذلك فى قومك

(وقد خلت) أى " مضت من قبل هذا (سنة) أى طريقة (الأولين)

(١) من م ، وفى الأصل وظ و مد : بالجزم (٢) زيد من ظ و م و مد .

(٣) فى ظ : خاصاً (٤) من م و مد ، وفى الأصل : ولنا ، وفى ظ : ولها - كذا .

(٥) فى ظ و مسد : العريقين (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يسلط .

(٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الريح (٨) من ظ و م و مد ، وفى

الأصل : فلا ينتفع (٩) فى ظ : لا تنشرح (١٠) من ظ و م و مد ، وفى

الأصل : شينا (١١) زيد بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
و مد لحذفناها .

بذلك ، و نحن قادرون على فعل ما نريد من تلك السنة بهذه الامة من
إهلاك^١ و تيسير^٢ إيمان و غير ذلك ، فهو ناظر إلى قوله ” و قرآن مبين“
و الغرض يان أنه تعالى يعنى بعض الابصار عن الجلى ، و يصير بعضها
بالحقى ، إظهارا للقدرة و الاختيار بانفاذ^٣ الامر على خلاف القياس .

٥ و لما أخبره بهذه الأسرار منبئة^٤ عن أحوالهم ، وكانت النفس أشد

شئ طلبا لقطع حجة المتعنت باجابة سؤله^٥ ، قال تعالى مخبرا بتحقيق ما
ختم به من أنهم لا يؤمنون للنوارق و لو رأوا أعجب من الإتيان^٦ باللائكة :

(و لو فتحنا) أى بما لنا من العظمة (عليهم^٧) أى^٨ على من قال :

” لو ما تاتينا باللائكة “ (بابا) يناسب عظمتنا (من السماء) وأشار

١٠ إلى أن ذلك حالهم - و لو كانوا فى أجلى الاوقات و هو النهار - بقوله :

(فظلوا) أى الكفار (فيه) أى ذلك الباب العالى (يرجون^٩)

أى يصعدون ماشين^{١٠} [فى الصعود -^{١١}] مشية الفرع (لقالوا) عنادا

و إعبادا عن الإيمان : (انما سكرت) أى سدت و غشيت (ابصارنا)

أى حتى ظننا ما ليس بواقع واقعا (بل نحن قوم) أى و إن كان

١٥ [لنا -^{١٢}] غاية القوة على ما نريد محاولته (مسحورون^{١٣}) أى ثابت

(١) فى ظ : هلاك (٢) فى م : تيسر (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :

بانفاذ (٤) من ظ و م ، وفى الأصل و مد : مبنية (٥) من ظ و م و مد ، وفى

الأصل : سواه (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اتيان (٧) تأخرنى م عن

” تاتينا باللائكة “ (٨) سقط من م (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ماشين .

(١٠) زيد من ظ و م و مد .

وقوع السحر علينا حتى صرنا نرى الأشياء على خلاف ما هي عليه
و ثبت ' ما لاحقيقة له ؟ و السكر : السد بادخال اللطيف في المسام ' فيمنع
الشيء كمال ما كان عليه ، و منه السكر بالشراب ، و السحر : خيلة خفية
توهم معنى المعجزة من غير حقيقة .

و لما كان ذكر هذه الآية السماوية على سبيل الفرض في الجواب ه
عن إنكارهم النبوة ، دليلا على مرودهم على الكفر ، و كان من المعلوم
أن ثبوت النبوة مترتب على ثبوت الوحدانية ، توقع السامع الفهم
الإخبار عما له [تعالى - ٦] من الآيات المحققة الوجود المشاهدة الدالة
على قدرته ، فاتبعها بذلك استدلالا على وحدانيته بما له من المصنوعات
شرحا لقوله " و ليعلموا أنما هو اله واحد " و دليلا على عدم إيمانهم ١٠
بالخوارق ، و ابتدأ بالسماويات لظهورها لكل أحد و شرفها و ظهور أنها
من الخوارق بعدم ملابتها و الوصول إليها ، فقال مفتحا بحرف التوقع :
(و لقد جعلنا) أي بما لنا من العظمة التي لا يقدر عليها سوانا بما هو
معني عن فتح باب ونحوه (في السماء بروج) أي منازل للقمر ، جمع
برج ، و هو في الأصل [القصر - ٦] العالي [أولها الح - ٧] و آخرها ١٥
الحوت ، سميت بذلك لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها ، و هي

(١) من ظ و مد ، و في الأصل و م : تثبت (٢) من ظ و م و مد ، و في
الأصل : الشام (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من م ، و في الأصل و ظ و مد :
مرودهم (٥) في ظ : مرتب (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد من ظ و م
و مد غير أن « الحمل » ساقط من ظ .

مختلفة الطبايع، فسير الشمس والقمر بكل منها يؤثر ما لا يؤثره^١ الآخر،
فاختلافها في ذلك - مع أن نسبتها إلى السماء واحدة - دليل على الفاعل
المختار الواحد، والعرب^٢ أعرف الناس بها و باختلافها .

و مادة 'برج' بكل تقلب تدور على 'الظهور المألوم'^٣ [للعلو
المألوم -^٤] للقوة، وقد يفرط فيلزمه الضعف، فمن مطلق الظهور :

بروج السماء، قال القزاز: سميت بروجا لأنها بيوت الكواكب، فكأنها^٥
بمنزلة الحصون لها، وقيل: سميت لارتفاعها، وكل^٦ حصن مرتفع فهو
برج، والبرج - أي محركا: سعة يياض العين / و صفاء سوادها، وقيل^٧:
البرج في العين هو أن يكون الياض محدقا^٨ بالسواد، يظهر في نظر
الإنسان فلا يغيب من سواد العين شيء، وتبرجت المرأة: أبدت محاسنها،

/ ١٨١

والجرباء: الشمال - لعلوها^٩، والجرب: الوادي - لظهوره، والجرب:
مكيال أربعة أقدرة، وجرب الأرض معروف، وهو ساحة مربعة كل
جانب منها ستون ذراعا، ومنه الجراب - لوعاء من جلود، والجورب -
للغافة الرجل^{١٠}، لأنها ظاهران بالنسبة إلى ما فيهما، وكذا الجربان -
لغلاف^{١١} السيف، وجراب^{١٢} البئر: جوفها؛ والأرجاب: الأمعاء - شيها

(١) من مد، وفي الأصل وظ وم: لا يؤثر (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل:
القرب (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) في ظ:
فانها (٦-٩) في مد: فكل (٧) من صاحب القاموس (٨) من ظ وم ومد
والقاموس، وفي الأصل: محرقا (٩) في النسخ: لعلوه (١٠) في ظ: الرجال .
(١١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كغلاف (١٢) العبارة من هنا إلى
« سفن البحر » ساقطة من ظ .

بالجراب ؛ و البارجة : سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال ، و البجرة : كل عقدة^١ في [البطن ، و العجرة : كل عقدة في - '] الجسد ، و البجرة : السرة الناتئة ، و سرة البعير عظمت أولا ، و البحر و البحري : الأمر العظيم ، و جاء فلان بالبحارة^٢ ، و هى الداهية ، و فيه ما جمع إلى الظهور القوة ؛ و من ذلك رجب : اسم شهر ، و رجب الزجل : عظمت ، و الرجة • من وصف الأدوية ، و الرجب : الحياء و العفو ، و الرجب : الهية ؛ و المجرب : الذى يلى بالشدائد ؛ و رجب النخل ترجيا : بنيت من جانبها بناء لثلا يسقط ؛ و الجبر : خلاف الكسر ، و الملك - لوجود الجبر به لقوته ، و جبرت العظم ، و الجبارة : ما يوضع على الكسر لينجبر^٣ ، و جبرت الرجل : أحسنت إليه ، و أجبرته : ضمته إلى ما يريد ، و أجبرته على كذا : ١٠ قهرته عليه ، أى أزلت جبره^٤ ، و الجيرية : العانة من الحير ، و هى أيضا لأقوياء من الناس ، و الجبار من النخل : الطويل الفتى^٥ ، و الجبار اسم من أسماء الله تعالى ، و الجبار : كل عات ، و كل ما فات اليد ، و العظيم القوى الطويل ، و المتكبر الذى لا يرى لاحد عليه حقا ، و المتجبر^٦ : الاسد ، و جبار - بالضم مخففا : يوم الثلاثاء - لأن الله تعالى خلق المكروه فيه - ١٥

(١) فى ظ : عقد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ و م و مد : بالجبار - كذا ، وفى القاموس : والبحري و البحرية بضمهما : الداعية (٤) فى ظ : جبرته (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : هو (٦) من م و القاموس ، وفى الأصل و ظ و مد : الفتى (٧) فى ظ : المستجير .

كما في الصحيح^١، ومن الضعف: الجبار - بالضم مخففاً^٢، وهو الهدر من الدماء والحروب وغيرها، وقد يكون من جبر الكسر، لأنه جبر به المهدر عنه وقوى به وأحسن إليه، وكل ما أفسد وأهلك فهو جبار - كأنه شبه بالجيرة التي تفسد^٣ لإصلاح الكسر، والجبر: العبد - لضعفه ٥ واحتياجه إلى التقوية؛ ومن الضعف أيضاً الجرب بالنسبة إلى من يحل به، وهو من القوة بالنسبة إلى نفسه، ومن الظهور والانتشار أيضاً، والجرباء: السماء - تشيهاً بالأجرب، وأرض جرباء: مقحوظة؛ والترج: التجبر، والروبح^٤: درهم صغير؛ قال الزيدى: وهو دخيل، ومادة 'جبر' منها بخصوص^٥ ترتيها تدور على النفع، وتارة تنظر إلى ما يلزمه ١٠ من عدم الضرر مثل الجبار بالضم مخففاً لما هدر، وتارة [تنظر -^٦] إلى ما يلزم النفع من التكبر^٧ والقهر.

ولما ذكر البروج، وصف سبحانه السماء^٨ المشتملة عليها فقال: ﴿وزينها﴾ أي السماء لأنها المحدث عنها^٩ بالكواكب ﴿للنظرين^{١٠}﴾ أي لكل من له أهبة النظر، في دلائل الوحدانية، لا عائق له عن معرفة ١٥ ذلك إلا عدم صرفه النظر إليه بالبصر أو بالبصيرة ﴿وحفظتها﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿من كل شيطان﴾ أي بعيد من الخير محترق ﴿رجيم^{١١}﴾

(١) لاسلم في باب صفة القيامة والجنة والنار من كتاب المناقبين (٢) العبارة من «يوم الثلاثاء» إلى هنا ساقطة من ظ (٣) في ظ: تشد (٤) من م والقاموس، وفي الأصل ومد: الروع، وفي ظ: التريج - كذا (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: مخصوص (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) في ظ: التكبير. (٨) - قط من ظ (٩) من ظ، وفي الأصل و ظ ومد: عنه.

مستحق للرجم - [وهو رمى الشيء بالاعتماد من غير آلة مهيأة للاصابة كالقوس فانها للرمى لا للرجم - ١] - و مستحق للشم ، لانه قوال بالظن وما لاحقيقة له (الا من استرق السمع) منهم ، فانا لم نرد^٢ تمام الحفظ منه (فاتبه) أى تبعه تبع من هو حاث^٣ لنفسه سائق لها (شهاب) و هو عمود من نور يمتد بشدة ضيائه كالنار (مبين) براه من فيه أهلية^٥ الرؤية حين^٤ يرجم به ، روى البخارى فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله عنه يبلغ به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : إذا قضى الأمر فى السماء ضربت / الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله^٦ ، كأنه سلسلة على صفوان^٧ ينفذه ذلك ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا : ما ذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال : الحق و هو العلى الكبير ، فيسمعها^٨ مسترق السمع و مسترقو^٩ السمع ، هكذا واحد^{١٠} فوق آخر - و وصف سفيان [يده - ١٠] ففرج بين أصابعه^{١١} اليمنى ، نصبها بعضها فوق بعض - وربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها إلى صاحبه فيحرقه^{١٢} و ربما [لم يدركه^{١٣} حتى يرمى بها

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد . وفى الأصل : لم نرد - كذا (-) من م و مد ، وفى الأصل : حاث ، وفى ظ : جاءت . (٤) سقط من ظ (هـ) فى ظ : فاذا (٦-٧) فى ظ : خضعنا له (٧) زيد فى الصحيح : « قال على : وقال غيره » (٨) من ظ و م و مد و نسخة من الصحيح ، وفى الأصل : فسمعها ، وفى الصحيح : فتسمعها (٩) من ظ و م و مد و الصحيح ، وفى الأصل : واحد (١٠) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (١١) فى الصحيح : أصابع يده (١٢) فى الصحيح : فتحرقه (١٣) فى الصحيح : لم تدركه .

نظم الدرر (سورة الحجر ١٥: ١٩ - ٢١) ج - ١١

إلى الذى يليه إلى الذى هو أسفل منه حتى بلغوها إلى الأرض، وربما -^١ [قال سفيان : حتى ينتهى إلى الأرض ، فلتقى^٢ على فم الساحر فيكذب [معها -^١] مائة كذبة فيصدق^٣، فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا وكذا [يكون كذا وكذا -^١] فوجدناه حقا للكلمة التى سمعت من السماء .
 ٥ قال المفسرون^٢ رضى الله عنهم : كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات فيلقون ما يسمعون منها إلى الكهنة ، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات ، فلما ولد محمد صلى الله عليه و على آله و سلم منعوا من السماوات [كلها -^٤] - هكذا رأيت 'ولد' و لعله 'بعث' فان^١ فى الصحيح أن الذى منعهم نزول القرآن^٥ .

١٠ و لما ذكر آية السماء ، ثنى بآية الأرض فقال : (و الأرض مددتها) أى بما لنا من العظمة ، فى الأبعاد [الثلاثة -^٤] : الطول و العرض و العمق ، على الماء (و القينا) أى بعظمتنا (فيها) أى الأرض ، جبالا (رواسى) [أى -^٤] ثوابت . لثلاث تيميل بأهلها و ليكون^٥ لهم علامات ؛ ثم نبه على إحياء الموتى بما أنعم به فى الأرض بقياس جلى بقوله : (و ابتنا فيها)
 ١٥ أى الأرض و لاسيما الجبال بقوتنا الباهرة (من كل شىء موزون)

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ و م و مد و الصحيح (٢) من الصحيح ، وفى الأصول : فيلقى (٣) راجع لباب التأويل ٤ / ٤٩ ، و القول معزو إلى ابن عباس (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لعل . (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : وان (٧) راجع تفسير سورة الجن (٨) فى ظ و مد : لتكون (٩) زيد فى م : أى .

أى مقدر على مقتضى الحكمة من المعادن و النبات ﴿ وجعلنا لكم ﴾ أى
 إنعاما منا عليكم ﴿ فيها معاش ﴾ وهى ' ياء صريحة من غير مد ، جمع
 معيشة ، وهى ما يحصل به العيش من المطاعم والملابس والمعادن
 وغيرها ﴿ ومن لستم ﴾ أى أيها الأقوياء الرؤساء ﴿ له برزقين^٥ ﴾ مثلكم
 فى ذلك ، جعلنا [له -^٢] فيها [معاش -^٣] من العيال و الخدم و سائر
 الحيوانات التى تنفعون [بها -^٢] وإن ظننتم أنكم ترزقونهم ، فإن ذلك
 باطل لأنكم لا تقدرون على رزق أنفسكم فكيف بغيركم ؟ فلما ظهر كالشمس
 كمال قدرته وأنه واحد لا شريك له ، بين أنه - كما كانت هذه الأشياء
 عنده بحساب^٥ قدره على حكمة وبرها - كان غيرها كذلك^٦ ، فذلك هو
 المانع من معاجلتهم^٧ بما يهزؤون به من العذاب ، فقال : ﴿ وان ﴾ أى وما ١٠
 ﴿ من شئ ﴾ [أى -^٢] بما ذكر وغيره من الأشياء الممكنة ، وهى
 لا نهاية لها ﴿ الا عندنا ﴾ أى لما^٨ لنا من القدرة الغالبة ﴿ خزائنه ﴾ أى
 كما [هو -^٩] مقرر^{١١} عندكم ، لا تنازعون^{١١} فيه ، قال فى الكشف :
 ذكر الخزان تمثيل ﴿ وما ننزله ﴾ أى مطلق ذلك الشئ لا بقيد^{١٢}

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بخازنين ، وزيد بعده فى الأصل : أى ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م
 و مد ، وفى الأصل : فانكم (٥-٥) تكرر ما بين الرقين فى ظ (٦) من ظ و م
 و مد ، وفى الأصل : لذلك (٧) فى ظ و مد : معاجلتهم (٨) فى ظ : بما (٩) زيد
 من ظ (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مقدر (١١) من ظ و مد ،
 وفى الأصل و م : لا تنازعوا (١٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا يقبل .

عدم التناهي ، فان كل ما يبرز إلى الوجود متناه ، فهو استخدام
 ﴿ الا بقدر معلوم ٥ ﴾ على حسب التدرج كما ترونه^(١) ، وعن ابن مسعود
 رضى الله تعالى عنه^(٢) : ليس عام بأمطر^(٣) من عام ، ولكن الله يقسمه و يقدره
 في الأرض كيف يشاء^(٤) ، عاما ههنا و عاما ههنا ، وربما كان في البحر .
 هـ فهذا دليل قطعى على أن الفاعل المخصص له بوقت دون وقت و أرض
 دون أخرى فاعل واحد مختار .

فلما تم ما أراد من آتى الساء و الأرض ، و ختمه بشمول قدرته
 لكل شيء . أتبعه ما ينشأ عنهما بما هو بينهما مودعا في خزائن قدرته .
 فقال : ﴿ و ارسلنا ﴾ أى بما لنا من التصريف الباهر^(٥) ﴿ الريح ﴾ جمع
 ١٠ ريح ، و هى جسم لطف منبث في الجو سريع المر ﴿ لواقع ﴾ أى حوامل
 تحمل الندى ثم تمججه في السحاب التى تنشئها^(٦) ، فهى حوامل للاء . لواحق^(٧)
 بالجو ، قوته على ذلك عالية^(٨) حسا و معنى ؛ و الريح : هواء متحرك ،
 و حركته بعد أن كان ساكنا لا بد لها^(٩) من سبب ، و ليس [هو -]^(١٠)
 نفس كونه هواء^(١١) و لا شيئا^(١٢) من لوازم ذاته ، و إلا لدامت / حركته .

/ ١٨٤

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رونه (٢) راجع الدر المنثور - تفسير
 الآية المتعاقبة وهناك بعض المقارقات بالنسبة لما هنا (٣) فى ظ : بأمر (٤) من ظ
 و م و مد و الدر ، و فى الأصل : شاء (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :
 القاهر (٦) من م و مد ، و فى الأصل : تنشأ ، و فى ظ : تنفسيها (٧) من م و مد ،
 و فى الأصل : لواقع ، و فى ظ : لواقع (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد :
 عالية (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له (١٠) زيد من ظ و م و مد .
 (١١ - ١٢) فى ظ : الاشياء .

فليست إلا بتحرك^١ الفاعل الواحد المختار (فانزلنا) أى بعظمتنا بسبب تلك السحاب التى حملتها الرياح (من السماء) أى الحقيقية أو جهتها أو السحاب ، لأن الأسباب المترافقة^٢ بسند الشيء تارة إلى القريب منها و تارة إلى البعيد و أخرى إلى الأبد (ماء) و هو^٣ جسم مائع سيال ، به حياة كل حيوان من شأنه الاغتذاء (فاسقيهنكموه) جعلناه لكم سقيا ، ه يقال : سقيته ماء [أى -^٤] ليشربه ، و أسقيته أى مكته منه ليسقى به^٥ ماشيته و من يريد . و نفى سبحانه عن غيره ما أثبتة أولا لنفسه فقال : (و ما أنتم له^٦) [أى -^٧] ذلك الماء (بخازنين ه) و الخزن : وضع الشيء فى مكان مهيأ للحفظ ، ثبت أن القادر عليه واحد مختار .

ومادة 'لحق' بتقاليها الست تدور على اللحاق^١ ، و تلزمه القوة ١٠ و العلو حسا أو معنى ، فاللقاح اسم ماء الفحل - لأنه يلحق^٢ الاثنى^٣ فتحمله ، و قد ألحق [الفحل -^٤] الناقة ، و لقت لقاحا : حملت^٥ ، و الملقوح : ما لفته من الفحل ، أى أخذته ، و هى الملاقح - يعنى الأجنة ،

(١) فى م : بتحركى (٢) فى ظ : المرافقة (٣) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : هى (٤) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : جعلنا (٥) زيد من م (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : منه (٧) تأخر فى الأصل عن ' ذلك الماء ' و الترتيب من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : غتاره (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اللقاح (١١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لا يلحق (١٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الاثنى (١٣) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : جملة ، و راجع أيضا القاموس .

واللقحة : الناقة الحلوب^١ - لأنها أهل لأن يلحقها^٢ جائع ، وألقح القوم النخل^٣ ولقحوها - إذا ألحقوها^٤ بالفحالة فعلقوها عليها .
والقاحل : اليابس من الجلود ، لأن أجزائه تلاحق^٥ بعضها ببعض فضمرت ، ومنه شيخ قاحل .

٥ واللاحق : كل شيء لحق شيئا أى أدركه ، والملحق : الدعى^٦ - لأنه متهيئ^٧ لأنه يستلحقه^٨ كل من يريده ، والملحاق : الناقة التى لا يفوتها الإبل : قال الزبيدى فى مختصر العين : وفى القنوت : إن عذابك بالكفار ملحق - بالكسر ، أى لاحق - لغة .

والحقل : القراح الطيب - انتهى لمن^٩ يلحق بها ، وقيل : هو الزرع إذا تشعب ورقه ، وهو من ذلك أيضا ومن لحوقه بالحصاد فيصير كالمخلوق^{١٠} ، والحقيل : نبت ، والحقيلة : الماء^{١١} الرطب ، أى الأخضر من البقل والشجر فى الأمعاء منه ، والحقيلة : حشاقة التمر - للحاق كل من أراده به ، والحوقة : الغرمول اللين - كأنه مشبه بالنبت الأخضر ، أو لإمكان تثنيه كل وقت ولحوق بعض أجزائه ببعض ، والحوقل :

(١) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل : المحلوب (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : يلحقها (٣) زيد فى مد : لقحوها (٤) فى ظ : القحوها .
(٥) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : فلاحق (٦) فى ظ : الداعى (٧) من م ، وفى الأصل و ظ وم : منتهى (٨) فى ظ : يلحقه (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : من (١٠) من م ، وفى الأصل و ظ وم : كالمخلوق (١١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الماء .

الشيخ الضعيف النكاح - كأنه منه، والحوقة: سرعة المشى، وحقل الفرس -
إذا وجع من أكل التراب - كأنه مأخوذ من الحقل، وحوقل الشيخ:
اعتمد يديه على خصره إذا تمشى - كأنه للحاق يديه خصره .
والخلق^١ مساغ الطعام والشراب، وخلق الأرض^٢: أوديتها^٣ و^٤ مجاريها -
للحاق المياه بها، ولشبهها بالخلق، والخلق: خلق الشعر بالموسى،^٥ من ه
الخلق^٦ والقوة، والخلق: الأكسية الخشنة التي تخلق الشعر من خشوتها،
والخلق: المشؤوم الذي يخلق قومه؛ والخلق: ضرب من النبات، لورقه
حوضه - كأنه لسرعة لحاق الماشية به لانه كالفاكهة [لها-^٧]، والحلقة:
الخاتم بلا فص - لتلاحق أجزائها بعضها ببعض، ومنه حلقة القوم،
والحلقة: السلاح كله^٨، إما من هذا لأن منها الدروع ذات الخلق^٩،
تسمية للشيء باسم جزئه، وإما من القوة والعلو المعنوي لما يلزم عنها،
والخلق: المال الكثير، إما من ذلك وإما من لحاق صاحبه بمراده،
والخلق: الجبل^{١٠} المنيف - لظهوره وعلوه ولحاقه بالجو، والحوقة:
القارورة الطويلة العنق، وخلق الطائر: ارتفع في الهواء، من هذا؛ واللقحة^{١١}:
الغراب؛ والخلق من الكرم والشرى: ما تعلق منه بالقضبان، فهو ظاهر^{١٢}
في اللحاق، وخلق الضرع - إذا ارتفع إلى البطن وانضم، فهو من العلو
(١) في ظ و م ومد: اللحق - كذا (٢) في ظ: الراس (٣) من ظ و م ومد،
(٤) في الأصل: او (٤-٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل: بالخلق (٥) زيد
من ظ و م ومد (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: كلها (٧) من ظ و م
ومد، وفي الأصل: خلق (٨) من ظ و م ومد والقاموس، وفي الأصل:
بالجبل (٩) من ظ و م ومد والقاموس، وفي الأصل: اللقحة .

واللحاق، وقيل: إذا كثر لبنه فهو إذاً من اللحاق، وتحلق القمر: صارت حوله
دائرة، وحلق قضيب الفرس حلقاً - إذا تقشر،/ كأنه شبه بما حلق شعره، وحى
لقاح: لم يملكوا قط - كأنه من القوة والعلو المعنوي^١؛ والقلح: صفرة تعلو
الأسنان، فهو من اللحاق مع العلو، ويسمى الجمل أقلح من هذا.

٥ فلما تقرر تفصيل الخبر عما هو سبب الإحياء في الجملة، فتهيات^٢
النفس للانتقال منه إلى الإحياء [الحقيق - ^٣] قياساً، قال تعالى:
(وإنا لنحن نحيي) أى لنا هذه الصفة على وجه العظمة، فحيي [بها - ^٢]
ما نشاء من الحيوان بروح البدن، ومن الروح بالمعارف، ومن النبات
بالنمو^٣، وإن كان أحدها حقيقة، والآخران مجاز إلا أن الجمع بينهما
١٠ جائز (ونميت) أى لنا هذه الصفة. فبرز بها من عظمتنا ما نشاء
(ونحن الوارثون^٤) أى الإرث التام إذا مات الخلائق، الباقون بعد
كل شيء كما كنا ولا شيء، [ليس - ^٦] لأحد فينا تصرف بامانة ولا
إحياء، فثبت بذلك الواحدانية والفعل بالاختيار، فلما ثبت بهذا كمال
قدرته، وكانت آثار القدرة لا تكون محكمة إلا بالعلم، قال تعالى:
١٥ (ولقد علنا) أى بما لنا من الإحاطة المعجزة (المستقدمين منكم^٥)
وهم^٦ من قضينا بموته أولاً، فيكون في موته كأنه يسارع إلى التقدم

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: فهيات (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) ليست
الواو في الأصل فقط (٥) في م: بالياء (٦) زيد من ظ و مد؛ والعبارة من
بعده إلى «ولا إحياء» ساقطة من م (٧) من م، وفي الأصل وظ ومد: هو.
إليه (١٠) ٤٠

إليه وإن كان هو وكل من أهله مجتهدا بالعلاج في تأخيرهِ (ولقد علمنا) بعظمتنا (المستأخرين هـ) أى الذين نمد في أعمارهم فتؤخر موتهم حتى يكونوا^١ كأنهم يساقون^٢ إلى ذلك وإن عاجلوا الموت بشرب سم وغيره، أو عالجهم^٣ غيرهم بضربهم بالسيف أو غيره، فعرف^٤ بذلك قطعا أن الفاعل واحد مختار، وكذا كل متقدم ومتأخر في وصف من الأوصاف غير هـ الموت، والمعنى على الأول: فنحن لا نمت أحدا قبل أجله فلا تستعجلونا بالوعيد وتهيأوا لدفاعه إن كنتم رجالا، فانه لا بد أن يأتى^٥ لانه لا يدل القول لدى .

ولما تم الدليل على تمام القدرة وشمول العلم، ثبت قطعا إحياء الموتى لاتقاء المانع من جهة القدرة، واقتضاء الحكمة له من جهة العلم للعدل ١٠ بين العباد بالمقابلة على الصلاح والفساد، فقال تعالى مؤكدا لإنكارهم: (وان ربك) أى^٦ المحسن إليك بالانتقام لك ممن يعاديك، وإقرار عينك من مخالفتك^٧ (هو) أى وحده (يحشرهم^٨) أى يجمعهم^٩ إلى أرض القيامة بعد إعادتهم؛ قال الرماني: وأصله جمع الحيوان إلى

- (١) من م، وفي الأصل ومد: يكون، وسقط من ظ (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: يساقون (٣-٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: عالجهم اسم - كذا (٤) من م، وفي الأصل وظ ومد: يعرف (هـ-ه) من م ومد، وفي الأصل: يتأق فانه، وفي ظ: يتأق لانه (٦) سقط من م (٧) في ظ: مخالفتك . (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: نحشرهم (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: يجمعهم .

مكان ؛ ثم علل ذلك فقال مؤكدا لأجل اعتقادهم ما يستلزم الإنكار :
 ﴿ انه حكيم ﴾ أى يفعل الأشياء فى أتم مواضعها بحيث لا يقدر أحد
 على نقضها ﴿ عليم ﴾ بالغ العلم فلا يخفى عليه شئ ، وهو يريد أن
 ترى حكمته بكشف^١ الغطاء^٢ عند^٣ تمييز أهل السعادة والشقاء^٤ ، والحكمة :
 ٥ العلم الذى يصرف عما لا ينبغي ، وأصلها المنع .

ولما جرت سنته^٥ الإلهية أنه يذكر ابتداء الخلق دليلا على الإعادة
 سابقا ولاحقا ، وابتدأ هنا بذكر الحشر لما قام عليه من الدليل بأحياء
 الأرض ، توقع السامع تفصيل ابتداء الخلق الذى هو أدل دليل على
 البعث بعد إجماله فى قوله " وانا لنحن نحى^٦ " فقال مفتتحا بحرف
 ١٠ التوقع : ﴿ ولقد خلقنا ﴾ أى بالعظمة الباهرة ﴿ الانسان ﴾ [أى -^٧]
 الآنس بنفسه ، الناس^٨ لغيره ﴿ من صلصال ﴾ أى طين يابس ، له عند
 النقر صلصلة [^٩ - أى صوت شديد متردد فى الهواء ، فان كان فيه مد من
 غير ترجيع فهو صلل^{١٠}] ، فالمراد شديد ييسه^{١١} ولكنه غير مطبوخ ، وأما
 (١) فى مد : بالكشف (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) من م ، وفى الأصل
 وظ و مد : عنه (٤) فى ظ : الشقاوة (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل وم :
 سنة (٦) زيد بعده فى الأصل وظ : ونميت ، ولم تكن الزيادة فى م و مد
 لخصفها (٧) زيد من م (٨) من م و مد ، وفى الأصل : الناس ، وفى ظ :
 النامى (٩) زيد من ظ وم و مد (١٠) من م - وراجع أيضا القاموس
 والاسان - وفى ظ : صلصيل ، وفى مد : صلصل (١١) من م ، وفى الأصل
 وظ : نسه ، ولا يتضح فى مد .

المطبوخ فهو نفار^٢؛ ثم بين أصل الصلصال فقال: (من حاء)^٢ أى طين أسود متين^٣ (مسنون^٤) أى مصبوب مهياً لعمل ما يراد منه بالدلك والتحسين من الذهب والاضطراب والجعل على طبع وطريقة^٥

مستوية، وكل ذلك على غاية السهولة والطواعية والهوان، / فذكر ١٨٦ /
أصل الإنسان وما وقع له مع إبليس - الذى هو أصل الجن كما أن ه آدم عليه السلام أبو البشر - من الكيد حتى أخرجه من دار الصفاء إلى دار الكدر، ليحذره العقلاء من بنى آدم، وفى التنبيه بابتداء الخلق على وصول البشر إلى أصل كان بمحض^٦ القدرة مخالف لهم فى^٧ التكوين بين أبوين، و انتهاء الجن إلى أصل ليس خلقه كخلفهم تنبيه عظيم على انتهاء الموجودات^٨ إلى موجود^٩ لا يحانسهم^٩، بل [هو - '] خالق ١٠ غير مخلوق، فاعل بالاختيار، واحد لا شريك له، ولا اعتراض عليه، قادر على ما يريد [سبحانه، وفى خلقه من الماء - الذى هو كالآب - والطين - الذى هو كالآم - بمساعدة النار والهواء - '] من الحكمة أن يكون ملائماً لما فى هذا العالم، فيكون بقاءه بذلك الذى خلق منه^{١١} فى مأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره، وذلك أدل على حكمة الخالق وعلمه و وحدانيته ١٥

- (١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: نفاره (٢ - ٢) سقط ما بين الرقین من م (٣) العبارة من هنا إلى « والهوان » ساقطة من م (٤) سقط من ظ (ه) فى ظ: طرقة (٦) فى ظ ومد: تمحض (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: من. (٨ - ٨) سقط ما بين الرقین من ظ (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لا يحانسهم (١٠) زيد ما بين الحائزين من ظ وم ومد (١١) زيدت الواو فى ظ.

و مادة "صل" تدور على الصلصال الذي هو الطين مطلقا،
 أو الطين الحريخلط بالرمل، أو الطين ما لم يحمل خزفا، ويتفرع^٣ جميع
 معاني^٢ المادة منه، لأن من لوازمه في أوله الماء واللين بنداوته وسهولة
 خلطه لغيره، فيأتي الخفاء^٤ لأنه يفرز فيه بغير صوت، ومنها قبول
 التصفية من الغش، ومنها في آخره^٥ الصلابة لشدة اليبس، فيلزم تضام
 الأجزاء وتضايقها على انتظام^٦ أو غير انتظام، [والصوت - ٧]، وشدة
 الانفصال بالتشقق^٨، ومن لوازمه التغير بالتين، فيأتي الخبث والفساد،
 ومن لوازمه شدة الاختلاط بحيث إذا نشب فيه شيء عسر خلاصه، ومن
 لوازمه تميزه^٩ عما عداه، ومحل يصنع فيه .

١٠ فن الصوت واليبس: صليل الحديد والإبل ونحو ذلك، يقال:
 صل الحديد واللجام: امتد صوته، فان توهم ترجيع الصوت قيل: صلصل،
 وصل البيض: سمع له طنين عند القراع، والمسما^{١١} صليلا: ضرب
 فأكره أن يدخل في الشيء، والإبل صليلا: يبيت أمعاؤها من العطش
 فسمع لها صوت عند الشرب .

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل «و» (٢) في ظ وم مد: تنفرع (٣) في مد:
 حال (٤) في ظ: من غير (٥) في مد: آخر (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل:
 الانتظام (٧) زيد من ظ وم ومد (٨ - ٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل:
 الانفعال بالتشقق - كذا (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تميزه (١٠) من ظ
 وم ومد والقاموس، وفي الأصل: صله لا - كذا (١١) من ظ وم ومد
 والقاموس، وفي الأصل: تعطش .

ومن الصوت : صلصل : أوعد و تهدد^١ ، و قتل^٢ سيد العسكر -
 لظهور الصيت^٣ بذلك ، و صلصل الرد : صفا صوته ، و الكلمة : أخرجها
 متحذلقا^٤ ، و طائر أو الفاختة ، و الراعى الحاذق ، و المصلل - كحدث^٥ :
 السيد الكريم الحبيب ، الخالص النسب^٦ ، و الأسكف و [هو - ^٧]
 الإسكاف عند العامة ، و تصلصل^٨ الغدير : جفت حاته^٩ ، فتهيا لأن ه
 يصوت يبه ، و الحلى : صوت ، و حمار صلصل و صلصل - بضمهما ،
 و صلصال و مصلصل^{١٠} : مصوت .

و من النتن : صلول اللحم و الماء ، يقال : صل اللحم صلولا : أثنى ،
 و الماء : أجن^{١١} ، و الصليان - بكسرتين مشددة^{١٢} اللام : ما^{١٣} تغير من
 اللحم^{١٤} ، و الصلة - بالضم : الريح المنتنة .

١٠

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : تهدده (٢) من القاموس ،
 و في الأصول جمعاء : قيل - كذا (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : العست -
 كذا (٤) من م و القاموس ، و في الأصل و ظ و مد : متحذلقا ؛ و من بعده
 يتبدى معنى الصلصلة و الصلصلة و الصلصل (ه-ه) من ظ و م و مد و القاموس ،
 و في الأصل : المصلصل المحدث ؛ و زيد بعده في الأصول : بيت ، و لم تكن الزيادة
 في القاموس و لا في اللسان فخذناها (٦) من القاموس ، و في النسخ : النسيب .
 (٧) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٨) في ظ : تصليل (٩) من ظ و م و مد
 و القاموس ، و في الأصل : ضماته (١٠) في ظ : متصلصل (١١) من ظ و م و مد
 و القاموس ، و في الأصل : اجبن (١٢) من م و مد و القاموس ، و في الأصل
 و ظ : مشدة (١٣) سقط من مد (١٤) و أما في القاموس فهذا التعريف ينسحب
 على الصل ، و معنى الصليان فيه : نبت .

ومن اليبس: الصلة، وهي الجلد^١ اليابس قبل الدباغ، والنعل،
والأرض، أو اليابسة - وصل السقاء صليلاً: يمس، أو أرض لم تمطر
بين ممطورتين، والصل - بالكسر: القرن، وشجر^٢، والسيف القاطع.
ومن النداة: الصلة، وهي التراب الندي؛ ومن الماء أعم من
أن يكون كثيراً أو قليلاً: [الصلة - ^٣] للطرة الواسعة والمتفرقة
القليلة^٤، والصلة - بالضم: بقية الماء وغيره، وكذا الصلصلة والصلصل -
بضمهما: بقية الماء في الغدير، وكذا من الدهن والزيت، وأما التفرق
فمن التشقق، والصلة: القطعة من العشب، سميت باسم المطر تسمية
للسبب باسم السبب.

ومن اللين: الصلالة - بالكسر - لبطانة الخف أو ساقها، والصلصل -
كهدهد: ناصية الفرس ويفتح، أو يياض في شعر معرفته، وما أبيض
من شعر ظهرة^٥، وهذا من التمييز أيضاً؛ ومن المحل^٦: القدح أو الصغير
منه، والمصلة - بالكسر: [الإناء يصفى فيه الشراب؛ ومن الخبث:
الصل - بالكسر - ^٧] للحية مطلقاً، أو الدقيقة^٨ / الصفراء، والداهية،

/ ١٨٧

(١) زيد في القاموس: أو (٢) من ظ وم ومد والقاموس، وفي الأصل:
السحر (٣) سقطت الواو من ظ (٤) زيد من ظ وم ومد والقاموس (٥) من
ظ وم ومد والقاموس، وفي الأصل: القلة (٦) من م ومد، وفي الأصل:
طيره، وفي ظ: ظفره؛ وراجع أيضاً القاموس (٧) من ظ وم ومد، وفي
الأصل: الخلل (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) من القاموس، وفي النسخ
كلها: الرقيقة.

و السيف القاطع - شبه^١ بذلك لإهلاكه ، وإيه لصل [- أصلال -^٢] :
 داهٍ منكر في الخصومة وغيرها ، و^٣ صلتهم الصالة^٣ : أصابتهم الداهية ،
 وهذا أيضا من شدة الانتساب^٤ ، ومن التشقق : الصال وهو الماء يقع
 على الأرض فتشقق^٥ .

ومن التصفية : صلنا الحب المختلط بالتراب : صبنا فيه ماء فغرلنا^٦ ه
 كلا على حياله^٧ ، و صل الشراب صلاح صفاء ، والمصلة - بالكسر :
 الإناء يصبى فيه .

و من تضام الأجزاء وتضايقها ، وقد يكون^٨ مع الانتظام ومنه :
 تلصيص البنيان ، أى ترصيصه^٩ ، وقد لا يشترط فيه الانتظام ومنه : التص
 بمعنى التزق^{١٠} ، واللص^{١١} وهو تقارب المتكئين ، وتقارب الأضراس ، ١٠
 و تضام مرفق^{١٢} الفرس إلى زوره ، واللواء من الجباه : الضيقة ،
 والمرأة الملتزمة^{١٣} البغذين لا فرجة بينهما ، والزنجى : الص^{١٤} الإليتين ،

(١) في م ومد : شبه (٢) زيد من ظ وم ومد والقاموس (٣-٤) في ظ :
 صلة الصال - كذا (٤) في النسخ كلها : الانتساب ، والتصحيح بناء على ما تقدم
 من ذكر لوازم المادة (٥) في القاموس : فتشقق (٦) من ظ وم ومد والقاموس ،
 وفي الأصل : يعرلنا - كذا (٧) من م ومد والقاموس ، وفي الأصل : حالة ،
 وفي ظ : صياله (٨) زيدت الواو بعدة في الأصل ، ولم تكن في ظ وم ومد
 فحذفناها (٩) من ظ وم ومد والقاموس ، وفي الأصل : تراصيصه (١٠) من ظ
 وم ومد والقاموس ، وفي الأصل : الزق (١١) في القاموس : اللصص .
 (١٢) من ظ وم ومد والقاموس ، وفي الأصل : مرهوى (١٣) من ظ وم
 ومد والقاموس ، وفي الأصل : الملتزمة (١٤) من ظ وم ومد والقاموس ،
 وفي الأصل : اللص .

و إغلاق الباب ، ومن إطلاقه على ما ليس منتظا ، وإن لم يكن تقارب :
 اللصاء من النيم ، وهي لما أقبل أحد قرنيها وأدير الآخر . ومن الحفاء
 الذي هو من لوازم الطين وهو ندى : اللص : بالفتح ، وهو فعل الشيء
 في ستر ، والسارق ، ويثلك .

٥ و مادة 'سن' تدور على الدلك ، ويلزمه التحسين ، فمن الدلك :
 السن - بالكسر - [وهو - ١] الضرس والحبة من الثوم - ٢ - تشبه به ،
 والثور الوحشي ، و سنان الرمح ، و مكان البرى من القلم - ٣ - ، و الأكل
 الشديد - ٤ - ، والقرون ، وشعبة المنجلى ، ومقدار العمر - ٥ - لأنه لما مر على
 صاحبه كان كأنه ذلك ، فالمسانن من الإبل : الكبار ، و سنن السكين
 ١٠ وغيره فهو مسنون ، والمسن - بالكسر : آلة السن ، و سنن رمح إله :
 سده ، و سن الاضراس : سوكها - ٦ - ، و الإبل : ساقها سريعا - ٧ - لدالكها
 عند الازدحام - ٨ - ، و سن الأمر : بينه - فكأنه هياه لأن - ٩ - يركب فيدلك
 بالافكار - ١٠ - أو غيرها ، و سن الطين : عمله فخارا ، و فلانا : طعنه باللسان
 أو عضه بالأسنان ، و الفحل الناقة : كبها - ١١ - على وجهها ، و عليه

(١) زيد في ظ : في (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) في ظ : الهوم ، وفي القاموس :
 رأس الثوم (٤) في ظ ومد : العلم (٥) من ظ وم ومد والقاموس ، وفي
 الأصل : الشديدة (٦) من ظ ومد والقاموس ، وفي الأصل وم : البيان .
 (٧) من م ومد والقاموس ، وفي الأصل وظ : وهو (٨) في ظ : سواكها .
 (٩) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : الزحام (١٠) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل : لأنه (١١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بالافكال - كذا .
 (١٢) من القاموس ، وفي الأصول كلها : ركبها .

'المتزعج' أو 'الماء: صبه ، والطريقة: سارها'، واستن: استاك ، و الفرس: قصص ، و السراب: اضطرب ، و السنة - بالكسر: الفأس لها خلفان' ، و التثنية - بالضم: السيرة أو الطبيعة - كأنها عولجت حتى انقادت ، و السنة من الله: حكمه وأمره ونهيه ، و سنن الطريق - مثله وبصمتين: نهجه وجهته ، و جاءت الريح سنانين: على طريقة واحدة ، و الها المستنون: المتنب - لأنه نهيًا لأن يدلك بالآلة جبلاً حتى يصلح للأن يستعمل فيه ، و الفحل: يسان الناقة: يكدمها و يطردها حتى ينوخها ليسفدها' ، و السنين - كأمير: ما يسقط من الحجر إذا حكته ، و الأرض التي أكل نباتها كالستوة ، و السينين - بالكسر: العطش - كأنه بمن الأمعاء حتى أحرقتها ، و رأس المحالة: أى البكرة العظيمة ، و حرف قمار الظهر كالسن ١٠ و السنسة ، و رأس عظام الصدر' ، أو طرف الضلع التي في الصدر' ، و المستسن: الطريق المسلوك ، و المستن' : الأسد ، و السنن - محرّكة: (١-١) من م ومد والقاموس ، وفي الأصل: الزرع و ، وفي ظ: الدرع و . (٢) في القاموس: سار فيها (٣) من ظ وم ومه و القاموس ، وفي الأصل: حاقان (٤) في ظ: السن (٥) من القاموس ، وفي الأصل: سنانين ، وفي ظ وم ومه: ستانين - كذا (٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل: لانها (٧) جبل التراب: صب عليه الماء ودعكه طينا (٨) من ظ وم ، وفي الأصل: الماء ، وفي مد: كما (٩) من ظ وم ومد والقاموس ، وفي الأصل: العمل . (١٠) في ظ: ليصعدها (١١) من القاموس ، وفي الأصول: الظهر (١٢) في ظ: الصدور (١٣) من م و القاموس ، وفي الأصل و ظ ومه: السن .

الابل تستن في عدوها، و السنيّة - كسفيّة: الرمل^١ المرتفع المستطيل
 على وجه الأرض، و [هو -^٢] من المسنون بمعنى المصبوب^٣؛ و سقى^٤
 هذا الشيء: شهى إلى الطعام - كأنه سن المعدة حتى قطعت بعد كلالها،
 و تسانت الفحول: تكادمت، و النّس^٥: سرعة الذهاب، و يلزمه تذاك^٦
 الأعضاء، و نيس الإنسان: مجهوده^٧ - لأن ذلك لا يكون إلا بعد أشد
 الاضطراب، و النسيّة: الحشاشة^٨، و هى بقية الروح من المريض و الجريح
 - كأنها صدمت حتى ذهب^٩ أكثرها، و نس اللحم: ذهب بلله من شدة
 الطبخ / - لأن إحراق النار أعظم ذلك، و كذا نس الخطب - إذا
 أخرجت [النار -^{١٠}] زبده على رأسه - لقيام الإحراق مقام الرضخ فيما
 ١٠ يستخرج دهنه، و نس من العطش: جف^{١١}، [من ذلك -^{١٢}]؛ و من
 التحسين: سنن المنطق - إذا حسنه، و سن الأمر: بينه، و الطين: عمله
 نخارا، و المال: أرسله في الرعى أو^{١٣} أحسن القيام [عليه -^{١٤}] حتى
 (١) في ظ: الويل (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و في
 الأصل: السنوب (٤) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: اسنى
 - كذا (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: ملاتها (٦) من ظ و م و مد
 و القاموس، و في الأصل: التسن - كذا (٧) من ظ و م و مد، و في
 الأصل: بذلك (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: مجودة، و في القاموس:
 غاية جهد الإنسان (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: الحباشة (١٠) في ظ:
 ذهبت (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: حيف (١٢) في ظ و «و» .
 (١٣) زيد من ظ و م و مد و القاموس .

كأنه صقله ، و الشيء : صورته ، و السنة - بالضم : الوجه ، أو حره ،
أو دائرته ، أو الصورة أو الجبهة ، و رجل مسنون الوجه : مملسه حسنه
سَهْلُهُ ، أو في وجهه و أنه طول ، و كل ذلك يرجع إلى الدالك أيضا
و الله أعلم . و قال أبو حيان^٢ : قال ابن عباس رضى الله عنهما : المسنون :
الرطب ، و معناه المصبوب ، لأنه لا يكون مصبوبا إلا و هو رطب ، و قال ه
الرازى فى اللوامع : و هذا إشارة^٣ إلى درجات خلق آدم عليه السلام
و مراتبه ، و أشار الله تعالى إلى ذلك فى مواضع مختلفة حسبما اقتضته
الحكمة فقال فى موضع " خلقه من تراب " ، إشارة إلى المبدأ الأول ، و فى
آخر " من طين " إشارة إلى الجمع بين الماء و التراب ، و فى آخر " من
حما مسنون " إشارة إلى الطين المتغير المستقر على حالة من الاعتدال ١٠
تصلح^٤ لقبول الصورة ، [و فى آخر " من صلصال " إشارة إلى يسه
و سماع صالصة منه - ٥] ، و فى آخر " من صلصال كالفخار " و هو الذى
قد أصلح بأثر من النار [فصار - ٦] كالخذف ، و بهذه^٥ القوة النارية
حصل فى^٦ الإنسان أثر من الشيطنة - انتهى . [و - ٧] قال الرماني :
و قد تضمنت الآيات البيان عما يوجهه تقليب الحيوان من حال إلى حال ١٥
(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل « و » (٢) فى النهر - راجع هامش
البحر المحيط ٥/ ٥٢٢ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشارت - كذا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقطت الواو من مد (٦) من ظ و مد ،
و فى الأصل و م : يصلح (٧) زيد ما بين الحائزين من ظ و م و مد (٨-٨) تكرر
ما بين الرقمين فى ظ (٩) فى مد : من .

من جاعل^١ قادر قلبه من أصل هو أبعد شيء من حال الحيوان إلى الحيوان، وقال: إن الحكمة في جملة من الحماة المبررة في أنه قلب من تلك [الحال - ٢] الحقيرة في الهفة إلى هذه الحال^٢ الجليلة .

و لما ذكر سبحانه خلق الإنسان، [أتبعه - ٤] ذكر ما خلقه قبله^٥ من الجن فقال: ﴿وَالْجَانَّ﴾ [أى - ٤] الذى هو للجن كآدم عليه السلام للناس؛ وقيل^٦: هو إبليس ﴿خلقته﴾ وعبر عن تقليل زمان سبق خلقه وتقريره بإثبات الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى^٧ قبل خلق الإنسان ﴿من فاز السموم هـ﴾ أى الحر الشديد، قيل^٨: هى نار لا دخان لها، يكون^٩ منها الصواعق، وهى بين السماء وبين الحجاب، فاذا أراد الله تعالى خرقت الحجاب، فهدت إلى ما أمرت به، فالهدة التى يسميها الناس هى خرق ذلك الحجاب؛ وقال الرازى فى اللوامع: نار لطيفة تناهت^{١٠} فى الغليان فى أفق الهواء، وهى بالإضافة إلى النار التى جعلها الله تعالى [متاعا - ٤] كالجد إلى الماء والحجر إلى التراب - انتهى . وقال الرماني: وقال عبد الله: هذه السموم^{١١} جزء من سبعين جزءا من السموم^{١٢}

(١) فى ظ: عاجل (٢) زيد من م (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الحالة .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (هـ) من ظ و م و مد، وفى الأصل: قيل (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الجن (٧) من قتادة - كما صرح به فى باب التأويل ٤/٣٠٥ (٨) زيد فى ظ: من (٩) من ابن عباس - راجع النهر على هامش البحر ٤/٣٠٥ (١٠) فى ظ و م و مد: تكون (١١) فى ظ: تاهت .
(١٢-١٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .

التي خلق الله^١ منها الجن ، وهي مأخوذة من دخولها بلطفها في^٢ مسام البدن ،
ومنه السم القاتل - انتهى .

ولما كانت نعمة الإيجاد كافية في إخلاص العبادة للوجد ، لم
لم يعتبرها^٣ أهل الضلال ، أشار تعالى إلى نعمة [هي -^٤] أكبر منها ، وهي
التفضيل -^٥] على جميع المخلوقات^٦ على وجه مبين لسبب^٧ الضلال ، فقال ه
عاطفا على ما تقديره : اذكر هذا فإنه كافٍ في المراد لكل ذي لب :
(واذ) أي و اذكر قول ربك إذ (قال ربك) أي المحسن إليك
بتشريف أيك آدم عليه السلام لتشريفك (لأنك) ولما كان بما
يتوقف فيه ، أكدته فقال : (إني خالق بشر) أي حيوانا غير^٨ ملبس
البشرة^٩ بما جعله عليه من الطبيعة على الصورة الإنسانية (من صلصال) ١٠
أي طين شديد اليبس (من حمأ) أي طين أسود متن (منسونه)
أي مصور [بصورة -^{١١}] الآدمي في تجويفه وأعضائه كأنه مصبوب
في قالب ، قال الرماني : وأصله الاستمرار / في جهة من قولهم : على
سنن واحد (فاذا سويته) أي عدلته وأتممته و هيأته لنفخ الروح
تهيئة قريبة من الفعل (وقضت فيه من روحي) أي خلقت^{١٢} الحياة فيه ١٥
(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : من (٣) من ظ
وم ومد ، وفي الأصل : لم يعتبر (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) في مد : المخلوقين .
(٦) من م ، وفي الأصل وظ و مد : بسبب (٧-٧) من ظ و م ومد ، وفي
الأصل : ملتبس البشر (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : لأنه (٩) سقط
من م (١٠) في ظ : جعلت .

كما تعلق النار بالقتيلة بالنفخ، وهو تمثيل، وأضاف الروح إليه تشريفاً،
وهو ما يصير به الجسم^١ حياً، وأشرف منه ما يصير به الروح عالماً،
وأشرف منه ما يصير به^٢ العالم عاملاً خاشعاً ﴿فَقَعُوا لَهُ﴾ أى تعظيماً،
حال كونكم ﴿سُجَّادِينَ﴾ أى اسجدوا [له -^٣] سجود من كان في مبادرته
به وسهولة انقياده كأنه وقع من غير اختياره ﴿فَسَجِدِ الْمَلَائِكَةَ﴾ أى
بسبب هذا الأمر من غير توقف لما جاء الوقت الذى أمرتهم فيه^٤
لذلك البشر، وهو أبوكم آدم عليه السلام وأنتم فى صلبه
﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ .

ولما أبلغ فى تأكيد ما أفهمه الجمع، استثنى فقال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾
١٠ قيل: هو [من -^١] قوم من الملائكة، وقيل: بل - لكونه كان واحداً
بينهم منضافاً إليهم عاملاً^٢ بأعمالهم - كان معموراً فيهم، فكان كأنه منهم،
فصح استثناءه لذلك، فكأنه قيل: ما فعل؟ فقيل استعظاما لمخالفته:
﴿إِنِّي إِنْ يَكُنْ أَى لَشَكَاةٍ فِي جِلْبَتِهِ﴾ (مع السجدين) أو إنه
لم يقل: فأبى - بالعطف . لأن الاستثناء منقطع، فإن إبليس من نار
١٥ والملائكة من نور، [و-^٢] لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون
بخلافه. فكأنه قيل: فما^٣ فعل به الملك؟ فقيل: لم يعاجله بالعقوبة، بل

(١) زيد فى ظ و مد: به (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: به (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل:
الستثنى (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: عالماً .
(٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: جلبيته (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل
«و» (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ما .

آخره إلى أجله المحكوم به في الأزل كما أنه لم يعاجلكم لذلك ، فكأنه
 قيل : فإ ' قال له ؟ فقيل^٢ : ﴿ قال ﴾ له ليقم ' الحجة عليه^٣ عند الخلاق
 ظاهرا كما قامت عليه الحجة في العلم باطنا : ﴿ يابليس ﴾ اختار هذا الاسم
 هنا لأن الإبل اس معناه اليأس من كل خير ، و السكون و الانكسار ،
 و الحزن و التحير ، و انقطاع الحجة و الندم ﴿ ما لك ﴾ أي شيء لك ه
 من الاعتذار في ﴿ ألا تكون ﴾ [أى - ٤] بقلبك^٥ و قلبك ﴿ مع السجدين ﴾
 لمن أمرتك بالسجود له و أنت تعلم بما أنا عليه من العظمة و الجلال ما
 لا يعلمه كثير من الخلق ﴿ قال لم أكن ﴾ و أكد إظهارا للاصرار^٦ و الإضرار
 بالكبر فقال : ﴿ لا سجد لبشر ﴾ أي ظاهر^٧ البدن ، لا قدرة له على التشكل
 و التطور ﴿ خلقته من صلصال ﴾ أي طين يابس لا منعة فيه ، بل إذا ١٠
 نقر أجاب بالتصويت ﴿ من حمى ﴾ [أى - ٨] طين متغير أسود كندر
 ﴿ مسنون ﴾ أي مصور بصورة ' فخار متهيئ لذلك ، لا يرد^٩ يد لاس ،
 و أنا خير منه لأنك خلقتني من نار نافعة بالإشراق^{١٠} ، ممتعة بمن يريد لها
 بالإحراق ، فخصوعي له منافٍ لحالي و تمتع مني ، و إلزامي به جور ، فكأنه
 قيل : فبماذا أجيب ؟ فقيل : ﴿ قال فاخرج^{١١} ﴾ أي تسبب عن كبرك ١٥
 (١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ما (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
 قيل (٣ - ٢) في م : عليه الحجة (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في ظ : قلبك .
 (٦) من مد ، وفي الأصل : لاضرار ، وفي ظ و م : لاصرار (٧) في م : ظاهر .
 (٨) زيد من ظ (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لا ترد (١٠) في ظ :
 بالاسراف (١١) في ظ : اخرج .

نظم الدرر (سورة الحجر ١٥ : ٣٤ - ٣٨) ج - ١١

أنى أقول لك : أخرج ﴿منها﴾ أى من^١ دار القدس^٢ ، قيل : السماء ،
وقيل : الجنة ﴿فأنك رجيم﴾ [أى -^٣] مطرود إذ^٤ الرجم لا يكون
إلا لمن^٥ هو بعيد يراد الزيادة فى إبعاده بل إهلاكه ، وعلّة الإخراج أنها دار
لا يقيم بها متكبر عاصٍ بمخالفة أمرى ، فإن لى الحكم النافذ والعظمة التامة
المقتضية لوجوب الطاعة ، لا [ينبغى لمن أمرته بما مر أن -^٦] يتخلف
عن أمرى فضلا عن أن يضرب لى^٧ الأمثال ، ويواجهنى بالجدال ، طاعنا
فيما لى من الجلال والجمال ، ثم أكد بعده بالإخبار باستمراره فقال :
﴿وان عليك﴾ أى خاصة ﴿اللعة﴾ أى الكاملة للقضاء^٨ بالمباشرة
لأسباب^٩ البعد ﴿الى يوم الدين﴾ [أى -^{١٠}] إلى يوم انقطاع التكليف
١٠. وطلوع صبح الجزاء بفناء الخلق أجمعين وفوات الأمد التى تصح فيه
التوبة التى هى سبب القرب ، فذلك^{١١} إيدان بدوام الطرد ، وتوالى البعد
والمقت ، فلا يتمكن^{١٢} فى هذا الأمد من عمل يكون سببا للقرب من
حضرة الأنس ، وجناب القدس ، ومن منع من التوبة عن الكفر فى
وقتها يعلم قطعا أنه لا يغفر له ، فهو معذب أبدا .

١٩٠ / ١٥ ولما علم من هذا دوام لعنه ، لأنه منع التقرب فى دار / العمل ،

- (١) سقط من ظ و مد (٢) زيد فى م : به (٣) زيد من ظ (٤) فى مد «و» .
- (٥) زيد بعده فى الأصل : يكون . ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها .
- (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الى (٨) من ظ و م
- و مد ، وفى الأصل : القضاء (٩) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بأسباب .
- (١٠) فى ظ و مد : فذلك (١١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : ولا يتمكن .

وما بعد ذلك محل الجزاء لا العمل ، وكان ذلك مفهما لإظهاره إلى ذلك
 الحدة ، 'وكان ظاهره أن لعنه معنى به' ، كان^٢ كأنه قيل : فاذا قال حين
 سمع ذلك ؟ فقيل : (قال) ذاكر^٣ صفة الإحسان والتسبب^٤ في سؤال
 الإنظار^٥ : (رب) فاعترف بالعبودية والإحسان إليه ، ولم يحمله ذلك
 على التوبة للحكم بدوام لعنه فلا يطمع^٦ طامع في إيمان من ختم بكفره ه
 بالإجابة إلى ما يقترح ، وأتى بفاء السبب لما فهم من الإملاء فقال :
 (فانظرنى) والإنظار : تأخير^٧ المحتاج للنظر في أمره (الى يوم يعثون)
 فحمل يوم الدين على حقيقته ، وأراد التصريح بالإنظار إليه ليأمن الموت .
 فكأنه قيل : ما ذا قيل له ؟ فقيل : (قال) له ربه : (فانك) أى^٨
 بسبب ما تقدم من الحكم (من المنظرين^٩) وقطع عليه ما دمج به من ١٠
 المكر فقال : (الى)^{١٠} ولما كان اليوم ما يتم فيه أمر ظاهره ، وكانت
 الأيام الهائلة ثلاثة : زمان موت الأحياء الخارجين من دار الخلد ، ثم
 بعث الأموات ، ثم الفصل بينهم باحلال كل فريق في داره ، قال :
 (يوم)^{١١} ولما كان الوقت أدل ألفاظ الزمان على الأجل ، قال : (الوقت)
 'ولما كان قد دمج في سؤاله [هذا - "] تديجا أوهم تجاهله بتختم^{١٢} ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) سقط من ظ و م (٣) في مد : ذكرا (٤) من
 ظ ومد ، وفي الأصل : السبب (٥) العبارة من « ذاكر » إلى هنا ساقطة من م .
 (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : يعمل (٧) في ظ : تاريخ (٨) سقط من
 م (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (١٠) العبارة من هنا إلى « لا يبجل
 فقال » ساقطة من م (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من مد ، وفي الأصل
 و ظ : بتختم .

الموت على كل مكلف ، بين تعالى أنه^١ بما لا يحهل فقال : ﴿المعلوم ٥﴾
أى الذى قدرت عليك^٢ الموت فيه ، وهو النفخة الأولى وما يتبعها
من موت كل مخلوق^٣ لم يكن^٤ فى دار الخلد .

ولما أفهم ما تقدم - كما قلنا - الحكم باغوائه ، كان السامع كأنه
٥ قال : فما ذا قال^٦ ؟ قيل : ﴿قال﴾ منسوباً^٧ نفسه بالمعبود العلى - الذى
لا يستل عما يفعل ، وكل أفعاله عدل وحكمة^٨ - بعد أن رفع نفسه على^٩ العبد
البشرى : ﴿رب﴾ أى أيها الموجد^{١٠} والمزى [لى - ١١] وعزتك^{١١}
﴿بما آغويتى﴾ أى بسبب إغوائك [لى - ١٢] من أجلهم ، وللإهتمام^{١٣}
بهذا السبب قدمه على جواب القسم الدال على المقسم به ، وهو قوله :
١٠ ﴿لازين لهم﴾ [أى - ١٤] تزيينا عظيما ، المعاصى والمباحات الجارة
إليها [الشاغلة - ١٥] عن الطاعة الصارفة عنها ﴿فى الارض﴾ أى التى هى
محل الغفلة^{١٦} وهم منها ، والشىء إلى ما هو منه أميل^{١٧} ، فهى بهذا التقدير

(١) زيد فى ظ ومد : تعالى (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : على (٣) العبارة
من هنا إلى « دار الخلد » - ساقطة من م (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من
ظ ومد ، وفى الأصل : لم تكن (٦) زيد فى الأصل : ربكم ، ولم تكن الزيادة
فى ظ وم ومد فحذفناها (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : منسوب ؛ والعبارة
بما فيها هذه الكلمة إلى « العبد البشرى » - ساقطة من م (٨) من ظ وم ومد ، وفى
الأصل : حكم (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : عن (١٠) زيد فى م : لى .
(١١) زيد من مد (١٢) زيد من م ومد (١٣) من م ، وفى الأصل وظ ومد :
الاهتمام (١٤) زيد من ظ وم ومد (١٥ - ١٥) سقط ما بين الرقيين من م .

مساوية لآية ١ "ص" "فبعزتك" ٢؛ و التزيين : جعل الشيء مقبلا في النفس من جهة الطبع و العقل بحق أو يباطل (و لا غوينهم) أى بالإضلال عن ٣ الطريق الحميدة (اجمعين ٤) انتقاما لنفسى (الا عبادك منهم) أى المشرفين ٥ بالإضافة إليك ، فهم [لذلك - ٦] لا يميلون عنك إلى شيء سواك ، فلذلك أبدل منهم (المخلصين ٧) فزاد بهذا الكلام في ه الضلال ، و لم يقدر أن يقول بدل ذلك : ربّ تب على - و نحوه من الاستعطاف كما قال آدم عليه السلام لما حفه اللطف و داركه العفو ، فارعوا هذه النعمة ! و الإخلاص : أفراد الشيء عما يشوبه ٨ من غيره ، فكانه قيل : فيما ذا ٩ أجيب ؟ فقيل : (قال) الله في جوابه ، رادا ١٠ ١١ على ما ١٢ أوممه كلامه من أن له فعلا يستقل ١٣ به ، مكذبا له : (هذا) أى الذى ١٤ ذكرته من حال المستثنى و المستثنى منه (صرط على ١٥ مستقيم) لأنى ١٦ قضيت به و لو لم تقله أنت و حكمت به عليك و عليهم ، فلا محيص لكم عنه ، فكانه قيل : على إقامته ، أو هو وارد على ألا عوج لسالكه عن الرجوع إلى [و - ١٧] المرور على - يعنى أنه لا يقدر أحد أن يعمل شيئا

- (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بآية (٢) من ظ و م و مد وآية ٨٢ ، وفى الأصل : وعزتك (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : من (٤) سقط من م . (٥) من م و مد ، وفى الأصل : بالمشرفين ، وفى ظ : السرفين (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) فى ظ : ادركه (٩) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : يسويه (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فيما (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ردا (١٢ - ١٣) فى ظ : على ، وفى م و مد : ما . (١٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مستقل (١٤) فى ظ : اى .

بغير إرادتي ، فاني بالمرصاد ؛ ثم شرح ذلك بقوله - مضيئا جميع العباد إليه
 كما^٢ هو الحقيقة ، نافيا ما قد يوهمه الكلام من أن لإبليس^٣ عملا مستقلا^٢ - :
 ﴿ ان عبادي ﴾ أى عامة ﴿ ليس لك ﴾ أى بوجه من الوجوه
 ﴿ عليهم سلطان ﴾ أى لردم^٤ كلهم عما يرضيني ﴿ الا من اتبعك ﴾ أى^٥
 ١٩١ / ٥ بتعمد منه ورغبة فى اتباعك ﴿ من الغوين ﴾ / ومات عن غير توبة ،
 فاني جعلت لك عليهم سلطانا بالنزيين^٥ والإغواء ، وقيل وهو ظاهر :
 إن الإضافة للتشريف ، فلا تشمل^٦ إلا الخالص ، فيتذنب يكون الاستثناء
 منقطعا ، وقائدة سوجه بصورة الاستثناء - على تقدير الانقطاع - الترغيب
 فى رتبة التشرف بالإضافة [إليه .. ٧] والرجوع عن اتباع العدو إلى
 ١٠ الإقبال عليه ، لأن ذوى الانفس الآتية والهمم العلية ينافسون فى ذلك
 المقام ، ويرونه - كما هو الحق - أعلى^٨ مرام ﴿ وان جهنم لموعدهم ﴾
 أى الغاوين من إبليس ومن شايعه ﴿ اجمعين ﴾ ثم بين أنهم متفاوتون
 فيها فقال : ﴿ لها سبعة ابواب^٩ ﴾ قال الرماني : وهى أطباق^٩ بعضها
 فوق بعض - عن على بن أبى طالب رضى الله عنه والحسن وقادة وابن
 ١٥ جريح رحمهم الله^{١٠} ﴿ لكل باب منهم ﴾ أى الغاوين خاصة ، لا يشاركهم

(١) فى ظ : شرع (٢) سقط من ظ (٣ - ٢) فى الأصول كلها : حمل مستقل -
 كذا (٤) فى ظ و مد : لترددهم (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
 للزئين (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فلا يشمل (٧) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ و م و مد (٨) فى ظ و مد : على (٩) فى ظ : طباق (١٠) راجع
 لباب التأويل ٤/ ٥٥٠ .

فيه مخلص (جزء مقسوم ٤) معلوم لنا من القدم لتقديرنا 'إياه، لا يزيد
 شيئا ولا ينقص شيئا، فلا فعل فيه بغير' التسيب الذي أظهرناه، لتربط^٢
 [به - ١] الأحكام على ما يقتضيه عقولكم و مجارى عاداتكم، وعن ابن
 جريج^٣ أن العليا جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم
 الجحيم، ثم الهاوية،^٤ وفي نسخة تقديم سقر على لظى^٥، وعن الضحاك^٦ ه
 أن العليا لأهل التوحيد، ثم يخرجون، والثانية للنصارى، والثالثة لليهود؛
 والرابعة للصائبة، والخامسة للجوس، والسادسة لمشركي العرب، والسابعة
 للناقضين، والسبب في تصاعدها [اختلاف^٧ - ٤] أنواع الكفر في الغلط
 والحفة "ولا يظلم ربك احدا" رحمة منه سبحانه، ولعلها كانت سبعة باعتبار
 أصناف الكفار، لأنهم إما معطلة أو مثبتة، والمثبتة إما يهود أو صابئة
 أو نصارى أو مجوس أو عباد أوثان. والكل إما مصارحون أو مناققون.
 ولما كان المنافق لا يعرف ظاهرا من أيها هو^٨؟ عُدَّ قسما واحدا [و - ١]
 وكل أمره في^٩ مِيزه إلى العليم الخبير، ولما كان الكل عاملين بما لم يأذن
 به [الله - ١١] كانوا في حكم المعطلة. لوصفهم الله بغير صفته^{١٠}، فرجعت
 (١) العبارة من هنا إلى الذي أظهرناه، ساقطة من ظ (٢) من م و مد، وفي
 الأصل: لغيرنا (٣) من م، وفي الأصل و ظ و مد: لتربط (٤) زيد من ظ
 وم و مد (٥) راجع لباب التأويل ٤/ ٥٥ (٦- ٦) سقط ما بين الرقين من م.
 (٧) راجع لباب التأويل ٤/ ٥٦ (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يتو -
 كذا (٩) زيد من م (١٠) في ظ: سيره (١١) زيد من م و مد (١٢) من ظ و م
 و مد، وفي الأصل: صلته.

نظم الدرر (سورة الحجر ١٥: ٤٩ - ٤٩) ج - ١١

الأقسام إلى ستة ، فأضيف إليها العصاة من كل فرقة فجعلت جزء
الطبقة العليا من النار مقابلة لقسم المنافقين من كل أمة ، لتعلمهم أعمال
الكفار مع الإيمان ، كما أن عمل المنافقين عمل المؤمنين مع الكفران ،
فكانوا أخفى الكفار فكان لهم الدرك الأسفل من النار ، ثم رأيت في
٥ "رشف" النصائح الإيمانية وكشف الفصائح اليونانية ، للعارف بالله تعالى
شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي رحمه الله أنها جعلت سبعة على
وفق الأعضاء السبعة من العين ، والاذن ، واللسان ، والبطن ، والفرج ،
واليد ، والرجل ، لأنها مصادر السيئات ، فكانت مواردها [الأبواب =
السبعة - وهو مأخوذ من كتاب المحاسبة من كتاب الإحياء للامام
١٠ الغزالي - ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية ، والنية
من أعمال القلب ، زادت الأعضاء واحداً فجعلت أبواب الجنان [ثمانية =
هذا معنى قوله ، قال : وأعمال القلوب من السيئات غير مؤخذ بها .

ولما ذكر الكافرين وما جرم إلى الضلال ، وجرأهم على قبائح
الأعمال ، ذكر المخلصين فقال - مؤكداً لإنكار المكذبين بالبعث -
١٥ ﴿ان المتقين﴾ [أي - ٧] العريقين^{١٢} في هذا الوصف ، والمتق : من جعل

- (١) زيد في الأصل : بعده : أو ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها .
(٢-٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : لكل (٣) في ظ : على (٤) في ظ :
رشفة (٥) من ظ و م ومد وكشف الظنون ، وفي الأصل : الصفايح - كذا .
(٦) في ظ : وقفة (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) العبارة من هنا إلى «الغزالي»
ساقطة من م (٩) ٤ / ٢٩١ (١٠) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : اما .
(١١) في ظ : الضال (١٢) في ظ و م : العريقين .

الإيمان باخلاصه حاجزاً بينه [وبين - ١] العقاب ﴿ في جَنَّتْ وِعُونَ ١ ﴾ ،

ولما كان المنزل لا يحسن إلا بالسلافة و الأئس و الأمن ، قال تعالى :

﴿ ادخلوها ﴾ أى يقال لهم / ذلك ٢ ﴿ يسلم ﴾ أى سالمين من كل آفة ،
مرحبا بكم و مسلماً عليكم حال الدخول ﴿ امنين ٣ ﴾ من ذلك دائماً .

ولما كان الأئس لا يكمل إلا بالجنس مع كمال المودة و صفاء هـ

القلوب عن التكدر . قال : ﴿ و نزعنا ﴾ أى بما لنا من العظمة

﴿ فما في صدورهم من غل ﴾ [أى حقد - ١] " ينخل أى ينفرز " فى القلب

حال كونهم ﴿ اخوانا ﴾ [أى متصافين ، حال كونهم - ١] ﴿ على مترر ﴾

جمع صرير ، وهو مجلس رفيع موطأ للترور ﴿ متقبلين ٤ ﴾ لا يرى بعضهم

قفا بعض ؛ فى آخر الثغقيات ٥ عن الجنيد رحمه الله أنه قال : ما أحلى ١٠

الاجتماع مع الأصحاب ١ و ما أحرّ الاجتماع مع الأضداد ١

ولما كان النظر فى الدوام و المآل بعد ذلك ، قال : ﴿ لا يمسهم فيها نصب ﴾

أى إعياء و تعب و جهد و مشقة ﴿ و ما هم منها ﴾ و لما كان المتكى فى كل

شئ إنما هو الإكراه ٢ ، بنى للفعل قوله : ﴿ بمخرجين ٣ ﴾ .

ولما كان المفهوم من هذا السياق أن الناجى إنما هو المتقى المخلص ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لهم (٣ - ٢) من

ظ و م و مد ، وفى الأصل : مفعول و يغرز - كذا (٤) طائفة من أجزاء الحديث

هى للحافظ أبى عبد الله القاسم بن الفضل الثقفى الأصفهاني المتوفى سنة ٤٨٩ -

كما فى كشف الظنقى (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مع (٦) من م

و مد ، وفى الأصل وظ : عيا (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : للإكراه .

الذى ليس [للشيطان - ١] عليه سلطان ، و كان مفهوم المخلص من
لا شائبة فيه ، و كان الإنسان محل النقصان ، و كان وقوعه في النقص
منافيا^٢ للوفاء بحق التقوى والإخلاص ، و كان ربما أياسه ذلك من
الإسعاد ، فأوجب له التهادى في العباد^٣ ، قال سبحانه - جوابا لمن كأنه قال :
هـ فما حال من لم [يقيم - ١] بحق التقوى ؟ :- ﴿ نبيء عبادى ﴾ أى أخبرهم
إخبارا جليلا ﴿ انا انا ﴾ [أى - ١] وحدى ﴿ الغفور الرحيم ﴾ أى
الذى أحاط - محوه للذنوب^٤ و إكرامه لمن يريد - بجميع^٥ ما يريد^٥ ،
لا اعتراض لأحد عليه .

ولما كان ذلك ربما كان سببا للاغترار الموجب للاصرار^٦ ، قال
١٠ تعالى : ﴿ وان عذابي هو ﴾ أى^٧ وحده ﴿ العذاب الليم ﴾ أى الكامل
في الإيلام ، فلم أن الأول لمن استغفر ، والثاني لمن أصر ، و عرف
[من - ١] ذلك أن المتقين إنما دخلوا الجنة بعفوه . و الغاوين إنما عذبوا
بعده ، فهو لف و نشر مشوش - على ما هو الأنصح .

و لما آثم سبحانه شرح قوله ” و ليعلموا انما هو اله واحد “ و ماتبعه
١٥ من الدلالة على البعث ، شرع^٨ في شرح ” و ليذكر اولوا الالباب “ بقصة
الخليل^٩ عليه السلام و ما بعدها مع الوفاء بذكر^{١٠} المعاد ، تارة تلويحا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) في ظ : موافيا (٣) في ظ : الابداد (٤) من
ظ و م و مد ، وفي الأصل : الذنوب (٥ - ٥) تكرر ما بين الرقيين في ظ .
(٦) من م ، وفي الأصل و ظ و مد : للاصرار (٧) سقط من ظ (٨) من ظ
و م و مد ، وفي الأصل : شرح (٩) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : يذكر .

و تارة تصرّحاً ، والزجر عن الاجترأ^١ على طلب الإتيان باللائكة عليهم السلام ، والاتفات إلى قوله ” الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق “ فى أسلوب شارح لما تعقبه^٢ هذه القصة ، فان حصول القنوط سبب لآية المغفرة ، والإخبار بعذاب الأمم تمثيل لآية العذاب ليزدجر المخاطبون ، وأفرد لهم ذكر من هو أقرب إلى بلادهم^٣ من يعرفونه من المعذنين لانه [أوقع - ^٤] فى النفس ، فقال تعالى : (ونبئهم) أى خبرهم^٥ إخباراً عظيماً (عن ضيف إبراهيم ؟) والضيف هو المنضم إلى غيره لطلب القرى ، فهو لاء سمو^٦ بهذا الاسم لانهم^٧ على صورة الضيف ، فهو من دلالة التضمن (اذ دخلوا عليه) أى إبراهيم عليه السلام (فقالوا) أى عقب الدخول (سلماً) .

ولما^٨ كان طلبهم فى هذه الصورة لللائكة على وجه أركد بما فى سورة هود عليه السلام ، أشار لهم إلى ما فى رؤية^٩ الملائكة من الخوف - ولو^{١٠} كانوا مبشرين وفى أحسن صورة من صور البشر - بقوله : (قال) بلسان الحال أو^{١١} القال : (انا) أى أنا ومن عندى (منكم وجلون) وأسقط ذكر جوابه بالسلام ، ولا يقدح ذلك فيما فى سورة هود وغيرها

- (١) فى ظ : الاجزاء (٢) فى م ومد : تعقبته (٣) فى ظ : بلادها (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : أخبرهم (٦) فى ظ : سموا . (٧) فى ظ : فهم (٨) من م ، وفى الأصل وظ ومد : على (٩) زيد فى الأصل بعده : كان هذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها (١٠) فى ظ وم : رواية (١١) فى ظ : لا (١٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل « و » .

من ذكره ، فان ' إذ ' ظرف زمان بمعنى حين ، والحين قد يكون
واسعا ، فيذكر ما فيه تارة جميعه على ترتيبه ، وأخرى على غير ذلك ،
وتارة بعضه مع ' إسقاط البعض مع صدق جميع / وجوه [الإخبار = ']
لكونه كان مشتملا على الجميع ، وتكون هذه التصرفات على هذه الوجوه
لمبيان يستخرجها من أراد الله .

/ ١٩٣

ولما أخبر أنه أخبرهم بوجه منهم ، تشوف السامع إلى جوابهم فقال :
(قالوا) مرّدين أمته : (لا توجل) والوجل : اضطراب النفس لتوقع
ما يكره ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم مؤكدين لقطع ما في نفسه من الوجل
المنافى للبشرى (انا نبشرك بغلثم) أى ولد ذكر هو في غاية القوة
١٠ وليس [هو -] كأولاد الشيوخ ضعيفا . ولما [كان -] خوفه لحفاه
أمرهم عليه ، كان للوصف ^٢ بالعلم في هذا ^١ السياق مزيد مزينة فقالوا : (علمه)
فكانه قيل : فما قال ؟ فقيل : (قال) مظهرا ^١ للتعجب إرادة ^٢ تحقيق
الامر وتأكيده : (ابشروني) أى بذلك (على ان مسنى الكبير)
أى الذى لا حركة معه يأتى منها ولد ، أم على أن أعود شابا ؟
١٥ ولذلك سبب عنه قوله : (فبم تبشرون) ^١ بينوا لى ذلك يانا شافيا ^٢

(١) فى ظ : من (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) فى ظ وم ومد : لامته (٤) فى
ظ : يمكن (٥) م م وم ، وفى الأصل و ظ : النافى (٦) زيد من م .
(٧ - ٧) من ظ وم ، وفى الأصل : للعلم بهذا ، وفى مد : للعلم فى هذا (٨) فى
ظ : فكان (٩ - ٩) من م ومد ، وفى الأصل : لتعجل زاده ، وفى ظ : لتعجل
إرادة (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تعجبه (١١) من م ومد ، وفى
الأصل و ظ : شابا (١٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بقوله (١٣) زيد فى ظ :
أى (١٤) فى ظ : ثابتا .

(قالوا بشرتك بالحق) أى الامر الثابت المقطوع به الواقع لا محالة الذى يطابق خبرنا (فلا تكن) أى بسبب تبشيرنا لك بالحق (من القاطنين) أى الآسين الذين ركنوا إلى بأسهم ، لقولك نحو أقوالهم .

فلما ألهوه بهذا النهى (قال) منكرا لأن يكون من القاطنين :

(و من يقط) أى يأس هذا اليأس (من رحمة ربه) أى الذى لم يزل إحسانه دازا عليه (الا الضالون) أى المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح فى ربهم من تمام القدرة وأنه لا تضره معصية ولا تنفع طاعة ، وهذا إشارة إلى أنه ما كان قاطنا ، وإنما كان مريدا لتحقيق الخير ، وفى هذا تلويح إلى أمر المعاد .

فلما تحقق البشرى ورأى إتيانهم مجتمعين على غير الصفة التى يأتى ١٠ عليها الملك للوحى ، وكان هو وغيره من العارفين بالله عالمين بأنه ما تنزل الملائكة إلا بالحق ، كان ذلك سببا لأن يسألهم عن أمرهم ليزول وجهه كله ، فلذلك (قال فما) [بقاء - °] السبب (خطبكم) قال أبو حيان : والخطب لا يكاد يقال إلا فى الامر الشديد - انتهى . وقال الرماني :

إنه الامر الجليل (ايها المرسلون) فانكم ما جئتم إلا لامر عظيم يكون ١٥ فيصلا بين هالك^١ وناج (قالوا آنا) ولما كان عالما بمرسلهم ، بنوا للفعول

(١) من م ومد ، وفى الأصل : لا يسين ، وفى ظ : الايتين (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لا ان (٣-٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الا المخطئون (٤) فى ظ ومد : ما ينزل (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) زيد بعده فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد والبحره ٤٥٩ غذفناها (٧) فى ظ : هالغ - كذا .

نظم الدرر (سورة الحجر : ١٥ - ٦٢) ج - ١١

قولهم : ﴿ ارسلنا ﴾ أى بارسال العزيز الحكيم الذى أنت أعرف الناس
فى هذا الزمان به ﴿ الى قوم ﴾ أى ذوى منعة ﴿ مجرمين ﴾ أى عريقين^١
فى الإجرام كلهم .

ولما كان إرسالهم للعذاب ، قالوا^٢ مستئين من الضمير فى " مجرمين " ،
أى قد أجرموا كلهم إجراما عظيما ﴿ الا لوط ﴾ فاستنثوهم^٣ من أن
يكونوا مجرمين ، المستلزم لكونهم ما أرسلوا لتعذيبهم ، فكان ذلك محركا
للنفس^٤ إلى السؤال عن حالهم ، فانهم عن وقع الإرسال بسية ، فأجابوا
بقولهم : ﴿ انا لم نجوهم ﴾ أى تنجية عظيمة بتدرج الاسباب على العادة
﴿ اجمعين ﴾ الا امراته .

١٠ فلما استنثوها [من أن ينجوها -^٥] فكان أمرها محتملا لأن تعذب
ولأن ينجها الله تعالى بسبب غيرهم ، تشوف النفس للوقوف على
ما قضى الله به^٦ من ذلك ، فقيل باسناد الفعل إلى أنفسهم لما لهم^٧ من
الاختصاص^٨ بالمقدر سبحانه : ﴿ قدرنا ﴾ ولما كان فعل التقدير متضمنا
للعلم ، علقه عن قوله : ﴿ انها ﴾ أى [امراته -^٩] ، وأكد لاجل
١٥ ما أشير إليه هنا من عظيم تشوف الخليل عليه السلام إلى معرفة أمرهم

(١) من م ، وفى الأصل وظ ومد : غريقين (٢) من م ، وفى الأصل وظ
ومد : كانوا (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فاستنثوا (٤) من ظ وم
ومد ، وفى الأصل : للفعل (٥) زيد من ظ وم ومد (٦-٧) فى م ومد :
به ، وسقط ما بين الرقيين من ظ (٧-٧) فى ظ : بالاختصاص (٨) زيدت
الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها (٩) العبارة من هنا
إلى « عن ذلك » ساقطة من م .

وتشديد

(١٧)

٦٨

و تشديد^١ سؤاله ، في بحاة لوط عليه السلام و جميع آله - كما مضى التصريح به في هود - فطمأ له عن السؤال في نجاتها بخلاف ما في النمل ، فان سياقتها عار عن ذلك ﴿لمن الغبرين﴾ أي الباقيين الذين لا ينجون مع لوط عليه السلام ، بل تكون^٢ في الهلاك و العبرة^٣ ؛ و الآل - قال الرماني : /أهل من يرجعون إلى ولايته ، و لهذا يقال : أهل البلد ، و لا يقال : آل البلد ، ١٩٤ / و التقدير : جعل الشيء على مقدار غيره لتظهر المساواة^٤ و المباينة^٥ ، و الغابر : الباقي "فيمن يهلك".

فلما [تم - ١] ما أريد الإخبار عنه من تجاوزهم^٦ مع إبراهيم عليه السلام ، أخبر^٧ عن أمرهم مع لوط عليه السلام ، فقال : ﴿ فلما ﴾ بالقاء الدالة على سرعة وصولهم إليه ، وكأنه ما اشتد^٨ إنكاره لهم^٩ إلا بعد ١٠ الدخول إلى منزله ، إما لخوفه عليهم و هم لا يخافون ، أو غير ذلك من أحوال لا تشبه^{١٠} أحوال البشر فلذا قال : ﴿ جاء آل لوط ﴾ أي في منزله ﴿ المرسلون ﴾ أي لإهلاك قومهم ﴿ قال " انكم قوم " ﴾ أي أقوياء ﴿ منكرون ﴾ لا بد [أن يكون - ١] عن إتيانكم إلى هذه البلدة

(١) من مد ، وفي الأصل : شديد ، وفي ظ : شديد (٢) من ظ و مد . وفي الأصل و م : يكون (٣) في م : العبرة (٤-٤) في ظ : الواساة و ، وفي مد : المساواة او (٥-٥) من م و مد ، وفي الأصل : الباقي و من يهلك ، وفي ظ : فيملته للآل - كذا (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) في ظ : تجاوزهم (٨) في ظ : أخبرهم . (٩-٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : أنكارهم (١٠) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لا يشبه (١١) سقط من ظ .

شر^١ كبير لاحد^٢ من أهل الأرض، وهو معنى "سى بهم" - الآية، قدم
 حكاية إنكاره لإياهم وإخبارهم عن العذاب لمثل ما تقدم في قصة إبراهيم عليه
 السلام من الزجر عن قولهم "لو ما تاتينا بالملئكة" المحتمل لإرادة^٣
 جميع الملائكة "ان كنت من الصديقين" تعريفا لهم بأن بعض الملائكة
 ه أتوا من^٤ كانوا^٥ أكمل أهل ذلك الزمان على أجل صور البشر، مبشرين
 لهما^٦، ومع ذلك خافهم كل^٧ منها، فكيف لو كان منهم^٨ جمع كثير؟
 أم كيف لو كانوا على صورهم؟ أم كيف لو كان الرائي لهم غيرهما؟
 أم كيف لو كان كافرا ["يوم - "] يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين
 ويقولون حجرا محجورا^٩ ويجوز أن يكون قوله لهم هذه المقالة إنما
 ١٠ كان عند إخبارهم^{١٠} له بأنهم رسل الله، ويكون المعنى حيثئذ أنكم لستم
 على صفة الآتي بالوحي، فقد اشتد على أمركم، لكوني لا أعرفكم مع
 (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: سو - كذا (٢) من م و مد، وفي
 الأصل وظ: لاهل (٣-٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لقصة (٤) من
 م و مد والقرآن الكريم، وفي الأصل وظ: الملائكة، والعبارة من بعده إلى
 «بعض الملائكة» ساقطة من مد (٥) من ظ و م، وفي الأصل: لاراة (٦) من
 ظ و م، وفي الأصل: ان (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لمن .
 (٨) في ظ و مد: كان (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لهم (١٠) من ظ
 و م و مد، وفي الأصل: كلا (١١) من ظ و م، وفي الأصل و مد: معهم .
 (١٢) زيد من ظ و م و مد والقرآن الكريم سورة ٢٥ آية ٢٢ (١٣) من م و مد،
 وفي الأصل: اجازة، وفي ظ: احياهم - كذا .

الاستيحاء منكم ، وذلك [بعد - '] محاورته لقومه ثم مقارعتهم^١ عنهم ، فكان خائفا عليهم ، فلما أخبروه أنهم ملأوكه خاف^٢ منهم أن يكونوا [أتوا - '] بشيء يكرهه ، وقد تقدم آنفا أن الإخبار عما كان في حين من الأحيان لا يضر تقديم بعضه على بعض ولا إسقاط [بعض - '] وذكر آخر ، ولم يزد هنا الحرف^٣ الذي أصله المصدر ، وهو ه ' أن ، كما في العنكبوت^٤ ، لأن استكاره لهم وإن كان مرتبا على مجيئهم إلا أنه ليس متصلا بأوله بخلاف المساءة^٥.

و ١١. كانت حقيقة المنكر ما خرج عن عادة أشكاله ، ولم يكن على طريقة أمثاله ، أضربوا عن قوله ، وكان جوابهم أن (قالوا بل) أي لسانا متكرين لانا (جثك) لنفرج عنك (بما) أي بسبب إيقاع ١٠ ما (كانوا) أي جلة وطبعا (فيه يمترون ه) بما جرت عادتنا أن نأتي بمثله من العذاب^٦ الذي^٧ [كانوا - '] يشكون فيه [شك - '] عظيما ، يحملون نفوسهم عليه ويكذبون به ، والجاهل يوصف بالشك وإن كان مكذبا من جهة ما يعرض [له منه - '] ، من حيث أنه لا يرجع إلى ثقة فيما هو عليه (وا' تيناك بالحق) الفاصل بينك وبينهم ، الواقع بهم مطابقا ١٥ لإخبارنا ؛ والإتيان : الانتقال إلى جهة الشيء ، والذهاب : الانتقال عنه (١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : لمقارعتهم (٣) في ظ : خافوا (٤) العبارة من هنا إلى « بخلاف المساءة » ساقطة من م (ه) من ظ وم ، وفي الأصل : الخوف (٦) راجع آية ٣٣ (٧) في ظ : المساءة (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : العقاب (٩) سقط من مد .

(و انا لصدقون •) في الإخبار بما يطابق الواقع •
 ولما أخبروه بوقوع العذاب بهم^٢ ، أمروه بما يكون سببا فيما أمروا
 به من إنجائه ، فقالوا : (فاسر) فأتوا بالفاء لأن ما بعدها مسبب^٣ عما
 قبلها (باهلك بقطع) أى طائفة (من الليل و اتبع) أى كلف نفسك
 أن تتبع (ادبارهم) لتكون^٤ أقربهم إلينا وإلى محل العذاب ، لأنك
 أثبتهم قلبا و أعرفهم بالله ، و الشر من ورائكم ، و قد جرت عادة
 الكبراء أن يكونوا أدنى جماعتهم إلى الأمر^٥ المخوف سماحا بأقسامهم
 و تثبيتا لغيرهم^٦ ، و علما منهم بأن مداناة^٧ ما فيه وجل لا يقرب من
 أجل ، و ضده لا يغنى من قدر ، و لا يبعد من ضرر ، و ثلثا يشتغل^٨
 ١٠ قلبك بمن خلفك ، و ليحتموك^٩ فلا يلتفتوا ، أو يتخلف أحد منهم -
 و غير ذلك من المصالح ؛ و الدبر : جهة / الخلف و هو ضد القبل / ١٩٥
 (و لا يلتفت) أى أصلا (منكم أحد) إذ لا فائدة [فيه - ١٠] لأن
 الملتفت غير ثابت ، لأنه إما غير مستيقن لخبرنا أو متوجع لهم ، فمن التفت
 ناله^{١١} العذاب ، و ذلك أيضا [أجد - ١٠] في الهجرة^{١٢} ، و أسرع في السير ،
 (١) في ظ : يطابع (٢) في ظ و م : لهم (٣) من م ، و في الأصل و ظ و مد :
 بسبب (٤) من ظ ، و في الأصل و م و مد : ليكون (٥) من ظ و م و مد ،
 و في الأصل : الاسر (٦) في ظ : تغيرهم (٧) من م ، و في الأصل و ظ و مد :
 من اتاه (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لثلاثيشتغل (٩) من ظ و م
 و مد ، و في الأصل : ليحتموك - كذا (١٠) زيد من ظ و م و مد .
 (١١) من م ، و في الأصل و ظ و مد : باله (١٢) من ظ و م و مد ، و في
 الأصل : البحرة - كذا .

و أدل على إخراج ما خلفوه من منازلهم و أمتعتهم من^١ قلوبهم، و على أنهم لا يرقون لمن غضب الله عليهم مع أنهم ربما رأوا ما لا تطيقه أنفسهم (و امضوا حيث) و تعبيره بالمضارع يشعر^٢ بأنه يكون معهم بعض الملائكة عليهم السلام في قوله: ﴿تؤمنون هـ﴾ .

و لما تقرر بهذا أمر إهلاكهم من غير تصريح^٣ أو لا^٤ تعيين لوقت، هـ قال تعالى: ﴿و قضيتا﴾ أى بما لنا من العظمة، موحين ﴿إليه﴾ أى خاصة ﴿ذلك الامر﴾ [و أشار إلى تعظيمه بالإشارة إليه بأداة البعد، ثم فسر^٥ بقوله -]: ﴿ان دابر﴾ [أى آخر -] ﴿آهؤلاء﴾ أى الحقيرين^٦ عند قدرتنا، و أشار بصيغة المفعول إلى عظمته سبحانه و سهولة الأمر^٧ هـ فقال تعالى: ﴿مقطوع﴾ حال كونهم ﴿مصبحين هـ﴾^٨ ولا^٩ يقطع الدابر حتى يقطع^{١٠} ما دونه، لأن العدو يكون مستقبلا لعدوه، فهو كناية عن الاستئصال بأن آخرهم و أولهم في الأخذ سواء، لأن الأخذ قادر، لا كما يفعل بعض الناس مع بعض من^{١١} أنهم يملون^{١٢} في آخر الوقائع فيفوتهم البعض . فلما تم ما^{١٣} دار بينه و بين الرسل مقدما^{١٤} لما بين، أتبعه البيان عن

- (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بين (٢) في ظ: يشير (٣-٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فلا (٤) في ظ: فسر (٥) زيد ما بين الحائزين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الحقيرين (٧-٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: فلا (٨) من م، وفي الأصل و ظ و مد: مع (٩) في ظ: يميلون (١٠) سقط من مد (١١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: متقدما .

نظم الدرر (سورة الحجر ١٥: ٦٧ - ٧٢) ج - ١١

حال قومه^١ إشارة إلى أن الملائكة إن كانوا بصفات البشر لم يعرفهم
الكفرة، وإن كانوا بصفاتهم أو باظهار شيء من غفوازهم لم تحمله^٢ قواهم،
فلا تقع [لهم - ٢] في مكاشفتهم في حالة من الحالات، فسؤالهم
الإنيان بهم جهل عظيم، فقال تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ [أى - ٣]
التي^٤ كان هذا الامر فيها - قالوا: وهي مدوم - لإرادة عمل الفاحشة
[بالاضياف - ٢] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي يلوح^٥ على بشراتهم السرور،
فهم يوجدونه لانفسهم إيجاد من هو شديد الرغبة في طلبه، فكان حال
لوط عليه السلام أنب ﴿قال﴾ لهم: ﴿ان هؤلآ﴾ [أى - ٢]
الأقرباء مني ﴿ضيق﴾.

١٠ ولما كان إكرام الضيف إكراما لمن هو عنده وإهاتته إهاتته،
سبب عن ذلك ما أشار إليه الكلام^٦ فقال: ﴿فلا تفضحون﴾ في
إصابتهم بفاحشة، وكان ذلك قبل معرفته أنهم ملائكة ﴿واتقوا الله﴾
[أى - ٢] الذي له جميع العظمة ﴿ولا تخزون﴾ أي بأهاتة ضيف، فيكون
ذلك عارا على مدى الدهر، فلم يكفهم ذلك بل ﴿قالوا﴾ بفظاظة^٧،
١٥ عاطفين على ما تقديره: ألم تعلم أنا لا نترك هذا الامر لشيء من الأسباب:
﴿اولم تنهك﴾ أي من قبل هذا ﴿عن العليلين﴾ أن يجير علينا^٨

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فريبه (٢) من ظ و م و مد، وفي
الأصل: لم يمتلهم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) في ظ: الذي (٥) من ظ
وم و مد، وفي الأصل: تلوح (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عليه
السلام (٧) في ظ: بفظاظة (٨) في مد: عليها.

أحدا منهم ، فلما وصلوا إلى هذا الحد من الوقاحة ، ذكر لهم الحريم ليحملهم ذلك على الحياء ، لأنه دأب من له أدنى مروءة ولا سيما ذكره الابتكار في تباقي يكاد يصرح بمراده ، بأن (قال هؤلاء) مشيرا إلى يثى الذى فيه بناءه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن (بنتى ان كنتم) ولا [بد - ٦] (فلهين) [أى قد غزمتن عرما ماضيا على هذا الفعل ، ٥ إشارة بأداة الشك إلى أن هذا الفعل مما لا ينبغي أن يفعل ، يعنى - ٦] وأنتم عالمون بأنى لا أسلم بناتى أبدا ، فلم من ذلك أن وصولكم إلى أضيافى دون هلاكى محال .

ولما ذكر ما ذكر من أمورهم وعظيم فجورهم ، وهم قد فرغ من أمرهم وقضى باستصالحهم ، كان [كل - ٦] من يعلم ذلك قاضيا ١٠ بأنهم لا عقول لهم ، فأتبع سبحانه [ذلك - ٦] ما يدل عليه بقوله : (لعمرك) أى وحياتك يا كريم الشماثل ، وأكد لأن الحال قاض فى ذاك الحين استبعاد ردهم ، ولتحقيق أن ذلك ضلال منهم صرف وتمنت محض ، فقال : (انهم لى سكرتهم) أى غوايتهم الجاهلية (يعمهون) أى يتحيرون و" لا يصرون طريق الرشد ، فلذلك لا يقبلون قول ١٥ النصوح ، فان كان المخاطب لوطا عليه السلام ، كان ضمير الغيبة

(١) فى ظ : كلما (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ذلك (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : ذات (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : اثى (٦) زيد من ظ وم ومد (٧-٧) فى الأصل : ذكر من ذكر ، وفى ظ ومد : ذكر ، وفى م : كان ما ذكر (٨) فى م : بانه (٩-٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : باعسا درهم - كذا (١٠) سقط من م .

لقومه . وإن كان / المخاطب نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهو الظاهر -
 كان الضمير لقومه^٢، وكان التقدير أنهم في خط بعيد عن السنن في طلبهم
 إتيان الملائكة كما كان قوم لوط عليه السلام يقصدون الالتذاذ بالفاحشة
 بمن مكن من هلاكهم^٣، فشتان ما بين القصدين ! وهيات لما بين الفعلين !
 ٥ فصار المعنى أن ما قذفوك به أول السورة بهم لا بك^٤، لأن^٥ من يطلب
 إتيان الملائكة - مع جواز أن يكون حاله حال قوم لوط عليه السلام
 عند إتيانهم - هو^٦ المجنون ؛ والعمر - بالفتح^٧ : العمر - بالضم ، وهو مدة
 بقاء الشيء حياً ، لكنه لا يقال في القسم إلا بالفتح لحفته مع كثرة
 دور القسم ، ولذلك^٨ حذفوا الذي تقديره^٩ : قسمي ، والسكره : غمور^{١٠}
 ١٠ السهو للنفس .

ولما تم ذلك ، سب عن القضاء بقطع دابرهم قوله تعالى :
 ﴿ فاخذتهم ﴾ أى أخذ انتقام و غلبة ﴿ الصيحة ﴾ أى " التى هى لعظمتها
 وهولها هى الصيحة ، وغيرها عدم بالنسبة إليها ؛ والاخذ : " فعل بصير"^{١١}
 به الشيء فى جهة الفاعل ، والصيحة : صوت يخرج من الفم بشدة^{١٢} ؛
 ١٥ [وقوله - " ١٤] : ﴿ مشرقين ﴾ أى داخلين فى الإشراق ، وهو ضياء الشمس

(١) العبارة من هنا إلى « قومه » - ساقطة من مد (٢) فى ظ : قوله (٣) من ظ
 وم ومد ، وفى الأصل : هدا لهم (٤) من م ، وفى الأصل وظ ومد : تك .
 (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : اول (٦) فى ظ : هم (٧) فى ظ : بفتح
 العين (٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : كذلك (٩) فى ظ : تقريره (١٠) من
 ظ وم ومد ، وفى الأصل : غموم (١١) سقط من ظ وم ومد (١٢-١٢) من
 م ومد ، وفى الأصل : قيل ان يعبر ، وفى ظ : يصير (١٣) سقط من ظ .
 (١٤) زيد من م ومد .

عند بزوغها. وتبين به أن وقته يسمى 'صبحا لغة، فإن' الصبح والصبح [والإصباح - ٣] أول النهار، ولعله يطلق عليه إلى وقت الغداة أو الزوال، أو تكون 'الصيحة' وقت الإشراق آخر أمرهم، وقلع المدائن من أماكنها وقت الصبح ابتداء أمرهم؛ ثم بين سبحانه ما تسبب عن الصيحة متعقبا لها فقال: ﴿لَجَعَلْنَا غَالِيَهَا﴾ أى مدائنهم ﴿سَاقِلَهَا وَامْطَرْنَا﴾ ٥

ولما كان الزجر في هذه السورة أعظم من الزجر في سورة هود عليه السلام، لطلبهم أن يأتى بجميع الملائكة، أعاد الضمير على المعذنين لا على مدتهم - كما مضى في سورة هود عليه السلام - لأن هذا أصرح، فقال: ﴿عليهم﴾ أى أهل المدائن التى قلبت المدائن لأجلهم ﴿حجارة من سجيل﴾ ثم حقق أن ذلك كله شرح لقوله "وليدكر أولوا الالباب" بقوله: ١٠ ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم جد ﴿لايت﴾ أى عدة من جهة غمرها بالماء بعد خسفها، ومن جهة كونه مخالفا لمياه الأرض بالنن والخبائة، وعدم عيش الحيوان [فيه - ٢]، وعدم النفع به، ومن جهة فظاعة منظره - وغير ذلك من أمره ﴿للتوسمين﴾ جمع متوسم، وهو الناظر في السمة الدالة - وهى الأثر الدال في الوجه - والقرئان الناقضية بالخير ١٥

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كان (٢) من ظ ومد، وفى الأصل وم: وان (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل وم: يكون. ٥: من ظ وم ومد، وفى الأصل: كتب (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: له (٧) آية ٨٢ فى العبارة من "لطلبهم" إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: رجع (٩) فى مد: الهلاك

و الشر ، وكانوا يدعون أنهم [أبصر الناس - ١] بمثل ذلك ، فهو لإهاب
لهم و تبكيت ، ثم بين أن ذلك غير خفي عنهم ولا بعيد^٢ عن أراد^٣
الاتعاط به ، فقال جملا [لهم - ١] - لعدم اعتبارهم بها مع رؤيتهم
إياها في كل حين - في عداد المنكرين : ﴿ وانها ﴾ أى هذه المدائن
٥ ﴿ لبسيل مقيم ﴾ أى ثابت ، و [هو - ١] مع ذلك مبين ، فلا اعتبار بها
في غاية السهولة لقومك . وكانوا^٢ يبرون عليها في بعض أسفارهم
إلى الشام . .

ولما أشار سبحانه إلى الاستدلال بالتوسم الدال - بما^٤ [هي - ١]
عليه من المخالفة لسائر مياه الأرض العذبة الواردة إليها على كثرتها
١٠ [و - ١] مع أن البلاد التي هي^٥ بها من أبهج^٦ البلاد في عذوبة المياه
و طراوة الأرض و حسن الأشجار و غير ذلك - على أن لها نبأ هو [في - ١]
غاية الغرابة ، و أتبع ذلك سهولة الوصول إليها حثا على إتيانها بقصد
نظرها و الاعتبار بها و السؤال عن سبب كونها كذلك ، قال تعالى مشيرا
إلى زيادة الحث بالتأكيد : ﴿ ان في ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من حالها
١٥ ﴿ لأية ﴾ أى علامة عظيمة في الدلالة علينا ﴿ للؤمنين ﴾ أى الراغبين
في الصدق و التصديق ، فاذا أخبروا أن سبب كونها هكذا أن الله أمر
بعض جنده فرفعها ثم قلبها ثم أتبعها الحجارة ثم خسف / بها و غمرها

١٩٧

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : عن اداة .
(٣) في ظ : كان (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بها (٥) سقط من ظ .
(٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اميج .

بهذا الماء - الذى هو فى القذارة و عدم الثمرة مناسب لأفعال أهلها -
لأجل عصيانهم رسوله صلى الله عليه و على آله و سلم ، آمنوا حذرا من
مثل هذا العذاب ^١ إيماننا بالغيب .

و لما ذكر هذه القصة ، ضم إليها ما هو على طريقها بما ^٢ عذب قومه
بنوع آخر من العذاب يشابه ^٣ عذاب قوم لوط فى كونه نارا من السماء ، ه
فقال مؤكدا لأجل إنكار الكفار أن يكون عذابهم لأجل التكذيب ،
أو عدا لهم - لأجل تماديهم على الغواية مع العلم به - عداة المنكرين :
(وان) أى وإنه (كان) أى جبلة وطبعا (اصحب الايكة) وم
قوم شعيب عليه السلام ، و الايكة : الشجرة - عن الحسن ، و جمعه
الايك كشجرة و شجر ، و قيل : الايكة : الشجر الملتف ^٤ (لظليلين ^٥) أى ١٠
العريقين ^٦ فى الظلم (فائقنا منهم ^٧) أى بسبب ذلك ؛ ثم أخبر عن البلدين
لتقاربهما فى العذاب و المكان و كونهما على طريق واحدة من طرق ^٨
متاجر قريش [فقال - ^٩] : (و انهما) أى قرى قوم لوط و محال ^{١٠} أصحاب
الايكة (لبامام) أى طريق يؤم و يتبع و يهتدى [به - ^{١١}] (ميين ^{١٢})
واضح لمن أرادته ، بحيث أنه من شدة وضوحه موضح لعظمة الله ١٥

- (١) العبارة من هنا إلى « من العذاب » ساقطة من ظ (٢) من م ، وفى الأصل
و ظ و مد : بما (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لسانه (٤) فى ظ : عن .
(٥) راجع أيضا لباب التأويل ٤ / ٥٩ (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ :
الفريقين (٧) فى ظ : طريق (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد ، وفى
الأصل : أصحاب ، وفى ظ : من آل (١٠) زيد من م و مد .

و انتصاره لانياته من يكذبهم ، و هو مع وضوحه مقيم في مكانه
لم تدرس أعلامه ، ولم تتطمس آثاره ، فالآية من الاحتباك : ذكر في
الاولى 'مقيم' دلالة على حذف مثله ثانيا ، وفي الثانية 'مبين'
[دلالة - ٢] على حذف مثله أولا .

د ولما كان ربما قيل : إنه لو كان لأصحاب الأيكة بيوت متقنة لمتعهم
من العذاب ؟ عطف عليهم * من هم على طريق أخرى من متاجرهم إلى
الشام ، و كانوا قد طال اغترارهم بالآمل حتى اتخذوا الجبال بيوتا ،
و كانت آيتهم في غاية الوضوح فكذبوا بها ، تحقيقا لأن المتعتمين لو رأوا
كل آية لقالوا "أما سكرت ابصارنا" فقال : ﴿ ولقد كذب ﴾ .

١٠ ولما كان السياق للكاذبين و ما وقع لهم بتكذيبهم ، قدم الفاعل ،
فقال مشيرا إلى إتقان بيوتهم : ﴿ اصحب الحجر ﴾ و هم تمود قوم صالح
عليه السلام ، و ديارهم بين المدينة الشريفة و الشام ﴿ المرسلين لا ﴾ أى
كلهم بتكذيب رسولهم كما كذب هؤلاء المرسلين بتكذيبك ، لأن الرسل
يشهد^٥ بعضهم لبعض بالصدق ، فمن كذب واحدا منهم فقد كذب
١٥ الجميع ، و هم [فى - ٢] . ثبات الرسالة بالمعجزة على حد^٦ سواء ؛ ثم أتبع
ذلك قوله : ﴿ و اتينهم ﴾ أى بعظمتنا على يد رسولهم صالح عليه السلام

- (١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاول (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى ظ : لأنه (٤) فى ظ و مد : أصحاب (٥) فى ظ : عليه (٦) فى ظ : كان .
(٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتقين ارأوا (٨) فى ظ و م : تشهد .
(٩) سقط من ظ .

('اَيْنَا') أى كلها ، بآباء الناة و 'سقيها و درها' و شربها ، لأن
 الممكنات كلها بالنسبة إلى قدرته على حد سواء ، فمن كذب بواحدة
 [منها - ٤] فقد كذب بالجميع (فكانوا) أى كونا هو كالجبل (عنها)
 أى الآيات كلها خاصة ، لا عن زينة الدنيا التى تجر إلى الباطل (معرضين)
 أى راسخين فى الإعراض . لم يؤمنوا بها ، التفاتنا إلى قوله تعالى " ولو ه
 فتحنا عليهم بابا من السماء " - الآيتين ، وتمثيلا له ردا للقطع على المطلع ؛
 ثم أخبر أنهم كانوا مثل هؤلاء [فى الأمن - ٧] من العذاب و الغفلة
 عما يراد بهم مع أنهم [كانوا - ٧] أشد منهم فقال : (وكانوا ينحتون)
 و التحت : قلع جزء بعد جزء من الجسم على سبيل المسح (من الجبال)
 التى تقدم أنا جعلناها رواسى (بيوتا امنين) عليها من الانهدام ، وبها من ١٠
 لحاق ما يكره ، " لا كيو تكم " التى لا بقاء لها على أدنى درجة (فآخذتهم) أى
 قسب عن تكذيبهم ١١ أن آخذتهم أخذ العذاب و الانتقام (الصيحة ١٢)
 حال كونهم (مصبحين) أى داخلين فى الصبح (فآ) أى قسب عن

(١) فى مد : بآيقنا (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سقيا ورودها .
 (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بواحد (٤) زيد من ظ و م و مد .
 (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الجميع (٦) العبارة من هنا إلى و مع
 أنهم " سافطة من ظ و مد (٧) زيد من م (٨) فى ظ : فقالوا (٩) من ظ و م
 و مد ، وفى الأصل : جعلنا (١٠-١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : لا ليوتهم ،
 وفى مد : لا ليوتهم - كذا (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
 تكذيبهم (١٢) زيد بعده فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد
 فخذناها .

الصيحة / أنه ما ﴿ اغنى ﴾ أى أجزأ ﴿ عنهم ما كانوا ﴾ أى بجلالتهم
 ﴿ يكسبون^٥ ﴾ من البيوت والأعمال والعدد والآلات الحثيثة ، لأنه
 لا يعجزنا شيء ، لأنه لا كلفة علينا فيما نفعل ” انما نقول له كُنْ فيكون “
 و فعلنا بهم ذلك لأنهم كانوا على باطل ، فكان تعذيبنا لهم [حقاً -^١]
 ٥ ولما كان المتعذب^٢ ربما قال : ما له^٣ يخلقهم ثم يهلكهم و هو عالم
 حين خلقهم أنهم يكذبون ؟ وكانت هذه الآية ملتبسة - مع ما فيها من
 ذكر الارض - إلى تلك التى أتبعها ذكر الخافقين ، استدلالاً على الساعة ،
 قال [على -^١] ذلك النمط : ﴿ و ما خلقنا ﴾ أى على عظمتنا ﴿ السموات ﴾
 أى على ما لها من العلو والسعة ﴿ و الارض ﴾ على ما بها من المنافع
 ١٠ و الغرائب ﴿ و ما بينهما ﴾ من هؤلاء المكذبين و عذابهم ، و من المياه
 و الرياح و السحاب المسبب عنه النبات و غير ذلك ﴿ الابالحق^٤ ﴾ أى
 خلقاً ملتبساً بالحق ، فيتفكر فيه من رقه الله فيعلم النشأة الآخرة^٥ بهذه
 النشأة الاولى ، أو بسبب الحق من إثبات ثوابت الأمور و نفي منزلها ،
 لتظهر^٦ عظمتنا بانصاف المظلوم^٧ من الظالم^٨ ، و إثابة الطائع و عقاب
 ١٥ العاصي فى يوم الفصل - إلى غير ذلك من الحكم كما قال تعالى ” والله
 ما فى السموات و ما فى الارض ليجزى الذين اساءوا بما عملوا و يحجزى
 (١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : المتعذب (٣) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : لهم (٤) فى ظ : ملتبساً (٥) فى ظ : الاخرى (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل و مد : لسبب (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ليظهر (٨-٨) سقط
 ما بين الرقيين من ظ .

الذين احسنوا بالحسنى^١، فمن أمهلناه في الدنيا أخذنا [منه -^٢] الحق بعد قيام الساعة، فلا بد من فعل ذلك ﴿وان الساعة لآتية﴾ لأجل إقامة الحق لا شك في إتيانها لحكم عليها [سبحانه -^٣] فيظهر فيها كل ذلك، ويمكن أن يكون التقدير: فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون، وما فعلنا ذلك إلا بالأمر^٤ من قولنا [وكن -^٥] وهو الحق "وما خلقنا السموات و الأرض وما بينهما إلا بالحق" أي بالأمر "الإله الخلق" والأمر يعني أنه لا مشقة علينا في شيء من ذلك، وسنقدم^٦ ذلك بالحق إذا أردنا قيام الساعة: وأن الساعة لآتية، لانا قد وعدنا بذلك، وليس بينكم وبين كونها إلا أن نريد فتكون^٧ كما كان غيرها مما أردناه ﴿فاصبح اسفح﴾ أي فأعرض^٨ - بسبب تحقق الأخذ بآرك - الإعراض ﴿الجميله﴾ ١٠ بالحلم والإغضاء وسعة الصدر، في مثل قولهم "يايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون"، فانه لا بد من الأخذ لك منهم بالحق ولو لم يكن^٩ لك نصرة إلا في ذلك [اليوم -^{١٠}] لكنت كافية؛ ثم علل هذا الأمر بقوله: ﴿ان ربك﴾ أي المحسن [إليك الأمر -^{١١}] لك بهذا ﴿هو﴾

(١) سورة ٣١ آية ٣١ (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) زيد من م (٤) من م، وفي الأصل وظ وم مد؛ بأمر (٥) من ظ وم ومد القرآن الكريم سورة ٧ آية ٤٤، وفي الأصل: الحق (٦-٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ذلك من شيء وسنقدم - كذا (٧) في ظ: فيكون (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ممن (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: اعرض (١٠) في ظ وم مد: لم تكن.

أى وحده (الخلق) المتكرر^١ منه هذا الفعل فى كل وقت بمجرد الامر، فلا عجب فى إيجاد ما ينسب إليه من إبداع الساعة أو [غيرها-^٢]، وهو لذلك^٣ عالم بأحوالكم أجمعين و ما يكون منها صلاحا لك على غاية الحكمة، لأن المصور أعلم بالصورة من ناظرها والمتبصر فيها، وصانع الشيء أدرى به من مشتريه، وبانى البيت أخبر به من ساكنه، وهو الذى خلق [كل-^٢] ما تراه منهم فهو فعله فسلم له.

ولما كان إحكام المصنوعات لا يتم إلا بالعلم، قال تعالى: (العليم) أى البالغ العلم بكل المعلومات، فلا ترى أفعالهم وه أفعالهم إلا منه سبحانه لأنه خالقها، وقد علمت أنه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد [عليه-^٢] ١٠ فى أخذ حقك، فانه نعم المولى ونعم النصير. ولا يخفى عليه شيء منه، ويدل على ما قلته آية يس^٦ "أوليس الذى خلق السموات والارض بقدر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلق العليم" أو يقال: فما أغنى [عنهم-^٢] ما كانوا يكسبون شيئا مما أردنا من الحق، لأننا ما خلقنا عذابهم إلا بالحق كما خلقناهم بالحق، فلم^٧ يتمتع علينا شيء من ذلك "وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق"، أى بسبب إقامة الحق وإظهار أمرنا فى العدل /، ولولا أن سلطنا بعض الناس على بعض [لم-^٢] يظهر ١٩٩ /

(١) فى مد: التكبر (٢) زيد من ظ و م مد (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كذلك (٤) من ظ و م، وفى الأصل و مد: ادر (٥) زيد بعده فى الأصل: لا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) ٨١ (٧) فى ظ: فلا.

لهم منا هذه الصفة غاية الظهور، فنحن نمجّل - من الحق الذى خلقنا -
 ذلك بسببه على قيام الساعة - ما شئنا من الابتلاء والانتقام كما فعلنا بمن
 قصصنا أمرهم، وتؤخر من ذلك ما بقى إلى قيام الساعة "وإن الساعة
 لأتية" لا شك فيها، فلا ندع هناك شيئاً من الحقوق إلا أقناه "فاصفح
 الصفح الجليل" فلا بد من الأخذ لك بحقك إما فى الدنيا وإما فى
 الآخرة ["ان:-"] أى لأن "ربك هو الخلق" أى الفاعل للخلق
 مرة بعد مرة، لا تنفذ قدرته ولا تنه كلفته "العليم" التام العلم، فهو
 قادر على ذلك [عالم:-] بوجه الحكمة فيه فى وقته وكيفيته، فهو يعيد
 الخلاق فى الساعة كما بدأهم، ويستوفى إذ ذاك جميع الحقوق ويؤتيك
 فى ذلك اليوم ما يقر به عينك .

١٠

ولما ذكر صفة العلم بصيغة [المبالغة، أتبعها ما آتاه فى هذه الدار
 من مادة العلم بصيغة -] العظمة، فقال عطفًا على [ما -] قدرته بما
 دل عليه السياق: ﴿ولقد أتيتك﴾ بما يدل على علمنا ﴿سبعاً من المثاني﴾
 وهى الفاتحة الجامعة على وجازتها جميع معانى القرآن "فتثنى فى النزول"
 فانها "نزلت مرتين، وتثنى فى كل ركعة من الصلاة، وهى ثناء على الله ١٥

- (١) زيد من ظ وم ومد (٢) فى م: لا ينفذ - كذا (٣) زيد من م: موضعه
 فى ظ: علما، وفى مد: على عالم - كذا (٤) فى ظ وم ومد: ابتدأهم (٥) من
 ظ وم ومد، وفى الأصل: يريك (٦) فى ظ وم مد: تقرأ (٧) من ظ وم ومد،
 وفى الأصل: صيغة (٨) فى ظ: بما (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: هو.
 (١٠ - ١١) فى ظ: تثنى بالنزول (١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لأنها.

نظم الدرر (سورة الحجر: ١٥ و ٨٧ و ٨٨) ج - ٦١

و الصالحين [من عباده - ١]، وهي مقسومة بين الله و عبده، و ثلثي فيه مقاصدها، و يورد كل كعنى من معانيها فيه بطرق مختلفة في إصباح الدلالة عليه في قوالب الالفاظ و بجواهر التراكيب الهادية إليه - و غير ذلك من الثنية ﴿و القرآن العظيم﴾ أى الحارثى لجميع علوم الأولين و الآخرين مما في جميع الكتب السالفة و غيره .

و لما كان ما أوتيه و ما سيؤتاه أعظم ما أوتيه مخلوق، اتحل به قوله: ﴿لا تمدن عنيك﴾ أى مدا عظيما بالتمنى و الاشتهاد المتضمن، و لذلك تلى العين احترازا عن حديث النفس ﴿الى ما متعنا﴾ أى على عظمتنا ﴿بـ أزواجنا﴾ أى أصنافا ﴿منهم﴾ أى أهل الدنيا، أو يقال: إنه لما كان المقصود لكل ذى لب إنما هو التبليغ، بدار الفناء إلى دار البقاء، المؤكد لإتيانها فى الآية السابقة، و كان القرآن - كما تقدم - كفيلا [بذلك - ١]، و سلاه صلى الله عليه و على آله و سلم عما يؤذونه من أهوالهم، و تبين "من ذلك" علو درجته، ثوق السامع ذكر ما

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ و م و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: بطريق (٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بما، و فى مد: عما (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد مخذفتاها (٧) فى مد: احتراز (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من كل (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انه (١٠) من م، و فى الأصل و ظ و مد: التبليغ (١١ - ١٢) من م، و فى الأصل و ظ و م: ذلك من .

أصبح عليه من التسم فقال تعالى ؛ أو يقال : إنه لما أمره سبحانه بالصبر
على أذاهم ، علل ذلك بما معناه أنهم خلقه ، برأيه منفرد بالخلق ، وهو
بليغ العلم بأفعالهم "مريد لها" ، فليس الفعل في الحقيقة إلا له ، وعلى الحب
أن يرضى بفعل حبيب من حيث أنه فعله ، ولما كان التقدير : فهو الذي
خلقهم ، وعلم قبل خلقهم ما يفعلون ، عطف عليه تسلياً له صلى الله عليه
وعلى آله وسلم قوله "ولقد آتيناك" أى بما لنا من العظمة كما آتينا
صالحاً [ما - ١] "تقدم" "سبعاً من المثاني" يكون كل سبع منها كفيلاً
بإغلاق [باب من - ٥] أبواب النيران السبعة ، وهى أم القرآن الجامعة
لجميع معاني القرآن التى أمرنا بإعادتها فى كل ركعة ، زيادة فى حفظها ،
وتبركاً بلفظها ، وتذكيراً لمعانها ، تخصيصاً لها عن بقية الذكر الذى ١٥
تكلفنا بحفظه "و" ، آتيناك "القرآن العظيم" الجامع لجميع معاني الكتب
السموية المتكفلة بخيرى الدارين مع زيادات لا تحصى ، المشار إلى عظمتها
أول السورة بالتتوين ووصفه بأنه مبین للبراهين الساطعة على نبوتك ،
والأدلة القاطعة على رسالتك ، الدالة على الله الموصلة إليه ، والآية مع
ذلك [دليل - ٥] على العلم المختتم به ما قبلها ، فكأنه قيل : فإذاً أعمل ؟ ١٥

(١) فى ظ : انه (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مریدا لهم (٣) زيد
بعده فى الأصل : سبعا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٤) زيد من
م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، وفى الأصل : تذكر ،
وفى ظ : تذكيراً (٧) فى ظ : تحصيلنا (٨) سقط من مد (٩) فى ظ : فما ،

قيل في معنى "ذرهم ياكلوا": "لا تمدن عينك الى ما متعنا به ازواجنا منهم" اكتفاء بهذا البلاغ العظيم الذي من تحلى [به - ٢] وأشر به قلبه أراه معانيه هذه الدار فبقضه / فيها' وأشرف به على ما أبامه (ولا تحزن عليهم) لكونهم لم يؤمنوا فيخلصوا أنفسهم من النار ، ه ويقوى بهم جانب الإسلام ، و كأن هذا هو الصفع المأمور به ، وهو الإعراض عنهم أصلا ورأسا إلا في أمر البلاغ .

/ ۲۰۰

ولما أمره في عشرتهم بما أمر ، أتبعه أمره بشرة أصحابه رضى الله عنهم بالرفق واللين فقال تعالى : (واخفض) أى طاطى (جناحك للؤمنين ه) [أى - ١] العريقين في هذا الوصف ، واصبر ١٠ نفسك معهم ، واكف بهم ، فان الله جاعل فيهم البركة ، وناصرك ومع دينك بهم ، وغير محوجك إلى غيرهم ، فن أراد شقوته فلا تلتفت إليهم ، وهذا كناية عن اللين ، وأصله أن الطائر إذا ضم الفرخ إليه بسط جناحه ثم قبضه عليه - قاله أبو حيان ١١ ، وفي الجزء العاشر من انثقيات ١٢ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و على

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يحلى (٢) زيد من م (٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : أسره (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : امرهم (٦-٦) سقط ما بين الرقين من م (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨) في ظ و مد : العريقين (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بما (١٠) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : قال (١١) في البحر ٤٥٦ / (١٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : النقيات .

آله وسلم قال: المؤمن لين حتى تحاله من اللين أحق .
 ولما كان الغالب على الخلق التقصير ، قال له : (و قل) أى
 للفريقين ، مؤكدا لما للكفار من التكذيب ، ولما للمؤمنين به من طيب
 النفس : (انا) أى لا غيرى من المنذرين بالاعداء الدنيوية
 (النذير المبين) لمن تعمد التقصير ، إنذارى منقذ له من ورطته ،
 لأنه محتف بالادلة القاطعة .

ولما ذكر ما التحم بقصة أصحاب [الحجر - ٥] المقتسمين على قتل
 رسولهم ، وختمه بالإنذار الذى هم أهله ، عاد إلى تسميع أمرهم فشبههم^٦
 بمن كذب من هذه الأمة فقال : (كما) [أى - ٥] كذب أولئك
 وآتيناهم آياتنا فأعرضوا عنها ففعلنا بهم من العذاب ما هم أهله مثل ما ١٠
 (ازلنا) أى بعظمتنا من الآيات (على المقتسمين)^٧ أى مثلهم من قريش
 حيث اقتسموا شعاب مكة ، ينفرون الناس عنك ويفرقون القول فى
 القرآن ، فلا تأس^٨ عليهم لتكذيبهم^٩ وعنادهم مع رؤيتهم الآيات اليئات ،
 فان سنتنا جرت بذلك فيمن أردنا شقوته كقوم صالح ، ثم قال : (الذين)
 أى مع أنهم تقاسموا على قتلك واقتسموا طرق مكة للتفجير عنك ١٥
 (جعلوا القرآن) بأقوالهم (عضي) أى قسموا القول فيه والحال

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و م وحده . وفى الأصل : لتقصير .
 (٣) من ظ و م ومد . وفى الأصل : ورطة (٤) من ظ و م ومد ، وفى
 الأصل : مختلف (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) من ظ و م ومد ، وفى
 الأصل : تشبههم (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فلا باس (٨) من ظ و م
 ومد ، وفى الأصل : لتكذيبهم (٩) تأخر فى الأصل فقط عن « بأقوالهم » .

أنه جامع المعاني، لا متفرق المباني - معظم - التأليف أشد انتظاماً - متلائماً -
 الارتباط أحكم الشام^٢، كما قدمنا الإشارة [إليك^٣] بتسميته كتاباً
 وقوآناً، وختيماً بأن ذلك على وجه الإبانة لا إخفاء فيه، فقولهم كله
 عناده^٤، فقالوا له سحر، وقالوا: شعر، وقالوا: كهانة، وقالوا: أساطير
 الأولين - وغير ذلك، أنزلنا عليهم آياتنا البينات وأدلتنا الواضحات،
 فأعرضوا عنها واشتغلوا بما لا ينفعهم من التعتت وغيره ذآب أولئك
 فليقرّ بقولنا^٥ مثل ما حل بهم، ومثلهم^٦ كل من تكلم في القرآن بمثل
 ذلك بما لا ينبغى من العرب وغيرهم؛ وروى البخاري عن ابن عباس
 رضى الله عنهما^٧ "جعلوا القرآن عضين" قال: هم أهل الكتاب: اليهود
 والنصارى، جزأوه [أجزاء^٨] فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه .
 وسيأتى معنى هذه اللفظة (فوزبك) أى قنصب عن فعلهم هذا أنا نقسم
 بالموجد لك، المدير لأمرك، المحسن إليك بأرسالك^٩ (لنستلهم أجمعين^{١٠})
 أى هؤلاء وأولئك (عما كانوا) أى كونا هو^{١١} جملة لهم (يظلمون^{١٢})
 أى^{١٣} من تعضية^{١٤} القرآن وغيرها لأننا^{١٥} نسأل كلا عما صنع (فاصدع)
 (١-١) فى ظ : انتظاماً متلائماً (٢) من م ، وفى الأصل وظ و مد : القيام .
 (٣) زيد من ظ وم ومد (٤ ٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الأباة
 الاحقا - كذا (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : عنادا (٦) فى ظ :
 فليقرّحوا (٧) فى ظ : مثل ، وفى م : هم (٨) زيد من الصحيح (٩) من ظ
 وم ومد ، وفى الأصل : باربهاك (١٠) سقط من ظ وم ومد (١١) من ظ
 وم ومد ، وفى الأصل : او (١٢) سقط من م ومد (١٣) من ظ وم ، وفى
 الأصل ومد : تعضية (١٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : انا .

أى ليجهر بقلو وشدة، فادقابين الحق والباطل بسبب ذلك (بما تؤمر) به من القرآن وكتاب مبین (و اعرض) أى إعرض من لا يسالى (عن المشركين) بالصفا الجليل عن الأذى والاجتهاد فى الدعاء، ويؤيد أن قوله "كما" واجع إلى قصة صالح ومتعلق بها - وإن لم أر من سبقنى إليه - ذكر الوصف الذى به تناسبت الآيات وهو - / الإقسام، ۲۰۱ / ۵

ثم وصف المقسمين بالذين جعلوا القرآن عضين، ثلاثا يظن أنهم الذين تقاسموا فى بيات^۱ صالح، أى آتينا أولئك الآيات المقتضية للإيمان فما كان منهم إلا [التكذيب والتقسام كما أنزلنا على هؤلاء الآيات فما كان منهم إلا -^۲] ذلك، وإنما عبر فى أولئك بـ "الذين" لأن آياتهم الناقة ولدها، والبر، وهى معطاة^۳ محسوسة، لا منزلة معقولة، وقال فى ۱۰ هؤلاء "انزلنا" إشارة إلى القرآن الذى هو أعظم الآيات، أو إلى الجميع وغلب عليها القرآن لأنه أعظمها، وإلى أنهم مبطلون فى الجحدم وأنه لا ينبغي لهم أن يتدخلهم نوع شكك فى أنه منزل لأنه أعظم من تلك الآيات مع كونها محسوسات، وأما اعتراض ما بينهما من الآيات فمن أعظم أفانين البلاغة، فانه لما أتم قصة صالح عليه السلام، ۱۵ علم أن المتعنتين^۴ ربما قالوا: لآى شئ يخلقهم ثم يهلكهم مع علمه بعدم

(۱) من م و مد، وفى الأصل و ظ : ع ط (۲) فى ظ : بتات (لم) زيد ما بين الحائرين من ظ و م مد (۳) فى ظ : لما (ه) من ظ و م و مد، وفى الأصل : منطاة (۶-۷) من ظ و م و مد، وفى الأصل : حجرهم وانهم (۷) فى مد : الآية - كذا (۸) من ظ و م و مد، وفى الأصل : المتصفين .

إجابته؟ فرد عليهم بأنه ما خلق^١ "السموات والارض وما بينهما" من هؤلاء المعاندين ومن أفعالهم وعذابهم وغير ذلك "الا بالحق وان الساعة لأتية" فيعلم^٢ ذلك كله بالبيان من يشك^٣ فيه الآن ، وذلك حين يكشف الغطاء عن البصائر والابصار "فاصفح" عنهم ، فإنه لا بد من الاخذ لك بحقك ، إن لم يكن في الدنيا ففي [يوم - ^٤] الجمع ، [ثم - ^٥] أكد التصرف بالحكمة بقوله "ان ربك هو الخلق العليم"^٦ ثم سلاه - عما يضيقون به صدره من التكذيب بالساعة ، وأن الوعد بها إنما هو سحر ، وبحو ذلك من القول ، ومن افتخارهم بأموالهم ونسبته إلى الحاجة إلى المشى بالأسواق - بما آتاه من كنوز القرآن ، وأمره بأن يزيد في التواضع واللين للؤمنين ١٠ لتطيب^٧ نفوسهم فلا يأسوا على ما فاتهم من الدنيا ، وأن ينذر الجميع ويحذرهم^٨ من سطوات الله أمثال ما أنزل^٩ بالاقدمين ، ثم عاد^{١٠} إليهم فسيهم هؤلاء في التكذيب ليعلم أنهم أجدر منهم بالعذاب^{١١} لأنهم^{١٢} مشبه بهم ، والمشبّه به أعلى من المشبه ، وذلك لكونهم أئند كفرا لأن نبيهم أعظم وآياته^{١٣} أجل وأكثر ، وأجلى وأبهر ، فيكون ذلك

(١) في ظ : خلقنا (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : ليعلم (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : يستل - كذا (٤) زيد من م ومد (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) في ظ : العلام (٧) من م ، وفي الأصل و ظ وم : لتطيب . (٨) في ظ : ينذرهم (٩) زيد في م : من (١٠) في م : اعاد (١١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : في العذاب (١٢) في ظ : لأنه (١٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : آياتهم .

شبهة اشتداد^١ حذرهم، ولك أن تقول ولله أحسن: إنه [تعالى - ٢] لما ذكر أن قومهم سكنوا الأرض سكنى الآمنين، فأزغتهم عنها صيحة سلّيت أرواحهم، وقلت أشباحهم، كما سيكون لأهل الأرض قاطبة بنفخة الصور، عند نفوذ المدور، وكان قد قدم ذكر كثير مما في السموات والأرض من الآيات والمعبر بقوله تعالى "ولقد جعلنا في السماء بروجا وما بعد ذلك من الجن والإنس وغيرهما مما جعل ذكر إخراجه دليلا على الساعة، اتبع ذلك أن سبب خلق ذلك كله وما حواه من الخافقين إنما هو الساعة فقال "وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق" أي بالأمر الثالث لا بالتوهم والسنج كما أتم شاهدون، أو بسبب إقامة الحق وإبانه من الباطل إبانة لا شك فيها يوم الجمع الأكبر، ومن إقامة الحق تنعيم الطائغ وتعذيب العاصي، وذلك بعد إتيان الساعة بنفختي الصور "وإن الساعة لأتية بالحق" أيضا، وليست محرا^٣ كما تظنون، ولما كان إتيانها لهذا الغرض مما يشفي القلب لإدراك الثار وهو حق لا بد منه، تسبب عنه قوله تعالى "فاصفح الصفح الجميل".

- (١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: اشتداد (٢) زيد من ظ و م ومد.
 (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: كما (٤-٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل: ستين آمنين - كذا (٥) في م ومد: نفوذ (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: تقسيم (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل: بحر (٨) في ظ: بما.
 (٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل: سبب.

٥ . ولما كانت النير بغير للاعلم أوثق^١ ، وكان صانع الشيء أعلم به
 من غيره ، فكيفه إذا كان مع ذلك تام للعلم ، قاله الله تعالى معطلا
 لذلك " ان ريك " أى المحسن [إليك " هو الخلق " أى التام القدرة
 على الإيجاد والإعدام ، الفعال لذلك " العليم " البالغ العلم ؛ ولما ختم
 بهذين الوصفين بعد تقديم الاخبار عما أوتى أهل الحجر من الآيات ،
 وأنه خلق الوجود بالحق^٢ لا بالتعوي ، وكان ذلك موجبا لتوقع الاخبار
 عما أوتى هذا النبي الكريم منها لإرشاد أمته . وكانت الآيات إما أن
 تكون من قسم الخلق كآية صالح ، أو من قسم الأمر [الذى هو مدار
 العلم ، أشار إلى تفضيله صلى الله عليه وسلم بفضل^٣] آيته ، فقال عاطفا
 ١٠ . على ذلك " ولقد آتيناك " أى [إن] " ككلام آتينا صالحا أو غيره
 آية مقتطع لم يبق إلا ذكرها فقد آتيناك " سبعا من المثاني " هو من
 الفاتحة التى خصص بها^٤ ، نرى فيها البسطة للبدي^٥ ، والحمد لله للكمالات^٦ ،
 والرحمانية والرحمية فيها للإبداع الأول والمرضى بين الأعمال ، وملك
 الدنيا المسمى بالربوبية لكونه " مستورا . وملك يوم الدين ، وبينهما
 ١٥ . رحمانية الإيجاد الثانى بالمعاد ورحمية الثواب للمرضى " من الأسباب ،

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الاوثق (٢) سقط من ظ و م و مد .
 (٣) فى ظ : بالخلق (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الا (٥) زيد ما بين
 الحجزين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : سكا .
 (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : خضت بها (٨) فى ظ : بها (٩) من ظ
 و م و مد . وفي الأصل : البارى (١٠) من م و مد ، وفي الأصل : خط : للكمالات .
 (١١) فى ظ : لكنه (١٢) من م و مد ، وفي الأصل : ظ : لم : المرض . (١٣)

و العبادة التي لا تكون الا مع القدرة و الاختيار و الاستعانة الناظرة
الى العجز عن كمال الاقتدار و الهداية بالهادي و الملهدي ، و الضلال
في مقابل ذلك بالمضل و الضال ، و في ذلك أسرار لا تسعها الافكار
”و القرآن العظيم“ الجامع لجميع الآيات مع كونه حقا ثابتا لا يحرا و خيالا ،
بل هو آية باقية على وجه الدهر ، مستمرا أمرها ، دائما تلاوتها و ذكرها ، ه
تقى الجبال الرواسي و هي باقية ، و نزول السماوات و الاراضي و هي
جديدة ، إذا اصطف عسكر الفجرة قالت كل آية منها : هل من مبارز ؟
و إن رام عد و مطاولة لتحقيقه بالضعف صاحبت ليدوام قوتها : إني أناجز !
فلا يقوم لها قائم ، و لا يحوم حول حماها حاتم ، و لا يروم خوض
بحرها راتم .

١٠

و لما كانت هذه الآية لأصحابها مغنية ، و لمن فاز بقبولها معجبة مرضية ،
حسن كل الحسن اتباعها بقوله ”لا تمدن عينك الى ما متعنا به ازواج
منهم“ و لما كان كفرهم بعد نياتها إنما هو عناد ، قال تعالى ”و لا تحزن
عليهم“ و لما كان القى بها ربما ظن حسن ثقة القى ، عقبه قوله
”و اخفض جناحك للؤمنين“ و لما كان ربما ظن أن تلاوتها تقى عن ١٥
الدغاة لاسيما لمن أعرض ، نفي ذلك بقوله ”و قل اني انا النذير
(١) من ظ و م ومد ، و في الأصل : السخر (٢) من ظ و م ومد ، و في
الأصل : يقى (٣) في ظ : الأرض (٤) من م ، و في الأصل و ظ و مد : دام .
(٥) من ظ و م ومد ، و في الأصل : للضعف (٦) من ظ و م ومد ، و في
الأصل : افاضه - كذا (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : لا يحول .
(٨) في ظ : بقوله ، و العبارة من حسن إلى هنا تكررت في مد بعد كان
ربما ظن .

نظم الدرر (سورة الحجر ٩٥ : ٩٤ - ٩٦) ج ١٩

المبين " تحريضا على الاجتهاد في الحديث ، شتيبا للؤمنين وإرغاما للعائدين ، واستجلابا لمن أراد الله إبعاده " من الكافرين ، لإعلامنا بأن القلوب بيد الله سبحانه وتعالى ، فلا وثوق مع ذلك بمقبل ، ولا يأس عن مدبر .

٥ ولما تم ذلك على هذا النظم الرصين ، والربط الوثيق المثين ، التفت الحاطر إلى حال من يندرم ، وكان كفار قرش - في تقسيمهم القول في القرآن ، وانشغالهم طرق مكة لإشاعة ذلك البهتان ، تنفيذا لمن أراد الإيمان - أشبه شيء بالمقسمين على صالح عليه السلام ، قال تعالى " كما " أى آيتنا أولئك المقسمين آياتنا فكانوا عنها معرضين ، مثل ١٠ ما " ازلنا " آياتنا " على المقسمين " أى الذين تقاسموا برغبة كبيرة واجتهاد في ذلك " الذين جعلوا القرآن عضين " أى ذا أعضاء أى أجزاء متفصلة متباعدة مثل أعضاء الجذور إذا قطعت ، جمع عضه مثل عدة^٢ وأصلها عضوة " فورك لتسليطهم اجمعين " أى لا يمتنع علينا منهم أحد " عما كانوا يعملون فاصدع " أى بسبب أمرنا لك بالإفذار وإخبارك أنا نسأل كل واحد عما عمل " بما تؤمر وأعرض عن المشركين " .

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : استبعاده (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : افسهم (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : متغيرا (٤) زيد بعده في الأصل : الى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفنا (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : إذا (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : شيئا - كذا (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : عده - كذا (٨) سقط من م و مد .

ولما كان هذا الصدع في غاية الشدة عليه صلى الله عليه وعلى آله
 وسلم لكثرة ما يلقي عليه من الأذى / ، خفف عنه سبحانه بقوله معللاً
 ۲۰۳ / له : ﴿ انا كفيناك ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ المستهزين ﴾ أى شر الذين هم
 عريقون^١ في الاستهزاء بك وبما جئت به ، فأقرنا عينك بأهلاكمهم ،
 وزال عنك ثقل ما آذوك به ، وبقي لك أجره ، وسكفك غيرهم كما
 كفيناكمهم ، ثم وصفهم بقوله : ﴿ الذين يجعلون مع الله ﴾ أى مع
 ما رأوا من آياته الدالة على جلاله^٢ ، وعظيم إحاطته وكاله ﴿ الها ﴾ .
 ولما كانت المعية تفهم الغيبة ، ولا سيما مع التعبير بالجعل^٣ ، وكان
 ربما تعنت [منهم متعنت -^٤] باحتمال التهديد على تأله^٥ سبحانه على
 سبيل التجريد^٦ ، أو على دعائه باسم غير الجلالة ، لما ذكر المفسرون في ١٠
 [قوله -^٧] " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن " - [الآية -^٨] آخر سبعين ،
 زاد في الصراحة بنى كمال [كل -^٩] احتمال بقوله : ﴿ اخرج ﴾ قال
 البغوى^{١٠} : قال ابن عباس رضى الله عنهما : سجد رسول الله صلى الله عليه
 وعلى آله وسلم بمكة ذات ليلة لجعل يقول في سجوده : [يا الله -^{١١}] يا رحمن ،
 (١) من م ، وفي الأصل : عريقين ، وفي ظ : غريقين ، وفي مد : غريقون (٢) في
 مد : خلالة (٣) من م ومد ، وفي الأصل وظ : بالجهل (٤) زيد من ظ وم
 ومد (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : اله (٦) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل : التجديد (٧) زيد من م (٨) راجع معالم التنزيل على هامش الباب
 ١٥٤/٤ (٩) زيد من العالم .

قال ابو جهل : إن محمداً ينهانا^١ عن آلهتنا وهو يدعو إلهين ؟ فأنزل الله هذه الآية -^٢ يعنى آية سبحن ، و تسبب^٣ عن أخذنا للمستهزئين - و كانوا أعناهم^٤ - أن يهدد الباقون بقولنا : (فسوف يعلمون .) أى يحيط عليهم بشدة بطشنا و قدرتنا على ما نريد ، ليكونوا زواجا لغيرهم ، أو يعلم المستهزؤون^٥ و غيرهم عاقبة أمورهم فى الدارين^٦ .

و لما كان صدعه صلى الله عليه و على آله و سلم بذلك على حد من المشقة عظيم و إن أريج من المستهزئين ، لكثرة من بقى من هو على مثل رأيهم ، قال يسليه و يسخى^٦ بنفسه فيه : (و لقد نعلم) أى تحقق وقوع علنا على ما لنا من العظمة (أنك) أى على ما لك من الحلم و سعة البطن^٨ (بضيق صدرك) أى يوجد ضيقه و يتجدد (بما يقولون^٩) عند صدعك لهم بما تؤمر ، فى حقك من قولهم : ” يا أيها الذى نزل عليه الذكر “ - إلى آخره ، و فى حق الذى أرسلك من الشرك و الصاحبة و الولد و غير ذلك (فسيح) بسبب ذلك ، ملتبسا (بحمد ربك) أى نزهه عن صفات النقص^٩ التى منها الغفلة عما يعمل

(١) من ظ و م و مد و المعالم ، و فى الأصل : نهانا (٢) من م و مد ، و فى الأصل : وظ : بسبب (٣) من م و مد ، و فى الأصل : اعيامهم ، و فى ظ : اعناهم . (٤) من م و مد ، و فى الأصل وظ : المستهزئين (٥) فى م : القيامة ؛ و فى البحر ٤٧/٥ : ” سوف يعلمون “ و عيدهم بالمجازاة على استهزائهم و جعلهم إلهها مع الله فى الآخرة كما جوزوا فى الدنيا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسجن . (٧) سقط من م (٨) فى ظ : البطنان (٩) فى مد : النقص .

الظالمون ، مثبتا له صفات الكمال التي منها إعزاز الولي وإذلال العدو
 (وكن) أي كونا جليلا لا افتكاك له (من السجدين) له ، أي
 المصلين ، أي العريقين في الخضوع الدائم له بالصلاة التي هي أعظم
 الخضوع له وغيرها من عبادته ، ليكيفك ما أمهلك [فانه - ١] لا كاف
 غيره ، فلا ملجأ إلى سواه ، وعبر عنها بالسجود إشارة إلى شرفه وما
 ينبغي من الدعاء فيه لاسيما عند الشدائد ، فقد قال تعالى "واستغيثوا
 بالصبر و الصلوة" وروى أن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم
 كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة - ذكره البغوي^١ بغير سند ، وهو
 في مسند أحمد^٢ و [سنن - ١] أبي دارود^٣ عن حذيفة رضي الله عنه قال :
 كان النبي صلى الله عليه و على آله و سلم إذا حزبه أمر صلى . وفي سنن ١٠
 النسائي الكبرى و مسند أحمد^٤ عن علي رضي الله عنه [قال - ١٢] : لقد
 رأيتنا ليلة بدر و ما فينا إنسان إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه و على
 آله و سلم فانه كان يصلي إلى شجرة^٥ و يدعو حتى أصبح . و في لفظ لأحمد^٦ :
 [لقد رأيتنا و ما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم تحت
 (١) زيد بعده في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .
 (٢) في مد : العريقين (٣) زيد في مد : من (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في
 مد : فلا تلجأ (٦) في ظ : فيها (٧) سورة ٢ آية ٤٥ (٨) في معالم التنزيل -
 راجع هامش الباب ٦٤/٤ (٩) ٣٨٨/٥ (١٠) باب وقت قيام النبي صلى الله عليه
 و سلم من الليل - كتاب الصلاة (١١) ١٣٨/ ١ (١٢) زيد من ظ و م و مد
 و المسند (١٣) من م و مد و المسند ، و في الأصل و ظ : صححه (١٤) ١٢٥/١ .

شجرة يصلّى - ١] ويكي حتى أصبح . ولاحد^٢ و مسلم^٣ و أبي يعلى عن
أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و على آله و سلم قال :
أقرب ما يكون العبد من ربه و هو / ساجد .

/ ٢٠٤

و لما أمره بعبادة خاصة ، اتبعه بالعامّة فقال : ﴿ و اعبد ربك ﴾
هـ أى دم على عبادة المحسن إليك بهذا القرآن الذى هو البلاغ بالصلاة
و غيرها ﴿ حتى باتيك اليقين ٥ ﴾ بما يشرح صدرك من الموت أو
ما يوعدون به من الساعة أو غيرها بما " يود الذين كفروا معه لو كانوا
مسلمين " قال الرازى فى اللوامع : و هذا دليل على أن شرف العبد فى
العبودية ، و أن العبادة لا تسقط عن العبد بحال ما دام حيا - انتهى .
١٠ و قال البغوى^٦ : و هذا معنى ما فى سورة مريم عليها السلام " و اوصنى
بالصلوة و الزكاة ما دمت حيا^٧ " . فقد انطبق آخر السورة - فى الامر
باتخاذ القرآن بلاغا لكل خير و الإعراض عن الكفار - على أولها [آثم -^٨]
انطباق^٩ ، و اعتق كل من الطرفين^{١٠} : الآخر و الأول أى اعتناق - و الله
الموفق للصواب ، و إليه المرجع و المآب " .

(١) زيد من ظ و م و مد و المسند (٢) راجع ٢١/٢ من مسنده (٣) راجع
باب ما يقال فى الركوع و السجود من كتاب الصلاة (٤) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل «و» (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انه (٦) فى معالم التنزيل -
راجع هامش الباب ٦٤/٤ (٧) آية ٣١ (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ
و م و مد ، وفى الأصل : انطبق (١٠) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن
فى ظ و م و مد فخذناها (١١-١١) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد .

سورة النحل

و تسمى سورة النعم

مقصودها الدلالة على أنه تعالى تام^٢ القدرة و العلم ، فاعل بالاختيار ،
منزه عن شوائب النقص ، و أدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحل لما ذكر من
شأنها من^٣ دقة الفهم في ترتيب بيوتها و رعيها و سائر أمرها من اختلاف هـ
ألوان ما يخرج منها من أعسالها ، و جعله شفاء مع أكلها من الثمار النافعة
و الضارة - و غير ذلك من الأمور ، و سميها [بالنعم - °] واضح في
ذلك - و الله أعلم .

(بسم الله) المحيط بدائرة الكمال فما شاء فعل (الرحمن) الذى
عمت نعمته^٤ جليل خلقه و حميره^٥ صغيره و كبيره (الرحيم) الذى ١٠
خص من شاء بنعمة النجاة بما يسخطه بما يرضاه .

لما ختم الحجر بالإشارة إلى إتيان اليقين ، و هو صالح لموت الكل ،

و لكشف الغطاء باتيان ما يوعدون بما يستعجلون به استهزاء من العذاب

(١) السادسة عشرة من سور القرآن ، و هى مكية مع الاختلاف الدائر حول

استثناء بعض الآيات - كما في روح المعاني ٤ / ٣٣٤ ، و تحوى على مائة و ثمان

و عشرين آية بالاتفاق - كما في ثمر المرجان ٣ / ٤١٦ (٢) زيد في مد : اكبر .

(٣) في ظ و مد : في (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اغتيالها (هـ) زيد

من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : نعمه (٧) زيدت الواو

بعده في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها .

في الآخرة بعد ما يلقون في الدنيا ، ابتداء هذه بمثل [ذلك - '] سواء ،
غير أنه ختم تلك باسم الرب المفهم للاحسان لطفًا بالمخاطب ، وافتتح
هذه باسم الأعظم الجامع لجميع معاني الاسماء لأن ذلك أليق بمقام التهديد ،
ولما ستعرفه من المعاني المتنوعة في أثناء السورة ، وسيكرر هذا الاسم
هـ فيها تكريرا تعلم^٢ منه صحة هذه الدعوى ، وعبر^١ عن الآتي بالماضي إشارة
إلى تحققه تحقق ما وقع ومضى ، وإلى * أن كل آيت ولا بد قريب ،
فقال تعالى : (أتى امر الله) أى الملك الأعظم الذى له الاسماء الحسنى ،
والصفات العلى^١ ، بما يذل الأعداء ، ويعز الأولياء ، ويشفي صدورهم ،
و يقر / أعينهم .

/ ٢٠٥

١٠ و لما كانت العجلة نقصا^٥ ، قال مسيا عن هذا الإخبار :
(فلا تستعجلوه^٦) أيها الأعداء استهزاء ، وأيها الأولياء استكفاء
[واستشفاء - '] ، وذلك مثل ما أفهمه العطف في قوله تعالى ” وما
اهلكنا من قرية الا ولها كذب معلوم “ كما تقدم ؛ والضمير يجوز أن
يكون لله وأن يكون للامر .

١٥ و لما كان الجزم بالأمور المستقبلية لا يليق إلا عند نفوذ الامر ،
ولا نفوذ إلا لمن لا كفوء له ، وكانت العجلة^٥ - وهى الإتيان بالشئ .

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) في مد : سيذكر (٣) من ظ و م ومد ، وفي
الأصل : يعلم (٤-٤) في ظ : الدعوة و (٥) في ظ : ان (٦) من م ومد ، وفي
الأصل و ظ : العليا (٧) زيد في ظ : قيل (٨) زيد بعده في الأصل : وهى
العجلة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها .

قبل حينه الأولى به - نقصاً ظاهراً لا يحمل عليها إلا ضيق الفطن ، وكان التأخير لا يكون إلا عن منازعٍ مشترك ، نزه نفسه [سبحانه - ^١] تنزيهاً مطلقاً جامعاً بقوله تعالى : (سبحانه) أى تنزهه عن الاستعجال وعن جميع صفات النقص (وتعالى) أى تعالياً عظيماً جداً (عما يشركون) أى يدعون أنه شريك [له - ^٢] ، فلا مانع له عما يريد فعله ، وساقه ه - ^٣ فى غير قراءة حمزة والكسائي ^٢ - فى ' أسلوب الغيبة ، إظهاراً ' للاعراض الدال على شدة الغضب ، وهى ناظرة إلى قوله آخر التى قبلها " واعرض عن المشركين " وقوله " الذين يحملون مع الله الها ' آخر " وقد آل الأمر فى نظم الآية إلى أن^١ صار كأنه قيل : إنه لا يجعل لأنه منزّه ' عن النقص ، ولا بد من إنفاذ أمره لأنه متعالٍ عن الكفوء : أو يقال : لا^٤ تستعجلوه ١٠ لأنه تنزهه عن النقص فلا يجعل ، وتعالى عن أن يكون له كفوء يدفع ما يريد فلا بد من وقوعه ، فهى واقعة موقع التعليل لصدر الآية كما أن صدر الآية تعليل لآخر سورة الحجر .

و لما تقرر بذلك تنزهه عن كل نقص : شرك وغيره ، شرع يصف نفسه سبحانه بصفات الكمال من الأمر والخلق ، ولما كان الأمر أقدم ١٥ وأعلى ، بدأ به ، ولما كان من^١ أمره إنزال الملائكة على الصورة التى

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من م .
 (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : من (ه) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
 إظهار (٦) فى مد : انما (٧) من م ومد ، وفى الأصل : نزهه ، وفى ظ : منزله .
 (٨) فى م : فلا (٩) سقط من ظ (١٠) من م ومد ، وفى الأصل : وظ : بمن .

طلبوها في قلوبهم [١- لو] ما تأتينا بالمشكاة - الآية، وقص عليهم
 في سورة ابراهيم ولوط عليهما السلام ما يترتب على إنزالهم مجتمعين،
 وفهم منه أن [لهم - ٢] في نزولهم حالة أخرى لا تنكرها الرسل، وهي
 حالة الإتيان إليهم بالعلم الذي نسبته إلى الأرواح [نسبة الأرواح - ٣]
 إلى الأشباح، وكان ذلك ربما أثار لهم اعتراضا يطلبون [٤ - به] الفرق
 بينهم وبين الرسل في إنزالهم عليهم دونهم - كما تقدم في الخضر، وكان
 ما يشركون به لا تصرف له [أصلا - ٥] بانزال ولا غيره، قال تعالى
 مشيرا إلى ذلك وإلى [٦- أن] الوحي بواسطة الملك، وأن النبوة
 عطائية لا كسبية: (ينزل الملائكة) الذين هم الملائكة الأعلى
 ١٠ (بالروح) أي المعنى الأعظم الذي هو للأرواح بمنزلة الأرواح
 للأشباح (من أمره) الذي هو كلامه المشتمل على الأمر والنهي
 "إلا له الخلق والأمر" وهو [٧- بما] تميز به لحقيقته وإعجازه عن
 جميع المخلوقات، فكيف [٨- بما] لا يعقل منها كالأصنام
 (١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ و م و مد.
 (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الغرض (٤) في مد: لهم (٥) زيد من
 مد (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الوحي (٧-٧) في ظ: عطائمه
 لا كسبيه، وفي مد، عطاء الله لا كسبه (٨) في مد: الذي (٩) من ظ و لم
 و مد، وفي الأصل: الأرواح (١٠) في ظ: كلام (١١) من م و مد،
 وفي الأصل: يميز، وفي ظ: متميز (١٢) في ظ و مد: لحقيقته (١٣) زيد من
 م و مد.

(على من بشأه من عبادة) دون بعض ، لأن ذلك نتيجة فعله بالاختيار^١ ،
و أبدل من الروح أو فسر الإنزال بالوحي لأنه متضمن معنى القول
[فقال - ٢] : (ان اندروا) أى الناس سطوانى ، فانها^٢ لاحالة نازلة
بمن أريد إنزالها به ، بسبب (انه لا اله الا انا) وعبر بضمير المتكلم^٣
لانه أدل على المراد لكونه أعرف ؛ وسبب عن وحدانيته التى هى منتهى ه
كمال القوة^٤ العلية قوله آمرا بما هو أقصى كمال القوة العلية^٥ : (فاتقون ه)
أى فليشتد خوفكم منى و أخذكم لما^٦ يكون وقاية لكم من عذابي ، فانه
لا مانع مما أريد ، فمن علت أنه أهل للنقمة^٧ أنزلتها به ، و من علت^٨
أهلا لتلقى الروح^٩ منحه إياه .

ولما وحد نفسه ، دل على ذلك بقوله ، شارحا لإيجاده أصول ١٠

العالم و فروعه على وجه الحكمة^{١١} : (خلق السموات) أى^{١٢} التى هى

السقف المظل (و الارض) / أى [التى - ٢] هى البساط المقل^{١٣} ٢٠٦ /

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالاختبار (٢) زيد من ظ و م و مد .

(٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فانه (٤) فى م و مد : التكلم (٥) زيد

جده فى مد : له - كذا (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : العلية (٧) من

ظ و م و مد ، وفى الأصل : بما (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ :

للعنة (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : علمه انه - كذا (١٠) من م ،

وفى الأصل و ظ و مد : الارواح (١١) فى ظ : الحكم (١٢-١٣) سقط ما بين

الرقمين من ظ (١٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : المضل .

(بالحق) أي بالامر المحقق الثابت، لا بالتمويه و التخيل "الا له الخلق و الامر".

و لما كان ذلك من صفات الكمال المستلزمة لثبوت النقا، وكان قاطعا في التنزه عن الشريك، لأنه لو كان، لزم إمكان الممانعة، فلزم العجز^٥ عن المراد،^٢ أو وجود^١ الضدين المرادين لها، وكل منهما محال، فامكان الشريك محال، ولأنهما^٣ وكل ما فيهما^٢ ملكه وفي تصرفه، لا نزاع لمن أثبت الإله في ذلك، تلاه بقوله - نتيجة لذلك دالة^٤ على أنه تعالى ليس من قبيل الأجرام^٣: (تعالى) أي تعاليات الوصف (عما يشركون^٥) - عويا عن افتحاه بالتنزيه كالاولى.

١٠. و لما كان [خلق السماوات و الأرض غيا لتقدمه، و كان -^٤]

خلق الإنسان على هذه الصفة شهادة، مع كونه أدل على ذلك من حيث أنه أشرف من كل ما يعبد من دون الله، ولن^١ يكون [الرب -^٤] أدنى من العبد أصلا، قال معللا: (خلق الإنسان) أي هذا النوع الذي خلقه أدل ما يكون على الوحدانية و الفعل بالاختيار، لأنه أشرف^١ ما في

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: المعجز (٢-٣) من م و مد، وفي الأصل: لوجود (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لأنها (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فيها (٥) من م و مد، وفي الأصل: دال، وفي ظ: دالا (٦) العبارة من «ولأنها وكل» إلى هنا تقدمت في ظ على «لأنه لو كان» بالإضافة إلى تقديم وتأخير فيها (٧) في ظ: فاته (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٩) من م، وفي الأصل: ظ و مد: ان (١٠) في ظ: لاشراف.

العالم السفلى من الأجسام لمشاركته للحيوان الذى هو أشرف من غيره بالقوى الشريفة من الحواس الظاهرة والباطنة^١، والشهوة والغضب، [و-^٢] اختصاصه بالنطق الذى هو إدراك الكليات والتصرف فيها بالقياسات (من نقطة) أى آدم عليه السلام من مطلق^٣ الماء، ومن تفرع منه

بعد زوجه من ماء مقيد بالدفق .

ولما كان - مع مشاركته لغيره من الحيوان فى كونه من نقطة - متميزا بالنطق المستند إلى ما فى نفسه من عجائب الصنع ولطائف الإدراك، كان ذلك أدل دليل على كمال قدرة الفاعل واختياره، فقال تعالى: (فاذا هو) أى الإنسان المخلوق من الماء المهيمن (خصيم) أى منطق عارف بالمجادلة (مبين) أى بين القدرة على الخصام، وموضح لما يريد غاية الإيضاح بعد أن كان ما لا حس به ولا حركة اختيارية عنده بوجه، أفلا^٤ يقدر الذى ابتدأ [ذلك-^٥] على إعادته^٦

ولما صار التوحيد بذلك كالشمس، وكان كل^٧ ما فى الكون - مع أنه دال على الوحدانية - نعمة على الإنسان يجب عليه شكرها، شرع يعدد^٨ ذلك تنبيها له على وجوب الشكر بالتبرؤ من الكفر، فقال مقدما ١٥ الحيوانات لأنها أشرف من غيرها، وقدم منها ما ينفع الإنسان لأنه

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الباهرة (٢) زيد من ظ و م ومد .

(٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: نقطة (٤) سقط من م (هـ) من ظ و م

ومد، وفى الأصل: فلا (٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل: لكل (٧) من م،

وفى الأصل و ظ و مد: بعد .

أجل من غيره. مبتدأ بما هو^١ أولاها بالذكر لأنه أجلها منفعة في ضرورات المعيشة و أزمها^٢ لمن أنزل الذكر بلسانهم: (والانعام) أى الأزواج الثمانية: الضأن والمعرز والإبل والبقرة (خلقها ج) غير ناطقة ولا ميتة مع كونها أكبر منكم خلقا وأشد قوة.

٥ ولما كان أول ما يمكن أن يلقي الإنسان عادة من نعمها اللباس، بدأ به، فقال على طريق الاستئناف: (لكم فيها دفء) أى ما يدفأ به فيكون منه^٣ حر معتدل من حر البدن الكائن بالدثار بمنع^٤ البرد، وتى بما يعم جميع نعمها التى منها اللبن فقال: (ومنافع) ثم نلت بالاكل لكونه بعد ذلك فقال تعالى: (ومنها تاكلون م) وقدم الظرف دلالة ١٠ على أن الأكل من غيرها بالنسبة إلى الأكل منها عما لا يعتد به، ثم تلاه بالتجمل لأنه النهاية لكونه للرجال فقال تعالى: (ولكم) أى أيها الناس خاصة (فيها) أى^٥ الانعام (جمال) أى عظيم.

ولما كانت القدم أجل نعمة وأبهج^٦ من الزوج، قدمه فقال: (حين تريحون) بالعشى من المراعى^٧ وهى عظيمة الضروع طويلة ١٥ الأسنمة (و حين تسرحون م) بالغداة من المراح^٨ إلى المراعى، فيكون

- (١) سقط من ظ (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: أنزلها (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: معه (٤) في ظ ومد: يمنع (٥) سقط من ظ وم ومد. (٦) زيد بعده في الأصل: انها، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفها. (٧) من م ومد، وفي الأصل: انهج، وفي ظ: اباج (٨) في ظ: المرعى. (٩) من م ومد، وفي الأصل وظ: الراعى.

لها في هاتين الحالتين من الحركات منها ومن رعاتها ومن الحلب والتردد
لأجله وتجاوب الثقل والرغاء أمر عظيم وأنس لأهلها^١ كبير
ولما كانت الاسفار بعد ذلك، تلاه بقوله تعالى: ﴿ وتحمّل ﴾

أى الأنعام ﴿ أثقالكم ﴾ / أى أمتعتكم مع^٢ المشقة ﴿ الى بلد ﴾ أى غير
يبدكم أردتكم السفر إليه ﴿ لم تكونوا ﴾ - أى كونا أتم مجبولون عليه - ه
قادرين على حملها إليه، وتبلغكم - بحملها لكم^٣ - إلى بلد لم تكونوا ﴿ تبلغه ﴾
بغير الإبل ﴿ الا يشق ﴾ أى بجهد ومشقة وكلفة ﴿ الا تقس ﴾ ويجوز
أن يكون المعنى: لم تبلغوه بها، فكيف لو لم تكن موجودة، والشق: أحد
نصفي الشيء، كانه كناية عن ذهاب نصف القوة لما يلحق من الجهد والآية
من الاحتباك: ذكر حمل الأثقال أولا دليلا على حمل الأثقال ثانيا، ١٠
وذكر مشقة البلوغ ثانيا دليلا على مشقة [الحمل - ١] أولا.

ولما كان [هذا - ١] كله من الإحسان [في - ١] التربة،
ولا يسخره للضعيف^٤ إلا البليغ في الرحمة، وكان من الناس من
[له من - ١] أعماله سبب لرضى^٥ ربه، ومنهم من أعماله^٦ كلها فاسدة،

(١) من ظ وم ومد، في الأصل: لأجلها (٢) سقط من م ومد (٣) في ظ: من،
وهذه الكلمة مع ما يتلوها ساقطة من م (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل:
أدرتكم (٥ - ٦) سقط ما بين الرقيين من م (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من
ظ وم ومد، وفي الأصل: للضعيف (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل:
كرضى (٩) والعبارة من " سبب لرضى " إلى هنا متكررة في نظم.

قال: ﴿ان ربكم﴾ أى الموجد [لكم - ٨] والمحسن إليكم ﴿لرؤوف﴾ أى بليغ الرحمة لمن يتوسل إليه بما يرضيه ﴿رحيم﴾ أى بليغ الرحمة بسبب وبغير سبب .

ولما كانت الانعام أكثر أمواجهم ، مع أن منافعها أكثر ، بدأ بها .
ثم ثنى بما [هو - ١] دونها ، مرتباً له على الاشرف فالأشرف ، فقال تعالى: ﴿والخيل﴾ أى الصالحة ﴿والبغال﴾ أى المتولدة بينها وبين*
الحمر ﴿والخير﴾ أى الناهقة .

ولما كان الركوب فعل المخاطبين ، وهو المقصود بالمنفعة ، ذكره باللام التى هى الأصل فى التعليل فقال: ﴿لتركبوها﴾ ولما كانت الزينة تابعة للنفعة ، وكانت فعلاً لفاعل الفعل المعلن ، نصبت عطفاً على محل ما قبلها فقال: ﴿وزينة﴾ .

ولما دل على قدرته بما ذكر فى سياق الامتنان ، دل على أنها لا تنتهى فى ذلك السياق ، فنبه على أنه خلق لهم أموراً لو عدها لهم لم يفهموا المراد منها لجهلهم بها ، ولعلها أجمل منافع بما ذكر فقال: ١٥ ﴿ويخلق﴾ [أى - ١٢] على سبيل التجديد^{١٣} والاستمرار فى الدنيا

(١) زيد من م ومد (٢) فى ظ : بليغ (٣) العبارة من هنا إلى « فالأشرف فقال تعالى » ساقطة من ظ (٤-٤) تأخر فى الأصل عن « الصالحة » (٥-٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : وبين بينهما - كذا (٦) فى ظ : فعل (٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الفاعل (٨) سقط من ظ (٩) زيد فى الأصل بعده : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ادل (١١) فى ظ : لعل (١٢) زيد من ظ وم ومد (١٣) من م ومد ، وفى الأصل : التحذير ، وفى ظ : التجريد .

و الآخرة (ما لا تعلمون .) فلا تعلمون [له - ٢] موجدا غيره ولا مدبرا سواء .

ولما كانوا في أسفارهم واضطرابهم في المنافع بهذه الحيوانات وغيرها يقصدون أسهل الطرق وأقومها وأوصلها إلى الغرض، ومن عدل عن ذلك كان عديم ضالا مخيف^٢ العقل غير مستحق للعد في هـ عداد النبلاء، نبههم على [أن - ١] ما تقدم في هذه السورة قد بين الطريق الأقوم الموصل إليه سبحانه بتكفله^٣ ببيان أنه واحد قادر عالم مختار، و^٤ أنه هو المنعم، فوجب اختصاصه بالعبادة، وأخبرهم سبحانه أنه أوجب هذا البيان على نفسه فضلا منه فقال تعالى: (وعلى) أى قد بين لكم الطريق الأم^٥ . وعلى (الله) أى الذى له الإحاطة بكل شيء ١٠ (قصد السيل) أى يان الطريق العدل، وعلى الله يان الطريق الجائر حتى لا يشك في شيء منهما، فإن الطريق المعنوية كالحسية، منها مستقيم من سلكه اهتدى (ومنها جائر^٦) من سلكه ضل عن الوصول فهلك ” وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدىم “ - الآية^٧ ” وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا “ فالآية من الاحتباك : ذكر أن عليه يان القصد ١٥ أولا دلالة على حذف أن عليه يان الجائر ثانيا، وذكر أن من الطرق

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: يعلمون (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) في ظ: خيف (٤) من م، وفي الأصل وظ وم مد: بتكفله (هـ) في ظ « او » . (٦) سقط من ظ وم ومد (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الاتم (٨) ١١٠ من سورة ٩ (٩) آية ١٥ سورة ١٧ .

الجائر ثانيا دلالة على حذف أن منها المستقيم أولا ، وتعبير الأسلوب .
 لبيان أن المقصود بالذات إنما هو بيان^٢ النافع ، ومادة [قصد - ٣]
 تدور على العدل سواء ، ومنه القصد ، أي الاستقامة ، واستقامة الطريق
 من غير تعرج^٤ ، وضد الإفراط كالاعتصام ، ورجل ليس بالجميل
 ٥ - ولا بالضئيل ، وذلك لا يكون إلا عن إرادة وتوجه ، فاطلاق القصد
 على العزم مستقيما كان أو جائرا ، إذا قلت : قصده - بمعنى أتيته أو أتمته
 ونوئته ، من دلالة الالتزام ، وكذا القصد بمعنى الكسر بأي وجه كان ،
 وقيل : لا يقال : قصد ، إلا إذا كان بالنصف ، والقصيد^٥ : ما تم شطر
 أياته ، لأن ذلك أعدل حالاته ، قال في القاموس : ثلاثة أيات فصاعدا
 ١٠ أو ستة عشر فصاعدا^٦ ، وقال الإمام أبو الفتح عثمان بن جني في آخر
 كتابه المغرب^٧ في شرح القوافي : فالبيت على ثلاثة أضرب : قصيد ،
 ورمز ، ورجز . فأما القصيد فالطويل التام ، والبسيط التام ، والكامل
 التام ، والمديد التام ، والوافر التام ، والرجز التام ، والخفيف التام^٨ ،
 وهو كل ما تنقئ به الركبان ، و^٩ معنى قولنا : المديد التام والوافر التام^{١٠} .

/ ٢٠٨

(١) العبارة من هنا إلى « بيان النافع » ساقطة من م ومد (٢) من ظ ، وفي
 الأصل : لبيان (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) في ظ : نصريح (٥) من ظ
 وم ومد والقاموس ، وفي الأصل : القصيد (٦) من ظ والقاموس . وفي
 الأصل وظ ومد « و » (٧) العبارة إلى هنا من « قال في » ساقطة في م ، ومن
 « أو ستة » ساقطة من مد (٨) من هدية العارفين ١ / ٢٥٢ ، وفي النسخ كلها :
 العرب (٩-١٠) سقط ما بين الرقنين من ظ (١٠) من م ومد ولسان العرب
 [قصد] ، وفي الأصل وظ : هو (١١) زيدت الواو بعده في الأصل ولم تكن
 في ظ وم ومد واللسان لحذفها .

تزيد آتم^١ ما جاء منهما في الاستعمال، أعنى الصريين الأولين منها، فأما
 أن يجيئ^٢ على أصل وضعهما^٣ في دائرتيهما^٤، فذلك مرفوض مطروح،
 والقصيد: المخ^٥ السمين أو دونه، والعظم المخ، والناقصة السمين بها
 نقي، والسمين من الاسمنة - لأن^٦ بهذا الحال [استقامة - ^٧] كل ما
 ذكر^٨، وكذا القاصد^٩: القريب، وبيننا وبين الماء ليلة قاصدة، أى هيئة
 السير^{١٠}، لانه أقرب إلى الاستقامة، ومنه قصدت كذا - إذا اعتدته
 وأتمته أو توجهت إليه سواء كان [ذلك - ^{١١}] عدلا أو جورا، وانقص
 الرمح - إذا انكسر على السواء، كأنه مطاوع قصده، [والواحدة من تلك
 الكسر قصدة - ^{١٢}] بالكسر، ورمح قصد - ككتف^{١٣}: متكسر،
 والقصد - بالتحريك: العوسج - لانه سريع التكسر، والجوع - لأن^{١٤}
 الجائع قاصد لما يأكله^{١٥} متوجه إليه، والقصد^{١٦}: مشرة^{١٧} العضاء تخرج
 في أيام الخريف لدنة^{١٨} تثني في أطراف الأغصان، وهى خوصة تخرج
 (١) من ظ و م و مد واللسان، وفي الأصل: انه (٢) من مد واللسان،
 وفي الأصل و ظ و م: يجي (٣) من م و مد واللسان، وفي الأصل و ظ:
 وصفهما (٤) من اللسان، وفي النسخ: دائرتيهما (٥) من ظ و م و مد والقاموس،
 وفي الأصل: اللحم (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م
 و مد والقاموس، وفي الأصل و ظ: القاهيل (٩) في مد: المرير (١٠) زيد
 من م و مد (١١) في القاموس، وفي النسخ كلها: ككتف (١٢) في ظ و م
 و مد: ياكل (١٣) في ظ و م و مد: القصدة - كذا (١٤) من م و مد
 والقاموس، وفي الأصل: مشر، وفي ظ: المشرة (١٥) من م و مد،
 وفي الأصل و ظ: لدته .

فيها، وفي كثير من الشجر في تلك الأيام، أو هي الأغصان، أو هي
 الأغصان الرطبة قبل أن تتلون وتشتد^١ - سميت بذلك لخروجها
 وتوجهها إلى منظر العين، أو^٢ توجه النظر إليها للسرور بها، والقصد^٣ :
 المصا - لأنها تقصد ويقصد بها، وأقصد السهم : أصاب فقتل مكانه،
 هـ و أقصد فلانا : طعنه فلم يخطئه، والحية : لدغت فقتلت - يمكن أن يكون
 ذلك من الاستقامة لأن قصد فاعله القتل، فكأنه استقام قصده بنفذه،
 ويمكن أن يكون من السلب [أي -] أنه أزال^٤ الاستقامة لأن من
 مات فقد زالت استقامته حياته، ومنه المقصد كخروج، وهو من يمرض
 ويموت سريعا، والقصد بمعنى الياس من اللحم - فعيل بمعنى مفعول، أي
 أقيصد فزالت استقامته بأن هلك جفافا يبا^٥.

و الصدق ضد الكذب، وهو من أعدل العدل و أقوم القصد^٦،
 [و الصدق -]^٧ : الشدة^٨، إذ بها يتمحن الصادق من الكاذب، ومنه رجل
 صدق، أي يصدق^٩ ما يعزم [عليه -]^{١٠} أو يقوله بفعله، فهو شديد العزم
 شديد^{١١} الأمر، والصديق - كأمير : الحبيب الذي يصدق قوله في الحب
 ١٥ فعل، والمصادقة والصدق - بالكسر : المحالة كالتصادق، والصدق - كصيقل :

(١) زيدت الواو بعده في الأصل ولم تكن في ظ و م و مد فخذناها (٢) من
 ظ و م و مد، وفي الأصل «و» (٣) من ظ و م و مد و القاموس، وفي
 الأصل : القصد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في ظ : إزاله (٦-٧) في ظ :
 الصدق (٧) زيد من ظ و م (٨) من م و مد والقاموس، وفي الأصل في
 الشر، والكلمة ساقطة من ظ (٩) من م و مد، وفي الأصل : مصديق،
 وفي ظ : يصدق (١٠) من م، وفي الأصل و ظ و مد : شديد.

الإيمين - لأنه مصدق في قوله ، والمملك - لأن مجله يقتضي الصدق
 لعدم حاجته إلى التكذيب ، والقطب - لأنه أصدق النجوم دلالة لباته ،
 وقال أبو عبد الله القزاز : هو اسم للسها ، وهو النجم الخفي الذي يقع
 ببات نعش ، والصدق - بالفتح : الصلب المستوي من الرماح - لأنه
 صدق ظن الطاعن به ، وكذا من الرجال ، والكامل من كل شيء ؛ هـ
 وأرجل صدق اللقاء والنظر ، ومصدق الشيء : ما صدقه ، وشجاع ذو
 مصدق - كقبر صادق الحجة ، أى شديدها ، والصدقة - محركة : ما أعطته
 في ذات الله لأنها تصدق دعوى الإيمان لدالاتها على شدة العزم فيه ،
 [والصدقة - بضم الهمزة وسكونها : مهر المرأة لأنه يصدق العزم فيه -]
 وكسكيت : الكثير الصدق ، وصدقت الله حديثاً إن^٦ / لم أفعل كذا - ١٠ / ٢٠٩
 من لجم ، أى لا صدقت ، وفعله غب صادقة ، أى بعد ما تبين له الأمر ،
 وصدقه تصديقاً - ضد كذبه ، والوحشى : عبداً ولم يلتفت لما حمل عليه ،
 والمصدق - كحدث : أخذ الصدقات ، والمتصدق : معطيها .
 ولما كان أكثر الخلق ضالاً ، كان ربما توهم متوهم أنه خارج
 عن الإرادة ، فبنى هذا التوهم بقوله - عطفاً على ما تقديره : فمن شاء ١٥
 هداه قصد السبيل ، ومن شاء أسلكه^٧ الجائر ، وهو قادر على ما يريد

(١) في مد : من (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ : لأنه (٣) من م ومد
 والقاموس ، وفي الأصل وظ : هو (٤) سقطت الواو من ظ (٥) في م :
 جماع (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من ظ وم ومد والقاموس ، وفي
 الأصل : إذا (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : سلكه .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦: ٩ و ١٠) ج - ١١

من الهداية والإضلال (١) (ولو شاء) هديتكم (لهذاكم اجمعين) (٢) بخلق
الهداية في قلوبكم بعد بيان الطريق والقصد، ولكنه لم يأت ذلك
بخلقكم قسرين.

ولما كان ما مضى [كفلا - ٢] بيان [أنه - ٣] الواحد المختار،
هـ - شرع يوضح ذلك بتفصيل الآيات إضاحاً يدعه في آتم انكشاف في
سياق ممتد للتمم مذكراً بها داعٍ إلى شكرها، فقال بعد ما دل به من
الإنسان وما يليه في الشرف من الحيوان مبتدئاً بما يليهما في الشرف
من النبات الذي هو قوام حياة الإنسان وما به قوام حياته من الحيوان:
(هو) لا غيره، مما تدعى فيه الإلهية (الذي أنزل) (٤) [أي
١٠ بقدرته الباهرة - ٢] (من السماء) قيل: نفسها، وقيل: جهتها،
وقيل: السحاب - كما هو مشاهد (ماء) أي واحد تحسونه بالذوق
والبصر (لكم) منه [أي خاصة - ٢] (شراب) ظاهر على وجه الأرض
من العيون والأنهار والغدران وغيرها.

(١) في ظ: الضلال (٢) في ظ: لكن (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من ظ
وم ومد، وفي الأصل: شرح (٥) من م ومد، وفي الأصل: وظ: يدعيه.
(٦) في ظ: مذكور (٧) زيد بعده في الأصل وظ ومد: ان، ولم تكن
الزيادة في م لحدفاها (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل: من (٩-٩) من ظ
وم ومد، وفي الأصل: بما يدعى (١٠-١٠) ما بين الرقيين تقدم في الأصل فقط
على «لا غيره» (١١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: شاهد (١٢) من ظ و م
وم، وفي الأصل: محسوبة (١٣) تقدم في الأصل فقط على «تحسونه».

ولما

(٢٩)

١١٦

و لما كان أول ما يقيم الآدمي شراب اللبن الناشئ^١ عن الماء
 مقدمه^٢، أتبعه ما ينشأ منه أشرف أغذيته وهو الحيواني^٣، فقال تعالى^٤:
 ﴿ومنه شجر﴾ لسريانه في الأرض الواحدة واختلاطه^٥ بها، فينمقذ من
 ذلك نبات^٦ ﴿فيه تسيمون﴾ أي ترعون على سبيل الإطلاق ليلا ونهارا
 ما خلق لكم من البهائم، والشجر منا^٧ بما أفهمته الإسماء - [عام -^٨]
 لما يبق في الشتاء حقيقة، ولغيره مجازا؛ قال القراز: الشجر ما بقي له
 ساق [في الشتاء^٩ إلى الصيف، ثم يورق، والبقل ما لا يبقى له ساق -^{١٠}]،
 قال الخليل: جل الشجر عظامه وما يبق منه في الشتاء، ودقه صنفان:
 أحدهما تبقى له أرومة في الأرض [في -^{١١}] الشتاء، وينبت^{١٢} في الربيع،
 ومنه ما ينبت من الأرض كما تنبت البقلة، والفرق بينه وبين البقل^{١٣}
 أن الشجر يبقى له أرومة على الشتاء ولا يبقى للبقل، وعن أبي حنيفة
 رضى الله عنه أن النبات ثلاثة أقسام: شجر وهو ما يبقى في الشتاء،
 ولا يذهب فرعوه ولا أصله، وما ينبت في بذر ولم ينبت في أرومة
 ثابتة فهو^{١٤} البقل، وما ينبت في أرومة - أى أصل - وكان مما يهلك
 فرعوه [وأصله -^{١٥}] في الشتاء فهو الجنبه، لأنه فارق الشجر الذي

- (١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: على (٢) سقط من ظ (٣) من م ومد،
 وفي الأصل وظ: الحيوان (٤) سقط من م ومد (٥) في ظ: انخلطه (٦) في
 م: شجر (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) زيد في ظ: حقيقة (٩) زيد من ظ
 وم (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تنبت (١١) في مد: تبقى (١٢) من
 ظ وم ومد، وفي الأصل: وهو (١٣) زيد من مد،

يبقى^١ فرعه وأصله،^٢ أو البقل^٣ الذى يبيد^٤ فرعه وأصله، فكان جنة بينهما.

و لما كان الشجر عاما، شرع سبحانه يفصله [تنويهاً^٥] للنعم و تذكيراً بالتفاوت^٦، إشارة إلى [أن^٧] الفعل بالاختيار، فقال مبتدئاً
 هـ بالانفع فالانفع فى القوتية و الاستدام و التفكك: (ينبت^٨) أى [هو^٩]
 سبحانه (لكم^{١٠}) أى خاصة (به^{١١}) مع كونه واحداً فى أرض واحدة
 (الزراع^{١٢}) الذى تشاهدونه من [أقل الشجر مكثاً و أصغره قدراً
 (و الزيتون^{١٣}) الذى ترويه من^{١٤}] أطول^{١٥} الأشجار عمراً و أعظمها قدراً،
 و لما كانت^{١٦} المنافع كثيرة فى شجر التمر، سماه باسمه فقال تعالى:
 ١٠ (و النخيل^{١٧}) و لما كانت المنفعة فى الكرم بغير ثمرته تافهة، قال تعالى:
 (و الاعناب^{١٨}) و هما من أوسط ذلك (و من كل الثمرات^{١٩}) و أما
 كلها فلا يكون إلا فى الجنة، و هذا الذى فى الأرض بعض من ذلك
 الكل مذكر به و مشوق إليه (و ان فى ذلك^{٢٠}) أى الماء العظيم المحدث
 عنه و عن فروعه^{٢١}، أو فى إنزاله على الصفة المذكورة (و لآية^{٢٢}) بينة
 ١٥ / ٢١٠ على أن / فاعل ذلك تام القدرة يقدر^{٢٣} على الإعادة كما قدر على الابتداء،

(١) من ظ و م و م د، وفى الأصل: تبقى (٢) من ظ و م و م د، وفى
 الأصل: الفعل (٣) من ظ و م و م د، وفى الأصل: بينه (٤) زيد من ظ
 و م و م د (٥) من ظ و م و م د، وفى الأصل: للتفاوت (٦) لا يتضح فى ظ.
 (٧) من ظ و م و م د، وفى الأصل: طول (٨) من ظ و م و م د، وفى
 الأصل: كان (٩) يفاض فى ظ (١٠) من ظ و م و م د، وفى الأصل: تعدد.
 و أنه

و أنه مختار يفعل ذلك في الوقت الذي يريده .

ولما كان ذلك مما يحسن ، وكان شغل الجواس بمنفعته^١ - لقربه وسهولة ملابسته - ربما^٢ شغل عن^٣ الفكر في المراد [به-^٤] ، فكان التفتن لدلالته يحتاج إلى فضل تأمل ودقة نظر ، قال تعالى : (لقوم يتفكرون)^٥ أي في أن وحدته و^٦ كثرة ما^٧ يتفرع عنه دليل على وحدة صانعه وفعله م بالاختيار^٨ ، وأورد^٩ الآية لوحدة المحدث عنه ، وهو الماء - كما قال تعالى في آية^{١٠} ”تسقى بماء واحد“ و سيأتي في آية النحل كلام [الإمام-^{١١}] أبي الحسن الحرالي في هذا .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هذه السورة في التحامها بسورة الحجر^{١٢} مثل الحجر^{١٣} سورة ابراهيم من غير فرق ، لما قال [تعالى-^{١٤}] ١٠ ”فوربك لنستلنهم اجمعين عما كانوا يعملون“ وقال تعالى بعد ذلك في وعيد المستهزئين ”فسوف يعلمون“ أعقب هذا بيان تعجيل الأمر فقال تعالى ”أتى امر الله فلا تستعجلوه“ وزاد هذا بيانا قوله ”سبحنه وتعالى عما يشركون“ فنزه سبحانه نفسه عما فاهوا به في استهزائهم وشركهم^{١٥} وعظيم بهتهم . و أتبع ذلك تنزيها وتعظيما فقال تعالى ”خلق السموت ١٥

(١) من ظ و م و مد . وفي الأصل : منفعته (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : وما (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) من م و مد ، وفي الأصل : كثرة ما ، وفي ظ : كثرة ما - كذا (٦-٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فافرد (٧) من الرعد . (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) زيد من م و مد (١٠) من م و مد ، وفي الأصل : تنكرهم ، وفي ظ : شكرهم .

و الارض بالحق تغلنى عما يشركون“ ثم اتبع ذلك بذكر ابتداء [خلق
 الإنسان و ضعف جلته - ٢] { ”خلق الانسان من نقطة“ ثم أبلغه تعالى
 خدا يكون فيه الخصام و الحاجة ، كل ذلك ابتلاء منه و اختباراً ليميز
 الخيث من الطيب ، و أعقب هذا بذكر بعض أطايف خلق الانعام
 ٥ و ما جعل فيها من المنافع المختلفة . و ما هو سبحانه [عليه - ٢] من
 الرأفة و الرحمة اللتين بهما أخر العقوبة عن مستوجبها ، و هدى من
 لم يستحق الهداية [بذاته - ٢] بل كل هداية فبرأفة الخالق و رحمته ٧ ،
 ثم أعقب ما ذكره بعد من ٨ خلق الخيل و البغال و الحمير و ما فى ذلك
 كله بقوله ”و لو شاء لهداكم اجمعين“ فيبين أن كل الواقع من هداية
 ١٠ و ضلال خلقه و فعله ٩ ، و أنه أوجد الكل من واحد ، و ابتدأهم ابتداء
 واحداً ”خلق الانسان من نقطة“ فلا بعد فى ١١ اختلاف غاياتهم
 بعد ذلك ، فقد أرفانا سبحانه مثال هذا الفعل و نظيره فى قوله ”هو الذى“
 أنزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر - إلى قوله : لآية لقوم
 يتفكرون“ - [انتهى - ٢] .

- (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مذكر (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣) فى مد : اختبار (٤) من م و مد ، وفى الأصل : تمييز ، وفى ظ : تمييز .
 (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : حصل (٦) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : مستوجبها (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : برحمته (٨) من م
 و مد ، وفى الأصل و ظ : ما (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فضله .
 (١٠ - ١٠) من م و مد ، و فى الأصل : فلا بد من ، وفى ظ : فلا بعد من .
 (١١) سقط من ظ .

ولما كان [ربما -^١] قال بعض الضلال : إن هذه الأشياء مستندة إلى تأثير الأفلاك ، به على أنها لاتصلح لذلك بكونها متغيرة فلا بد لها من قاهر أثر [فيها -^١] التغير ، ولا يزال الأمر كذلك إلى أن ينتهي إلى واحد قديم فاعل بالاختيار ، لما تقرر من بطلان التسلسل . فقال تعالى : ﴿ وسخر لكم ﴾ أى أيها الناس لإصلاح أحوالكم ﴿ الليل ﴾ للسكنى ٥ ﴿ والنهار ﴾ للابتغاء ؛ ثم ذكر آية النهار فقال تعالى : ﴿ والشمس ﴾ أى للمنافع ^٢ اختصاصها بها ^٣ ، ثم [ذكر -^٢] آية الليل [فقال -^١] : ﴿ والقمر ﴾ لأمور علقها به ﴿ والنجوم ﴾ أى لآيات نصبها لها ، ثم ^٤ به على ^٥ تغييرها بقوله : ﴿ مسخرت ﴾ أى بأنواع التغير لما خلقها له على أوضاع دبرها ﴿ بامرء ﴾ سببا لصلاحكم وصلاح ما به قوامكم ، دلالة على ١٠ وحدانيته وقضه بالاختيار ، ولو شاء لأقام أسبابا غيرها أو أغنى عن الأسباب .

ولما كان أمرها - مع كونه محسوسا - ليس فيه من المنافع القرية الأمر السهلة الملابس ما يشغل عن الفكر فيه . لم يحل ^٦ أمره ^٧ [إلى -^١] غير مطلق العقل ، إشارة إلى وضوحه وإن كان لا بد فيه من استعمال ١٥ القوة المفكرة ، ولأن الآثار العلوية [أدل -^١] على القدرة [الباهرة -^١] ، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة ، فقال : ﴿ أن فى ذلك ﴾ أى التسخير

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٣) من م ، وفى الأصل وظ و مد : اختصاصها .
 (٣) زيد من ظ (٤) زيد من م (٥-٥) فى ظ : بين ما (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : امرء .

الْعَظِيمِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَي كَثِيرَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ عَظِيمَةٌ ﴿أَقُومُوا لِقَائِهِ يَوْمَ يَأْتِي الْبَاقِلُونَ﴾ وَجَمْعُ
الآيَاتِ لظُهُورِ تَعْدَادِهَا بِالتَّحْدِيثِ عَنْهَا مَفْصَلَةٌ .

وَلَمَّا كَانَ مَا مَضَى مُوضَعًا لِلتَّفَكُّرِ الْمُنْتَجِجِ لِلْعِلْمِ بِوَحْدَةِ الصَّانِعِ
وَإِخْتِيَارِهِ ، وَكَانَ التَّفَكُّرُ فِي ذَلِكَ مَذْكَرًا بِمَا بَعْدَهُ مِنْ سِرِّ التَّفَاوُتِ فِي
الْوَلَوْنِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ ضَبْطُ أَصْنَافِهِ عَلَى التَّحْرِيرِ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ تِمَامٌ لِإِبْطَالِ
الْقَوْلِ بِتَأْثِيرِ الْإِفْلَاقِ وَالطَّبَائِعِ ، لِأَنَّ نَسْبَتَهَا إِلَى جَمِيعِ [أَجْزَاءِ - °]
الْوَرَقَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْحَبَّةِ الْوَاحِدَةِ وَاحِدَةً ، قَالَ تَعَالَى عَطْفًا عَلَى اللَّيْلِ :
﴿وَمَا ذَرَأْنَا﴾ أَي خَلَقْنَا وَبَثَّ وَفَرَّقَ [مِنَ التَّرَابِ وَالْمَاءِ ﴿لَكُمْ﴾]
أَي خَاصَّةً . فَاشْكُرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا خَصَّكُمْ بِهَذَا التَّدْيِيرِ الْعَظِيمِ إِلَّا لِحُكْمٍ
كَبِيرَةٍ أَجَلَتْهَا إِظْهَارُ جَلَالِهِ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أَي عَمَّا ذَكَرَ وَمِنْ
غَيْرِهِ حَالُ كَوْنِهِ ﴿مُخْتَلِفًا لَوَانُهُ﴾ ﴿حَتَّى فِي - °﴾ الْوَرَقَةِ الْوَاحِدَةِ ، فَرَى
أَحَدَ وَجْهَيْهَا - بَلْ - بَعْضُهُ - فِي غَايَةِ الْحُمْرَةِ ، وَالْآخَرُ فِي غَايَةِ السَّوَادِ
أَوْ الصَّفَرَةِ - وَنَحْوَ ذَلِكَ ، فَلَوْ كَانَ الْمَوْثَرُ مُوجِبًا بِالذَّاتِ لَامْتَنَعَ حَصُولُ
هَذَا التَّفَاوُتِ فِي الْآثَارِ ، فَعَلِمَ قَطْعًا أَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ قَادِرٌ مُخْتَارٌ ، وَلَمْ يَذْكُرْ
(١) زَيْدَتِ الْوَاوِ فِي م (٢) مِنْ ظ و م و مَد ، وَفِي الْأَصْلِ : جَمِيعُ (٣) مِنْ ظ
و م و مَد ، وَفِي الْأَصْلِ : مَوْضِعُ (٤) مِنْ ظ و م و مَد . وَفِي الْأَصْلِ : الْمَنْهَجُ .
(٥) زَيْدٌ مَا بَيْنَ الْحَاجِزَيْنِ مِنْ ظ و م و مَد (٦) تَقْدِمُ فِي الْأَصْلِ عَلَى «أَي خَلَقَ»
وَالْتَرْتِيبُ مِنْ ظ و م و مَد (٧) سَقَطَ مِنْ م (٨-٨) تَقْدِمُ مَا بَيْنَ الرَّقِيقَيْنِ فِي
الْأَصْلِ عَلَى «فِي غَايَةِ الْحُمْرَةِ» وَالتَّرْتِيبُ مِنْ ظ و م و مَد (٩) مِنْ ظ و م
و مَد ، وَفِي الْأَصْلِ «و» .

اختلاف الصور لأن دلالتها - لأجل اختلاف أشكال النجوم من السماء
و صور الجبال و الروابي و الوهاد من الأرض - ليست على إبطال
الطبيعة كدلالة' اختلاف اللون .

و لما كان ذلك - وإن كان خارجا عن الحد في الانتشار -
واحدا من جهة كونه لونا، وحد الآية فقال : (أن في ذلك) الذى ه
ذراه فى هذه' الحال على هذا الوجه العظيم (لأية) و لما نبه فى التى قبلها
على أن الأمر وصل فى الوضوح إلى حد لا يحتاج معه إلى غير بديهية
العقل، نبه هنا' على أن ذلك معلوم طرأ عليه النسيان و الغفلة، حثا' على
بذل الجهد فى تأمل ذلك، وإشارة' إلى [أن - ٦] دلالاته على المقصود
فى غاية الوضوح فقال : (لقوم يذكرون *) و لو لم يمنعوا - بما أفاده' ١٠
الإدغام؛ و التذكر : طلب المعنى بالتفكر فى متعلقه، فلا بد من حضور
معنى يطلب به غيره، و قد رتب سبحانه ذلك أبداع ترتيب، فذكر
الأجسام المركبة عموما، ثم خص الحيوان، ثم مطلق الجسم النامى و هو
النبات، ثم البسائط من الماء و نحوه، ثم الأعراض من الألوان .

و لما دل على قدرته و اختياره سبحانه دلالة على القدرة على كل ١٥
ما أخبر به لاسيما الساعة . بخلق السماوات و الأرض الذى هو أكبر
(١) من م ومد، وفى الأصل و ظ : لدلالة (٢) من ظ و م ومد، وفى
الأصل : هذا (٣-٣) سقط ما بين الرقين من مد (٤) من ظ و م ومد، وفى
الأصل : حيا (٥) فى مد : اشارته (٦) زيد من ظ و م ومد (٧-٧) من م ومد،
وفى الأصل : لم يمنعوا من افادة، وفى ظ : لم يمنعوا بما افاده .

من خلق الناس، ثم ذكر بعض^١ ما في المكشوف من الأرض المحيط به الهواء من التفاوت الدال على تفرد الصانع واختياره، وختمه باللون، اتبع ذلك بالمغمور بالماء الذي لا لون له في الحقيقة، إشارة إلى أنه ضمنه - من المنافع والحيوانات^٢ التي لها من المقادير والكيفيات والأشكال هـ و الألوان البديعة التخطيط، الغريبة الصباغ - ما هو أدل من^٣ ذلك فقال: (وهو) أي لا غيره (الذي سخر البحر) أي؛ ذلله وهبأه لعيش ما فيه من الحيوان وتكون الجواهر، وغير ذلك من المنافع، والمراد به السبعة الأبحر الكائنة في الربع^٤ المرتفع عن الماء، وهو المسكون من كرة الأرض المادّة من البحر المحيط الغامر لثلاثة أرباع ١٠ الأرض، فجعله بالتسخير بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به بالركوب و^٥ الغوص وغيرهما (لتأكلوا منه) أي بالاصطياد وغيره من لحوم الأسماك (لحماطرياً) لا نجد^٦ أنعم منه ولا ألين، وهو أرطب للحموم فيسرع إليه الفساد فيادر إلى أكله عذبا لذيذا مع نشبه^٧ في ملح زعاق (وتستخرجوا منه) أي بجهدكم في الغوص وما يتبعه (حلية تلبسونها) (١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الحيوانات (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: على (٤) زيد في ظ: الذي (٥) العبارة من هنا إلى هـ من الانتفاع «ساقطة من ظ (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الربع. (٧-٧) في ظ: الخوض وغيرها (٨) من م و مد، وفي الأصل و ظ: لا تجدوا. (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: نسبة.

٢١٢/

أى نساؤكم، ومن بعضكم لكم، فكان اللابس أتم، وهى من الحجارة
التي لا ترى أصلب منها ولا أصنى 'من اللؤلؤ وكذا' من المرجان وغيره،
مع نسبة هذا الصلب وذاك الطرى إلى الماء، فلو أنه / فاعل بطبعه
لاستويا .

ولما ذكر^٢ المنافع العامة مخاطبا لهم بها، وكان المخر^٣ - وهو أن ه
تجرى^٤ السفينة مستقبلة الريح، قشق الماء، فيسمع لجريها صوت معجب،
وذلك مع الحمل الثقيل - آية عظيمة لا يتأملها^٥ إلا أرباب القلوب
خص بالخطاب أعلى أولى الألباب^٦، ومن قاربه في ابتغاء الصواب، فقال:
(و ترى الفلك) ولما كان النظر إلى تعداد النعم [هنا -^٧] أتم منه
في سورة فاطر^٨، قدم المخر^٩ في قوله: (مواخر فيه) أى جوارى تشق^{١٠}
الماء مع صوت، تركبوها فتستدلوا - بعدم رسوبها فيه مع ميوعه ورقته
وشدة لطافته - على وحدانية الإله وقدرته .

ولما علل التسخير بمنفعة [البحر -^٧] نفسه من الأكل وما تبعه^{١١}،
عطف على ذلك النفع [به -^٨]، فقال تعالى: (ولتبتغوا) أى تطلبوا
(١-١) تكرر ما بين الرقین من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من م ومد، وفى
الأصل و ظ: الخبر (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: يجرى (٥) من م
ومد، وفى الأصل: لا يامها، وفى ظ: لا تيانها .. كذا (٦) من ظ و م ومد،
وفى الأصل: ايتاء (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) راجع آية ١٢ (٩) من م ومد،
وفى الأصل و ظ: البحر (١٠) من ظ و م ومد، وفى الأصل: يتبعه .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ١٤ - ١٦) ج - ١١

طلبا عظيما بركوبه (من فضله) أى الله بالتوصل بها إلى البلدان الشاسعة
للتاجز وغيرها (ولعلمكم تشكرونها) هذه النعم التي أنتم عاجزون عنها
لولا تسخيرها؛ و النحر: شق الماء عن يمين و شمال، وهو أيضا صوت
هبوب الريح إذا اشتد هبوبها، وقد ابتدئ فيه بما يغوص تارة و يطف
٥ أخرى بالاختيار، و ثنى بما طبعه الرسوب، و ثلث بما من طبعه الطفوف .
و لما ذكر الأغوار، الهابطة الضابطة للبحار، أتبعها الانجذاب الشداد،
التي هي كالآوتاد، تذكيرا [بما - ٢] فيها من النعم فقال: (والتقى في الأرض)
أى وضع فيها وضعا، كأنه قد نه فيها [قدفا - ٢]، جبالا (رواسي)
ماسة [ها - ٢] و مزينة لنواحيها . كراهة (ان تميد) أى تميل
١٠ مضطربة يمينا و شمالا، أى يحصل لكم الميد، وهو دوار يعتري راكب
البحر (بكم) فهي ثابتة لأجل ذلك الإلقاء، ثابتة مع اقتضائها
بالكرية التحرك .

و لما ذكر الأوهاد، و أتبعها الآوتاد، تلاها بما تفجره غالبا منها،
عاطفا على "رواسي" لما تضمنه العامل من معنى 'جعل'، فقال: (وانهرا)
١٥ و أدل دليل على ثبات الأرض ما سبقها من ذكر البحار، و لحقها من
الحديث عن الأنهار، فإنها لو تحركت و لو بمقدار شعرة في كل يوم
لأغرقت البحار من^١ إلى جانب الانخفاض، و تعاكست مجارى الأنهار،
(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و م (٣) في ظ : جبلا (٤) من م و م و م،
و في الأصل وظ : وهي (٥) من ظ و م و م و م، و في الأصل : يفجره (٦) زيد
في الأصل : جانب، و لم تكن الزيادة في ظ و م و م فحذفناها .

فادت^١ منافها أشد المضار ، ولو زادت البحار ، بما تصب فيها الأنهار ،
على مر الليل وكر النهار ، لا غرق الأرض ، ولكنه تعالى دبر الامر^٢
بحكمته تديرا تعجز عن الاطلاع على كنهه أفكار الحكماء ، بأن سلط
حرارة الشمس على الأرض في جميع مدة الصيف وبعض غيره من
الفصول . فسرت في أغوارها ، وحيت في أعماقها في الشتاء ، فأستخت ه
مياه البحار وغيرها فتصاعدت^٣ منها بخارات كما يتصاعد من القدر المغلي
بقدر ما [صبت فيها الأنهار ، فامتدت تلك البخارات في الجو مياهها
لما - °] بردت ، فنزل منها المطر ، [فأحيى الأرض بعد موتها ، وتخلل
أعماقها منه ما شاء الله ، فأمد الأنهار ، ولذلك تزيد بزيادة المطر - °]
وتنقص^٤ بنقصه ، وهكذا في كل عام ، فأوجب ذلك^٥ بقاء البحر على حاله من ١٠
غير زيادة ، فسبحان المدبر الحكيم العزيز العليم ! ولما ذكر ذلك^٦ ، أتبعه
ما يتوصل به إلى منافع كل منه فقال تعالى : ﴿ وسبلا ﴾ .
ولما كانت الجبال والبحار والأنهار أدلة على السبل الحسية والمعنوية ،
قال تعالى : ﴿ لعلكم تهتدون ! ﴾ أى يحصل لكم^٧ الاهتداء فتهتدوا إلى
مقاصدكم .

١٥

ولما كانت الأدلة في الأرض غير محصورة فيها ، قال : ﴿ وعلمت ﴾

(١) في ظ : فعادلت - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : عدت (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بخار (هـ) زيد ما بين
الحاجرين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يقط -
كذا (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦: ١٦ و ١٧) ج - ١١

أى من الجبال وغيرها ، جمع علامة وهى 'صورة يعلم بها المعنى من خط ، أو لفظ أو 'إشارة أو هيئة . وقد تكون علامة وضعية ' ، وقد تكون برهانية ' .

ولما كانت الدلالة بالنجم أنفع الدلالات وأعمها وأوضحها 'برا
٢١٣ / ٥ • وبحرا' ليلا ونهارا ، نبه على عظمها / بالاتفات إلى مقام الغيبة لإفهام العموم لئلا يظن أن المخاطب مخصوص ، وأن الأمر لا يعمده ، فقال تعالى : (وبالنجم هم ') أى أهل [الأرض - '] كلهم ، وأولى الناس بذلك أول المخاطبين ، وهم قريش ثم العرب كلها ، 'لفرط معرفتهم بالنجوم' (يهتدون •) وقدم الجارتيها على أن دلالة غيره بالنسبة ١٠ إليه سافلة .

ولما لم يبق ' - بذكر الدلائل على الوحدانية على الوجه الأكمل ، والترتيب الأحسن ، والنظم الأبلغ - شبهة في أن الخالق إنما هو الله ، لما ثبت من وحدانيته ، وتماثل عليه وقدرته ، وكمال حكمته ، 'لجعله تلك' ' (١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : هو (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ 'و' (٣) من م ، وفي الأصل وظ : صيغة ، وفي مد : وضعية (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : برهانه (٥ - ٥) من م ومد ، وفي الأصل وظ : بحرا وبر (٦) بعده في الأصل وظ وم : ويهتدون ، وسيأتي - لخصناها (٧) زيد من ظ وم ومد (٨ - ٨) - قط ما بين الرقمين من م (٩) في ظ وم ومد : لم تبق (١٠ - ١٠) في ظ : لجعله لتلك ، وفي م : لجعله تلك •

الدلائل

(٣٢)

١٢٨

الدلائل نعماً عامة، ومتناً تامة، مع اتضاح العجز في كل ما يدعون فيه الإلهية من دونه، واتضاح أنه سبحانه في جميع صنعه مختار، للفاوثة في الوجود والكيفيات بين ما لا مقتضى للتفاوت فيه غير الاختيار، ثبت بذلك أنه قادر على الإتيان بما يريد، قال مسيباً عن ذلك :
 ﴿ افن يخلق ﴾ [أى - '] يحدد ذلك حيث أراد ومتى أراد ه
 'فلا يمكن' عجزه بوجه لتمكن شركته ﴿ كمن ° ﴾ شركته 'ممكنة'، فهو أصل
 في ذلك بسبب أنه ﴿ لا يخلق ° ﴾ أى لا يقع ذلك منه وقتاً ما من الأصنام
 وغيرها، في العجز عن الإتيان بما يقوله، المستلزم لأن يكون [ممكناً - °]
 مخلوقاً، ولو كان التشبيه 'معكوساً' كما قيل لم يفد ما أفاد هذا التقدير
 من الإبلاغ في ذمهم بانزال الأعلى عن درجته، وعبر بـ "من" لأنهم ١٠
 سموها آلهة، وأنهى أمرها أن تكون عاقلة °، فاذا اتقى عنها وصف
 الإلهية معه لعدم القدرة على شيء اتقى بدونه من باب الأولى ° .
 ولما سبب عن هذه الأدلة إنكار تسويتهم الخالق بغيره في العجز،

(١) في ظ : اتصال (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفي
 الأصل : يجوز (٤-٤) في مد : فلها تمكّن، والعبارة من هنا إلى « بسبب
 أنه » ساقطة من م (٥) تأخر في مد عن « بسبب أنه » (٦) سقط من مد .
 (٧-٧) في ظ : وهو اصل، وفي مد : وهو اصل (٨) العبارة من هنا إلى
 « عن درجته » ساقطة من م (٩-٩) من مد، وفي الأصل : معلوماً ساكتاً
 - كذا . وفي ظ : معلوماً (١٠) في ظ : عاقلاً (١١) من م و مد . وفي الأصل
 و ظ : أولى .

سبب عن هذا الإنكار إنكار تذكركم . حثا [لهم - ١] على التذكر المفيد
لترك الشرك [فقال - ٢] : (افلا تذكرون) بما تشاهدونه من ذلك
ولو من بعض الوجوه - بما أفاده الإدغام - لتذكروا ما يحق اعتقاده .
ولما كانت المقدورات لا تحصر ، وأكثرها نعم على العباد مذكورة لهم
بخالفهم ، قال تعالى عمتنا عليهم ، بإحسانه من غير سبب منهم : (وان تعدوا)
أى كلكم (نعمة الله) أى إتمام الملك الأعظم الذى لا رب غيره ،
عليكم . وإن كان فى واحدة فان شعبها تقوت الحصر (لانتصوها)
أى لاتضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم مع كفرها وإعراضكم جملة عن
شكرها . فلو شكرتم لزدكم من فضله .

١٠ . ولما كانوا مستحقين لسلب النعم بالإعراض عن التذكر ، والعنى
عن التبصر ، أشار إلى سبب إدراكها ، فقال تعالى : (ان الله) أى الذى
له صفات الكمال [بجميع صفات الإكرام والانتقام - ١] (لافور رحيم)
فلذلك هو ، بدر عليكم نعمه وأنتم منهمكون فيما يوجب نقمه .

ولما جرت العادة بأن المكفور إحسانه يبادر إلى قطعه عند عليه
١٥ [بالكفر - ٢] . فكان ربما توهم متوهم أن سبب موازنة الإحسان عدم
العلم بالكفران . أو عدم العلم بكفران لا يدخل تحت المغفرة ، قال

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : وا - كذا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد : شركها (٦) من م ،
وفى الأصل « و » ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « بكفران »
ساقطة من ظ و مد .

مهدداً مبرزاً للضمير بالاسم الأعظم الذى بنيت عليه السورة للفصل بالفرق بين الخالق وغيره^١ ولئلا يتوهم تقييد التهديد بحقيقة المغفرة [إيماء إلى -^٢] أن ذلك نتيجة ما مضى : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بجميع صفات^٣ الإكرام والانتقام ﴿ يعلم ﴾ أى على الإطلاق ﴿ ما تسرون ﴾^٤ أى كله . ولما كان الإسرار ربما^٥ حمل على حالة هـ الخلوثة^٦ ، فلم يكن عليه دالا على الإعلان ، قال تعالى : ﴿ وما تعلمون ﴾ . ليعلم مقدار المضاعفة لموجبات الشكر وقباحة الكفر ، وأما الأصنام / فلا تعلم شيئا فلا أسفه من عبدها .

٢١٤ /

ولما أثبت لنفسه تعالى كمال القدرة وتمام العلم وأنه المنفرد بالخلق ، شرع يقيم^٧ الأدلة على^٨ بعد ما يشركونه [به -^٩] من الإلهية بسلب^{١٠} تلك الصفات فقال تعالى : ﴿ والذين يدعون ﴾ أى دعاء عبادة ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ لا يخلقون شيئا ﴾ ولما كان ربما ادعى مدع فى شيء أنه لا يخلق ولا يخلق ، قال : ﴿ وهم يخلقون ﴾ .

(١) زيد فى مد بعده : بجميع صفات الكمال الإكرام والانتقام إيماء إلى أن ذلك نتيجة ما مضى والله أى الذى له الإحاطة الكاملة - كذا ، وهذه الزيادة أشبه شيء بالتكرار (٢) زيد من ظ وم وم (٣) زيد فى مد : الكمال (٤) سقط ما بين الرقنين من م (٥) من مد ، وفى الأصل وظ وم : بما (٦) من ظ وم وم ، وفى الأصل : الخلو (٧) فى ظ : يعلم (٨) زيد فى ظ : ما (٩) من ظ وم وم ، وفى الأصل : تسبب - كذا (١٠) فى ظ : تدعون - بالخطاب ، وهى قراءة غير يعقوب وعاصم - راجع نثر المرجان ٤٢٥/٣ .

و لما كان من المخلوقات الميت و الحى ، و كان الميت أبعد شيء
 عن صفة الإله ، قال نافيا عنها الحياة - بعد أن نفي القدرة والعلم -
 المستلزم لأن يكون عبدتها! أشرف منها [المستلزم -^٢] لأنهم بخضوعهم
 لها فى غاية السفه : (أموات) و لما كان الوصف قد يطلق على غير
 ٥ المتلبس به مجازاً^٢ عن عدم نفعه بضده و إن كان قائماً به غريقاً فيه قال :
 (غير أحياء ج) مبينا أن المراد بذلك حقيقة سلب الحياة على ضد ما
 عليه الله "الإله الحق" من كونه حياً لا يموت ، ولله اقتصر على
 وصفهم - مع أنهم موات - [بأنهم أموات -^٢] لأن ذلك مع كونه
 كافياً فى المقصود من السياق - و هو إبعادهم عن الإلهية - يكون صالحاً
 ١٠ لكل مخلوق ادعى فيه الإلهية و إن اتصف بالحياة ، لأن حياته زائلة يعقبها
 الموت ، و من كان كذلك كان بعيداً عن صفة الإلهية .

و لما كانوا - مع عليهم بأن الأصنام حجارة لأحياء لها - مخاطبون
 من أجوافها بالسنة الشياطين - كما هو مذكور فى السير و غيرها من
 الكتب المصنفة فى هواتف الجن ، فصاروا يظنون أن لها علماً بهذا
 ١٥ الاعتبار ، و لذلك^٢ [كانوا -^٢] يظنون أنها تضر و تنفع ، احتيج إلى نفي
 العلم عنها ، و لما كانوا يخبرون على ألسنتها^٢ ببعض ما يسرقونه من السمع ،
 (١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : عبداً (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجاز (٤) فى ظ و مد : غريقاً (٥) فى
 ظ : الخلق (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كذلك (٧) من ظ و م
 و مد ، و فى الأصل : الستة .

فيكون كما أخبروا، لم ينف^١ عنها مطلق العلم، بل نفى ما لا علم لأحد غير الله به، لأنهم لا يخبرون عنه بخبر إلا بان كذبه، فقال تعالى 'عَادًا للبعث عَادَةُ الْمُتَّقِ' عليه: (و ما يشعرون^٢) أى فى هذا الحال كما هو مدلول ['ما' - 'أى'] (إيان) (أى أى حين) (يعثون؟) فنفى عنهم مطلق الشعور الذى هو أعم من العلم، فيتقن بنفيه كل ما هو أخص منه.

ولما كانت أدلة البعث قد ثبت قيامها، و اتضحت أعلامها، و علاماتها، و انتشرت أنوارها. ساق الكلام فيها مساق ما لا خلاف إلا فى العلم بوقته مع الاتفاق على أصله، لأنه^٣ من لوازم التكليف، ولما اتضح بذلك كله عجز^٤ شركائهم، أشار إلى [أن - 'أ'] منشا العجز ١٠ قبول التعدد، إرشادا إلى برهان التمانع، فقال على طريق الاستئناف لأنه نتيجة ما مضى قطعا: (الهكم) أى أيها الخلق كلكم^٥. المعبود بحق (اله) أى متصف بالإلهية على الإطلاق بالنسبة إلى كل أحد وكل زمان وكل مكان (واحدج) لا يقبل التعدد - الذى هو مثار النقص - بوجه من الوجوه، لأن التعدد يستلزم إمكان التمانع المستلزم للعجز المستلزم^٦ ١٥

(١) فى ظ: لم ينفه (٢ - ٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: اعاداله للبعث اعاد المت - كذا (٣) فى ظ: هذه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بنفى (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لان (٧) زيد بعده فى الأصل: عن، ولم تكن الزيادة فى غيره فحذفها (٨) زيد من م و مد. (٩) من م، وفى الأصل: لكلكم، وفى ظ و مد: كلهم (١٠) زيد فى مد: للعلم المستلزم.

للبعد عن رتبة الإلهية (فالذين) أى قسب عن هذا أن الذين
 (لا يؤمنون بالآخرة) أى دار الجزاء و محل إظهار الحكم الذى [هو -']
 ثمرة الملك و تعدل الذى هو مدار العظمة (قلوبهم منكرو) أى جاهلة
 بأنه واحد، لما لها من القسوة [لا -'] لاشتباه الأمر - لما تقدم فى
 هـ هود من أن مادة 'نكر' تدور على القوة و هى تستلزم الصلاة فتأتى
 القسوة (وهم) أى و الحال أنهم بسبب إنكار الآخرة (مستكبرون) *
 أى صفتهم الاستكبار عن كل ما لا يوافق أهواءهم و هو طلب الترفع
 بالامتناع من قبول الحق أنفة من / أهله ، فصاروا بذلك إلى حد يخفى
 عليهم معه الشمس [كما -'] قال تعالى "ما كانوا يستطيعون السمع
 ١٠ و ما كانوا يصرون" و ربما دل "مستكبرون" على أن "منكرة"
 بمعنى 'جاحدة' ما [هى -'] به عارفة .

/ ٢١٥

و لما كانوا - لكون الإنسان أكثر شيء جدلا - ربما أنكروا
 الاستكبار ، و ادعوا أنه لو ظهر لهم الحق لآمنوا ، قال على طريق الجواب
 لمن كأنه قال : إنهم لا يأتون استكبارا ما لا يشكون معه فى ' أن هذا
 ١٥ كلام الله : (لا جرم) أى لا ظن فى (ان الله) أى المحيط بكل شيء
 قدرة [و علما -'] (يعلم) علما غيبيا و شهاديا (ما يسرون) أى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م (٣ - ٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : هو يستلزم (٤) سورة ١١ آية ٢٠ (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
 حجرة (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا يشركون (٧) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : و .

يخفون

يخفون^١ مطلقاً أو بالنسبة إلى بعض الناس . ولما كان علم السر لا يستلزم علم الجهر - كما مضى غير مرة ، قال : (وما يعلنون^٢) فهو ما أخبر بذلك^٣ إلا عن أمر قطعى لا يقبل المراء .

ولما كان في ذلك معنى التهديد ، لأن المراد : فليجازينهم^٤ على دق ذلك وجهه من غير أن يغفر منه شيئاً - كما باتى التصريح به في ه قوله " ليحملوا أوزارهم كاملة " علل هذا^٥ المعنى بقوله : (انه) أى العالم بالسر والعلم (لا يجب المستكبرين^٦) أى على الحق ، كأننا ما كان .

ولما كان الطعن في القرآن - بما ثبت من^٧ عجزهم عن معارضته - دليل الاستكبار ، قال تعالى عاطفاً على [قوله -^٨] " قلوبهم منكرة " : ١٠ (وإذا قيل) أى من أى قائل كان [فى أى وقت كان -^٩] ولوتكرر (لهم) أى لمنكرى الآخرة : (ما ذآ) أى^{١٠} أى شيء (أنزل ربكم لا) أى المحسن إليكم المدبر لأموركم (قالوا) مكابرين فى إنزاله^{١١} عادين^{١٢} ذآ^{١٣} " موصولة لامؤكددة " للاستفهام : الذى تعنون^{١٤} أنه منزل ليس منزلاً ، بل هو^{١٥} (أساطير الأولين لا) مع عجزهم بعد تحديدهم عن معارضة ١٥

(١) فى مد : يخفونه (٢) زيد فى الأصل بعده : فى ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفنا (٣) تكرر فى الأصل ققط (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فليجازينهم (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ذلك (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : عن (٧) زيد من م (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) سقط من م . (١٠) العبارة من هنا إلى " للاستفهام " ساقطة من م (١١-١٢) فى ظ : موصولة لا مؤكداً (١٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : يعنون (١٣) سقط من ظ .

سورة منه مع عليهم بأنهم^١ أفصح الناس^٢ أو أنه^٣ لا يكون من أحد من الناس متقدّم أو متأخّر قول^٤ إلا قالوا أبلغ منه .

ولما كان الكتاب هو الصراط المستقيم المنفذ من الهلاك ، وكان قولهم هذا صدا عنه ، فكان - مع كونه ضلالا - إضللا ، ومن المعلوم ه أن من ضل كان عليه^٥ إثم ضلاله ، ومن أضل كان عليه^٦ وزر إضلاله - هذا ما لا يخفى على ذى عقل صحيح ، فلما كان هذا بينا ، وكانوا يدعون أنهم أبصر الناس بالحقائق فكيف بالجليات ، حسن جدا قوله : (ليحملوا) فانهم يعلمون أن هذا لازم لهم قطعا وإن قالوا بأستهم غيره ، أو يقال : إنه قيل ذلك لآته - مع أن الجهل^٧ أولى لهم منه - أخف^٨ أحوالهم لأنهم إما أن يعلموا أنهم فعلوا بهذا الطعن ما ليس لهم أولا ، فعلى الثانى هم أجهل الناس ، وعلى الأول فاما أن يكونوا ظنوا أنهم يؤخذون به أولا ، فعلى الثانى يكون الخلق سدى ، وليس هو من الحكمة فى شيء ، فعتقد^٩ هذا من الجهل بمكان عظيم ، وعلى الأول فهم يشاهدون كثيرا من الظلة لا يجاوزون^{١٠} فى الدنيا ، فيلزمهم فى الحكمة اعتقاد الآخرة ، ليجازى بها^{١١} المحسن والمسيء . وهذا أخف الأحوال المتقدمة ، ولا يخفى ما فى الإقدام

(١) فى ظ : بأنه (٢ - ٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بأنه (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ولما (٥) العبارة من هنا إلى « يؤخذون به » ساقطة من ظ (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : اخفى (٧) من م و مد ، وفى الأصل : فيعتقد ، وفى ظ : فاعتقر (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لا يجاوزون (٩) فى ظ : به .

على مثله من الغباوة المناقضة لادعائهم أنهم أبصر الناس، فقد
آل الامر إلى التهمك بهم لانهم نُسبوا^١ إلى عليم الجهل^٢ خير^٣ منه (اوزارم)^٤
التي باشروها لتكويهم عن الحق تكبرا لا عن شبهة .

^٢ ولما كان الله من فضله يكفر عن أهل الإيمان صغائرهم بالطاعات

وباجتتاب [الكبار-] فكان التكفير مشروطا بالإيمان، وكان هؤلاء قد كفروا ٥

بالتكذيب بالكتاب، قال تعالى : ﴿ كاملة ﴾ لا ينقص منها وزر شيء

بما أسروا ولا بما أعلنوا، لخصاء ولا ذهول^٦ بتكفير ولا غيره^٧ من دون خلل

في وصف من الأوصاف، فهو أبلغ من 'تامة' لأن التمام^٨ قد يكون

في العدة مع خلل في بعض الوصف (يوم القيمة^٩) الذي لاشك / فيه ٢١٦/

ولا يحصى عن إتيانه (و) ليحملوا (من) مثل (اوزار) الجهلة ١٠

الضعفاء (الذين يضلونهم) فيضلون بهم^{١٠} كما بين أولئك الذين ضلوا

(بغير علم) يحملون من أوزارهم من غير أن يباشروها لما لم فيها من

التسبب^{١١} من غير أن ينقص من أوزار الضالين بهم شيء وإن كانوا جهلة،

لأن لهم عقولا هي بحيث تهدي إلى سؤال [أهل -] الذكر، و فطرا

أولى تنفر من الباطل "أول" ما يعرض عليها فضيعوها؛ ثم استأنف التنبيه ١٥

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل : انسبوا (٢) في ظ : خيرا (٣) العبارة من هنا

إلى « بالكتاب قال تعالى » ساقطة من م (٤) من ظ ومد، وفي الأصل : بتقاريرهم.

(٥) زيد من ظ ومد (٦-٦) سقط ما بين الرقين من م (٧) من م ومد، وفي

الأصل و ظ : التام (٨) من ظ ومد، وفي الأصل : به، والعبارة من هنا

- بما فيها هذه الكلمة - إلى « الذين ضلوا » ساقطة من م (٩) من ظ و م ومد،

وفي الأصل : المهم - كذا (١٠) زيد من ظ و م ومد (١١-١١) من ظ و م ومد،

وفي الأصل : الباطن اولى .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦: ٢٥ و ٢٦) ج - ١١

على عظيم ما يحصل لهم من مرتكبهم من الضرر وعيدا لهم فقال تعالى :
(الاساء ما يزرون) فأدخل همزة الإنكار على حرف النفي فصار
إثباتا على أبلغ وجه .

ولما كان المراد من هذا الاستكبار محو الحق وإخفاء أمره من
غير تصريح بالعناد، بل مع إقامة شبه ربما راجت - وإن اشد ضعفها -
على عقول هي أضعف منها، وكان هذا حقيقة المكر^٢ التي هي التغطية
والستر كما بين في الرد عند قوله تعالى "بل زين للذين كفروا مكرهم"
شرع يهدد الماكرين ويحذرهم وقوع ما وقع بمن كانوا أكثر منهم
عددا وأقوى يدا، ويرجى المؤمنين [في - °] نصرهم عليهم، بما له
١٠ من عظيم القوة وشديد السطوة، فقال تعالى : (قد مكر الذين) ولما
كان المقصود بالإخبار ناسا مخصوصين لم يستغرقوا زمان القبل، أدخل
[الجار - ٦] فقال تعالى : (من قبلهم) بمن رأوا آثارهم ودخلوا
ديارهم (فأن الله) أي بما [له - ٦] من مجامع العظمة (بنيانهم)
أي إتيان بآبئ و انتقام (من القواعد) التي^٢ بنوا عليها مكرهم (نخر)
١٥ أي سقط مع صوت عظيم لهدته^٤ (عليهم السقف) .
ولما كانت العرب تقول : خر علينا سقف و وقع علينا حائط -

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل : نحو (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل :
الكفر (٣) آية ٣٣ (٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل : المؤمنون (٥) زيد
من م ومد (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) في ظ : أي (٨) من ظ و م ومد،
وفي الأصل : لهويه .

إذا كان يملكه^١ وإن لم يكن وقع عليه - كما نقله أبو حيان عن ابن الأعرابي^٢، قال تعالى صرفاً عن هذا إلى حقيقة السقوط المقيد بالجار: (من فوقهم) وكانوا تحته فهلكوا كما هو شأن البنيان إذا زالت قواعده .

ولما كان المكر هو الضر في خفية ، لأنه القتل بالحيلة إلى جهة منكرة ، بين أن ما حصل لهم من العذاب هو من باب ما فعلوا بقوله : هـ (واتهم العذاب) أى الذى اتفقت كلمة الرسل على الوعيد به لمن أبى (من حيث لا يشعرون هـ) لأن السبب الذى^٣ أعدوه لنصرهم^٤ كان بعينه سبب قهرهم ، وهذا على سبيل التمثيل ، وقيل : إنه [على -] الحقيقة فيما بناه نمرود^٥ من الصرح .

١٠. ذكر قصته من التوراة :

قال^٦ في السفر الاول^٧ منها في تعداد أولاد نوح^٨ عليه السلام : وكوش^٩ - يعنى ابن حام بن نوح - ولد^{١٠} نمرود ، وكان أول جبار في الأرض ، وهو كان مخوفاً ذا صيد بين يدي الرب ، ولذلك^{١١} يقال^{١٢} :

(١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : مملكه (٢) راجع البحر ٤/ ٨٥ (٣-٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : أوعدوه ليضرمهم (٤) زيد من ظ وم ومد . (٥) في ظ : ثمود (٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : في (٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : كما (٨) راجع الأصحاح العاشر (٩) أي أولاد نوح حسبما يتضح من نص التوراة (١٠) في ظ وم : كوش (١١) من ظ وم ومد و التوراة ، وفي الأصل : والد (١٢) العبارة من هنا إلى « مثل نمرود » ساقطة من ظ (١٣) من م ومد و التوراة ، وفي الأصل : كذلك (١٤) تكرر في الأصل فقط .

هذا مثل نمرود الجبار القناص ، فكان مبدأ ملكه بابل^١ والكوش^٢
والاهواز والكوفة التي بأرض شنعار^٣ ، ومن تلك الأرض خرج
الموصل^٤ فابتنى نينوى ورحبوت القرية - وفي نسخة : قرية الرجة^٥ -
والإيلة والمدائن ؛ ثم قال بعد أن عد أحفاد نوح عليه السلام
وهمالكهم : هؤلاء قبائل بنى نوح وأولادهم وخلفهم وشعوبهم ، ومن
هؤلاء تفرقت الشعوب في الأرض بعد الطوفان ، وإن أهل الأرض
كلهم كانت لغتهم واحدة ، ومنطقهم واحدا^٦ ، فلما ظفروا في المشرق انتهوا
إلى قاع في أرض شنعار^٣ - وفي نسخة : العراق - فسكنوه ، فقال كل امرئ
منهم لصاحبه : هلم بنا نلبن اللبن ونحرقه بالنار ، فيصير اللبن مثل الحجارة
٢١٧ / ١٠ و يصير الجص^٧ بدل / الطين لللاط^٨ ، ثم قال : هلبوا ! بنى لنا قرية
تتخذها ، وصرحا مشيدا لاحقا بالسما . ونخلف لنا شيئا نذكر به ، لعلنا
ألا تفرق على الأرض كلها ، فنظر الرب القرية والصرح الذى بينه
الناس . فقال الرب^٩ : إني أرى هذا الشعب رأبهم واحد^{١٠} ولغتهم واحدة

(١) من م ومد و التوراة ، وفي الأصل وظ : كابل (٢) في ظ وم ومد :
الكوس (٣) من التوراة ، وفي النسخ كلها : شنعار (٤) في ظ : الموصل ، وفي
التوراة : أشور (٥ - ٥) من م ومد ، وفي الأصل : حبة انقرية ، وفي ظ :
قرية الرجة (٦) من ظ وم ومد : وفي الأصل : اجناد (٧) ومن هنا يبتدئ
الاصحاح الحادى عشر (٨) من ظ وم ومد و التوراة ، وفي الأصل : واحد .
(٩) في م : نصير (١٠) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : اللبن ، وفي التوراة :
الجر (١١) أى للطلاء ، والكلمة ليست في التوراة (١٢) سقط من ظ (١٣) في
م ومد : واحدا .

وقد هموا أن يصنعوا هذا الصنيع^١ فهم الآن غير مقصرين فيما هموا أن
يفعلوه ، فلاورد أمرا أشئت به^٢ لغتهم حتى لايفهم المرء [منهم -^٣]
لغة صاحبه ، ثم فرقهم الرب [من -^٤] هنالك^٥ على وجه الأرض كلها ،
ولم يبنوا القرية التي هموا يبنونها ، ولذلك^٦ سميت بابل [لأن -^٧] هنالك
فرق الرب لغة أهل الأرض كلها - انتهى . قال لي بعض علماء اليهود : ه
إن بابل معرب بوبال ، ومعنى بوبال^٨ بالعبراني الشتات - هذا ما في
التوراة ، و أما المفسرون فانهم ذكروا أن الصرح بنى على هيئة طويلة
[في الطول -^٩] والإحكام ، وأن الله تعالى هدمه ، فكانت له رجة تفرقت
لعظم هولها لغة أهل الأرض إلى أنحاء كثيرة لا يحصوها إلا خالقها -
فالله أعلم .

١٠.

ولما بين سبحانه وتعالى حال المكرة المتمردين عليه في الدنيا ، أخذ
يذكر حالهم في " الآخرة " تقريراً للآخرة " و يائنا لأن " عذابهم [غير -^١]
مقصور على الدنيوى ، فقال تعالى : (ثم يوم القيمة ينجزيهم) أى الله
تعالى الذى فعل بهم في الدنيا ما تقدم ، [خزياً -^٩] يشهده جميع الخلائق

(١) في ظ : الصنيع (٢) في ظ و مد : بهم (٣) زيد من ظ و م و مد ، و سياق
التوراة مختلف بعض الشيء عما هنا (٤) زيد من م و مد و التوراة (هـ) في
ظ و التوراة : هناك (٦) من ظ و م و مد و التوراة ، وفي الأصل : كذلك .
(٧) زيد من ظ و م و مد و التوراة (٨) في مد : بوبابل (٩) زيد من ظ
و م و مد (١٠) زيد بعده في مد : الدنيا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقيين
من ظ (١٢) في م : أن .

الوقوف في ذلك اليوم، فيحصل [لهم -] من الذل - جزاء على تكبرهم -
 ما يحل^٢ عن الوصف، وعطفه بـ "ثم" لاستبعادهم له^٢ ولما له من
 الهول والعظمة التي يستصغر لها كل هول^٣ (ويقول) أى لهم في ذلك
 الجمع^٤ تبيكتا وتويخا: (ابن شركاءى) على ما كنتم ترعمون، وأضاف
 ٥ سبحانه إلى نفسه المقدس^٥ لأنه أقطع^٦ في تويخهم وأدل على تنامي
 الغضب (الذين كنتم) أى كونا لا تفكون عنه^٧ (تشاقون فيهم^٨)
 أوليائى، فتكونون^٩ بمخالفتهم في شق غير شقهم، فتخضعون لما لا ينبغي
 [المخضوع -^١] له، [وتتكبرون على من^١ لا ينبغي -^١] الإعراض عنه،
 ما لهم لا يحضرونكم ويدفعون^{١٠} عنكم في هذا اليوم؟ وقرئ بكسر
 ١٠ النون "لأن مشاققة المأمور^{١٢} مشاققة الأمر .

ولما كان المقام للجلال والعظمة المستلزم لزيادة الهيبة التي يلزم

- (١) زيد من ظ وم ومد (٢) من م ، وفي الأصل وظ ومد: ينحل - كذا .
 (٣) زيد بعده في الأصل: رتبته وعظمته، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد
 لحذفها (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل: هو (٥) في ظ: المجمع .
 (٦ - ٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل: لانهم اعظم (٧) سقط من ظ .
 (٨) في ظ: فيكون ، وفي الأصل ومد: فيكونون ، وفي م: فتكونون (٩) في
 مد: ما (١٠) من ظ وم ومد ، وفي الأصل: لا يدفعون (١١) في ثر المرجان
 ٣/٤٣٠: قرأه نافع بكسر النون مخففة بمعنى تشاقوني، حذف ياء الإضافة اجتزاء
 بكسر نون الوقاية وحذفت نون الرفع للتخفيف (١٢) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل: الامور .

عنها غالباً خرس الخزي^١ عن جوابه لو كان له جواب ، وكان من أجل
 المقاصد في تعذيبهم العدل^٢ بتفريج الاولياء وإشباتهم بهم^٣ ، جزاء لما
 كانوا يعملون بهم في الدنيا ، وكانت الثمالة أعلى محبوب للثامت وأعظم
 مرهوب للشموت فيه ، وأعظم مسل^٤ للظلم ، دل على سكوتهم رغبا^٥
 عن المبادرة بالجواب بتأخير الخبر عنه وتقديم الخبر عن ثمالة أعدائهم^٥
 فيهم^٦ في سياق الجواب^٦ عن سؤال من قال : هل علم بذلك المؤمنون ؟
 فقيل^٧ : (قال الذين) وما كان العلم شرفا للعالم مطلقا ، بنى للفعول
 قوله : (اتوا العلم) أى اتفَعُوا به في سلوك سبيل النجاة من الانبياء
 عليهم السلام ومن أطاعهم من أممهم ، إشارة إلى أن الهالك يصح سلب
 العلم عنه وإن كان أعلم الناس ، وعدل عن أن يقول : أعداؤهم^{١٠}
 أو^٨ المؤمنون ونحوه^٩ ، إجلالا لهم بوصفهم بالعلم الذى هو أشرف الصفات
 لكونه^{١٠} منشأ كل فضيلة ، وتعريضا بأن الحامل للكفار^{١١} على الاستكبار
 الجهل الذى هو سبب كل رذيلة (ان الخزي) أى^{١٢} البلاء المذل
 (اليوم) أى يوم الفصل الذى يكون للفائز فيه العاقبة المأمونة (والسوء)
 أى كل ما يسوء (على الكافرين^{١٣}) أى العريقين^{١٣} في الكفر الذين^{١٥}

(١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : الخزي (٢) زيد في مد : العلم (٣) سقط
 من مد (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : مسد (هـ-هـ) من ظ وم ومد ،
 وفي الأصل : شكوتهم دعيا (٦) في ظ وم ومد : لجواب (٧) في ظ : فقال .
 (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : «و» (٩) من ظ وم ومد ، وفي الأصل
 نحوهم (١٠) في ظ : لانه (١١) العبارة من «أشرف الصفات» إلى هنا تكررت
 في مد بعد «الجهل الذى هو» (١٢) سقط من ظ (١٣) في ظ وم : العريقين .

تكبروا في غير / موضع التكبر، لا على غيرهم؛ ثم رغبهم^١ في التوبة بقوله: (الذين تتوقعهم) بالفوقية^٢ في قراءة الجمهور لأن الجمع مؤنث، وبالتحتية في قراءة حمزة لأن المجموع^٣ غير مؤنث، و^٤ كان وفاتهم على وجهين: وجه خفيف - بما [أشار -^٥] إليه التأنيث لحقة^٦ كفر صاحبه، وآخر^٧ قليل شديد^٨ لشدة كفر صاحبه، ولم يحذف^٩ شيء من التائين للإشارة إلى قصان حالهم لأنه لا يمكن خيرا لموتهم على الكفر بخلاف ما تقدم في تارك الهجرة^{١٠} في النساء^{١١} (الملئكة) أي المؤكلون بالموت^{١٢}، حال كونهم (ظالمين أنفسهم) بوضعها^{١٣} من الاستكبار على الملك الجبار غير موضعها.

١٠. فلما تم ذلك على هذا الوجه البديع، والأسلوب الرفيع المتبع، ابتدأ الخبر عن جوابهم على وجه معلم^{١٤} بحالهم فقال: (فالقوا) أي من أنفسهم عقب قول الأولياء وبسبب^{١٥} سؤال ذي الكبرياء (السلام) [أي -^{١٦}] المقادة والخضوع بدل ذلك التكبر والعلو قائلين

(١) في ظ: رغبوا (٢) في ظ و م ومد: بالفوقانية (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: المجموع (٤) العبارة من هنا إلى «في النساء» ساقطة من م (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد، وفي الأصل و ظ: تحته (٧-٧) من ظ و مد، وفي الأصل: شديد قليل (٨) من مد، وفي الأصل و ظ: لم تحدث (٩) في ظ: الهجرة (١٠) آية ١٠ (١١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: فالموت (١٢) في مد: بوصفها (١٣) من م ومد، وفي الأصل و ظ: معلوم (١٤) من م ومد، وفي الأصل: لسبب، وفي ظ: تسبب (١٥) زيد من ظ و م ومد.

ارتكاباً للكذب من غير احتشام: ﴿ ما كنا نعمل ﴾ و أعرقوا في النقي
 فقالوا: ﴿ من سوء^١ ﴾ فكأنه قيل: إن هذا [لهتان عظيم في ذلك اليوم
 ١ الجليل، فاذا^١ قيل لهم؟ قـ: ﴿ بلـ ﴾ اقد علمتم^٢ أعظم السوء -^٣]؛
 ثم علل تكذيبهم بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بكل شئ. ﴿ عليم ﴾ أى
 بالغ العلم من كل وجه ﴿ بما كنتم ﴾ [أى -^٤] جلبة وطبعا ﴿ تعملونه ﴾ ٥
 [أى -^٤] من الضلال^٥ و الإضلال، فلا يسعكم الإنكار، أفأ^٦ آن لكم
 أن تنزعوا عن الجهل فيما يضركم و لا ينفعكم و يخفضكم و لا يرفعكم ١
 و لما كان هذا الفعل مع هذا العلم سبباً لدخول جهنم من غير أن
 يقام لهم وزن، لأنه لا وزن لما ضيع أساسه، قال معقبا مسيبا: ﴿ فادخلوا ﴾
 أى أيها الكفرة ﴿ ابواب جهنم ﴾ أى أبواب طبقاتها و دركاتها ١٠
 ﴿ تخليدين ﴾ أى مقدرين الخلد ﴿ فيها^٧ ﴾ أى فى جهنم التى دأبها تجهم
 من دخلها .

و لما كان هذا المقام للشاقفة . و كان أمرها زائد القباحة . كان هذا
 الدخول أقبح دخول ، و كان سبباً لأن يقال: ﴿ فلبس ﴾ بالاداء^٨
 الجامعة لمجامع الذم ﴿ مثوى المتكبرين^٩ ﴾ على وجه التأكيد و بيان ١٥
 الوصف الذى استحقوا به ذلك . لتقدم^{١٠} كذبيهم فى قولهم^{١١} " ما كنا

(١-١) فى ظ : الجليل فا (٢) فى ظ : علمتم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد
 من مد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل الخلل (٦) من م و مد ، وفى
 الأصل و ظ : فا (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : دركاتها و طبقاتها .
 (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : باداء (٩) فى ظ : تقدم ، و العبارة من
 هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « اليوم كذب » ساقطة من م (١٠) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : قوله .

نعمل من سوء^١، تعريضا بأنهم جديرون - لغاية ما لهم من البلادة - أن
 يستحسنوا النار كما كذبوا مع العلم التام بأنه لا يروج في ذلك اليوم كذب
 ولما تم الخبر عن المنكر لما^٢ أنزل الله على ألسنة الملائكة من
 الروح من أمره على الأنبياء^٣ عليهم السلام، إنكارا لفضلهم وتكبيرا
 بما ليس لهم، بالاعتراض على خالقهم، ابتداء الخبر عن المقرين تصديقا
 لهداتهم واعترافا بفضلهم وتسليما لمن هم عبيده في تفضيل من يشاء، منها
 على الوصف الذي أوجب لهم الاعتراف بالحق، فقال حاذقا له إذا،
 دلالة على الرضى بأيسر^٤ شيء من الخير والمدح عليه ولو لم يتكرر :
 ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ [أى خافوا عقاب الله ﴿ما ذأ﴾^٥ أى أى
 ١٠ شيء^٦ ﴿انزل ربكم﴾^٧ أى المحسن إليكم من روحه المحيى للأرواح، على
 رسوله ﴿قالوا﴾^٨ - [معترفين بالإنزال، غير متوقفين فى المقال، فاهمين^٩
 أن 'ذا' مؤكدة للاستفهام لا بمعنى 'الذى' : أنزل ﴿خيرا﴾^{١٠} وإنما
 أطبق^{١١} القراء على نصب هذا ورفع الأول^{١٢} فرقا بين جوابي^{١٣} المقر
 والجاحد بمطابقة المقر بين الجواب والسؤال، وعدول الجاحد بجوابه

(١) من مد، وفى الأصل و ظ و م : بما (٢) فى ظ : الملائكة (٣) من ظ
 و م و مد، وفى الأصل : بآيسر (٤) فى ظ : قل (٥-هـ) ليس فى م و مد .
 (٦) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و م و مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل :
 قائمين . والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « أنزل » ساقطة من م .
 (٨) زيد فى الأصل : بمجتهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٩) فى
 ظ : انطبق (١٠) راجع آية ٢٤ (١١) من ظ و م و مد، وفى الأصل :
 مران - كذا .

عن السؤال ؛ ثم أخذ يرغب بما لهم^١ من حسن المال على وجه الجواب لسؤال من^٢ كأنه قال : ما لهم على ذلك ؟ قليل مظهرها موضع الإضمار مدحا لهم وتعميما لمن اتصف بوصفهم : (للذين احسنوا) فين أن اعترافهم بذلك إحسان ؛ [ثم أخبر عنه بقوله - ٢] : (في هذه الدنيا حسنة^٣) أي جزاء لهم على إحسانهم^٤ " هل جزاء الإحسان إلا الإحسان " .

ولما كانت هذه الدار سريعة الزوال ، أخبر عن حالهم في الآخرة فقال : (ولدار الآخرة خير^٥) أي جزاء ومصيرا ؛ ثم مدحها / ومدحهم بقوله تعالى : (ولنعم دار المتقين^٦) أي هي ، مرغبا في الوصف الذي كان سبب^٧ حيازتهم لها ، وهو الخوف المنافي لما^٨ وصف به^٩ ١٠ .
الاشرار من الاستكبار ، باظهاره موضع الإضمار وحذف المخصوص بالمدح لتقدم ما يدل عليه . وهو صالح لتقدير الدنيا - أي لمن عمل فيها بالتقوى - ولتقدير الآخرة ، وهو واضح .

ولما كان هذا المدح مشوقا^{١١} لتفصيل ذلك قيل : (جنت عدن) أي إقامة لا ظن فيها (يدخلونها) حال كونها (تجري من تحتها) ١٥
أي من تحت غرفها (الأنهر) ثم أجيب من كأنه سأل عما فيها من (١) زيد في الأصل و ظ : بمن لهم ، ولم تكن الزيادة في م ومد لحذفها .
(٢) زيد في ظ : سوال (٣) زينة من م (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : احسانه (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بسبب (٦ - ٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : به وصف (٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : مشرقا .

الثمار وغيرها بقوله تعالى : ﴿لهم فيها﴾^١ أى خاصة . لا فى شيء^٢
 سواها من غير أن يجلب إليهم من غيرها ﴿ما يشآءون﴾^٣ ثم زاد فى
 الترغيب [بقوله -^٤] : ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم ﴿يجزى الله﴾
 أى الذى له الكمال كله ﴿المتقين﴾^٥ أى الراغبين فى صفة التقوى ،
 ثم حث على ملازمة التقوى بالتنبيه على أن العبرة بحال الموت ، فقال
 تعالى : ﴿الذين توقعهم﴾ أى تقبض أرواحهم وافية^٦ من نقص شيء
 من الروح أو^٧ المعانى - بما أشار إليه إثبات^٨ التائين^٩ والإظهار
 ﴿الملائكة طيبين﴾^{١٠} أى طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر متحلين
 بحيلة الإيمان ، فكأنه قيل : ما ذا تقول لهم الملائكة ؟ قيل : ﴿يقولون﴾
 ١٠. أى مكررين^{١١} للتأكيد تسكيناً لما جبلوا عليه من تعظيم جلال الله بالتقوى
 ﴿سلم عليكم﴾^{١٢} ويقال لهم لتحقيق^{١٣} فوزهم : ﴿ادخلوا الجنة﴾^{١٤} أى
 دار التفكه التى لا مثل [لها -^{١٥}] ﴿بما كنتم﴾^{١٦} أى جلة وطبعا
 ﴿تعملون﴾^{١٧} ترغيباً لهم فى الأعمال التى لا يستطيعونها إلا برحمة الله
 [لهم -^{١٨}] بتوفيقهم لها .

(١) العبارة من هنا إلى «من غيرها» ساقطة من م (٢) سقط من ظ (٣) زيد
 من ظ و م ومد (٤) العبارة من هنا إلى «والإظهار» ساقطة من م (٥) فى
 مد «و» (٦) من مد، وفى الأصل : اسباب ، والكلمة ساقطة من ظ (٧) فى
 الأصل وظ : الناس ، وفى مد : الالباس (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل :
 بالكسر (٩) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : مكرين (١٠) من ظ و م ، وفى
 الأصل : لتحقيق ، وهذه الكلمة وما يلها ساقطة من م .

ولما أخبر تعالى عن أحوال الكفار السائلين في نزول الملائكة بعد أن وهى شبههم ، وأخبر عن توفى الملائكة لهم ولاضدادهم المؤمنين ، مشيراً بذلك إلى [أن - ١] سنته جرت بأنهم لا ينزلون إلا لإنزال الروح من أمره على من يختصه لذلك أو لآمر [فيصل - ١] لا مهلة فيه ، قال منكراً عليهم : { هل ينظرون } أى هؤلاء الكفار في تقاعسهم عن تصديق الرسل في الإخبار بما أنزل ربهم ، و مجرد الفعل إشارة إلى قرب ما ينتظرونه { بل الآن تأتيهم } أى بأمر الله { الملائكة } وهم لا يأتونهم إلا بمثل ما أتوا به من قبلهم من قصصنا وأمرهم من الظالمين إن لم يتوبوا { أو يأتى أمر ربك } أى المحسن إليك المدير لأمرك بأمر يفصل النزاع من غير واسطة ملك أو غيره . ١٠

ولما كان هذا أمراً مفزعاً ، كان موجبات لمن له فهم أن يقول : هل فعل [هذا - ١] أحد غير هؤلاء ؟ فقيل : نعم ١٢ { كذلك } أى مثل هذا الفعل البعيد لبشاعته عن مناهج العقلاء ، مكرراً في تدوير الأذى ،

(١) ريد من ظ و م ومد (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ : سنة (٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : يحتله (٤) في ظ : منكر (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ينتظرونه (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : بهم (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : من (٩) من م ومد ، وفي الأصل : لم يكونوا ، وفي ظ : لم يقولوا - كذا (١٠) في ظ : واجبا (١١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : أو (١٢) في ظ : احدا (١٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : لهم .

واعتقاداً وقولاً ﴿ فعل الذين ﴾ ولما كان الفاعلون مثل أفعالهم في
 التكذيب لم يستغرقوا الزمان، أدخل الجار فقال تعالى : ﴿ من قبلهم وما ﴾
 أى والحال أنه ما ﴿ ظلمهم الله ﴾ أى الذى له الكمال كله فى تقديره
 ذلك عليهم ، لأنه المالك المطلق التصرف [و - '] الملك الذى
 ه لا يستل عما يفعل ﴿ ولكن كانوا ﴾ أى جبلة وطبعاً ﴿ انفسهم ﴾
 أى خاصة ﴿ يظلمون ه ﴾ فاستحقوا العقاب لقيام الحجة عليهم على السنن
 الذى^٢ جرت به عوائدكم فيمن باشر سوء من غير أن يكره عليه إكراهها
 ظاهراً ، وهذا بعينه هو : ائمة فى إرسال الرسل ، ونصب^٣ الشرائع والملل
 ﴿ فاصابهم ﴾ أى تسبب عن ظلمهم لأنفسهم أن أصابهم ﴿ سيئات ﴾
 ١٠ أى عقوبات أو جزاء سيئات ﴿ ما عملوا وحق ﴾ أى أحاط إحاطة ضابطة
 ﴿ بهم ﴾ من العذاب والمرسل به من الملائكة ﴿ ما كانوا به ﴾
 أى خاصة / ﴿ يستهزمون ه ﴾ تكبرا عن قبول الحق .

/ ٢٢

و مادة 'حق' . اوية وبائية - بتركيها الست : حق ، حق^١ ،
 قح^٢ ، قوح^٣ ، وقح^٤ ، حيق - تدور على الإحاطة ، ويلزمها صلابة المحيط
 ١٥ ولين المحاط^٥ به : 'حق به' الشيء - إذا نزل به فأحاط ، والحيق :

(١) زيد من م ومد (٢) زيد بعده فى الأصل وظ : له . ولم تكن الزيادة
 فى م ومد لخفتها (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : التى (٤) من ظ وم
 ومد ، وفى الأصل : هى (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : نطلب .
 (٦) زيد فى م : ثم (٧ - ٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : وقح قوح .
 (٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الحائط (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين
 من ظ .

ما يشتمل^١ على الإنسان من مكروه فعله، وحق فيه^٢ السيف: حاك،
أى عمل - من التسمية باسم الجزء، ولأنه في الأغلب يكون في عمله
الموت المحيط بالأجل، وحق بهم^٣ الأمر: لزمهم ووجب عليهم
ونزل بهم، والحقيقة: شجرة كالشيخ يؤكل بها التمر^٤ - كأنه يحيط بالتمر،
وحاقه: حسده وأبغضه - لإحاطة ذلك .

و الحقوق - بالضم: ما أحاط بالكمر من حروفها، وبالضم والفتح
[معا - °]: استدارة في الذكر، و الحقوق - بالفتح فقط: الإحاطة،
والأحقق والمحقق - كمعظم: الكمر - كأنها محتصة بذلك لكبرها، ومنه
فيشلة حوقاء: عظيمة^٥ - كأنها لعظمها هي التي ظهر حرفها^٦ دون غيرها،
وأرض محوقة - بضم الحاء: قليلة التبت لقلة المطر - كأنه تشبه بالكمر .
في ملاستها، وترك^٧ النخلة حوقاء - إذا أشعل^٨ في الكرائيف -
لاستدارة النار بها أو لشبهها بعد حريق السعف بالذكر أو رأسه، والحوقة -
بالفتح: الجماعة المنخرقة - لأن الجماعة لها قوة الاستدارة، والمنخرق
إن كان من الكذب فمن لازمه العوج، وإن كان من المخراق - وهو
المنديل الذي يلف للعب به^٩ - فاللعب به على هيئة الاستدارة، وحق^{١٠}

(١) من ظ و م ومد والقاموس، وفي الأصل: يشمل (٢) في ظ: به .
(٣) زيد بعده في الأصل: أى، ولم تكن التريادة في ظ و م ومد والقاموس
لخذفها (٤) في ظ و مد: التمر (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) من ظ و م ومد
والقاموس، وفي الأصل: عظيمة - كذا (٧) في ظ و مد: حرقها (٨) من
القاموس، وفي الأصول: ترك (٩) من ظ و م ومد والقاموس، وفي
الأصل: اشكل (١٠) سقط من ظ (١١) في مد: حق .

عليه تحويقا : عوج عليه الكلام ، والحق - بالفتح أيضا : الكفس
والذلك والتليس^١ لأن كلا منها ترد^٢ فيه اليد إلى قريب من مكانها
فيشبه الإحاطة ولو بالتعويج .

والحقو : الكشح ، وهو ما بين عظم [رأس -^٣] الورك إلى
الضلع^٤ الخلف لأنه موضع [إحاطة الإزار، والإزار نفسه حقو لأنه آله
أو الحقو معقد الإزار، والحقو : موضع -^٥] غليظ مرتفع عن السيل -
من الصلابة والاستدارة لأن السيل يحيط به أويكاد ، ومن السهم :
موضع الريش - لأنه يشبه الحقو^٦ في استدارته^٧ غلظ بعض ودقة بعض ،
وفي إحاطة الريش به ، ومن الثنية^٨ : جانبها - من الإحاطة أو مطلق
١٠ العوج ، والحقوة : وجع^٩ في البطن من أكل اللحم - للحقو^{١٠}
وجمه الحقو .

والأقحوان : نبت يستدير به زهره ، وأقاحى الأمر : تباشيره -
لأنها تحيط به غالبا ، وقحا المال : أخذه - لما يلزمه [من -^{١١}]
الإحاطة ، والمقحاة : المجرة - لأنها تحيط بالمجروف .

١٥ ومن اللين : قاح^{١٢} الجرح يقوح : صارت فيه مدة خالصة لا يخالطها

(١) في ظ : التليس (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يرد (٣) زيد من
ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الصفح (٥) في ظ : الحكمة .
(٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : في (٧) من م والقاموس ، وفي
الأصل وظ و مد : الثنية (٨) في ظ : وقع (٩) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : للحقو (١٠) من م و مد والقاموس ، وفي الأصل وظ : قاح .

دم كفاح يقيح - واوية^١ وياثية^٢ ، ولما يلزمه من الاستدارة غالبا ،
وقوح^٣ الجرح : اتبر^٤ - إما من الموضع الغليظ المرتفع عن السيل ، وإما
من استدارته ، وقاح البيت : كفسه كفوحه ، والقاحة : الساحة^٥ - لاستدارتها
غالبا ، وأقح : صمم على المنع بعد السؤال - إما من الإزالة - أى^٦ أزال
اللين - وإما من الصلابة .

ومن الصلابة : الوقاح - للحافر الصلب ، وهو من الاستدارة
أيضا ، ورجل وقاح الوجه^٧ : قليل الحياء - منه ، والموقح - كعظم :
المجرب ، وتوقيح^٨ الحوض : لإصلاحه^٩ بالمدر والصفائح - للاستدارة
والصلابة .

ولما تم ما هو عجب من مقالهم ومآلهم ، في سوء أحوالهم ، ١٠
وختم بتهديدهم ، عطف على قوله " واذا قيل [لهم -^{١٠}] ما ذا انزل ربكم "
موجبا آخر للتهديد ، معجبا من حالهم فيه ، فقال : (وقال الذين اشرکوا)
أى الراسخ منهم في هذا الوصف والتابع له ، على سبيل الاعتراض
على من يدعوهم إلى التوحيد من نبى وغيره ، محتجين بالقدر غنادا منهم .
ومعترضين على من لا يسأل عما يفعل بأنه - لقدرته على كل شيء - ١٥

(١-١) سقط ما بين الرئتين من ظ (٢) وفي اللسان : تقوح (٣) من ظ و م
ومد و اللسان ، وفي الأصل : استبر - كذا (٤) من ظ و م ومد والقاموس ،
وفي الأصل : الساعة (٥) في مد : التى (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :
الصلب (٧) من ظ و م ومد والقاموس ، وفي الأصل : توقع (٨) من
القاموس ، وفي النسخ : اخلاصه (٩) زيد من ظ و م ومد والقرآن الكريم .

غير / محتاج [إلى بعث - ^١] الرسل ، فإرسالهم عبث - تعالى الله الحكيم
عن قولهم ، فهو قول من يطلب ^٢ العلة في أحكامه تعالى وفي أفعاله ،
وهو قول باطل ، لأنه سبحانه الفعال لما يريد سواء أطلع العباد على
حكيمته أم لا : ﴿ لو شاء الله ﴾ أي الملك الأعظم المحيط بكل شيء قدرة
هـ وعلما ، عدم عبادتنا لغيره ﴿ ما عبدنا ﴾ .

ولما كانت الرتب كلها متقاصرة عن رتبته وكانت متفاوتة ،
وكان ما يعبدونه من الأصنام في أدناها رتبة ، ^٣ أدخلوا الجار فقالوا :
﴿ من دونه ﴾ وأغرقوا في النفي فقالوا : ﴿ من شيء ﴾ [أي من
الاشياء ﴿ نحن ولا آباؤنا ﴾ من قبلنا] ولما ذكروا الأصل أتبعوه
١٠ الفرع فقالوا : ﴿ ولا حرمانا ﴾ أي على أنفسنا ﴿ من دونه ﴾ أي دون
أمره ﴿ من شيء ﴾ - ^١] لأن ما شاء لا يتخلف على زعمكم ، لكنه
لم يشأ العدم ، فقد شاء وجودا ما نحن عليه ، فنحن تتبع ما شاءه لا تتغير
عنه ، لأنه ^٢ لا يشاء إلا ما هو حق ، وضل [عن - ^١] الاشقياء
- بكلمتهم هذه الحق التي أرادوا بها الباطل - أن مدار السعادة والشقاوة
١٥ إنما هو موافقة الأمر لا موافقة الإرادة ، فما كان من الفعل والكف
على وفق الأمر سعد فاعله ، وما خالفه قامت به الحجة على فاعله على

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) في ظ : طلب (٣-٢) في ظ : أدخلوها في فقال
- كذا (٤) ليس في ظ (٥) في ظ : عن (٦) من م ومد . وفي الأصل
و ظ : وحودا (٧) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : لا يتغير .

ما جرت به^١ عوائد الناس فتشقى .

فلما انتهك^٢ ستر هذه المقالة الموهمة^٣، وكان كأنه قيل استبعادا لها : هل قالها غيرهم ؟ فقيل : نعم ! (كذلك) أى مثل هذا الفعل البعيد من السداد، والقول الخارج عن الهداية والرشاد، وهو الاعتراض على ربههم فى إرسال الرسل، مانعين^٤ لجواز الإرسال بهذه الشبهة ه الضعيفة، فانه تعالى يريد إظهار ثمرة الملك بالحكم [على - °] ما يتعارفه العباد من إقامة الحجة بالأفعال الاختيارية وإن كانت بقضائه، لأن ذلك مستور عن العباد (فعل) أى كذب بدليل الانعام^٥ (الذين) ودل^٦ على عدم الاستغراق للزمان بقوله : (من قبلهم)^٧ و^٨ كان تكذيبا، لأن قولهم اقتضى أن يكون ما هم عليه بما يرضاه^٩ الله، والرسل ١٠ يقولون : لا يرضاه^{١٠}، ولا يرضى إلا ما^{١١} أخبروا بأن صاحبه مثاب عليه أو غير معاقب، فكان ذلك سببا للانكار عليهم بقوله : (فهل) أى فا (على الرسل) أى الذين لا رسل فى الحقيقة غيرهم، وهم الذين أرسلهم الله لدعاء العباد خلفا عن سلف ؛ ولما كان الاستفهام

- (١) من ظ وم ومد، وفى الأصل : فيه (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل : انتهك (٣) من م ومد، وفى الأصل : الموهمة، وفى ظ : الموهومة (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل : مايعين (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) راجع آية ١٤٨ (٧) فى ظ : دليل (٨) زيد بعده فى الأصل : ان، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لخذفها (٩) فى ظ : يرضى (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل : لا يرضاه . (١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل : بما .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦: ٣٥ و ٣٦) ج - ١١

بمعنى التنى - كما تقدم - إلا أنه صور بصورته ليكون كدعوى 'الشيء' بدليها [قال - ٢]: (إلا البليغ المبين) وقد بلغوكم وأوضحوا لكم، فصار وبال العصيان خاصا بكم.

ولما كان جمع الرسل مفهما لتوزيعهم على الأمم، كان موضع ه [توقع - ٢] التصريح بذلك، فقال - دافعا لكرب هذا الاستشراف، نافيا لطروق احتمال، دالا ٢ على أن هذا القول السابق منصب إنكاره بالذات إلى اعتراضهم على الإرسال، ومسلبا لثبته صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وحاتا لهم على الاعتبار، عطفا على ما تقديره: فلقد بعثناك في أمتك هذه لأن يعبدوا الله وحده ويمجنبوا الطاغوت، ففهم من هدينا، ومنهم من حققت عليه الضلالة، فكان من غير شك بعضهم مرضى ١ لله وبعضهم مغضب له، فانه لا يكون حكم المتنافيين واحدا أبدا: (ولقد) أى والله لقد (بعثنا) أى على ما لنا من العظمة التى من اعترض عليها أخذ (في كل أمة) من الأمم الذين قبلكم (رسولا) فابقي في الأرض أحد لم تبلغه الدعوة، ولأجل أن

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) في ظ : دال (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بعثنا (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: وكان (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يعطيهم - كذا (٧) من م، وفي الأصل و ظ و مد: مرضى (٨) في ظ : المتنافين (٩) في ظ : الذى (١٠) من ظ و م و مد، وفي الأصل: التى (١١ - ١١) سقط ما بين الرقيين من م . (١٢) سقط من ظ .

الرسول قد تكون من غير المرسل إليهم كلوط و شعيب عليهما السلام
 في أصحاب الأيكة و سليمان عليه السلام في غير بني إسرائيل من سائر
 من وصل [إليه - '] حكمه من أهل الأرض لم يقيد بـ " منهم " .
 ولما كان البحث متضمنا معنى القول، كان المعنى: فذهبوا إليهم
 قائلين: (ان اعدوا الله) أى الملك الأعلى وحده (و اجتنبوا)
 أى بكل جهدكم (الطاغوت ج) كما أمركم رسولنا (فمنهم) [أى] قسب
 عن إرسال الرسول أن كانت الأمم قسمين: منهم (من هدى الله) أى
 الذى له الإحاطة الكاملة، للحق^٢ فحققت له الهداية فأبصر الحق وعمل به^٢
 باتباع الدعوة الهداة^١ فيما أمروا به عن الله، فحققت [له - '] الجنة
 (ومنهم من حققت) أى ثبتت^١ غاية الثبات (عليه الضلالة^١) بأن ١٠
 أضله الله فتأبذ الأمر فلم يعمل به وعمل بمقتضى الإرادة، فان الأمر
 قد لا يكون^٢ " ما تعلق^٢ به^١، " والإرادة لا بد أن يكون^٢ " ما تعلق^٢ به^١،
 وقد^١ يكون موافقها^١ عاملا بالضلالة فحق عليه عذابها^٢ فحققت له النار^٢
 فهلك، لأنه لم يبق^١ له حجة يدفع بها عن نفسه، فلو كان كل^١ " ما شاءه
 (١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م، وفي الأصل ومد: جندكم .
 (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من م (٤) في ظ: الهداية (٥) العبارة من هنا إلى
 « الجنة » ساقطة من م (٦) زيد من ظ و م (٧) في ظ: فثبت (٨) العبارة
 من هنا إلى « تعلق^٢ به^١ » ساقطة من ظ (٩-٩) في الأصل: يكون بموافقتها،
 وفي م ومد: تكون موافقتها (١٠) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لم يبق .
 (١١) في ظ: يأكل - كذا .

ظلم الدرر (سورة النحل ١٦ : ٢٦ و ٢٧) ج - ١١

حقا كان الفريقان محتمين فلم يعذب أحدهما ، لكنه لم يكن الأمر كذلك ، بل عذب العاصي ونجى الطائع في كل أمة على حسب ما قال^١ الرسل ، وهذا هو معنى رضى الله ، إطلاقا^٢ لاسم الملزوم على اللازم ، فدل ذلك قطعاً على صدق الرسل وكذب^٣ مخالفهم ،^٤ فالآية من الاحتباك : ذكر^٥ فعل الهداية أولاً دليلاً على فعل الضلال ثانياً ، وحقوق الضلالة ثانياً [دليلاً^٦] على حقوق الهداية أولاً .

ثم التفت إلى مخاطبتهم إشارة إلى أنه لم يبق بعد هذا الدليل القطعى فى نظر^٧ البصيرة إلا الدليل المحسوس للبصر فقال : (فسيروا) أى فان كنتم أيها المخاطبون فى شك من إخبار الرسل فسيروا ١٠ (فى الارض)^٨ أى جنبها^٩ (فانظروا) أى إذا سرتهم ومررتهم بديار المكذبين وآثارهم ، وعبر هنا بالغاء المشيرة إلى التعقب دون تراخ لأن المقام للاستدلال المنقذ من الضلال الذى تجب المبادرة إلى الإقلاع عنه بخلاف " ثم انظروا " فى الانعام لما تقدم ، وأشار^{١٠} بالاستفهام إلى أن أحوالهم مما يجب أن يسأل عنه للاتعاظ به فقال : ١٥ (كيف كان) أى كونا لا قدرة على الخلاص منه (عاقبة) أى

(١) من م ، وفى الأصل وظ ومد : نال (٢-٢) تكرر ما بين الرقيين فى ظ (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : عذب (٤) العبارة من هنا إلى " حقوق الهداية أولاً " ساقطة من م (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : ذكره . (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : نظير (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من م (٩) راجع آية ١١ (١٠) فى ظ : إشارة .

آخر

آخر أمر (المكذبين) أي من عاد ومن بعدهم الذين تلقيت أخبارهم
عن قلدتموم في الكفر من أسلافكم، فانهم كذبوا الرسل فيما أمرتهم^١
بإبلاغه مخالفة لأمرى و عملا بمشيتى، فأوقعت بهم لأنهم خالفوا أمرى^٢
باختيارهم مع جهلهم بإرادتى، فقامت عليهم الحجة على ما يتعارفه
الناس بينهم .

ولما كان المحقق أنه ليس بعد الإيصال في الاستدلال إلى الأمر
المحسوس إلا العناد، أعرض عنهم ملتفتا إلى الرؤف بهم الشفيق عليهم،
فقال^٣ مسلما له صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (ان تحرص على هديهم)
فتطلبه بغاية جدك^٤ واجتهادك (فان الله) أي الملك الأعظم
(لا يهدي)^٥ أي هو بخلق الهداية في القلب - هذا على قراءة الكوفيين ١٠
بفتح الياء وكسر الدال ، و من هاد^٦ ما بوجه^٧ من الوجوه - على قراءة
الجمهور بالبناء للفعول (من يضل)^٨ أي من يحكم بضلاله^٩ ، وهو الذى
أضلهم فلا يمكن غيره أن يهديهم لأنه لا غالب لأمره؛ و قرئ شاذا
بفتح الياء من ضل بمعنى نسي ، أى فلا يمكن^{١٠} هداية من نسيه ، أى

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : امرتم (٢) زيدت الواو بعده في الأصل
ولم تكن في ظ و م و مد فخذناها (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : جده .
(٥) العبارة من هنا إلى « بالبناء للفعول » ساقطة من م (٦) من ظ و مد ، وفي
الأصل : بهذا (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : توجه (٨) العبارة من هنا إلى
« لسلوكه غير سبيل القصد » ساقطة من م (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل :
بالبضالة (١٠) من مد ، وفي الأصل و ظ : لا يمكن (١١) في ظ : يل .

تركه من ' الهداية ترك المنسى فانه ' ليس في يد غيره شيء ، و قتل
 الصغاني ' في مجمع البحرين ' أنه يقال : ضل فلان البعير أى أضله ،
 والضلال عند العرب سلوك غير سبيل القصد ، فالمعنى أنه كان سببا
 لسلوك البعير غير المقصود ، فعنى الآية : لا يهتدى من يضل الله - بفتح
 ه الياء ، أى ' يكون سببا لسلوكه ' غير سبيل القصد ، فلا تحزن ولا يضيّق
 صدرك من عدم تأثرهم ' بنصحك وإخلاصك في الدعاء ، ولا يقع في
 فكرك أن في دعائك نقصا ، إنما النقص في مراتبهم العمياء / ، وليس
 عليك إلا البلاغ . وقوله تعالى - : (وما لهم) أى هؤلاء الذين
 أضلهم الله وجميع من يضلهم (من نصرين ه) أى ينصرونهم عند مجازاتهم
 ١٠ على الضلال ، لينقذوهم عما لحقهم عليه من الوبال ، كما فعل بالمكذّبين
 من قبلهم - عطف على نتيجة ما قبله ، وهو فلا هادى لهم ما أراد
 الله ضلالهم ، وتبكيك لهم وتقريع وحث وتهيج على أن يقوموا
 بأنفسهم ويستعينوا بمن شاؤوا على نصب دليل على ما يدعونه من أنهم
 أتبع الناس للحق ، إما بأن يبرهنوا على صحة معتقدهم أو يعينوهم على
 ١٥ الرجوع عنه عند العجز عن ذلك ، أو يكفوا عنهم العذاب إذا حاق بهم .

/ ٢٢٣

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : في (٢) في ظ : كانه (٣) في ظ : الصاغاني .
 (٤) في ظ : التحرير ؛ وهذا الكتاب - وهو لحسن بن محمد الصغاني - يجمع بين
 كتاب تاج اللغة و مصاحح العربية للجوهري وبين كتاب التكملة والذيل
 والصلة من تأليفه ، يحتوي على اثني عشر مجلدا - كما ألم به في كشف الظنون .
 (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : ان (٦) في ظ : لسلوك (٧) من ظ وم ومد ،
 وفي الأصل : تأثير .

ولما كان من حقهم - بعد قيام الأدلة على كمال قدرته وشمول
 علمه وبلوغ حكمته في إبداع جميع المخلوقات مما نعلم وما لا نعلم على
 أبدع ترتيب^١ وأحسن نظام - تصديق الهداة^٢ في إعلامهم بأنه سبحانه
 يعيدهم للبعث وأنهم لم يفعلوا ولا طرخوا لذلك احتمالا ، بل حلفوا
 على فيه من غير شبهة عرضت لهم ولا إخبار عن علم وصل إليهم .
 فعل الجلف الجاني الغبي العاسي ، أتبع ذلك سبحانه تعجيبا آخر من
 حالهم ، فقال - عاطفا على " وقال الذين أشركوا " ، لأن كلا من المجتئين
 لبيان تكذيبهم الرسل والتعجب^٣ منهم في ذلك ؛ دالا^٤ على أن اعتقادهم
 مضمون هذه الجملة هو الذي جرأهم على قول الأولى وما تفرع منها :-
 (واقسموا بالله) أى الملك الأعظم (جهد إيمانهم) جعلت الإيمان ١٠
 جاهدة لكثرة [ما - ٦] بالغوا فيها : (لا يبعث الله) أى الذى له
 الإحاطة بكل شيء (من يموت^٥) أى لا يحيى أحدا^٦ بعد موته ، استنادا
 منهم إلى مجرد استبعاد ما لم تجرب به نفسه عندهم عادة ، جمودا منهم عن
 حلها بأن النشأة الأولى كانت من غير عادة ، مع ادعائهم أنهم أعقل
 الناس وأحدم أذهانا وأنفهم أفهاما .

١٥

ثم رد عليهم بقوله تعالى : (بلى) أى ليعثتهم^٧ لأنه لا مانع له

(١) فى ظ : الترتيب (٢) فى ظ : الهداية (٣) فى ظ : التعجب (٤) سقط من ظ .
 (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من مد (٦) زيد من ظ و م ومه (٧) زيد فى
 الأصل وظ : منهم ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ،
 وفى الأصل وظ . ليعثتهم .

من ذلك وقد وعد به ﴿وعدا﴾ وبين^١ أنه لا بد منه بقوله:
 ﴿عليه﴾ وزاده تأكيدا في مقابلة اجتهادهم في أيمانهم بقوله: ﴿حقا﴾
 أى لانه قادر [عليه -^٢] وهو لا يبدل القول لديه، فصار واجبا
 في الحكمة كونه، [وأمر البعث -^٣] معلوم عند كل عاقل سمع أقوال
 الهداة^٤ تاركا لهواه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أى [بما -^٥] لهم من
 الاضطراب ﴿لا يعلمون﴾ أى لا علم لهم يوصلهم^٦ [إلى -^٧] ذلك
 لانه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول إليه بغير إرشاد من الله،
 ولا هم^٨ يقبلون أقوال الدعاة إليه الذين أيدهم بروح منه لتقديم
 [بما توصلهم -^٩] إليه عقولهم، وهى مقصورة على عالم الشهادة^{١٠}
 لا يمكنها الترقى منه إلى [عالم -^{١١}] الغيب بغير وسطة^{١٢} منه [سبحانه -^{١٣}]
 تعالى، فلذلك ترى الإنسان منهم يأبى ذلك استبعادا لأن يكون شيء
 معقول لا يصل إليه بمجرد عقله وهو خصيم مبين.

ولما بين أنه لا بد من ذلك لسبق الوعد به من القادر، بين حكمته
 بأمر مبين أنه^{١٤} لا يسوغ تركه بوجه، وهو أنه لا يجوز في عقل
 عاقل أن أحدا ملكا فما دونه يأمر عبيده بشيء ثم يهملهم فلا يسألهم
 ولا سيما إن اختلفوا ولا سيما إن أدى اختلافهم إلى المقاطعة والمقاتلة

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لاسى - كذا (٢) زيد من ظ و م ومد.
 (٣) فى ظ: الهداية (٤) فى ظ: بوصولهم (٥) زيد من م (٦ - ٦) من ظ و م
 ومد، وفي الأصل: هم لا (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل: الغيب (٨) فى
 ظ: واسطة (٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل: ان.

فكيف إن كان حاكما فكيف إذا^١ كان حكيما فكيف و هو أحكم
 الحاكمين ! فقال مطلقا بما دل عليه " بلى " : (ليبن) أى فعله و وعد به
 فهو يعثهم ليبن (لهم) أى للناس^٢ (الذى يختلفون) أى يوجد
 اختلافهم (فيه) من البعث وغيره ، و يحزى كلا بما عمل لأن ذلك
 من العدل الذى هو فعله (و يعلم الذين كفروا) أى جهلوا الآيات^٥
 الدالة عليه ، فكأنهم ستروها لأنها لظهورها / لا تجهل (انهم كانوا)
 أى جبلة و طبا (كذابين^٥) أى عريقين فى الكذب فى إنكارهم للعاد
 و زعمهم أنهم المختصون بالمجاز علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين .
 و لما بين تحتمه و حكمته ، بين إمكانه و يسره عليه و خفته لديه ،
 فقال تعالى : (انما قولنا) أى بما لنا من العظمة (لشيء^٦) إيداء^{١٠}
 و إعادة (إذا أردناه^٢) أى أردنا كونه (ان نقول له) ثم ذكر
 محكى القول النفسى فقال - باينا من ' كان ' التامة ما دل على موافقة
 الاشياء المرادة موافقة المأمور للأمر المطاع - : (كن) أى احدث
 (فيكون^٤) أى فيتسبب^٥ عن ذلك القول أنه يكون حين تعلق القدرة
 به من غير مهلة أصلا ، فنحن خلقنا الخلق لأنهم و نتهام .
 و لما كان التقدير تفصيلا لفريقى المبين^٥ لهم و ترغيا فى الهجرة
 لأنها بعد الإيمان أوثق عرى الإسلام : فالذين [كفروا -^٦]
 (١) فى ظ : ان (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الناس (٣) من ظ و م
 و القرآن الكريم ، وفى الأصل و مد : اردنا (٤) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : تسبب (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : المؤمنين (٦) زيد من
 ظ و م و مد .

واغترؤا بما شاهدوه من العرض الفانى لتخزينهم^١ فى الدنيا والآخرة
ولنجازينهم^٢ بجميع ما كانوا يعملون ، عطف عليه قوله تعالى :
(والذين هاجروا) أى أوقفوا المهاجرة فرارا بدينهم فهجروا^٣ آباءهم
وأبناءهم وأقاربهم من الكفار وديارهم وجميع ما نهوا عنه (فى الله)
هـ أى الملك الأعلى الذى له صفات الكمال ، بعد ما^٤ تهادى^٥ المكذوبون
بالبعث على إيدائهم ، فتركوا لهم بلادهم .

ولما كانت هجرتهم لم تستغرق^٦ زمان البعد لموت [بعض -^٧]
من هجره وإسلام آخرين بعد احتمالهم لظلمهم ما شاء الله ، قال تعالى :
(من بعد ما ظلموا) أى وقع^٨ ظلمهم من^٩ الكفار ، بناء للفعول
١٠ لأن المحذور وقوع الظلم لا كونه من معين (لبنوتهم) أى توجد لهم
منزلا هو أهل لأن يرجع إليه ، بما لنا من الملائكة وغيرهم من الجنود
وجميع العظمة (فى الدنيا) مباءة^{١١} (حسنة^{١٢}) كبيرة عظيمة ، جزاء لهم
على خدمتنا ، بأن نعلى^{١٣} أمرهم وإن كره المشركون ، كما يراه من يتدبر
بمعنى^{١٤} "لأولياتى على قلتهم ، وسينكشف الأمر عما^{١٥} قريب انكشافا

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : ليجزيتهم (٢) من ظ و م ومد ، وفى
الأصل : ليجازيهم (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : ليهجروا (٤) سقط
من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل وظ : به ، ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفها .
(٦) فى مد : لم يستغرق (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) فى مد : اوقع (٩) فى ظ :
أى (١٠) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : مباء (١١) من م ومد ، وفى الأصل
وظ : فعل (١٢) من م ومد ، وفى الأصل : بمعنى ، والعبارة من هنا بما فيها هذه
الكلمة إلى^{١٣} فآلية دليل ، ساقطة من ظ (١٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : عن .

لا يجهله أحد . فالآية دليل على ما قبلها .

ولما كان التقدير : ولنبوئهم^١ في الآخرة أجرا كبيرا ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ ولاجر الآخرة ﴾ الممد لهم ﴿ اكبر ﴾ مما جعلته لهم في الدنيا ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أى لو كان الكفار لهم بمجملاتهم علم بأن يكون لهم عقل يتدبرون به لعلوا^٢ - باحسانى إلى أوليائى في ه الدنيا من منعى لهم [منهم -^٣] فى عنادهم مع كثرتهم وقتلهم ، وإسباغى لنعمى عليهم لا سيما فى الأماكن التى هاجروا إليها من الحبشة والمدينة وغيرهما مع اجتهدهم فى منعها عنهم - أى أجمع لأوليائى الدارين ، وأن إحسانى إليهم فى الآخرة أعظم - روى^٤ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين [عطاء -^٥] قال : ١٠ خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك الله فى الدنيا ، وما ادخر لك فى الآخرة أكثر وأفضل - ثم تلا هذه الآية .

ولما نبه على إحسانه إليهم . وكان فيه من أول الأمر نوع غموض لظهور الكفرة فى بادى الرأى ، وصفهم بما يحتاج إليه^٦ فى الاستجلاب لتلأمه حثا وإلhabا ، فقال تعالى - واصفا للمهاجرين بيانا لأصل ما حملهم ١٥

- (١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ليوفيهم (٢) من م ، وفى الأصل وظ ومد : يعلموا (٣) زيد من م ومد (٤) زيد فى ظ : فى (٥) زيد فى مد : احسن . (٦) وهذا الأثر رواه البغوى فى معالنه بصيغة المجهول - راجع هامش الباب ٧٥/٤ (٧) زيد من ظ وم ومد والعالم (٨) زيد فى مد ورواية الباب : له . (٩-١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : واستجلاب .

على ما استحقوا به هذا الاجر الجزيل:- ﴿الذين صبروا﴾ أى استعملوا
الصبر على ما نأبهم من المكاره من الكفار وغيرهم^١ فى الإقامة بين
أظهرهم مدة ثم^٢ فى الهجرة بمفارقة الوطن الذى هو حرم الله المشرب
حبه لكل قلب، فكيف بقلوب من هو مسقط رؤسهم ومألف أبدانهم
ه ونفوسهم، وفى بذل الأرواح فى الجهاد وغير ذلك، ولقت الكلام
إلى وصف الإحسان تنبها على [ما - ٢] يحمل على^٣ التوكل فقال
تعالى: ﴿وعلى ربهم﴾ أى المحسن إليهم بإيجادهم وهدايتهم / وحده
﴿يتوكلون﴾^٤ فى كل حالة يريدونها رضى^٥ بقضاء الله تعالى .

٢٢٥

ولما أخبر تعالى أنه بعث الرسل، وكان عاقبة من^٦ كذبهم الهلاك،
١٠ بدلالة آثارهم، وكانوا [قد - ٢] قدحوا فى الرسالة بكون^٧ الرسول
بشرا ثم بكونه ليس معه ملك يؤيده^٨، رد ذلك بقوله - مخاطبا لأشرف
خلقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لكونه أفهمهم عنه مع أنه أجل من
توكل وصبر،^٩ عائدا إلى مظهر الجلال [بيان - ١٠] لأنه يظهر من يشاء
على من يشاء - : ﴿وما أرسلنا﴾ أى بما لنا من العظمة .

١٥ ولما كان الإرسال بالفعل إنما كان فى بعض الأزمنة . دل^{١١} عليه

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من م (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) سقط من
مد (٤) زيد فى ظ : اى (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : وهى (٦) سقط
من ظ (٧) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : لكون (٨) من ظ و م ومد ،
وفى الأصل : يريد (٩) العبارة من هنا إلى « على من يشاء » ساقطة من م .
(١٠) زيد من ظ و مد (١١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : حل .

بالجار فقال : ﴿ من قبلك ﴾ إلى الأمم من طوائف البشر ﴿ الرجال ﴾ لا ملائكة بل آدميين ، هم^١ في غاية الاقتدار على التوكل والصبر الذي هو محط [الرجل - '] ﴿ نوحى إليهم ﴾ بواسطة الملائكة ، وما أحسن تعقيب ذلك للصابرين ، لأن الرسل أصبر الناس .

ولما كانوا قد فزعوا إلى سؤال أهل الكتاب في بعض الأمور ، هـ
وكانوا قد أوتوا علما من عند الله ، سبب عن هذا الإخبار الأمر بسؤالهم عن ذلك ، فقال مخاطبا لهم ولكل من أراد الاستثبات من غيرهم : ﴿ فسلوا ﴾ أى أيها المكذبون ومن أراد من سوام ﴿ أهل الذكر ﴾ أى العلم بالكتاب ، سئى^٢ ذكرا لأن الذكر - الذى هو ضد السهو - بمنزلة السبب المؤدى إليه فأطلق عليه ، كأن الجاهل ١٠
سأه وإن لم يكن ساهيا ، وكذا الذكر - [الذى - '] هو الكلام المذكور - سبب للعلم .

ولما كان عندهم حس من ذلك بسماع أخبار الأمم قبلهم ، أشار إليه بقوله تعالى : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة وطبعا ﴿ لا تعلمون ﴾^٣ أو هو التنفير^٤ من الرضى بالجهل .

ولما كانت رسل الملوك تقتن^٥ بما يعرف بصدقهم . قال - جوابا لمن كأنه قال : بأى دلالة أرسلوا ؟ - : ﴿ بالبينت ﴾ المعرفة بصدقهم

(١) من م ومد ، وفى الأصل : هو ، والكلمة ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) فى مد : ثم (٤) من م ومد ، وفى الأصل : الصغير ، وفى ظ : للتنفير (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : يقتن .

(و الزبر) أى الكتب الهادية إلى أوامر مرسلهم .
ولما كان القرآن أعظم الأدلة ، أشار إلى ذلك بذكره مدلولاً على
غيره من المعجزات بواو العطف ، فقال - عاطفاً على ما تقديره : وكذلك
أرسلناك^١ بالمعجزات الباهرات - : (و انزلنا) أى بما لنا من العظمة
هـ (اليك) أى وأنت أشرف الخلق (الذكر) أى الكتاب الموجب
للذكر ، المعلى للقدر ، الموصل إلى منازل الشرف (لتبين للناس)
كافة بما أعطاك^٢ [الله - ٤] من الفهم الذى فقت^٣ فيه جميع الخلق ،
واللسان الذى هو أعظم الألسنة [و - ٤] أفصحها وقد أوصلك الله
فيه إلى رتبة لم يصل إليها أحد (ما نزل) أى وقع تنزيله (اليهم)
١٠ من هذا الشرع الحادى^٤ إلى سعادة الدارين بتبيين^٥ المجمل ، وشرح
ما أشكل . من علم أصول الدين الذى رأسه التوحيد ، ومن البعث وغيره ،
هو شامل لبيان الكتب القديمة لأهلها ليدلهم على ما نسخ ، وعلى
ما بدلوه^٦ فسخ .

و لما كان التقدير : لعلمهم بحسن بيانك^٧ يعملون ! عطف عليه بيانا

(١) فى مد : انزلناك (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) فى ظ : اعطيناك (٤) زيد
من ظ و م ومد (هـ) من م ، وفى الأصل : فقت ، وفى ظ : فتقت ،
ولا يتضح فى مد (٦) من م ومد ، وفى الأصل : الحادى ، وفى ظ : الهادى .
(٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : بتبين (٨) العبارة من هنا إلى « بدلوه
فسخ » ساقطة من م (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : بدلونه (١٠-١١) من
ظ و م ومد ، وفى الأصل : حسن ثيابك - كذا .

لشرف العلم قوله تعالى : ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ إذا نظروا أساليه
الفائقة ، ومعانيه [العالية - ١] الرائقة ، فيصلوا بالفكر فيه - بسبب ما فحت
لهم من أبواب البيان - إلى حالات الملائكة ، بأن تغلب أرواحهم على
أشباحهم فيعلموا أنه تعالى واحد قادر فاعل بالاختيار ، وأنه يقيم
الناس للجزاء^١ فيطيعونه رغبة ورهبة ، فيجمعون^٢ بين شرفي الطاعة
الداعية إليها الأرواح ، و الانكفاف عن المعصية الداعية إليها النفوس
بواسطة الأشباح .

ولما نبه سبحانه على التفكير ، وكان داعيا للعقل إلى تجويز الممكن
و [البعد من - ١] الخطر ، سبب عنه إنكار الأمن من ذلك / فقال تعالى :
٢٢٦ / ﴿ أَفَأَمِنَ ﴾ [أى أفكروا فتأبوا ، أو استمروا على عتوم ؟ أفأمن - ١] ١٠
﴿ الذين مكروا ﴾ بالاحتيال في قتل الأنبياء وإطفاء نور الله الذى
أرسلهم به ، المكرات ﴿ السيئات ان ﴾ يجازوا من جنس عملهم بأن
﴿ يخسف الله ﴾ أى المحيط بكل شيء ﴿ بهم ﴾ أى خاصة ﴿ الأرض ﴾
فاذا هم فى بطنها ، لا يقدرّون على نوع تغلب بمدافعة ولا غيرها ، كما فعل
بقارون وأصحابه و بقوم لوط عليه السلام من قبلهم ﴿ او يأتهم العذاب ﴾ ١٥
على غير تلك الحال ﴿ من حيث لا يشعرون ﴾ به فى حالة من هاتين الحالتين
شعورا ما ، وهم فى حال سكون ودعة بنوم أو غفلة ﴿ او ياخذهم ﴾
(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالجزء .
(٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لجمعوا (٤) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : ان .

أى الله بعباده (فى) حال (تقلبهم) و تصرفهم و مشاعرهم حاضرة و قواهم مستجمعة .

ولما كانت هذه الأحوال الثلاثة مفروضة فى حال أمنهم من العذاب .
و كان الأمن [من - ١] العدو يكون عن ظن عدم قدرته عليه ،
ه علل ذلك بقوله تعالى : ﴿ فإم بمعجزين ﴾ أى فى حالة من هذه الأحوال ،
سواء علينا غفلتهم و يقظتهم ، ولم يعلل ما بعده بذلك [لأن - ٢]
المتخوف 'يجوز للعجز' ، فقال تعالى : ﴿ أو ياخذهم ﴾ أى الله أخذ غضب
﴿ على تخوف ﴾ منهم من العذاب و تحفظ من أن يقع بهم ما وقع
بمن قبلهم من عذاب الاستئصال ، ويجوز أن يراد بما مضى عذاب
١٠ الاستئصال ، و بهذا الأخذ شيئاً فشيئاً ، فإن " التخوف التنقص " عند
هذيل ، روى " أن عمر رضى الله عنه سأل الناس عنها فسكتوا فأجابه
شيخ من هذيل بأنه التنقص " ، فقال عمر رضى الله عنه : هل
تعرف [العرب - ١١] ذلك فى أشعارها ؟ قال : نعم ! قال شاعرنا

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بعباد (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عليهم (٤-٤) من م و مد ، وفى الأصل
وظ : يجوز للعجز (٥) من ظ و م و مد . وفى الأصل : حفظ (٦) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل : لهم (٧) من م و مد ، وفى الأصل : بهما ، وفى ظ : لما (٨) زيد
فى الأصل وظ : من ، ولم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (٩) زيد فى الأصل
وظ : وهذا ، ولم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (١٠) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل : فكان (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : النقص (١٢) راجع
لباب التأويل ٤ / ٧٦ ؛ وزيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ و م
و مد لحذفها (١٣) راجع روح المعاني ٤ / ٣٨١ والبحر المحيط ٥ / ٤٩٥ .
(١٤) زيد من ظ و م و مد والروح .

[أبو كثير الهذلي - ١] يصف ناقة :

نخوف الرجل^٢ منها تامكا^٣ قردا

كما^٤ نخوف عود النبعة السفن^٥

فقان عمر رضى الله عنه : أيها الناس ! عليكم بديوانكم لا يضل^٦ ، قالوا^٧ :

وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فان^٨ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم . . ٥

ولما كان التقدير : لم يأمنوا^٩ ذلك في نفس الأمر ، ولكن جهلهم

بالله - لطول أناته وحله - غرم ، سبب عنه [قوله - ٩] التفاتا إلى

الخطاب استعطافا : (فان ربكم) أى المحسن إليكم باهلاك [من

يريد - ١] وإبقاء^{١٠} من يريد (لرهوف) أى بليغ الرحمة لمن يتوسل إليه

بنوع وسيلة ، وكذا لمن^{١١} قاطعه أتم مقاطعة ، وإليه أشار بقوله تعالى : ١٠

(١) زيد من ظ وم ومد والبحر ، وموضعه في الروح : أبو كبير ، وفي

التاج : وقد روى الجوهري هذا الشعر لذى الرمة ، ورواه الزجاج والأزهري

لابن مقبل ، قال الصاغاني : وليس لهما ، وروى صاحب الأغاني في ترجمة حماد

الراوية أنه لابن مزاحم الثمالي ، ويروى لعبد الله بن العجلان الهذلي ، قلت :

وعزاء البيضاوى في تفسيره إلى أبي كبير الهذلي ولم أجد في ديوان شعر

هذيل له قصيدة على هذا الروى (٢) في ظ وم ومد والبحر : الرجل ، وفي التاج

واللسان (تمك) : السير (٣-٣) من ظ وم ومد والروح وغيرها ، وفي

الأصل : بردا لما - كذا (٤) في البحر : السقر (٥) في الروح : لا تفضلوا ، وفي

الكشاف كما في النسخ (٦) من ظ وم ومد والروح ، وفي الأصل : قال (٧) من

ظ وم ومد والروح ، وفي الأصل : كن (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :

لهم فامنوا (٩) زيد من م ومد (١٠) زيد من ظ وم ومد (١١) في مد :

بقاء (١٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : من .

(رحيم*) أي قسب عن إمهاله^١ لهم في كفرهم و طغيانهم مع القدرة عليهم العلم بأن تركه لمعاجلتهم^٢ ما هو إلا لرأفته^٣ ورحمته .

ولما خوفهم ، دل على تمام قدرته على ذلك [وغيره -^٤] بقوله - عاطفا على [ما -^٥] تقديره : أو لم يروا إلى عجزهم عما يريدون

٥ و^٦ قسره لهم^٧ على ما [لا -^٨] يريدون ، يفعلوا بذلك قدرته وعجزهم ،

فعلوا أن عفوه عن جرائمهم إحسان منه إليهم و لطف بهم :- (١ و لم)

ولما كان حقهم المبادرة بالتوبة فلم يفعلوا ، أعرض عنهم في قراءة الجماعة تخويفا فقال تعالى : ﴿ يروا ﴾ بالياء التحتية ، وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب على نسق ما قبله ، أي^٩ ينظروا بعيون الأبصار

١٠ متفكرين بالبصائر ، وبين بعدم عن^{١٠} المعارف الإلهية بحرف الغاية فقال تعالى ﴿ إلى ما خلق الله ﴾ أي الذي له جميع الأمر ﴿ من شيء ﴾ أي له ظل ﴿ يتفيؤا ﴾ أي ترجع إلى جهة الشاخص ﴿ ظلله ﴾ وهو ما ستره^{١١} الشاخص عن الشمس متجاوزة له ﴿ عن اليمين ﴾ وهي^{١٢} ما على يمين المستدير للشمال ، المستقبل للجنوب ، الذي هو ناحية الكعبة

١٥ لمن في بلاد الشام التي هي مسكن الأنبياء عليهم السلام ، وأفرد لأن

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : امتاله (٢) في ظ : لمعاجلتهم (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لرافته (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في م و مد و ا ه (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : مما (٧-٨) في مد : قسره له .

(٨) من ظ و م ، وفي الأصل و مد : قراء (٩) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : ان (١٠) من م ، وفي الأصل و ظ و مد : على (١١) هذا ما قرأ به أهل الحجاز وابن عامر والكوفيون ، وغيرهم بغيره (١٢) من م و مد ، وفي الأصل : بغيره . وفي ظ : بصيره (١٣) في ظ : هو .

الظل يكون أول ما تشرق^١ الشمس مستقيماً إلى تلك الجهة على استواء ،
 وجمع في قوله : (و الشمائل) لأن الشمس كلما^٢ ارتفعت تحول ذلك
 الظل راجعاً إلى جهة ما وراء الشخص^٣ ، ولا يزال / كذلك إلى أن
 ينتصب^٤ عند الغروب إلى جهة يساره قصداً على ضد ما كان انتصب إليه
 عند الشروق ، فلما كان بعد انتصابه إلى جهة اليمين طالبا في تقيئه^٥ .
 جهة اليسار^٦ ، سميت تلك الجهات التي تقياً فيها باسم ما هو طالبه
 تنيهاً على ذلك ، وفيه إشارة إلى قلة الجيد المستقيم وكثرة
 المنحرف الرديء .

ولما كانت كثرة الخاضعين أدل على القهر وأهيب ، [جمع - ٧]
 بالنظر إلى معنى " ما " [في - ٧] قوله : (سجداً) أى حال^٨ كونهم
 خضعاً (لله) أى الملك الأعلى بما فيهم من الحاجة إلى مدبرهم .
 ولما كان امتداد [الظل - ٧] قريبا^٩ لا يمكن أحداً الانفصال عنه ،
 قال جامعاً بالواو والنون تغليبا : (وهم داخرون) فلا وصغاراً ،
 لا يمتنع شيء منهم على تصريفه ، وخص الظل بالذكر لسرعة تغيره ،
 والتغير دال على المغير .

١٥

ولما حكم على الظلال بما عم أصحابها من جماد وحيوان ، وكان الحيوان

- (١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : تشفق (٢) في ظ : كلها (٣) من ظ و م
 ومد ، وفي الأصل : الشخص (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ينصب .
- (٥) زيد في الأصل : الى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها .
- (٦) زيدت الواو في الأصل و ظ ، ولم تكن في م ومد فحذفناها (٧) زيد من
 ظ و م ومد (٨) في ظ : حالة (٩) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : فسر بما - كذا .

أشرف من الجناد ، رقى الحكم إليه بخصوصه فقال تعالى : ﴿ و الله ﴾ أى ' الذى له الأمر كله ﴾ (يسجد) أى يخضع بالانقياد للقادير و الجرى تحت الأفضية ، وعبر بما هو ظاهر فى غير العقلاء مع شموله لهم فقال تعالى : ﴿ ما فى السموات ﴾ و لما كان المقام للبالغة فى إثبات^٢ الحكم على الطائع و العاصى ، أعاد الموصول فقال تعالى : ﴿ و ما فى الارض ﴾ ثم بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ من دابة ﴾ أى عاقلة و غير عاقلة . و لما كان المقرب قد يستهين بمن يقربه ، قال مينا لخضوع^٣ المقرين تخصيصا لهم و إن كان الكلام قد شملهم : ﴿ و الملائكة ﴾ . و لما كان الخاضع قد يحكم بخضوعه و إن كان باطنه مخالفا لظاهره ، قال - دالا على أن فى غيرهم من يستكبر فيكون انقياده للارادة كرها ، ١٠ و عبر عن السجودين^٤ : الموافق للأمر و الإرادة طوعا ، و الموافق للارادة المخالف للأمر كرها ، بلفظ واحد ، لأنه يجوز الجمع بين مفهومى المشترك و الحقيقة و المجاز بلفظ - : ﴿ و هم ﴾ أى الملائكة ﴿ لا يستكبرون ﴾^٥ ثم علل خضوعهم بقوله دلالة على أنهم كغيرهم^٦ فى الوقوف بين الخوف و الرجاء : ﴿ يخافون ربهم ﴾ أى الموجد لهم ، المدير لأمورهم ، المحسن إليهم ، خوفا ١٥ مبتدئا ﴿ من فرقهم ﴾ إشارة إلى علو الخوف عليهم و غلبته^٧ لهم ، أو حال كون ربهم مع إحسانه^٨ إليهم له^٩ العلو و الجبروت ، فهو المخوف المرهوب ،

(١) زيد بعده فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : آيات - كذا (٣) فى م : بخضوع (٤) من م و مد ، وفى الأصل فى ظ : السجود (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لغيرهم . (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عليهم (٧-٧) فى ظ : إليهم ، وفى مد : ولما - كذا .

'فهم عما نهوا عنه يتهون' (و يفعلون) أى بداعة عظيمة علما منهم بما عليهم لربهم من الحق مع عدم منازع من حظ أو شهوة أو غير ذلك ،
 و^١ دل على أنهم مكلفون بقوله تعالى : (ما يؤمرون ^{السجدة}) 'فهم لرحمته لهم يرجون ، فالآية من الاحتباك : ذكر الخوف أولا دال على الرجاء ثانيا ،
 و ذكر الفعل ثانيا دال على الانتهاء أولا' .

و لما كان التوحيد أعظم المأمورات ، و كان العصيان فيه أعظم [العصيان - ٢] ، و كان سبحانه قد أكثر التخويف من عصيانه ، و أبلغ الأمر إلى نهايته بالإخبار بأن الملائكة تخافه ، و كان الملائكة من أعظم الموحدين ، كما كانوا من أعظم الساجدين ، من أهل السماوات و الأرضين ، و كانت هذه الآيات من أعظم أدلة التوحيد ، أتبعها - عطفًا على " و انزلنا إليك الذكر " ، ليتظافر^١ على ذلك أدلة العقل و النقل [و- ٥] تسليكا بأحوال الملائكة - قوله تعالى : (و قال الله) فعبر لأجل تعظيم^١ المقام بالاسم الأعظم الخاص الذى بنيت عليه السورة : (لاتخذوا) أى لا^٢ تكلفوا فطركم الأولى السليمة المجبولة على معرفة أن الإله واحد إلى أن تأخذ فى اعتقادها (الهين) و يجوز أن يكون معطوفا على ما علم من المقدمات ١٥ المذكورة أول السورة إلى قوله " و ما يشعرون ايان يعثون " من النتيجة و هى " الهكم اله واحد " لاحتمال أن يقول متعنت : إنه لم يأمرنا

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من م (٢) سقطت الواو من ظ (٣) زيد من م و مد (٤) فى مد : لتظافر (٥) زيد من م (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعبير (٧) سقط من ظ و م و مد .

بذلك وإن دلت عليه الأدلة، ويجوز / - وهو أقرب - أن يعطف على قوله "وقال الذين اشركوا" تبكيئا لهم بأنهم احتجوا بحكمه، ولم يادروا إلى امتثال أمره .

ولما [كان -^١] قد فهم المراد من التثنية، و [كان -^١] وبما قال المتعنت :
 ٥ إن المنهى عنه تكثير الاسماء، قال مؤكداً ومحققاً : ﴿ اثنین ج ﴾ تنبيهاً على أن
 اللاهوتية لأنه موضع لإمكان^٢ التنازع الملزوم للعجز المتأني لتلك الرتبة
 مطلق^٣ [العدد -^١] ينافي المنيفة الشياء، وفي ذلك أيضاً - مع كون معبوداتهم
 كانت كثيرة - إشارة إلى [أن -^٤] ما يسمى آلهة^٥ - وإن زاد عدده - يرجع^٦
 بالحقيقة إلى اثنين : خالق ومخلوق، ومن المعلوم لكل ذي لب أن المخلوق
 ١٠ غير صالح لللاهوتية، فأنحصر الأمر في الخالق، وإن لم يكن فيه الخالق
 كان منفصلاً لا محالة، وأقل ما ينقسم إلى اثنين، وباب الالتخاذ^٧ إذا كان
 مفعوله نكرة، "اكتفى بواحد" كما تقول : اتخذت بيتاً، واتخذت زوجة -
 ونحو ذلك، ثم علل ذلك النهي بما اقتضاه السياق من الوجدانية فقال
 تعالى : ﴿ انما هو ﴾ أى الإله المفهوم من لفظ "الهيئ" الذى لا يستحق غيره
 ١٥ أن يطلق عليه هذا الضمير إلا مجازاً، لأنه لا يطلق إطلاقاً حقيقياً إلا على
 ما وجوده^٨ من ذاته ﴿ اله ﴾ أى يستحق هذا الوصف على الإطلاق .

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) زيد فى م : امره وقال (٣) من ظ وم ومد،
 وفى الأصل : طلق (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل : امكان (٥) زيد من
 م ومد (٦) من ظ وم، وفى الأصل ومد : الهية (٧) زيد بعده فى الأصل :
 عدده، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لغزناً (٨) فى م ومد : الاتحاد .
 (٩-١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل : النفى بواحد (١٠) فى مد : وجدوه .

و لما كان السياق مفهما للوحدانية من النهى عن الثنية ، و 'كان ربما' [تفت - ٢] متعنت بأن المراد لإثبات الإله الدال على 'الجنس ، قال رافعا لكل شبهة : (واحد) [أى - ١] لا يمكن أن يثنى بوجه ولا أن يجزأ لغناء المطلق عن كل شيء و احتياج كل شيء إليه ، فكونوا^٥ ممن يسجد له طوعا ولا تكونوا ممن [لا - ٢] يسجد^٦ له إلا كرها .

ولما كان أسلوب الغيبة لا يعين^٧ الإله في المتكلم ، التفت إلى أسلوب التكلم^٨ فقال تعالى : ﴿ فإياي ﴾ أى 'ذلك الواحد أنا وحدى لا شريك لى ، فمن لم يوحدنى أوقعت به [بقوتى - ٢] ما لا يطيقه لعجزه .

و لما كانت الوحدانية نما لا يخفى على عاقل ، وكانت مركوزة في كل فطرة بدليل الاضطراب عند المحن ، و الشدائد و الفتن ، و كانت ١٠ الرهبة - كما مضى^٩ عن الحرالى في البقرة - خاصة بالخوف مما خالف العاصى فيه العلم ، [عبر - ١] بها فقال تعالى : ﴿ فارهبون ﴾ محتصا بذلك ولا تخافوا شيئا غيرى من صنم ولا غيره ، فانه ليس لشيء من ذلك قدرة ، وإن أودعته قدرة فانه لا يتمكن من إنفاذها . فالأمر كله إلى وحدى .

(١-١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ربما كان (٢) زيد من ظ و م ومد .
(٣) زيد في الأصل : انه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : فلو كانوا (٦) من م ومد ، والأصل وظ : يسجدوا (٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : لاتعين (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : التكلم (٩) زيدت الواو بعده في الأصل ولم تكن في ظ و م ومد فحذفناها (١٠) راجع نظم الدرر ١/ ٣١٥ .

ولما كان أسلوب الغيبة من الحاضر دالا على التردى بحجاب
الكبر المؤذن^١ بشدة البطش وسرعة الانتقام وبعد المقام^٢، رجع
إليه فقال تعالى: ﴿وله﴾ فأعاد الضمير على الله الاسم العلم الجامع
بجميع الأسماء الحسنى ﴿ما فى السموات﴾.

ولما كان الأمر قد تأكد وتأطد^٣، وظهر المراد منه غاية الظهور،
لم يحتاج إلى تأكيده، بإعادة النافى^٤، فقال تعالى: ﴿والارض﴾ أى مما
تعبدونه وغيره، فكيف يتصور أن يكون شئ [من ذلك إلها وهو
ملكه، مع كونه محتاجا إلى الزمان والمكان وغيرهما -^٥] ﴿وله الدين﴾
[أى -^٦] الخضوع^٧ والتذلل من كل ما^٨ فيها ومن فيهما بالطوع
والكره، بانفاذ القضاء والقدر، بالصحة والسقم، والغنى والفقر،
والحياة والموت، والإيجاد والإعدام، والإذلال [والإعزاز -^٩]
والإقبال والإعراض - كما بين آنفا، وله الدينونة بالمجازاة ﴿واصبا﴾
[أى -^{١٠}] دائما ثابتا [عاما لا -^{١١}] كالملوك الذين^{١٢} تنقطع ممالكهم مع
خصوصها، والمعبودات التى تنقطع عبادتها فى وقت [من -^{١٣}] الأوقات

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: المودى (٢) من ظ و م ومد، وفى
الأصل: الانتقام (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: ناظر (٤) من ظ و م
ومد، وفى الأصل: تأكيد (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الثانى .
(٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م ومد (٧ - ٧) تأخر ما بين الرقين فى
الأصل عن «بالمجازاة» والترتيب من ظ و م ومد (٨) من م ومد، وفى
الأصل وظ: الخضوع (٩) من ظ و م ومد، وفى الأصل: من (١٠) فى
ظ: الذى .

قصير كاسدة بعد أن كانت رابحة وإن طال المدى ، مع خصوصها بناس^۱ دون غيرهم ، ولا يخلو يوم من الأيام لملك غيره من جرى أمور على غير مراده وإن عظم سلطانه ، وعلا شأنه ، وكثرت أعوانه ، فكيف يتصور من له أدنى بصر أن يكون غيره إلها ، وقد تقدم في

”ان ربى على صراط / مستقيم“ في هود^۲ ما ينفع استحضاره هنا . ۵ / ۲۲۹

ولما تقرر هذا الدليل على هذه الصفة ، وكان من مفهومات الدين الجزء الناظر إلى الأفعال الواقية مما يضر ، تسبب عنه الإنكار الشديد على من^۲ يلتفت بشيء من أفعاله إلى غيره بعد علمه بأنه دائم لا يزول ، وأن^۳ كل ما سواه زائل ، فقال معبرا بالتقوى التي هي نتيجة^۴ الرهبة :

(اغير الله) [أى - ١] الذى له المظمة [كلها - ١] (تتقون .) ١٠
وأتبع ذلك ما يوجب [تعظيم - ١] الإنكار عليهم ، فقال مينا أنه لا ينبغي أن يتعلق خوف ولا رجاء إلا به : (وما بكم) أى التبس^۵ بكم أيها الناس عامة مؤمنكم وكافركم (من نعمة) أى^۶ جليلة أو حقيرة (فمن الله) أى المحيط بكل شيء وحده لا من غيره .

ولما كان إخلاصهم له - مع ادعائهم ألوهية غيره - أمرا مستبعدا ، ١٥
عبر بأداة التراخي والبعد في قوله تعالى : (ثم إذا مسكم) أى أدنى مس

- (١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : يباس - كذا (٢) آية ٥٦ (٣) سقط
من ظ (٤) زيد في ظ : كان (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : النتيجة .
(٦) زيد من ظ و م ومد (٧) من م ومد ، وفي الأصل : وظ : النفس .
(٨) من م ومد ، وفي الأصل : وظ : او .

(الضر) بزوال نعمة مما^١ أنعم به عليكم (فاليه) أى وحده
(تجثرون) أى ترفعون أصواتكم بالاستعانة لما ركز^٢ في فطركم
الأولية السليمة من أنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه .

ولما كان الرجوع إلى الإشراك بعد الإخلاص مستبعدا أيضا
٥ لاستهجانهم سرعة الاستحالة ، قال تعالى : (ثم اذا كشف) سبحانه
عما تشركون^٣ (الضر^٤) أى الذى مسكم (عنكم) ونبه على مسارعة
الإنسان في الكفران فقال تعالى : (اذا فريق) أى جماعة هم أهل فرقة
وضلال (منكم^٥) أيها العباد ! (بريهم) الذى تفرد بالإنعام
[عليهم - ٦] (يشركون^٧) أى يوقعون الإشراك [به - ٧] بعبادة
١٠ غيره تغيرا منهم عما كانوا عليه عند الاستغاثة به في الشدة ، فكان منطبقا
عليهم ما ضربوا المثل بكرأته بقولهم :

وإذا [تكون - ٨] كرهية^٩ ادعى لها

وإذا يحاس الحيس يدعى جنـدب

وهذا أجهل الجهل .

١٥ ولما كان هذا ملزوما بحمد النعمة . و كان من شأن العاقل البصير

(١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : بما (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :
ركن (٣) من م ومد ، وفي الأصل وظ : يشركون (٤) تأخر في ظ عن
« مسكم » (٥) زيد في ظ : أى (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) زيد من م .
(٨) زيد من ظ وم ومد واللسان (حيس) (٩) من ظ وم ومد واللسان ،
وفي الأصل : كرهه .

بالأمور - كما يدعونه لأنفسهم - أن لا يغفل عن شيء من لوازم ما يقدم^١
 عليه ، قال : (ليكفروا) أى يوقفوا التغطية لأدلة التوحيد التى دللتهم^٢
 [عليها - ٢] غرائز عقولهم (بمآ آتينهم^٣) أى من النعمة ، تتيها على
 أنهم ما أقدموا على ذلك الشرك إلا لهذا الغرض إحلالاً لهم محل العقلاء
 البصراء الذين يزعمون أنهم أعلام ، ورفضاً لهم عن أحوال من يقدم^٤
 على ما لا يعلم عاقبته ، ولا خزى^٥ أعظم من هذا ، لانه أتج أن الجنون^٦
 خير من عقل يكون هذا مآله ، فهو^٧ من باب التهمك (فتمتعوا^٨)
 أى قسب عن هذا أن يُقبل على هذا الفريق إقبالاً [عالم - ٧] قادر
 عليه قاتلاً : تمتعوا (فسوف) أى فان تمتعكم على هذا الحال سبب
 لأن^٩ يقال لكم تهديداً : سوف^{١٠} (تملون^{١١}) غب^{١٢} تمتعكم ، فهو^{١٣}
 إقبال الغضب والتهديد بسوء المنقلب ، وحذف التهديد به أبلغ وأهول
 لذهاب النفس فى تعيينه كل مذهب .

ولما هددهم^{١٤} بأشراكهم المستلزم لكفر النعمة ، أتبعه عجبا آخر من
 أمرهم^{١٥} فقال عاطفاً على قوله تعالى " واقسموا [باقته - ١٦] جهد إيمانهم " :

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تقدم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من
 مد (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : اجلالاً (٥) من ظ وم ومد ، وفى
 الأصل : جزى (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الحيوان (٧) زيد من ظ
 وم ومد (٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لانه (٩) من ظ وم ومد ، وفى
 الأصل : فسوف (١٠) والغب : العاقبة (١١) فى ظ وم ومد : تهددهم (١٢) من
 ظ وم ومد ، وفى الأصل : امورهم (١٣) زيد من ظ وم ومد والقرآن الكريم .

(ويجعلون) أى على سبيل التكرير ﴿لما لا يعلمون﴾ بما^١ يعبدونه من الأصنام وغيرها لكونه في حيز العدم في نفسه وعلما محضا بما وصفوه به [كما - ٢] قال تعالى "أم تثبتونه بما لا يعلم^٢" ﴿نصيبا مما رزقهم﴾ بما لنا من العظمة، من الحرث والآنعام وغير ذلك، تقربا إليها كما مضى شرحه في الآنعام، ولك أن تعطفه - وهو أقرب - على "يشركون" فيكون داخلا في حيز "إذا" [أى - ٢] فاجأوا^٣ مقابلة نعمته في الإنجاء بالإشراك والتقرب برزقه إلى ما الجهل^٤ به خير من العلم به، لانه عدم^٥ لانه لا قدرة له ولا نفع في المقام الذى أقاموه فيه؛ ثم التفت إليهم / التفاتا مؤذنا بما يستحق على هذا الفعل من الغضب فقال تعالى: ﴿تالله﴾ ٢٣٠ /

١٠ أى الملك الاعظم ﴿لتسئلن﴾ يوم الجمع ﴿عما كنتم﴾ أى كونا هو في جلاتكم ﴿تفترون﴾ أى تتعمدون^٦ في الدنيا من هذا الكذب، سؤال توبيخ، وهو الذى لا جواب لصاحبه إلا بما فيه فضيحه .

ولما بين سفههم في صرفهم عما آتاهم إلى ما هو في عداد العدم الذى لا يعلم، بين لهم سفها هو^٧ أعظم من ذلك يجعلهم للملك الملك وملكه ١٥ أحقر ما يعبدونه مما أوجده^٨ لهم، لافتقارهم إليه وغناه عنه^٩ على وجه

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بما (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) سورة ١٣ آية ٣٣ (٤) من م ومد، وفي الأصل: فاجازوا، وفي ظ: فاجابوا (٥) زيد في ظ: خير (٦) سقط من مد (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تتعمدون. (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: هم (٩) في ظ: اوجده (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: عنهم .

التوالد المستحيل عليه مع كراهته لأنفسهم ، فصار ذلك أعجب العجب ، فقال تعالى : ﴿ ويحمدون الله ﴾ أى الذى لا معلوم على الحقيقة سواء^٢ لاستجماعه لصفات^٣ الجلال والإكرام .^٤ ولما كان المراد تقييدهم ، وكانت الأنوثة ربما أطلقت على كرائم الأشجار ، نص على المراد بقوله^٥ : ﴿ البنات ﴾ فلا أعجب منهم حيث يجعلون الوجود للعدم المجهول ،^٥ و يجعلون عدم الوجود للمعلوم ؛ ثم نزه نفسه عن ذلك معجبا من وقوعه من عاقل بقوله تعالى : ﴿ سبحانه ﴾ .

ولما ذكر ما جعلوا له مع الغنى المطلق ، بين ما نسبوا لأنفسهم مع لزوم الحاجة والضعف فقال : ﴿ ولهم ما يشتهون ﴾ من البنين ، وذلك فى جملة اسمية مدلولها الثبات ، ليكون^٦ [مناديا -^٦] عليهم^{١٠} بالفضيحة ، لأنهم^٧ لا ييقون^٧ لأبنائهم [و-^٦] لا يبق أبناؤهم لهم ، وقد يكونون أعدى أعدائهم ؛ ثم بين حالهم إذا حصل لهم نوع [ما -^٦] جعلوه^٨ له سبحانه فقال تعالى : ﴿ وإذا ﴾ أى جعلوا كذا والحال أنه إذا ﴿ بشر أحدهم ﴾ ولما تعين المراد^٩ وزال المحذور^{١١} ، جمع بين الخساستين كما بين فى آخر الصفات فقال تعالى^{١٢} : ﴿ بالأنثى ﴾ أى قابل هذه البشرى^{١٥}

- (١) سقط من م (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : سواء (٣) فى مد : بصفات .
(٤-٤) سقط ما بين الرقين من م (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فيكون .
(٦) زيد من ظ وم ومد (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : جعلوا (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ وم ، وفى الأصل : المعذور (١١) العبارة من « ولما تعين » إلى هنا ساقطة من م .

نظم الدرر (سورة النحل: ١٦: ٥٨ - ٦٠) ج - ١١

١- 'التي تستحق' السرور بحصول نسمة تكون سببا لزيادة هذا النوع، وقد تكون 'سبب سعادته، دالة على عظمة الله - بضد ما تستحق' مما لا يفيد شيئا بأن (ظل وجهه) وكنى عن 'العبوس والتكدر والغبرة بما يفور فيه من الغيظ بقوله تعالى: (مسودا) أى من الغم والكراهة، ولعله اختير لفظ 'ظل' الذى معناه العمل نهارا وإن كان المراد العموم فى النهار وغيره دلالة^١ على شهرة هذا الوصف شهرة ما يشاهد نهارا (وهو كظيم) ممتلئ غيظا على المرأة ولا ذنب لها بوجه، والبشارة فى أصل اللغة: الخبر الذى يغير البشرة من حزن أو سرور، ثم خص فى عرف اللغة بالسرور، ولا تكون^٢ إلا بالخبر الأول، ولعله عبر عنه بهذا اللفظ تنبيها على تعكيسهم للأمور فى جعلهم و سرورهم و حزنهم وغير ذلك من أمرهم.

ولما كان سواد الوجه والكظم قد لا يصحبه الخزي، وصل به قوله تعالى: (يتوارى) أى يستخفى بما يجعله فى موضع كأنه الورا لا اطلاع [لأحد - ١٠] عليه (من القوم) أى الرجال الذين هو^٣

(١ - ١) من م ومد، وفى الأصل: الذى يستحق، وفى ظ. الذى تستحق.
(٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يكون (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ:
لا يستحق (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: من (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: العموم (٦) فى ظ: دالا (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لا يكون.
(٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يستحق (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل:
جملة (١٠) زيد من ظ وم ومد (١١) فى ظ: هم.

فيهم ﴿ من سوء ما بشر به ﴾ لعدة^١ له خزيا، ثم بين ما يلحقه من الحيرة في الفكر عند ذلك بقوله تعالى: ﴿ ايمسكه على هون ﴾ أى ذل وسفول أمر، ولما كانوا يغيبون المؤودة في الأرض على غير هيئة الدفن، عبر عنه بالدس فقال تعالى: ﴿ ام يدسه في التراب ﴾ قال [ابن - ٢] معلق^٢: قال المفسرون: كانت المرأة إذا أدركها المخاض احتفرت حفيرة^٣ وجلست على شفيرها، فإن وضعت ذكرا أظهرته، وظهر السرور على أهله، وإن وضعت أنثى استأذنت مستولدها، فإن شاء أمسكها على هون وإن شاء أمر بالقائها في الحفيرة ورد / التراب عليها وهى حية لتموت^٤ - انتهى . قالوا: و كان الوأد في مضر وخزاعة و تميم .

ولما كان حكمهم هذا بالغا في القباحة، وصفه بما يستحقه فقال ١٠ مؤكدا لقبحه: ﴿ الاساء ما يحكمون ﴾ أى يجعل ما يكرهونه لمولاهم الذى لا نعمة عندهم إلا منه، وجعل ما يختارونه لهم خاصا^٥ بهم . ولما كان^٦ شرح هذا^٧ أنهم تكلموا بالباطل في جانبه تعالى وجانبهم، بين ما هو الحق في هذا المقام، فقال تعالى على تقدير الجواب لمن كأنه قال: فابقال في ذلك؟ مظهرا في موضع الإضمار، تنبيها على ١٥ الوصف الذى أوجب الإقدام على الأباطيل من غير خوف:

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: معدة (٢) زيد من م ومد (٣) في ظ: ملىق - كذا؛ وابن الملق هذا هو عبد الدائم بن محمد أبو المعالي ناصر الدين المعروف بابن بنت الملق، وفي الأعلام للزركلى: ويختصر فيقال: ابن الملق . (٤) في م: ليموت (٥) كما في معالم التنزيل للبغوى - راجع الباب ٧٩/٤ (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: خاصة (٧-٧) في ظ: هذا شرح .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ٦٠ و ٦١) ج - ١١

(للذين لا يؤمنون) أى لا يوجدون الإيمان أصلاً (بالآخرة مثل)
 أى حديث (السوء) من الضعف والحاجة والذل والرعونة
 (والله) أى الذى له الكمال كله (المثل) أى الحديث أو المقدار
 أو الوصف أو القياس (الاعلى) من الغنى والقوة وجميع صفات
 الكمال بحيث لا يلحقه حاجة ولا ضعف ولا شائبة نقص أصلاً، وأعدل
 العبارات^٢ عن ذلك لا إله إلا الله، ويتأتى تنزيل^٣ المثل على الحقيقة كما
 سيأتى إيضاحه إن شاء الله تعالى فى سورة الروم .

ولما كان أمره سبحانه وتعالى أجل مما تدركه العقول، وتصل إليه
 الافهام، أشار إلى ذلك بقوله تعالى : (وهو) لا غيره (العزيز)
 ١٠ الذى لا يمتنع عليه شيء فلا نظير له (الحكيم)^٤ الذى لا يقع شيئاً
 إلا فى محله، فلو عاملهم بما يستحقونه من هذه العظائم التى تقدمت عنهم
 لآخلى^٥ الأرض منهم (ولو يؤاخذ الله) أى الملك الأعظم الذى له
 صفات الكمال (الناس) كلهم .

ولما كان السياق للحكمة، وكان الظلم - الذى هو إيقاع [الشيء -]
 ١٥ فى غير موقعه^٦ - شديد المناقاة لها،^٧ وكان الشرك - الذى هذا^٨ سياقه -

(١) فى م : لا تلحقه (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : العبادات .
 (٣-٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل : باني تاويل (٤) زيد فى الأصل :
 اى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها (٥) من م ومد، وفى الأصل
 وظ : الذى (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ : لاجلى (٧) زيد من ظ وم
 ومد (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل : موضعه (٩) العبارة من هنا إلى
 ”بالفعل قال“ ساقطة من م (١٠) من مد، وفى الأصل : كان، وفى ظ : هو .

أظم

أظلم الظلم، قال معبرا^١ بالوصف الشامل لما وقع منهم^٢ منه بالفعل [و لما هم منظون عليه وهو وصف لهم ولم يباشره إلى الآن بالفعل - ^٣] قال: (بظلمهم) أى يعاملهم معاملة الناظر لخصمه المعامل^٤ له بمحض العدل من غير نظر إلى الفضل، وعبر بصيغة المفاعلة لأن دلالتها على المناقشة أبلغ (ما ترك) [و لما - ^٥] اقتضى الحال ذكر الظلم، وكان سياق هذه الآية أغلظ^٦ من سياق فاطر^٧، عبر بما يشمل كل محمول الأرض^٨ سواء كان على الظهر أو^٩ فى البطن مغمورا بالماء أو لا^{١٠} فقال تعالى: (عليها) أى الأرض المعلوم أنها مستقرهم المدلول عليها بالتراب، وأعرق^{١١} فى النقي فقال تعالى: (من دابة) أى نفس تدب على وجه الأرض، لأن الكل إما ظالم يعاقب بظلمه، وإما من مصالح الظالم^{١٢} فيهلكه عقوبة^{١٣} للظالم، أو لانه^{١٤} ما خلقهم إلا للبشر، فإذا أهلكهم أهلكتهم كما وقع قريب [منه - ^{١٥}] فى زمن نوح عليه السلام (ولكن) لا يفعل بهم ذلك، فهو (يؤخرهم) إيمالا بحكمته وحله (إلى أجل مسمى) ضربه لهم فى الأزل.

(١) زيد فى مد: اقتضى (٢) فى ظ: فيهم (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ وم و مد، وفى الأصل: المعاجل (٥) زيد لاستقامة العبارة، وهى من هنا إلى . أولا فقال تعالى «ساقطة من م (٦) من ظ وم مد، وفى الأصل: اغلاظ . (٧) راجع آخر آية (٨) من مد، وفى الأصل وظ: للأرض (٩) فى ظ: ام . (١٠-١١) سقط ما بين الرقيين من مد (١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: اغرب (١٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: للظالم (١٣-١٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ولانهم (١٤) زيد من ظ وم ومد (١٥) زيد فى الأصل وظ: أى، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها .

و لما قطع العلم بالغاية عما يكون، سبب عن ذلك الإعلام بما يكون فيه فقال: ﴿ فاذا جاء اجلهم ﴾ الذى حكم بأخذهم عنده ﴿ لا يستأخرون ﴾ أى عنه ﴿ ساعة ﴾ أى وقتاً هو عام التعارف بينكم؛ ثم عطف على جملة الشرط من أولها قوله تعالى: ﴿ ولا يستقدمون ﴾ هـ أى عن الاجل شيئاً .

و لما كان ما تقدم أمانة على كراهتهم لما نسبوه إلى الله تعالى ، أتبعه التصريح بعد التلويح بقوله تعالى: ﴿ ويجعلون لله ﴾ [أى - '] . وهو الملك الأعظم ﴿ ما يكرهون ﴾ أى لا تقسمهم، من البنات والأموال والشركاء فى الرئاسة ، و من الاستخفاف^٢ برسلهم وجنودهم والنهوان ١٠ / ٢٣٢ / برسالاتهم ، ثم وصف جراتهم مع ذلك ، الكائنة فى محل الخوف ، المقضية لعدم التأمل اللازم لعدم العقل [فقال - '] : ﴿ و تصف ﴾ أى تقول^٣ معتقدة مع القول الصفاء^٤ ، و لما كان قولاً لا حقيقة له بوجه ، أسنده إلى اللسان فقال: ﴿ السفتهم ﴾ أى مع ذلك مع أنه قول لا ينبغى^٥ أن يتخيله عاقل ﴿ الكذب ﴾ ثم بيّنه بقوله : ١٥ ﴿ ان لهم الحسنى^٦ ﴾ أى عنده ، ولا جهل أعظم ولا حكم^٧ أسوأ من أن تقطع بأن من يجعل^٨ له ما تكره يجعل لك^٩ ما تحب ، فكأنه قيل: فما لهم

- (١) فى م: ما (٢) زيد من م ومد (٣) فى ظ: الاستحقاق (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) ليست الواو فى الأصل و ظ (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل: يقول (٧) سقط من ظ (٨) زيد فى مد : اى (٩) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : احكم (١٠) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : يجعل (١١) فى ظ : له . (١٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : من .

عنده؟ قليل: (لا حرم) أى لا ظن ولا تردد فى (ان لهم النار) التى هى جزاء الظالمين (وانهم مفرطون) أى مقدمون معجلون إليها بتقديم من يسوقهم وإعجاله لهم، [وقال الرمانى: متروكون فيها، من قول العرب: ما أفرطت ورأى أحدا، أى ما خلفت ولا تركت، وقرأ نافع بالتخفيف والكسر، أى مبالغون فى الإسراف^١ والجراءة على الله. هـ
ولما بين ما لهم، وكانوا يقولون: إن لهم من يشفع فيهم، بين لهم -^٢] ما يكون من حالهم، بالقياس على أشكالهم تهديدا، وتسلية للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال تعالى: (تالله) أى الملك الأعلى^٣ (لقد أرسلنا) أى بما لنا من العظمة، رسلا من الماضين (إلى أمم) ولما كان، الإرسال بالفعل لم يستغرق زمان القبل، قال: (من قبلك) ١٠
[كما -^٤] أرسلناك^٥ إلى هؤلاء. (فزين لهم الشيطان) أى المحترق بالغضب، المطرود باللعة (إعمالهم) كما زين لهؤلاء فضلوهم كما ضلوا^٦ فأملكناهم (فهو) لا غيره (وليهم اليوم) بعد إهلاكهم حال كونهم فى النار ولا قدرة له على نصرهم (ولهم عذاب اليم^٧) فلا ولى لهم لأنه لو قدر على نصرهم لما أسلمهم للهلاك وقد أطاعوه، بل لو عدموا ولايته ١٥
كان ذلك أولى لهم، فهو نقي لأن يكون لهم ولى على أبلغ الوجوه.

(١) فى مد: الاشراف (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الاعظم (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: جاء. (هـ) من م ومد، وفى الأصل وظ: أرسلنا (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: اضلوا.

ولما كان حاصل ما مضى الخلاف والضلal و النقمة ، كان كأنه
 قيل : فين لهم و خوفهم ليرجعوا ، فانا ما أرسلناك إلا لذلك^١
 ﴿وما أنزلنا﴾ [أى -^٢] بما لنا من العظمة من جهة العلو ﴿عليك الكتب^٣﴾
 أى الجامع لكل هدى . ولما كان فى سياق الدعاء والبيان عبر ، بما يقتضى
 الإيجاب فقال : ﴿الالتين﴾ أى غاية البيان ﴿لهم﴾ أى لمن أرسلت
 إليهم وهم : الخلق كافة ﴿الذى اختلفوا فيه﴾ من جميع الامور دينا
 ودنيا لكونك أغزهم علما و أنقبتهم^٤ فيها ، وعطف على موضع
 التين ، ما هو فعل المنزل ، فقال تعالى : ﴿وهدى﴾ أى بيانا شافيا
 ﴿ورحمة﴾ أى و^٥ إكراما بمحبته .

١٠ ولما كان ذلك ربما شملهم^٦ وهم على ضلالهم ، فناه بقوله تعالى :
 ﴿لقوم يؤمنون﴾ والتين^٧ : معنى يؤدى^٨ إلى العلم بالشيء^٩ منفصلا عن^{١٠}
 غيره ، وقد يكون عن المعنى نفسه ، وقد يكون عن^{١١} صحته ، والبرهان
 لا يكون إلا عن صحته فهو أخص ، والاختلاف : ذهاب كل^{١٢} إلى
 [غير -^{١٣}] جهة صاحبه ، والهدى : بيان طريق العلم المؤدى إلى الحق .

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : كذلك (٢) زيد من ظ و مد .
 (٣) ليس فى الأصل فقط (٤) فى ظ : هو (٥) من م ومد ، وفى الأصل و ظ :
 اتقيهم (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اشملهم (٨) من
 م ومد ، وفى الأصل و ظ : التين (٩) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : نودى .
 (١٠ - ١٠) من ظ و م ومد . وفى الأصل : مفصلا على (١١) من ظ و م
 ومد ، وفى الأصل : على (١٢) زيد بعده فى الأصل : شيء ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م ومد لخذفها (١٣) زيد من ظ و م ومد .

و لما انقضى الدليل على أن قلوبهم منكراً^١ استكباراً وما يتعلق به،
 و ختمه بما أحى^٢ به القلوب بالإيمان و العلم بعد موتها بالكفر و الجهل،
 و كان المقصود الأعظم من القرآن تقرير^٣ أصول أربعة: الإلهيات،
 و النبوات، و المعاد، و إثبات القضاء و القدر و الفعل بالاختيار،^٤ و كان
 أجل هذه المقاصد الإلهيات، شرع في أدلة الوجدانية و القدرة و الفعل^٥
 بالاختيار، المستلزم للقدرة على البعث على وجه غير المتقدم ليعلم أن
 أدلة ذلك أكثر من أوراق الأشجار، و أجلى من ضياء النهار، فمظف
 على قوله " و الله يعلم ما تسرون و ما تعلنون " قوله جامعاً في الدليل
 بين العالم العلوى و العالم السفلى: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الأمر كله
 ﴿ انزل من السماء ﴾ فى الوقت الذى / يريده ﴿ ماء ﴾ بالمطر و الثلج ١٠ / ٢٣٣
 و البرد ﴿ فاحيا به الارض ﴾ الغبراء . و لما كانت عادته بذلك مستمرة،
 و كان^٦ السياق لإثبات دعائم الدين، و كان^٦ الإحياء بالماء لا يزال أثره
 قائماً فى زرع أو شجر فى بعض^٧ الاراضى، أعرى^٨ الظرف من الجار لأن
 المعنى به أبلغ فقال: ﴿ بعد موتها^٩ ﴾ باليبوسة و الجذب و تفتت النبات
 أصلاً و رأساً .

١٥

و لما كان ما أقامه على ذلك فى هذه السورة من الأدلة قد صار إلى

(١) فى ظ: منك (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: هو حى - كذا (٣) من
 ظ و م و مد، وفى الأصل: تقدير (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من
 ظ و م و مد، وفى الأصل: الانهار (٦-٦) سقط ما بين الرقين من م (٧-٧) من
 ظ و م و مد، وفى الأصل: الارض اعرض .

حد لا يحتاج معه السامع العاقل إلى أكثر من السماع، قال تعالى: ﴿ان في ذلك﴾
 [الماء - ٢] المؤثر بتدبيره هذا الأثر العظيم ﴿لآية لقوم يسمعون﴾
 هذا التنبيه في هذا الأسلوب المتضمن^٢ لما مضى من التشبيه، فيعلمون
 أنه ينزل^٣ من أمره ما يريد^٤ فيجي به أجساد العباد بعد موتها كما أحيى
 ه أجساد النبات بالماء^٥ بعد موتها و أرواح^٦ الأشباح بالعلم بعد موتها،
 والحاصل أن هذه الأدلة لا تحتاج^٧ مع الحس إلى كبير عمل بالقلب غير
 الاتقياد إلى الحق، وترك العناد والجهل، فهو من سماع الأذن وما
 ينشأ عنه من الإجابة، استعمالاً للشيء في حقيقته و مجازة، ولعله
 لم يحتملها بـ «يُصرون» لثلا يظن أن ذلك من البصيرة، فيظن أنه يحتاج
 ١٠ فيها إلى كبير فكر فيفوت ما أريد من الإشارة إلى شدة الوضوح .
 ولما ذكر سبحانه هذا الأمر العام، و نه على ما فيه من غريب
 [الصنع - ٩] الذي غفل عنه لشدة الألف به، أتبعه [بعض - ٢]
 ما ينشأ عنه من تفاصيل الأمور، المحتوية على عجائب المقدور. وبدأ
 بأعمها وأشدّها^{١٠} ملابسة لهم، وأكثرها في نفسه وأعظمها منفعة
 ١٥ ودخلا في قوام عيشهم. فقال: ﴿وان لكم﴾ أي أيها المخاطبون
 المغمورون في النعم ﴿في الانعام﴾ ولما كانت الأدلة يعبر بها من الجهل

(١) في ظ: كثرة (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) في ظ و م ومد: المضمن .
 (٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل: منزل (٥) في ظ و م ومد: يريد .
 (٦) العبارة من هنا إلى «لا يحتاج» ماقطة من ظ (٧) في مد: ارباح (٨) من م
 ومد، وفي الأصل: لا يحتاج (٩) زيد من م ومد، وفي ظ موضعه :
 صنعه (١٠-١٠) من ظ و م ومد، وفي الأصل: بأعمها و ارشدّها .

إلى العلم [قال - ١]: ﴿لعبرة^١﴾ فكأنه قيل: ما هي؟ فقيل: ﴿نسفيكم﴾
بضم النون في قراءة الجماعة من أسقاء^٢ - إذا أعد له ما يشربه دائماً من
نهر أو لبن وغيرهما، وبالفتح في قراءة نافع وابن عامر وعاصم في
رواية شعبة: من سقاء - إذا ناوله شيئاً فشربه .

ولما كان الأنعام اسم جمع، فكان مفرداً^٣ - كما نقل ذلك عن سيويه، ه
وذكر المسقي وهو اللبن، لما اقتضاه سياق السورة من تعدد النعم
فعينت إرادة الإنانث لذلك^٤، فاتنى الالتباس مع تذكير الضمير، قال
تعالى: ﴿بما﴾ أى من بعض الذى ﴿فى بطونه﴾ فذكر الضمير لآمن
اللبس^٥ والدلالة على قوة المعنى لكونها سورة النعم بخلاف
ما فى المؤمنون^٦ .

١٠

ولما كان^٧ موضع العبرة تخليص اللبن من غيره، قدم قوله تعالى:
﴿من بين فرث﴾ وهو الثفل الذى ينزل إلى الكرش، فاذا خرج
منه لم يسم فرثاً ﴿ودم لنا خالصاً﴾ من مخالط منهما^٨ أو من غيرهما
(١) زيد من م (٢) من ظ وم، وفى الأصل ومد: استقاء (٣) من ظ وم
ومد، وفى الأصل: مفرداً (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من م ومد،
وفى الأصل: كذلك، وفى ظ: لك (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: التذكير .
(٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: اللبن (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل:
قراءة (٩) فى ظ: لكونه (١٠) آية ٢١ (١١) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن
الزيادة فى ظ وم ومد فذفناها (١٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: معها .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦: ٦٦ و ٦٧) ج - ١١

ينفى^١ عليه بلون^٢ أوراثة؛ عن ابن عباس رضى الله عنهما^٣: إذا أكلت
البهيمة العلف واستقر في كرشها طبعته^٤، فكان أسفل فرثا، وأوسطه
لنا، وأعلاه دما. والكبد مسلطة^٥ على هذه الأصناف الثلاثة^٦ تقسمها،
فيجرى الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى الفرث في الكرش.
هـ (سأنا) أى سهل المرور في الخلق (للشربين هـ) ثم عطف عليه
ما هو أنفـس منه عندهم وأقرب إليه في المعاني المذكورة، فقال تعالى
معلقا بـ "نسيكم": (ومن ثمرات النخيل والاعناب).

ولما كان لهم مدخل في اتخاذ^٧ ما ذكر منه بخلاف اللبن الذي
لا صنع لهم فيه أصلا، أسند [الامر -^٨] إليهم^٩ وليكون ذلك^{١٠}
إشارة إلى كراهة السكر وتوطئة للنهي عنه في قوله مستأنفا:

٢٣٤ / (تخذون) أى باصطناع منكم وعلاج، "ولأجل استئناف هذه
الجملة كان لابد من قوله": (منه) أى من مائه، وعبر عن السكر

- (١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: سى - كذا؛ وزيد قبله في الأصل وظ
ومد: ما، ولم تكن الزيادة في م فخذناها (٢) من م، وفي الأصل وظ ومد:
يكون (٣) رواه الكلبي عن أبي صالح كافي روح المعاني ٤ / ٤٠١، وأورده
في اللباب والعالم موقوفا على ابن عباس - راجع ٤ / ١٨١ (٤) في ظ والمعام:
طبعته (٥) من مد، وفي الأصل وظ وم: مسلط، والكبد ما يذكر ويؤنث.
(٦) تكرر في الأصل فقط (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل: الاتخاذ.
(٨) زيد من ظ و م ومد (٩) العبارة من هنا إلى «لنهي عنه» ساقطة من م.
(١٠) سقط من ظ و م ومد (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من م.

بالمصدر إبلافا في تقييحه، و زاد في الإبلاغ بالتعبير بأثقل المصدرين وهو المحرك، يقال: سكر سكرًا وسكرًا مثل رشد رشدًا ورشدًا، ونخل نخلاً ونخلًا، فقال تعالى: ﴿ سكرًا ﴾ أى 'ذا سكر' منشيا مطربا "مادًا لمجارى العقل قيحا غير مستحسن" للرزق (ورزقا حسنا) لا ينشأ عنه ضرر في بدن ولا عقل من 'الحل والدبس' وغيرهما، ولا يسد شيئا من المجارى، بل ربما فتحها كالحلال الطيب، فانه ينير القلب، و يوسع العقل، و الادهان كلها تفتح سدد البدن، وهذا كما منحكم "سبحانه العقل الذى لا أحسن منه فاستعمله قوم على صوابه" في الوحداية، و عكس آخرون فدنسوه بالإشراك؛ قال الرماني: قيل: السكر ما حرم من الشراب، و الرزق الحسن: ما أحل منه - عن ١٠ ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وإبراهيم و الشعبي وأبى رزين والحسن ومجاهد وقادة رضى الله عنهم . و السكر فى اللغة على أربعة أوجه: الأول ما أسكر^١. الثانى ما أطعم^٢ من الطعام^٣. الثالث السكون،

(١) من مد، وفى الأصل وظ: سكر (٢-٢) فى ظ: بنخل بنخلا وبنخلا (٣) العبارة من «و عبر» ص ١٩٤ س ١٢ إلى هنا ساقطة من م (٤-٤) سقط ما بين الرقين من م (٥) العبارة من هنا إلى «الرزق» ساقطة من م (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: محسن (٧-٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الحس والدنس - كذا (٨) فى الأصل وظ ومد: غيرها، والتصحيح من م، وسقطت العبارة فيه من هنا إلى «فدنسوه بالإشراك» (٩) فى ظ: يثير (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: سيحكم.

(١١) فى ظ: جوابه (١٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: أسكره.

(١٣-١٣) سقط ما بين الرقين من ظ.

الرابع المصدر من سكر ، وأصله^١ انسداد المجارى مما يلقي فيها^٢ ، ومنه السكر - يعنى^٣ بكسر ثم سكون ، ومن حمل السكر على السكر قال : إنها منسوخة بآية المائدة ، والتعبير عنه بما يفهم سد المجارى يفهم كراهته عند ما كان حلالاً^٤ ، والآية من الاحتباك : ذكر السكر^٥ أولاً دال على الفتح ثانياً ، وذكر الحسن دال على القبح أولاً ، فالآية أدل ما فى القرآن على المعتزلة فى أن الرزق يطلق على الحرام ، ولتقارب آتى الانعام والاشجار^٦ جمعها^٧ سبحانه فقال تعالى : ﴿ان فى ذلك﴾ أى الامر العظيم من هذه المنافع ﴿لآية﴾ ولوضوح أمرهما فى كمال قدرة الخالق ووحديته قال تعالى : ﴿لقوم يعقلون﴾ .

١٠. ولما كان أمر النحل فى الدلالة على [تمام -^٨] القدرة وكال الحكمة^٩ أعجب مما تقدم وأنفس ، ثلث به وأخره لأنه أقل الثلاثة عندهم ، وغير الأسلوب وجعله من وحيه إيماء^{١٠} إلى ما فيه من غريب الامر وبديع الشأن فقال تعالى : ﴿واوحى ربك﴾ أى المحسن إليك بجعل العسل فى مفاوز البرارى المقفرة المفرطة المرارة^{١١} وغيرها

(١) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فيها (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بمعنى . (٤) العبارة من هنا إلى «على الحرام» ساقطة من م (٥) فى ظ : الرسل (٦) فى ظ : الاسبحار (٧) من م ، وفى الأصل وظ ومد : جمعها (٨) زيد من ظ و م ومد . (٩) من م ، وفى الأصل وظ ومد : القدرة (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل ومد : دائماً (١١) من م ، وفى الأصل وظ ومد : الحرارة .

من الأماكن و بغير ذلك من المنافع، الدال على الفعل بالاختيار و تمام
 الاقتدار ﴿ الى النحل ﴾ أى بالإلهام ؛ قال الرازى فى اللوامع : فأنه تعالى
 أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ، فبعضها بالتسخير المجرد كالجادات ،
 وبعضها بالإلهام و التسخير كالنحل و السرفة - أى بضم و سكون ، وهى
 دوية تتخذ بيتاً^١ من دقاق العيدان فتدخله^٢ وتموت^٣ - و العنكبوت ،
 و بعضها^٤ بالتسخير و الإلهام و العقل المتفق^٥ على نظام واحد كالملائكة ،
 و بعضها^٦ بكل ذلك و الفكر و التمييز و الأعمال المختلفة المبينة على الفكر^٧
 كالإنسان .

و لما كان فى الإيحاء معنى القول ، أتى بـ « أن » المفسرة فقال تعالى :
 ﴿ ان اتخذى ﴾ أى افعل ما يفعله المتكلف من^٨ أن يأخذ ﴿ من الجبال يوتا ﴾^٩
 أتى يوت^{١٠} ما أعجبها^{١١} ﴿ و من الشجر ﴾ أى الصالحة لذلك فى الغياض
 و الجبال و الصحارى ﴿ و بما يعرشون ﴾ أى يرفع الناس من السقوف^{١٢}
 و الجدران و غيرها ، و بدأ باليوت لأنها من عجب الدهر^{١٣} فى حسن
 الصنعة و بداعة^{١٤} الشكل و براعة الأحكام و تمام التناسب .

(١) سقط من مد (٢ - ٢) فى مد : فموت (٣) العبارة من هنا إلى « كالملائكة
 و بعضها » ساقطة من ظ (٤) من م و مد ، وفى الأصل : المتخذ (٥) زيد فى
 الأصل : لك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفنا (٦) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : الذكر (٧) فى ظ و مد : فى (٨) فى ظ : يوتا (٩) من ظ و م
 و مد ، وفى الأصل : السفول (١٠) زيد فى الأصل و مد : من ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م فحذفنا (١١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : براعة .

ولما كان أهم شيء للحيوان / بعد الراحة من همّ المقيّل الأكل ، ثي^١
 به ، ولما كان عاماً في كل ثمر ، ذكره بحرف الترخي إشارة إلى عجيب
 [الصنع - ٢] في ذلك و تيسيره^٢ لها ، فقال تعالى : (ثم كلي) وأشار
 إلى كثرة^٣ الرزق بقوله تعالى : (من كل الثمرات) قالوا : من أجزاء
 لطيفة^٤ تقع على أوراق الأشجار من الظل ، وقال بعضهم : من نفس
 الإزهار والأوراق .

ولما أذن لها في ذلك كله ، وكان من المعلوم عادة أن تعاطيه
 لا يكون إلا بمشقة عظيمة في معاناة السير إليه ، به على خرقه للعادة في
 تيسيره لها فقال تعالى : (فاسلكي) أي قسب عن الإذن في
 ١٠ الأكل الإذن في السير إليه (سبل ربك) أي المحسن إليك بهذه الترية
 العظيمة لأجل الأكل ذاهبة إليه وراجعة^٥ إلى بيوتك حال^٦ كون
 السبل (ذلاً) أي موطأة للسلوك مسهلة كما قال تعالى " هو الذي
 جعل لكم الأرض ذلولاً " وأشار باسم الرب إلى أنه لولا عظيم
 إحسانه في تربيتها لما اهتدت إلى ذلك ؛ ثم أتبعه نتيجة ذلك جواباً لمن
 ١٥ كأنه قال : ما ذا يكون عن هذا كله ؟ فقال تعالى : - (يخرج من بطونها)
 - بلفت^٧ الكلام لادم قصدها^٨ إلى هذه النتيجة (شراب) أي شراب أو هو
 العسل لأنه مع كونه من أجل الماء كل هو " مما يشرب " (مختلف الوانه)
 (١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : شيء (٢) زيد من ظ وم ومد .
 (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : سص - كذا (٤) في ظ : ثمرة (٥) من م
 ومد ، وفي الأصل و ظ : الطبيعة (٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :
 راجعك (٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : حالة (٨) سورة ٦٧ آية ١٥ .
 (٩) من م ، وفي الأصل و ظ وم مد : أفت (١٠) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل : مقبدها (١١ - ١٠) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : مابشر .

من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك^١، اختلافاً دالاً على أن فاعله
مع^٢ تمام قدرته مختار، ثم أوضح ذلك بقوله تعالى: ﴿فيه﴾ أى مع كونه
من الثمار النافعة والضارة^٣ ﴿شفاء للناس﴾ قال الإمام الرازى فى اللوامع:
إذ المعجونات كلها بالعسل، وقال إمام الأولياء محمد بن على الترمذى:
إنما كان [ذلك - ١] لأنها ذلت لله مطيعة وأكلت من كل الثمرات: هـ
حلوها ومرها محبوبها ومكروهها، تاركة لشهواتها، فلما ذلت لأمر الله،
صار هذا الأكل^٤ لله، فصار ذلك شفاء للأسقام، فكذلك إذا ذل العبد
[لله - ٢] مطيعاً، وترك هواه، صار كلامه شفاء للقلوب السقيمة - انتهى.
وكونه شفاء - مع ما ذكر - أدل على القدرة والاختيار من اختلاف
الألوان، لا جرم وصل به قوله تعالى: ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر ١٠
العظيم من أمرها [كله - ٣] ﴿لاية﴾ وكما أشار فى ابتداء الآية إلى
غريب الصنع فى أمرها، أشار إلى مثل ذلك فى الختم بقوله تعالى:
﴿لقوم يتفكرون﴾ أى فى اختصاص النحل بتلك العلوم^٥ الدقيقة
و اللطائف الخفية بالبيوت المسدسة، والاهتداء إلى تلك الأجزاء اللطيفة
(١) سقط من ظ وم د (٢) فى ظ: من (٣) من ظ وم وم د، وفى الأصل:
الصادرة (٤) ليس فى ظ وم وم د (٥) هو محمد بن على بن الحسن بن بشير الحكيم
الترمذى أبو عبد الله، محدث حافظ صوفى - راجع لترجمته طبقات السبكي
و تذكرة الذهبى (٦) زيد من ظ وم وم د (٧) زيد فى ظ: كله (٨) زيد من م.
(٩) فى ظ: المطوم - كذا.

من أطراف الأشجار و الأوراق - و غير ذلك من الغرائب حيث ناطه
 بالفكر المبالغ^١ [فيه -^٢] من الأقوياء، تأكيداً لغنائه و تعظيماً لدقته
 و غرابته في دلالته على تمام العلم و كمال القدرة ، و قد كثر في هذه السورة
 إضافة الآيات إلى المخاطبين، تارة بالإنفراد و تارة بالجمع ، و نوطها^٣
 ٥ تارة بالعقل و تارة بالفكر، [و تارة بالذكر -^٤] و تارة بغيرها .

و قد جعل الإمام الرباني أبو الحسن الحرالي في كتابه المفتاح لذلك
 باباً بعد أن جعل أسنان^٥ الالباب مثل أسنان الأجساد ما بين تمييز
 و احتلام و شباب و كهولة و غيرها كما تقدم نقله عنه في سورة براءة
 عند قوله تعالى "و منهم الذين يؤذون النبي" فقال: الباب التاسع في
 ١٠ وجوه إضافات الآيات و اتساق الأحوال لآستان^٦ القلوب في القرآن
 - أي فإن لذلك مراتب في العلم و الأفهام - : اعلم أن الآيات و الأحوال
 تضاف و تتسق لمن اتصف بما به^٧ أدرك معناها^٨، و يؤنب عليها^٩ من
 "تقاصر عنها"^{١٠}، و ينفي منالها عن لم يصل إليها، و هي أطوار / أظهرها^{١١}

/ ٢٣٦

(١) في ظ: البالغ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل:
 بوطا - كذا (٤) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ و م و مد فخذناها.
 (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٦) آية ٦١ (٧) من م و مد،
 وفي الأصل وظ: الاسنان (٨ - ٨) من م و مد، وفي الأصل: ادراك معناه،
 وفي ظ: ادراك معناها (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عنها.
 (١٠ - ١٠) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تقاصرها - كذا (١١) من ظ و م
 و مد، وفي الأصل: ظهرها .

آيات الاعتبار البادية لأولى الأبصار ، لأن الخلق كله إنما هو عظم
 للاعتبار [منه - '] ، لأنه موجود للاقتناع^٢ به " ورضوا بالحياة
 الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آيتنا غفلون أولئك ما أولهم النار بما
 كانوا يكسبون " اتخذوا ما خلق للعبدة به إلى ربهم كسبا لأنفسهم حتى
 صار عندهم وعند أتباعهم آيتهم ، لا آية خالقه " اتبنون بكل ربيع^٣
 آية تعشون^٤ ، " والله خلقكم وما تعملون " ثم يلي آيات الاعتبار ما ينال
 إدراك^٥ آيته العقل الأدنى ببداهة نظره^٦ " وسخر لكم الليل والنهار
 والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم
 يعقلون " جمع^٧ الآيات لتعدد وجوها في مقصد البيان^٨ ، ثم يلي ما يدرك
 ببداهة العقل ما يحتاج إلى فكر يشيره^٩ العقل الأدنى لكشف الحواس^{١٠}
 بمنفعته عن التفكير في وجه آيته " هو الذي أنزل من السماء ماء لكم
 منه شراب ومنه شجر فيه تسمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل
 والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون " أفرد
 الآية لاستناد كثرته إلى وحدة الماء ابتداء ووحدة [الاتفاح - ']
 انتهاء^{١١} ، ثم يلي ما يدرك^{١٢} بفكر^{١٣} العقل الأدنى ما يقبل^{١٤}

- (١) زيد من ظ وم ومد (٢) في ظ : للاتفاح (٣) من م ومد ، وفي الأصل :
 كالدرار ، والكلمة ساقطة من ظ (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : للداني .
 (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : فطرة (٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :
 جميع (٧) زيد في الأصل : ما يقصده ، ولم تكن الزيادة في ظ وهو مد لحذفها .
 (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : يشيره (٩) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل : الانتهاء (١٠) من ظ وم ومد . وفي الأصل : يدل (١١) زيد في
 مد : الاذن

بالإيمان^١ ويكون آية أمر قائم على خلق، وهو عما يدرك سمعا لأن
 الخلق مرئي والأمر مسموع ” وما أنزلنا عليك الكتب الا لتبين لهم
 [الذى - ٢] [اختلفوا] فيه - ٣ [وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله
 أنزل من السماء [ماء - ٤] فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية
 لقوم يسمعون“ هذه آية حياة القلوب بنور العلم والحكمة الذى أخذ
 سمعا عند تقرر الإيمان، وعند هذا الحد يتناهى العقل إلى فطرة الأشد
 وتعلو بداهته^٥ وتترقى فطرته^٥ إلى نظر ما يكون آية فى نفس الناظر
 لأن محار غيب [الكون - ٦] يرد إلى وجدان نقص الناظر، وكما أن
 الماء آية حياة القلوب صار الشرابان^٧ اللبن والخمر، آيتين على أحوال تخص
 ١٠ القلوب بما يغذوها من^٨ الله غذاء اللبن و^٩ ينشئها نشوة السكر، منبعثا من
 بين فرث ودم نزول الخلق المقام عن الأمر القائم عليه ” وان لكم فى
 الانعام لعلبة^{١٠} - الآيتين إلى قوله تعالى: ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون“
 وهذا هو العقل الأعلى، وأفرد الآية لانفراد موردها فى وجد^{١١} القلب،

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الايمان (٢) زيد من ظ و م و مد والقرآن
 الكريم ١٦ / ٦٤ (٣) زيد من مد والقرآن الكريم (٤) زيد من ظ و م و مد
 والقرآن الكريم ١٦ / ٦٥ (٥-٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يترقى نظره .
 (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م، وفى الأصل: الرمان، وفى ظ: السربان،
 وفى مد: السرابان (٨) زيد فى الأصل: امر، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد
 لحذفناها (٩) من م و مد، وفى الأصل و ظ: هو (١٠) سقط من ظ و م
 و مد (١١) من م و مد، وفى الأصل: وجه .

وكما للعقل الأدنى فكرة تنبئ عن بدايته فكذلك للعقل الأعلى فكرة تنبئ عن علي فطرته^٢ " و اوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا^٣ ومن الشجر^٤ - الى قوله : لآية تقوم بتفكرون^٥ " وهذا العقل الأعلى هو اللب الذى عنه يكون التذكر بالأدنى من الخلق للآعلى من الأمر^٦ " وما ذرا لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون^٧ " وفى مقابلة كل من هذه الأوصاف أضداد يرد البيان فيها بحسب مقابلتها، وكذلك^٨ حكم وصف المسلمين فيما يظهر أن لا أنجي للعبد من إسلامه نفسه لربه ، ووصف المحسنين فيما يظهر قيام ظاهر العبد بربه ، ووصف الموقنين فيما وجد يقينه العبد^٩ [من نفسه -^٩] أو عين ابتداه^{١٠} بظاهر حسه " ألم ذلك الكتب لارب فيه هدى^{١٠} للتقين " من^{١١} استغنى بما عنده من وجد لم يتفرغ لقبول غيب " ياايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله^{١٢} " اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصلحت ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا^{١٣} " و من يتبع غير الاسلام / ديننا فلن يقبل منه " " ثم اتقوا [واحسنوا -^{١٤}] والله يحب المحسنين " ،

(١) من م ومد ، وفى الأصل : الأدنى ، والعبارة من م وأفرد الآية « إلى هنا ساقطة من ظ (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فكرته (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ وم ومد (٤) زيد بعده فى الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفنا (٥) فى ظ : الامور (٦) فى ظ : يتذكرون (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لذلك (٨) فى ظ : بالعبد (٩) زيد من ظ وم ومد . (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ابتدا (١١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بما (١٢) زيد من ظ وم ومد والقرآن الكريم سورة ه آية ٩٣ .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ٦٩ و ٧٠) ج - ١١

ه فاذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ،
 "وفى خلقكم وما يبث من دابة آيت لقوم يوقنون". "وكذلك نرى
 ابراهيم ملكوت السموات والارض و ليكون من الموقنين" و الجملة هذه
 الارصاف أيضا^٢ أضداد يرد يان القرآن فيها بحسب تقابلها و يجرى معها
 ٥ إفهامه ، و ما أوصله "خفاء السمع" و المرأى إلى القلب هو فقهه ، و من
 فقد ذلك وصف سمعه بالصمم وعينه بالعمى ، و نفى الفقه عن قلبه ،
 و نسب إلى البهيمية^٣ ، و من^٤ لم تتل فكرته أعلام ما غاب عنه عيانه^٥
 نفى عنه العلم "الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون
 سمعا". "لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم
 ١٠ اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل [م - هـ] اضل اولئك هم
 الغفلون"، "يقولون لئن رجعنا إلى المدينة - إلى قوله : ولكن المنفقين
 لا يعلمون"، "يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
 - الآية إلى قوله تعالى : ولكن المنفقين لا يفقهون" نفى العلم فيما ظهرت
 أعلامه و الفقه فيما خفى أمره ، و مراد البيان عن أضدادها^٦ هذه
 ١٥ الارصاف بحسب تقابلها^٧ ، و هذا الباب لمن يستفتح^٨ من أنقع فواتح

(١) فى ظ و مد : لجملة (٢) سقط من ظ (٣-٢) من م و مد ، و فى الأصل :
 صفا السمع ، و فى ظ : خفاء السمع (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :
 عينيه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البهيمية (٦) سقط من مد (٧) من ظ
 و م و مد ، و فى الأصل : عاية - كذا (٨) زيد من ظ و م و مد و القرآن
 الكريم سورة ٧ آية ١٧٩ (٩) زيد فى ظ : ما ، و العبارة بعنورها بعض الغموض .
 (١٠) فى ظ : تقالبا (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يستقيحه .

الفهم في القرآن - انتهى .

ولما أيقظهم من رقدتهم ، ونههم على عظيم غفلتهم عن عموم
القدرة و شمول العلم ، المقتضى للفعل بالاختيار ، المحقق للبعث وغيره ،
من كل ما يريد^١ سبحانه يعرض آياته المبثوثة في الآفاق من جماد ثم
حيوان ، وختم [ذلك - ٢] بما هو شفاء ، ثنى ببعض ما في أنفسهم من هـ
الأدلة على ذلك 'مذكرا بمراتب' عمر الإنسان الأربع ، وهي سن
الطفولية والنو ، ثم سن الشباب الذي يكون عند انتهائه الوقوف ،
ثم سن اليكوله وفيه يكون الانحطاط مع بقاء القوة ، ثم سن الانحطاط
مع ظهور الضعف وهو الشيخوخة ، مضمنا ما لا يغنى عنه دواء ، حثا
على التفكير في آياته والتعقل لها قبل حلول^٣ ذلك الحادث ، فيفوت ١٠
القوت ، ويندموا^٤ حيث لا ينفع الندم ، فقال : ﴿ والله ﴾ أى المحيط
بكل شيء قدرة وعلما ﴿ خلقكم ﴾ فجعلكم بعد^٥ عدم أحياء ففما خصا
﴿ ثم يتوفكم ﴾ على اختلاف الأسنان^٦ ، فلا يقدر الصغير على أن
يؤخر ، ولا الكبير على أن يقدم ، فنسبكم من يموت حال قوته
﴿ ومنكم من يرد ﴾ أى بأيسر أمر [منا ، لا يقدر^٢] على مخالفته بوجه ١٥
﴿ إلى أرذل العمر ﴾ لأنه يهرم^٧ فيصير [إلى - ٢] مثل حال الطفولية

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عظام (٢) فى ظ و م و مد : يريد .

(٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) فى م : ذاكرا مراتب (هـ) من ظ و م

و مد ، وفى الأصل : حلوك (٦) فى م : تندموا (٧) فى ظ : يهدم (٨) سقط

من مد (٩) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يهدم .

٥ في الضعف مع استقذار غيره له^١، ولا يرجى بعده ﴿لكي لا يعلم﴾ .
ولما كان مقصود السورة الدلالة^٢ على تمام القدرة وشمول العلم
والتنزه عن كل شائبة نقص، وكان السياق هنا لذلك^٣ [أيضا-^٤]
بدليل ختم الآية، نزع الخافض للدلالة على استغراق الجهل لزمن ما
بعد العلم، فيتصل بالموت، ولا ينفع فيه دواء ولا تجدى^٥ معه حيلة فقال:
﴿بعد علم شيئاً﴾ لا يوجد في شيء من ذلك عند إحلاله شفاء،
ولا يمنعه دواء، فبادروا إلى التفكير^٦ والاعتبار قبل حلول أحد هذين،
ثم علل ذلك بقوله تعالى: ﴿ان الله﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة
﴿عليم قدير﴾ أى بالغ العلم شامل القدرة، فهما أراد كان، ومهما
أراد غيره ولم يردده^٧ هو، أحاط به عليه، فسبب^٨ له بقدرته
ما يمنعه .

٢٣٨ / ولما ذكر المفاوطة / في الأعمار المنادية بإبطال الطبائع الموجبة
للسابقة إلى الاعتبار لأولى الأبصار للخوف كل لحظة من مصيبة الموت،
ثنى بالمفاوطة في الأرزاق^٩ فقال تعالى: ﴿والله﴾ أى لذى له الأمر كله

(١-١) سقط ما بين الرقين من م (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: الدالة.
(٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كذلك (٤) زيد من ظ وم ومد.
(٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لا تجزى (٦) زيد في الأصل: أى،
ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل:
الاعتبار (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لم يرد (٩) من م، وفي الأصل:
وظ وم: قسب (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: شيء (١١) من
ظ وم ومد، وفي الأصل: الأوراق .

(فضل بعضكم)^١ أيها الناس (على بعض) .

ولما كانت وجوه التفضيل كثيرة ، وكان التفضيل في المعاش الذي يظن الإنسان أن له قدرة على تحصيله^٢ ، وكانت المساواة فيه أدل على تمام القدرة والفعل بالاختيار الذي السياق له ، قال تعالى : (في الرزق)^٣ أي ولربما جعل الضعيف العاجز الجاهل^٤ أغنى من القوى^٥ المحتال العالم ، ه فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، وأقبلوا بجميع قلوبكم على ما ينفعكم من الاستبصار ؛ قال [الإمام -^٦] أبو نعيم في الحلية : حدثنا سليمان بن أحمد ثنا^٧ أحمد [ثنا أحمد بن أحمد -^٨] بن عمرو الخلال [قال -^٩] : سمعت ابن أبي^{١٠} عمر يقول : كنا عند سفيان بن عيينة فذكروا الفضل ابن الربيع ودهاءه ، فأنشأ [سفيان -^{١١}] يقول :

كم من قوى قوى في قلبه مذهب الرأي عنه الرزق منحرف
ومن^{١٢} ضعيف ضعيف العقل محتلط^{١٣} كأنه من خليج البحر^{١٤} يغترف
وعن نوادر أبي^{١٥} علي القالي أنه قال : قال أبو بكر ابن الأنباري : وحدثني
(١) زيد في الأصل : أي ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفناها .
(٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : تخلصه (٣-٣) من ظ و م ومد ، وفي
الأصل : أقوى من النفي (٤) زيد من م (٥) ٧ / ٢٧٦ (٦) من ظ و م ومد
والحلية ، وفي الأصل : « و » (٧) زيد من الحلية (٨) سقط من ظ (٩) زيد من
ظ و م ومد والحلية (١٠) في الحلية : كم (١١-١١) من م ومد والحلية ، وفي
الأصل : في تحلظه ، وفي ظ : العقل تخليط - كذا (١٢) زيد في الأصل : بحر ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد والحلية لحذفناها (١٣) في مد : ابن .

أَبِي قَالَ : بَعَثَ سَلِيمَانَ الْمُهَلَّبِيَّ^١ إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ^٢ أَحْمَدَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
وَطَالِبَهُ^٣ بِصَحْبَتِهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ^٤ الْمِائَةَ أَلْفَ^٥ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ هَذِهِ^٥ الْآيَاتُ :
أَبْلَغَ سَلِيمَانَ أَنَّهُ فِي سَعَةٍ^٦ وَفِي غِنًى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ
مِثْلِي^٧ بِنَفْسِي أَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا^٨ يَمُوتُ هَزْلًا^٩ وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ
هَـ فَالْزُقُ^{١٠} عَنْ قَدْرٍ لَا الْعِزَّ يَنْقُصُهُ وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلٌ مُحْتَالٌ
وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ تَعْرِفُهُ^{١١} وَمِثْلُ ذَلِكَ الْغِنَى [فِي-] الْنَفْسِ لَا الْمَالِ

وَلَمَّا كَانَ جَعَلَ الْمَمْلُوكُ^{١٢} فِي رَتَبَةِ الْمَالِكِ مَا يَتَعَاضَمُهُمْ^{١٣} فِي حَقْوَقِهِمْ
مَعَ أَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَا مِلْكَ وَلَا مُلْكٌ ، فَلَا يَدِينُونَ لَذَلِكَ وَلَا يَدَانُونَهُ
وَأِنْ جَلَّ الْخَطْبُ وَأَدَّى إِلَى ذَهَابِ الْأَرْوَاحِ ، بَلْ مِنْ كَانَتْ أُمُّهُ مَمْلُوكَةً
١٠ حَطُّوا رَتَبَتَهُ وَإِنْ^{١٤} كَانَ أَبُوهُ مِنْ-كَانَ ، وَإِنْ كَانَتْ الْعَبْرَةُ عَنْهُمْ فِي

(١) مِنْ ظ وَ م وَ مَد ، وَفِي الْأَصْلِ : الْمَتْنِي (٢) سَقَطَ مِنْ ظ (٣) فِي ظ وَ مَد :
طَالِبَتُهُ (٤) فِي مَد : الْآلِف (٥) مِنْ ظ وَ م وَ مَد ، وَفِي الْأَصْلِ : بِهَذِهِ ،
وَالْآيَاتُ الْآتِيَّةُ - بِالإِضَافَةِ إِلَى هَذِهِ الْوَاقِعَةِ - قَدْ أُلْمَ بِهَا بِبَعْضِ مَفَارِقَاتِ فِي تَرْجُمَةِ
الْأَلْبَاءِ وَإِنْبَاءِ الرِّوَاةِ وَمَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ وَوَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ (٦) فِي ظ : وَسَعَةٍ ،
وَفِي الْإِنْبَاءِ : دَعَا (٧) مِنْ م وَ مَد وَ ثَلَاثَةُ الْمَرَّاجِعِ ، وَفِي الْأَصْلِ : مِثْلِي ، وَفِي
ظ : مِثْلِي ، وَفِي الْوَفِيَّاتِ : مِثْلِي (٨) مِنْ م وَ مَد وَ الْمَرَّاجِعِ كُلِّهَا ، وَفِي الْأَصْلِ :
هَذَا ، وَفِي ظ : هَذَا (٩) فِي الْوَفِيَّاتِ وَ الْإِنْبَاءِ : الرِّزْقُ (١٠) فِي الْوَفِيَّاتِ
وَالْمَعْجَمِ : تَعْرِفُهُ (١١) زَيْدٌ مِنْ ظ وَ م وَ مَد وَ الْمَرَّاجِعِ (١٢) مِنْ م وَ مَد ،
وَفِي الْأَصْلِ وَ ظ : الْمَمْلُوكُ (١٣) مِنْ ظ وَ م وَ مَد ، وَفِي الْأَصْلِ : يَتَوَاعَاظُهُمْ -
كَذَا (١٤) مِنْ ظ وَ م وَ مَد ، وَفِي الْأَصْلِ : إِذَا .

النسب بالأب ، وهذا [هو - '] الذى أحوج^١ عترة إلى قوله :
 لاني^٢ امرؤ من خير^٣ عيس منصبا شطرى^٤ وأحى سارى بالمنصل^٥
 إلى غير ذلك مما كان يعتذر به عن^٦ جهة أمه ، نبههم سبحانه على ما^٧
 وقعوا فيه في حقه من ذلك بسبب^٨ الإشراف مع أنه مالك الملك
 وملك^٩ الملوك بعد^{١٠} ما اجترأوا عليه في تفضيل أنفسهم في نسبة البنات ه
 إليه ، فقال تعالى : ﴿ فَا الَّذِينَ فَضَّلُوا ﴾ أى في الرزق ﴿ بَرَّادَى رِزْقِهِمْ ﴾
 أى الذى^{١١} اختصوا^{١٢} به ﴿ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ وإن جل نعمهم
 وتعاضل عندهم وقهم ﴿ فَمِنْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ أى فيكون بذلك الرد للمالك^{١٣}
 والمملوك سواء ، فهو جواب للنفي - نقله الرمان عن ابن عباس ومجاهد
 وقادة رضى الله عنهم .

ولما وضع ذلك وضوح الشمس وظهر حتى ما به أصلا نوع
 لبس ، تسبب عنه^{١٤} الإنكار في قوله على وجه الإعراض^{١٥} عن خطابهم
 (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : اخرج .
 (٣) من ظ و م والأغاني ٢٤٠/٨ ، وفي الأصل و مد : فاني (٤) من م و مد
 والأغاني ، وفي الأصل : غير ، وسقط من ظ (٥) من م و مد والأغاني ،
 وفي الأصل و ظ : شطرى (٦) من م و مد والأغاني ، وفي الأصل و ظ :
 بالمنصل (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : من (٨) في ظ : سبب (٩) في
 ظ : مالك ، وسقط من م (١٠) في ظ : مع (١١) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : الذين (١٢) في ظ : اختلفوا (١٣) تكرر في الأصل فقط (١٤) زيد في
 الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (١٥) سقط من مد .

المؤذن بالملت : ﴿ افبعمة الله ﴾ أى الذى لا رب غيره ﴿ يمحدون ٥ ﴾
 فى جعلهم له شركاء يضيفون إليهم بعض ما أنعم به عليهم ، فيسبون بينهم
 و بينه فى ذلك و بنعمتهم يعترفون و لها يحفظون فى إنزال ما ملكك إيمانهم
 عنهم فى المراتب و الأموال .

و لما ذكر الخلق و الرزق ، أتبعهما / الألفاظ بالتأنى بالجنس من
 الأزواج و الأولاد و غيرهما ' اللازم له القيام بالمصالح فقال تعالى :
 ﴿ و الله ﴾ أى الذى له تمام القدرة و كمال العلم ﴿ جعل لكم ﴾ و لما
 كان الأزواج من الجنس ، قال : ﴿ من انفسكم ﴾ لأن الشئ ألف
 نوعه و أقرب إلى جنسه ﴿ أزواجاً ﴾ أى تتوالدون [بها - ٥] و يكون
 ١٠ السكون إليها سبباً لبقاء نوعكم ﴿ و جعل لكم ﴾ [أى أيها الناس الذين بوجهون
 رغباتهم إلى غيره - ٥] ١ ﴿ من أزواجكم بنين ﴾ و لعله قدمهم للشرف ،
 ثم عطف على ذلك ما هو أعم فقال : ﴿ و حفدة ﴾ [أى - ٥]
 من البنات و البنين و أولادهم و الأصهار و الأختان ، جمع حافد ، يخفون
 فى أعمالكم و يسرعون فى خدمكم طاعة و موالة ، لا كما يفعل الأجانب
 ١٥ و بعض العاقين ، و هذا معنى ٢ ما نقله الرماني عن ابن عباس رضى الله عنهما
 من ٣ أنه فسرهم بالخدام و الأعوان ، و هو الصواب ٤ لأن مادة ' حفد '

(١) فى م : غيرها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تمام (٣) سقط من
 ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تتولدون (٥) زيد من ظ و م و مد .
 (٦ - ٦) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن ٥ أعم فقال ٥ و الترتيب من ظ
 و م و مد (٧) فى ظ : مع (٨) و قال فى لباب التأويل بعد الانتهاء من =

تدور على الإسراع و الحفة .

حفد : خفّ في العمل و أسرع ، و الحفد - محركه^١ : الخدم^٢ -
 لحقتهم ، و مشى دون^٣ الحجب ، و الحفدة : البنات و أولاد الأولاد أو
 الأصهار = لذلك ، و صناع الوشي - لإسراعهم فيه و إسراع لابس^٤ إلى
 لابس منبسط النفس ، و المحفد - كمجلس و منبر : شيء يعلف^٥ فيه الدواب - ه
 لإسراعها إليه ، و كمنبر : طرف الثوب^٦ لإسراع حركته ، و قدح يكال به -
 لحفته ، و كمجلس : الأصل - لدوران الأمور عليه و إسراعها إليه ، و سيف
 محتفد : سريع القطع ، و أحفده : حمله على الإسراع ، و الفادحة : النازلة ،
 و فوادح^٧ الدهر : خطوبه - لإسراعها بالمكروه و إسراع المنزل^٨ به و من
 يمه شأنه إلى مدافعتها^٩ ، و من ذلك فدحه الأمر^{١٠} : أنقله - لأن المكروه ١٠
 يسرع^{١١} فيثقل فيكثر اضطراب المنزل به .

= أقوال المفسرين في الموضوع : وكل هذه الأقوال متقاربة لأن اللفظ يحتمل
 الكل بحسب المعنى المشترك - راجع ٨٦/٤ .

(١) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ و م و مد و القاموس
 لحذفها (٢) في مد : الخدام (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، وفي الأصل :
 دونه (٤) في ظ : الالسة - كذا (٥) من م و مد و القاموس ، وفي الأصل و ظ :
 تعلف (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، وفي الأصل : طرق (٧) تكررت في الأصل
 فقط (٨) من م و مد و القاموس ، وفي الأصل و ظ : فوادح - كذا (٩) من
 م و مد ، وفي الأصل و ظ : المتروك (١٠) من م و مد ، وفي الأصل و ظ :
 مراقبها (١١) زيد في الأصل : أي أنقله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد
 و القاموس لحذفها (١٢) في ظ : يشرع .

ولما ذكر [ذلك - '] سبحانه ، أتبع ما لا يطيب العيش إلا به ،
 فقال تعالى : ﴿ ورزقكم ﴾ [أى - '] لإقامة ^٢ أودكم وإصلاح ^٣
 أحوالكم ، ولما كان كل النعم إنما هو فى الجنة ، بقض ^٤ فقال :
 ﴿ من الطيب ^٥ ﴾ بجعله ملائماً للطباع ، شهياً للأرواح ، نافعا للشباح ، فلم
 ه من هذا قطعا أن صاحب هذه الأفعال ، هو المختص بالجلال ، ومن أنكر
 شيئا من حقه فقد ضل أبعد الضلال ، فكيف بمن أنكر خيره ، وعبد
 غيره ، وهو باسم العدم أحق منه باسم الوجود ، فلذلك ^٦ تسبب عنه قوله
 معرضا عن خطابهم إعراض المفضب : ﴿ ابالباطل ﴾ [أى من الأصنام
 وما جعلوا لهم من النصيب - ^٨] ﴿ يؤمنون ﴾ أى على سبيل التجديد
 ١٠ والاستمرار ﴿ وبنعمت الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ هم ﴾ وله عليهم
 خاصة - غير ما يشاركون فيه الناس - من المن ما له ﴿ يكفرون ^٩ ﴾
 حق ^١ أنهم يجعلون بما ^{١٠} أنعم به عليهم من السائبة والوصيلة والحاوى
 وغيرها ^{١١} لأصنامهم ، وذلك متضمن لكفر ^{١٢} النعمة السائبة منه ،
 و ^{١٣} متضمن لنسبتها ^{١٤} إلى غيره ، لأنه لم يأذن لهم فى شيء مما حرموه ،

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : للإقامة (٣) من
 م ومد ، وفى الأصل و ظ : صلاح (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
 معين (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : للازواج (٦) من ظ وم ومد ،
 وفى الأصل : للشباح (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فكذلك (٨) زيد
 من ظ وم ومد (٩) فى ظ : على (١٠) فى ظ : ما (١١) من ظ وم ومد ،
 وفى الأصل : غيرها (١٢) فى ظ : للكفران (١٣ - ١٤) من ظ وم ومد ،
 وفى الأصل : يتضمن نسبتها .

ولا يحل التصرف في مال المالك إلا بإذنه ؛ ثم قال عطفا على ما أنكره عليهم هناك : (و يعبدون) وأشار إلى سفول المراتب كلها عن رتبته سبحانه فقال تعالى : (من دون الله) أى من غير من له الجلال والإكرام بما هو في غاية السفول من الأصنام وغيرها (ما لا يملك) أى بوجه من الوجوه (لهم رزقا) تاركين [من - ٢] يده جميع الرزق ، ه وهو ذو العلو المطلق الذى رزقهم من الطيبات ؛ ثم بين جهة الرزق فقال تعالى : (من السموات والارض) [ثم - ٤] أكد تعميم هذا / النفي بقوله - مبدلا من " رزقا " ، مينا^١ أن تنوينه^٢ للتحقير - : (شيئا) ثم أكد حقارتهم بقوله جامعا لأن ما عجز عند الاجتماع فهو عند الانفراد أعجز^٣ : (ولا يستطيعون) أى وليس لهم نوع استطاعة أصلا ، والك^٤ ١٠ أن تجعله معطوفا على ما مضى من المعجب منه من أقوالهم وأفعالهم فى قوله " ويجعلون لله ما يكرهون " أو نحوه .

ولما دحض " بهذه الحجة جميع ما أقاموه من الشبه و ضربوه من الأمثال فيما ارتكبه من قولهم إن الملك لا يتوصل إليه إلا (١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : من (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : من (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م و مد (٥) فى ظ : رزق (٦) زيد بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٧) من م ، وفى الأصل : تقويته ، وفى ظ و مد : تقويته - كذا (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عجز (٩) فى مد : لكن (١٠) العبارة من هنا إلى " من قولهم " ساقطة من ظ (١١) من م و مد ، وفى الأصل : رخص .

[بأعوان من حاسب و نائب و نحو ذلك ، و لا يتوصل إليه إلا - ١]
 بأنواع القران^٢ ، فعبدوا الأصنام ، و فعلوا [لها - ١] ما يفعل له تشبيها
 به عز شأنه ، و تعالى سلطانه ، لأن الفرق أن ملوك الدنيا المقيس عليهم
 إنما أقاموا من ذكر^٣ لحاجتهم و ضعف ملكتهم و ملكهم ، فخالهم مخالف
 ٥ لوصف^٤ من لا تأخذه سنة و لا نوم ، و لا يشغله شأن عن شأن ، و كل
 شيء في قبضته و تحت قهره و عظمته ، فلذلك تسبب عنها قوله تعالى :
 ﴿ فلا تضربوا لله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ الامثال ١ ﴾ أى قشبهوه
 تشبيها بغيره^٥ و إن ضرب لكم هو^٦ الامثال ؛ قال أبو حيان^٧ و غيره :
 قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى^٨ لا تشبهوه بخلقه - انتهى . و هو
 ١٠ - كما قال فى الكشف^٩ - تمثيل للإشراك بالله و التشبيه به ، لأن من
 يضرب الامثال مشبه حاله بحال و قصة بقصة - انتهى . و هذا النهى
 عام فى كل مثل لخطر الامر خشية أن يكون ذلك المثل غير لائق
 بمقداره^{١٠} ، و قد تقرر أن^{١١} دره المفاصد أولى من جلب المصالح ، لاسيما
 فى هذا لأن الخطأ فيه كفر . و يدل على ذلك تعليل الحكم بقوله تعالى :
 ١٥ ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الامر كله و لا أمر لغيره ﴿ يعلم ﴾

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : القربات .
 (٣) فى ظ : ذلك (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وصف (٥) فى ظ :
 بقوله (٦) فى ظ : بغيرها (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : هذا (٨) راجع
 البحر ١٧/١٥٧ (٩) من ظ و م و مد والبحر ، وفى الأصل : ان (١٠) ١/٥٣٢ .
 (١١) فى مد : بمقداره (١٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بان .

أى^١ له [جميع -^٢] صفة [العلم -^٣] ، فإذا ضرب مثلا ألقته بإحاطة
 عليه بحيث لا يقدر غيره أن يبدى فرقا ما بين الممثل والممثل به في
 الأمر الممثل له ﴿ وانتم لا تعلمون ٥ ﴾ أى ليس لكم علم أصلا ، فذلك
 تعمون عن الشمس و تلبس^٢ عليكم ما ليس فيه لبس^٤ ، وهذا المقام عال
 و مسلک وعر ، و سالک على غاية من الخطر . ٥

و لما ختم سبحانه بذلك تأكيدا^٥ لإبطال مذهب عبدة الاصنام بسلب
 العلم الذى هو مناط السداد عنهم ، حسن أن يصل به قوله - إقامة للدليل
 على علمه بأن أمثاله لا يتطرق إليها الطعن ، و لا يتوجه نحوها الشكوك - :
 ﴿ ضرب الله ﴾ أى [الذى -^٢] له كمال العلم و تمام القدرة ﴿ مثلا ﴾
 بالاحرار و العبيد [له -^٢] و لما^٦ عبدتموه معه ؛ ثم أبدل من " مثلا " : ١٠
 ﴿ عبدا ﴾ و لما كان العبد يطلق على الحر بالنسبة إلى الله تعالى ، قال تعالى :
 ﴿ مملوكا ﴾ لا مكاتبا و لا فيه شائبة للحرية ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ باذن
 سيده و لا غيره ، و هذا مثل شركائهم ، ثم عطف على " عبدا " قوله :
 ﴿ و من رزقته منا ﴾ من الاحرار ﴿ رزقا حسنا ﴾ و اسعا [طيبا -^٢]
 ﴿ فهو ينفق منه ﴾ دائما ، و هو معنى ﴿ سرا و جهرا ﴾ و هذا^{١٠} مثل ١٥
 الإله و له المثل الأعلى ؛ ثم بكتهم إنكارا عليهم بقوله تعالى :

(١) زيد فى الأصل : الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد
 من ظ و م و مد (٣) فى ظ و مد : يلبس (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :
 منكم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : تأكيد (٦) فى ظ و مد : لا يتوجه .
 (٧) فى مد : كما (٨) فى ظ : عبده (٩) ليس فى الأصل و ظ (١٠) فى ظ : هو .

(هل يستون^١) أى هذان^٢ الفريقان الممثل بهما ، لأن المراد الجنس ،
فاذا كان لا يسوغ فى عقل أن يسوى بين مخلوقين : أحدهما حر مقتدر
والآخر مملوك عاجز ، فكيف [يسوى -^٣] بين حجر موات أو غيره
وبين الله الذى له القدرة التامة على كل شىء ؟ .

٥ ولما كان الجواب قطعاً : لا . وعلم أن الفاضل ما كان مثالا له

سبحانه ، علم أن من^٤ سوى بينهما أو فعل ما يؤول إلى التسوية أجهل الجهلة ،

ثبت^٥ مضمون " ان الله يعلم و انتم لا تعلمون " ، وأن غيره تعالى لا يساوى

/ ٢٤١ / شيئا ، ثبت بلا ريب أنه المختص بالمثل الأعلى ، فعبّر عن ذلك بقوله

تعالى : (الحمد لله^٦) أى^٧ له الإحاطة بالعلم وجميع صفات الكمال التى

١٠ منها اختصاصه بالشكر ، لكونه هو المنعم و ليس لغيره إحاطة بشىء .

من ذلك ولا غيره ، فكأنهم قالوا : [نحن -^٨] نعلم ذلك . فقيل :

(بل أكثرهم) أى فى الظاهر و الباطن - بما أشار إليه الإضممار

(لا يعلمون^٩) لكونهم يسوون به غيره ، و من نفى عنه العلم - الذى

هو أعلى صفات الكمال - كان فى عداد الأنعام ، فهم لذلك يشبهون

١٥ به ما ذكر . و يضربون الأمثال الباطلة ، و يضيفون نعمه إلى ما لا يعد ،

ولعله أتى بضمير الغيبة لقصر ذلك على من ختم بموته على الضلال .

أو يقال و هو أرشق : لما كان الجواب قطعاً : لا يستوون و الفاضل

مثالك ، فقد علم كل ذى لب أن لك المثل الأعلى . فترجم عن وصفه

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : هذا (٢) زيد من م و م و مد .

(٣) فى ظ : ما (٤) سقط من مد (٥) زيد فى الأصل : الذى ، ولم تكن الزيادة فى

ظ و م و مد لحدوثها (٦) من م و م و مد ، وفى الأصل : وقد .

بقوله "الحمد لله" أى 'الإحاطة بصفات الكمال للملك الأعظم ، وعن نسبتهم إلى علم ذلك بقوله تعالى "بل أكثرهم لا يعلمون" أى ليس لهم علم بشيء أصلاً ، لأنهم يعملون^٢ فى هذا^٣ بالجهل ، فنسبتهم إلى الغباوة أحسن فى حقهم من نسبتهم إلى الضلال على علم ، [وسأتى فى سورة لقمان إن شاء الله تعالى ما يكون نافعا فى هذا المقام ، وإما فسرت الحمد بما تقدم - ^٤] ه لأنه قد مضى فى سورة الفاتحة أن مادة 'حمد' تدور على بلوغ الغاية ، ويلزم منه الاتساع والإحاطة والاستدارة ، فيلزمها مطأطأة الرأس وقد يلزم الغاية الرضى فيلزمه الشكر ، ويانه أن الحمد بمعنى الرضا والشكر لأنهما^٥ يكونان غالباً عن غاية الإحسان ، ويرجع إلى ذلك الحمد بمعنى الجزاء وقضاء^٦ الحق ، وحاداك - بالضم ، أى غايتك^٧ ، ويوم ١٠ محمّد: شديد الحر ، وحمد النار - محرّكة: صوت التهايب^٨ ، وأما يتحمد [على - ^٩] - بمعنى يمتن - فأصله: يذكر ما يلزم منه حمده^{١٠} ، ومنه المدح: وهو حسن الشئاء ، وتمدح بمعنى تكلف أن يمدح وافتخر^{١١}

(١) زيد فى الأصل: الذى له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها .
 (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يعلمون (٣) فى ظ : ذلك (٤) زيد من ظ و م ومد (ه - ه) من م ومد ، وفى الأصل وظ : فقد (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل: معنى (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل: لان ما .
 (٨) من م ومد والقاموس ، وفى الأصل وظ : قضى (٩) من ظ و م ومد والقاموس ، وفى الأصل: غايته (١٠) وهو قول القراء - راجع القاموس [حدم] (١١) زيد من ظ و م ومد والقاموس (١٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل: حمد (١٣) من ظ و م ومد والقاموس ، وفى الأصل: اقتنع .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ٧٦) ج - ١١

و تشبع بما ليس عنده ، فانه في كل ذلك بذل^١ جهده ، ودحه -
 كمنع : دفعه شديدا ، والمرأة : نكحها - لما في ذلك من بلوغ الغاية في
 الشهوة و ما يلزمها من الدفع ونحوه ، و الدحم - بالكسر : الأصل -
 لانه غاية الشيء الذي ينتهى إليه ، و حدم^٢ النار - و يحرك : شدة احتراقها
 ٥ و حميها ، و احدم الدم : اشتدت حرته حتى يسود ، و الخدمة - محركة :
 النار - لأنها غاية الحر ، و الخدمة أيضا : صوتها - لدلالته على قوة التهابها ،
 و من ذلك الخدمة أيضا لصوت جوف الحية ، أو صوت في الجوف
 كأنه تغيظ^٣ - لانه يدل على غاية التهاب الباطن ، و الخدمة - كفرحة :
 السريعة الغلي من^٤ القدور ؛ و من الاتساع : تمدحت [الأرض -^٥]
 ١٠ أى اتسعت ؛ و من الاستدارة : الداحوم لحباله الثعلب - لأنها بلغت الغاية
 من مراد الصائد ، [و -^٦] لانه [لما -^٧] لم يقدر على الخلاص منها
 كانت كأنها قد أحاطت به ، و الدمحم^٨ : المستدير المللم ، و دح تدميحا :
 طأطأ رأسه - لأن الانعطاف مبدأ الاستدارة - والله سبحانه وتعالى الموفق .
 و لما انقضى هذا المثل كافيا في المراد ، ملزما لهم^٩ لاعترافهم -
 ١٥ بأن الأصنام عبيد الله في قولهم : لييك اللهم لبيك لا شريك لك

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يدل على - كذا (٣) من
 ظ و م و مد والقاموس ، وفي الأصل : حمد (٤) من ظ و م و مد والقاموس ،
 وفي الأصل : جوف (٥) من ظ و م و مد والقاموس ، وفي الأصل : يقيض .
 (٦) من القاموس ، وفي النسخ كلها : في (٧) زيد من ظ و م و مد والقاموس .
 (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) زيد من م (١٠) كسفر رجل .

'الإشريكاً' هو لك ، تملكه و ما ملك^٢ ، و^٣ كان ربما كابر مكابر فقال :
 'إنهم ليسوا' ملكاً له ، أتبعه مثلاً آخر لا تمكن^٤ المكابرة فيه ، فقال تعالى :
 ﴿ وضرب الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة أيضاً ﴿ مثلاً ﴾ ثم أبدل
 [منه -^٥] ﴿ رجلين ﴾ ثم استأنف البيان لما أجمل / فقال تعالى : ۲۴۲ /
 ﴿ احدهما ابكم ﴾ [أى -^٦] ولد أخرس ؛ ثم ترجم بكته التى أريد بها ه
 أنه لا يفهم ولا يفهم^٧ بقوله : ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ أى أصلاً ﴿ وهو كل ﴾
 أى ثقل و عيال ، و الأصل فيه الغلط الذى يمنع من النفوذ^٨ ، قلت
 السكين كلولا - إذا غلظت شفرتها فلم تقطع ، وكل لسانه - إذا لم ينبعث
 فى القول^٩ . لغظه و ذهاب حده - قاله الرمانى ﴿ على موله لا ﴾ الذى
 يلى أمره ؛ ثم بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ إنما يوجهه ﴾ أى يرسله و يصرفه ١٠
 ذلك المولى ﴿ لا يات بخير ﴾ و هذا مثل شركائهم الذين^{١١} هم عيال و وبال
 على عبدتهم .

(١-١) من صحيح مسلم - باب التولية و صفتها و وقتها من كتاب الحج ، و فى
 الأصل و ظ : لا شريك ، و فى م و مد : لا شريك - كذا (٢) من ظ و م
 و مد و الصحيح ، و فى الأصل : نستلك - كذا (٣) زيد فى الأصل : ما ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فتنها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ :
 انه (٥) - سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يمكن (٧) زيد من
 ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يعلم (٩) من ظ و م و مد ،
 و فى الأصل : السقوط - كذا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البول -
 كذا (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى .

و لما انكشف ضلالهم في تسويتهم الأنداد - الذين لا قدرة لهم
 على شيء ما - بالله^١ [الذي -^٢] له الإحاطة بكل شيء قدرة وعلما، حسن
 كل الحسن توبيخهم والإنكار عليهم بقوله تعالى: ﴿هل يستوى هؤلاء﴾
 أي هذا المذكور ﴿ومن﴾ أي ورجل آخر على ضد صفته، فهو عالم
 ه فطن قوى خبير مبارك [الأمر -^٣] ميمون النقية ﴿يامر﴾ بما له من
 العلم والقدرة ﴿بالعدل﴾ أي يبذل النصيحة لغيره ﴿وهو﴾ في نفسه
 ظاهرا وباطنا ﴿على صراط﴾ أي طريق واضح واسع ﴿مستقيم﴾
 أي عامل بما يأمر به، وهذا مثال للعبود بالحق^٤ الذي يكفي عباده جميع^٥
 المؤمن، وهو دال على كمال علمه وتمام قدرته .

١٠ و لما تم هذان المثالان، الدالان على تمام [علمه -^٢] وشمول
 قدرته، [القاضيان بأن غيره عدم، عطف على قوله "ان الله يعلم" قوله
 مصرحا بتمام علمه وشمول قدرته -^١] : ﴿والله﴾ أي هذا علم الله في^٦
 المشاهدات الذي علم من هذه الأدلة أنه^٧ مختص به، ولذي الجلال والإكرام
 وحده ﴿غيب السموات والارض﴾ كما أن له وحده شهادتهما، فما أراد

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: بال الله (٢) زيد من ظ و م ومد .
 (٣) العبارة من هنا إلى «تمام قدرته» ساقطة من مد (٤) من ظ و م، وفي
 الأصل: بجميع (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل: المثالان (٦) زيد في الأصل:
 الثنا و - كذا، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفناها (٧) في ظ: لهمه،
 ه في مد: لهم (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل: مشاهدتها .

من ذلك كانت قدرته عليه كقدرته على الشهادة من الساعة التي تنكرونها
استعظاما لها، ومن غيرها بما فصله لكم من أول السورة إلى هنا من
خلق السماوات والأرض وما فيها (وما أمر الساعة) وهي^١ .
الوقت الذي يكون فيه البعث، على^٢ اعتقادكم أنها لا تكون استبعادا لها
و استصعابا لأمرها في سرعته عند الناس لو رأوه، ولذا^٣ عبر عنه بالساعة م
(إلا كلبح البصر) أي كرجع الطرف المنسوب إلى البصر أي بصر
كان (أو هو أقرب^٤) . وإذا الخالق قد قاموا من قبورهم مهطعين إلى
الداعي^٥ - هذا بالنسبة إلى علمهم وقياسهم، وأما بالنسبة إليه سبحانه فأمره
في الجلالة والعظم والسرعة والإتقان يحل عن الوصف، و تقصر^٦
عنه العقول، ولا شك فيه ولا تردد،^٧ ولذلك علله بقوله تعالى: (إن الله)^٨
أي الملك الأعظم (على كل شيء) أي يمكن (قدير) .
ولما انقضى توبيخهم على إيمانهم بالباطل وكفرانهم^٩ بالحق وما
استتبعه، وختم بأمر الساعة، عطف على قوله تعالى ” والله جعل لكم
من أنفسكم أزواجا“ ما هو^{١٠} من أدلة الساعة و كمال القدرة والفعل
بالاختيار من النشأة الأولى، فقال تعالى: (والله) أي الذي له العظمة كلها^{١١}
(١) في ظ: هو (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: في (٣) من ظ وم ومد،
وفي الأصل: كذا (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لرجع (٥-٥) سقط
ما بين الرقين من م (٦-٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بالجلال (٧) من م
ومد، وفي الأصل وظ: يقصر (٨) ومن هنا تعرضت نسخة مد لسقطة منتبهة
إلى ما سنبه عليه (٩) في ظ: كفرهم (١٠) سقط من ظ .

(اخرجكم) يعلمه وقدرته (من بطون أمهتكم) ' و الذى أخرجكم منها قادر على إخراجكم من بطن^٢ الأرض بلا فرق بل بطريق الأولى، حال كونكم^٣ عند الإخراج^٤ (لا تعلمون شيئاً) من الأشياء قل أو جل، وعطف على " اخرجكم " قوله : (وجعل لكم) بذلك أيضاً (السمع والابصار والاقدة^٥) آليات لإزالة [الجهل - °] الذى وقعت الولادة عليه، وفق مواضعها وسواها وعدلها وأنتم فى البطون حيث^٦ [لاتصل - °] إليه يده^٧، ولا يتمكن من شق شيء [منه - °] بآلة، فالذى قدر على ذلك فى البطون^٨ إبداعاً قادر على إعادته فى بطن الأرض، بل بطريق الأولى، ولعله جمعها^٩ دون السمع، لأن التفاوت فيهما^{١٠} أكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه إلا الله^{١١}، و الاقدة هى / القلوب التى هياها للفهم وإصلاح [البدن - °] بما أودعها من الحرارة اللطيفة القابلة للعانى الدقيقة (لعلكم تشكرون) أى^{١٢} لتصيروا - بمعارف القلوب التى وهبكموها إذا سمعتم المواعظ وأبصرتم الآيات - فى حال يرجى فيها شكركم لما أفاض عليكم من لطائف صنعه، بأن تعرفوا ماله من العلم^{١٣} والقدرة وحسن التعرف، فتعرفوا^{١٤} له بجميع ما أوتىكم به رسله، وأهمه

- (١) العبارة من هنا إلى « بطريق الأولى » ساقطة من م (٢) فى ظ : بطون .
 (٣-٢) سقط ما بين الرقین من م (٤) فى ظ : اخرجكم (٥) زيد من ظ و م .
 (٦) فى ظ : حتى (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : يده (٩) من ظ ، وفى الأصل : البطن (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : جمعها (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : فيها (١٢) تكرر فى ظ (١٣) من م ، وفى الأصل و ظ : او .
 (١٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فتعرفوا .

الذى تنبى عليه جميع مقاصد الاصول أن المنعم عليكم بهذه النعم إله واحد عالم بكل شيء 'قادر على كل شيء' فاعل بالاخيار، وأن الطبايع من جملة مقدوراته ، لافعل لها إلا بتصرفه^٢ .

ولما كان المقصود من تعداد هذه النعم الإعلام بأنه الفاعل بالاخيار وحده لا الطبايع ولا غيرها ، دلهم على ذلك [مضموما - ٢] هـ إلى ما مضى بقوله مقررًا لهم : ﴿الم يروا﴾ بالخطاب والغية - على اختلاف القراءتين ؛ لأن سياق الكلام وسباقه يحتمل المقبل^٣ والمعرض بخلاف سياق الملك^٤ فانه للمعرض فقط ، فلذا اختلف القراء هنا [و - ١] أجمعوا هناك ﴿الى الطير مسخرت﴾ أى مذلات للطيران^٥ بما أزمهن^٦ الله فيه من المصالح والحكم بالطيران وغيره ﴿فى جوالسماء^٧﴾ فى الهواء ١٠ بين الخافقين بما لا تقدرون عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم [لها - ٢] فى السمع والبصر^٨ وزيادتكم عليها بالعقول ، فلم قطعًا ما وصل بذلك من قوله : ﴿ما يمسكن﴾ أى فى الجو عن الوقوع .

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بتصديقه .
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى نثر المرجان ٣ / ٤٧١ : قرأه يعقوب وابن عامر وحجرة وخلف بالناء الفوقانية مفتوحة وفتح الراء على الخطاب والبناء للفاعل ، وقرأ الباقون بالياء التحتانية على الغيب والبناء للفاعل (٥) من ظ . وفى الأصل : الفعل (٦) راجع آية ١٩ (٧) زيد من ظ (٨) العبارة من « لأن السياق » إلى هنا ساقطة من م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : الطيران (١٠) من م ، وفى الأصل وظ : اقامها (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : النظر .

١ ولما كان للسياق هنا مدخل عظيم [في الرد على أهل الطوائف
 وهم الفلاسفة ، ولهم وقع عظيم - ٢] في قلوب الناس ، عبر بالاسم
 الأعظم ، إشارة إلى أنه لا يقوى على رد شبههم إلا من أحاط^٣ علما بمعاني
 الأسماء الحسنى ، فكان متمكنا من علم أصول الدين فقال^٤ : ﴿ إلا الله ٥ ﴾
 ٥ أى الملك الأعظم . لأن نسبتكم وإياها إلى الطبيعة واحدة ، فلو كان ذلك
 فعلها لاستويت^٦ ؛ ثم نبههم على ما فى ذلك من الحكم بقوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾
 أى الامر العظيم من إخراجكم على تلك الهيئة ، و الإنعام عليكم بما ليس
 لها ، و تقديرها على ما لم تقدروا^٧ عليه مع نقصها عنكم ﴿ لايت ﴾ و لما
 كان من لم ينتفع^٨ بالشئ كأنه لم يملكه ، قال تعالى : ﴿ لقوم يؤمنون ٩ ﴾
 ١٠ أى هياهم الفاعل المختار للإيمان .

ولما ذكرهم سبحانه بنعمة الإدراك بعد ابتداء الخلق ، و أتبعه ما
 من به على الطير من الارتفاع الحامى لها من الحر ، أتبعه ما يسكنون^{١٠}
 إليه فيظلهم و يجمعهم^{١١} لأنه^{١٢} أهم الأشياء للحيوان ، فقال تعالى : ﴿ والله ﴾
 أى الذى له الحكمة البالغة و القدرة الشاملة ﴿ جعل لكم ﴾ أى أيها الغافلون
 ١٥ ﴿ من بيوتكم ﴾ أصل^{١٣} البيت المأوى ليلا ثم اتسع فيه ﴿ سكنا ﴾ هو

(١) العبارة من هنا إلى « أصول الدين فقال » ساقطة من م (٢) زيد ما بين
 الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : احتاط (٤) سقط من ظ (٥) من
 ظ و م ، و فى الأصل : لم يقدروا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لم ينتفع .
 (٧) فى ظ : يسكنون (٨-٨) من م ، و فى الأصل : يجمعهم لانهم ، و فى ظ :
 يجمعهم لأنه - كذا (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اهل .

مصدر بمعنى مفعول ، ولم يسلط عليكم فيها 'الحشرات و الوحوش' كما سلطكم عليهم ؛ ثم أتبع ما يخص الحضرة ما يصلح له ' و للسفر بما ميزم به عن الطير^٢ و غيرها من سائر الحيوانات^٣ ، فقال تعالى : (وجعل لكم) أى إنعاما عليكم (من جلود الأنعام) التى سلطكم عليها .

و لما كانت الخيام ، التى من جلود الأنعام ، فى ظلها الظليل تقارب ه بيوت القرى ، جمعها جمعا^٥ فقال تعالى : (بيوتا) فانهم قالوا : إن هذا الجع بالمسكن أخص ، و الايات بالشعر أخص (تستخفونها) أى تطلبون بالاصطناع خفها^٦ فتجدونها كذلك (يوم ظعنكم) أى وقت ارتحالكم ، و عبر به لانه^٧ فى النهار أكثر (و يوم اقامتكم لا) ثم أتبعه ما به كمال السكن فقال تعالى : (و من اصوافها) أى الضأن منها ١٠ (و اوبارها) و هى للابل كالصوف^٨ للغنم (و اشعارها) و هى ما كان من المعز ونحوه من المساكن و الملابس و المفارش و الاخية و غيرها (اثاثا) أى متاعا من متاع البيت كثيرا ، من قولهم : شعر أثيث^٩ أى كثير ،^{١٠} و أث التبت^{١١} - إذا كثرت (و متاعا)^{١٢} تتمتعون به

(١ - ١) فى الأصل : الوحوش و الحشرات ، و الترتيب من ظ و م (٢) فى ظ : به (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الطيرة (٤) فى ظ و م : الحيوان (٥) سقط من ظ (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد فى ظ : اى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : منها (٩) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها . (١٠) فى ظ : لانها (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : فالصوف (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : نبيت - كذا (١٣ - ١٤) من ظ و م ، و فى الأصل : و ان البيت - كذا (١٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها .

(الى حين ١) أى وقت غير معين / بحسب [كل - ١] إنسان^٢ فى
قد ذلك ، وأعرض عن ذكر الحرير و الكتان و القطن لأنها لم تكن
من صناعتهم ، وإشارة إلى الاقتصاد و عدم الإسراف .

و لما ذكر ما ينقصهم ، أتبعه ما يشاركون فيه سائر الحيوانات فقال :
٥. (و الله) أى الذى له الجلال و الإكرام (جعل لكم) أى من^٣ غير
حاجة منه سبحانه (مما خلق ظللا) من الأشجار و الجبال و غيرها
(و جعل لكم) أى مع غناه المطلق (من الجبال اكثانا) جمع كن
و هو ما يستكن به - أى يستتر - من الكهوف و نحوها ، ولو كان
الخالق غير مختار لكانت على سنن واحد لا ظلال و لا أكثان^٤ ؛ ثم أتبع
١٠. ذلك ما هدام^٥ إليه عوضا^٦ مما جعله لسائر الحيوان فقال : (وجعل لكم)
أى مَنّا منه عليكم (سرايل) أى ثيابا^٧ (تقيكم الحر) و [هى - ١] كل
ما لبس من قيص و غيره^٨ - كما قال الزجاج .

و لما كانت السرايل نوعا واحدا ، لم يكرر "جعل" فقال تعالى :
(و سرايل) أى دروعا و مغافر و غيرها (تقيكم باسم^٩) أضافه
١٥ إليهم إضمارا لأنه الحرب ، وذلك كما جعل لبقية الحيوان - من الأصواف^{١٠}
و نحوها [و الأنياب - ١] و الأظفار و نحوها - ما هو نحو ذلك يمنع

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الانسان (٣) سقط من
ظ (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : خاصة (٥) زيد فى ظ : اى (٦) من ظ و م ،
وفى الأصل : كنان (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : هم (٨) من م ، وفى
الأصل و ظ : عرضا (٩) زيد فى الأصل : نوعا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها (١٠) فى ظ : غير (١١) سقط من ظ و م (١٢) من ظ و م ، وفى
الأصل : الاموات .

من الحر والبرد، ومن سلاح العدو، ولم يذكر سبحانه هنا وقاية البرد لتقدمها في قوله تعالى "لكم فيها دفء"^٢.

ولما تم ذلك [كان -^٣] كأنه قيل: نهينا سبحانه بهذا^٤ الكلام على تمام نعمة الإيجاد، فهل^٥ بعدها من نعمة؟ فقال: نعم^٦ (كذلك) أى كما آتم نعمة الإيجاد عليكم هذا الإتمام العظيم بهذه الأمور ونهكم^٧ عليها (يتم نعمته عليكم) فى الدنيا والدين^٨ بالهداية والبيان^٩ لطريق النجاة والمنافع، والتنبيه على دقائق ذلك بعد جلالاته (لعلكم تسلمون^{١٠}) أى ليكون حالكم - بما ترون من كثرة^{١١} إحسانه بما لا يقدر عليه غيره مع وضوح الأمر - حال من يرجى منه^{١٢} إسلام قياده لربه، فلا يسكن ولا يتحرك إلا فى طاعته.

فلما صار هذا البيان، إلى أجل من العيان، كان ربما وقع فى ١٠ الوهم أنهم إن^{١٣} لم يحییوا ليقى الداعى بسبب إعراضهم حرج، فقال تعالى نافيا لذلك معرضا عنهم إعراض المغضب، مقبلا عليه

(١) العبارة من هنا إلى «قبل نهنا» ساقطة من ظ (٢) وفى البحر المحيط ٥/٢٤٤: و اقتصر على ذكر الحر [مالأن ما بقى الحريقى البرد - قاله الزجاج، أو حذف البرد لدلالة ضده عليه - قاله المبرد (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: هذا (٥) من ظ و م، وفى الأصل: فهو (٦) من ظ و م، وفى الأصل: ينهكم (٧) تقدم فى الأصل على «أى كما» والترتيب من ظ و م. (٨-٨) من م، وفى الأصل و ظ: بالبيان والهداية (٩) من ظ و م، وفى الأصل: كثر (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: له (١١) سقط من ظ.

صلى الله عليه وعلى آله وسلم لإقبال المسلى ، معبرا بصيغة التفعّل المفهومة
 لأن الفطر الأولى داعية إلى الإقبال على الله فلا يمرض صاحبها^١
 عما يرضيه^٢ سبحانه إلا بنوع معالجة : (فان تولوا) أى كفّوا أنفسهم
 الإعراض و متابعة الأهواء فلا تقصير عليك بسبب توليهم ولا حرج
 (فانما) أى بسبب أنه^٣ إنما (عليك البلغ المبين) وليس عليك أن
 تردم عن العناد ، فكأنه قيل : فهل كان إعراضهم عن جهل أو عناد ؟
 قليل فيهم^٤ [وفيهم -^٥] : (يعرفون) [أى -^٦] كلهم (نعمت الله)
 أى الملك الأعظم ، التى^٧ تقدم عد بعضها فى هذه السورة وغيرها
 (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها [أو -^٨] بتكذيب الآتى بالتنبيه
 ١٠ عليها ، بعضهم لضعف معرفته ، وبعضهم عنادا ، وكان بعضهم يقول :
 هى من الله ولكن بشفاعه آلهتنا (واكثرهم) أى المدعويين^٩ بالنسبة
 إلى جميع أهل الأرض الذين أدركتهم "دعوته صلى الله عليه وعلى آله
 وسلم (الكفرون ع) أى المعاندون الراسخون فى الكفر .

و لما كان من أجل المقاصد بهذه الأساليب التخويف من البعث ،
 ١٥ و كان من المعلوم أنه ليس بعد الإعراض عن البيان والإصرار على
 كفران المعروف من الإحسان إلا المجازاة لأن الحكيم يمهّل ولا يهمل ،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الى (٢) فى ظ : صاحبه (٣) وإلى هنا انتهت
 السقطة من مد (٤) سقط من ظ (٥) أى فى الجاهلين (٦) أى فى المعاندين ، والكلمة
 زيدت من ظ و م و مد (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد ، وفى الأصل
 وظ : الذى (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد ، وفى الأصل وظ :
 المدعون (١١) فى مد : أدركته .

قال تعالى ، عاطفا على ثمرة " فانما عليك البلغ المين " و هي : فبلغهم و بين لهم و لا تناس / من رجوعهم : (و يوم) أى و خوفهم يوم (نبث) ٢٤٥ / بعد البعث (من كل امة شهيدا) يحكم [بقوله - ٢] الملك لإجراء للأمر على ما يعارفون و إن كان غنيا عن شهيد .

و لما كان الإذن لهم فى الاعتذار فى بعض المواقف الطويلة فى ه ذلك اليوم متعذرا ، عبر عنه سبحانه بأداة البعد فقال تعالى : (ثم لا يؤذن) [أى - ١] لا يقع إذن على تقدير من التقادير (للذين كفروا) أى بعد شهادة الشهداء فى الاعتذار كما يؤذن فى هذه الدار للشهود عليه عند السؤال فى الإعذار ، لأنه لا عذر هناك فى الحقيقة (و لام) أى خاصة (يستعبدون) [أى - ٧] و لا يطلب منهم الإعتاب المؤثر للرضى ١٠ و هو إزالة العتب و هو الموجدة المعبر بها عن الغضب المعبر به عن آثاره من السطوة و الانتقام ، و أخذ العذاب لاهل الإجرام من قبيح ما ارتكبوا ، لأن تلك الدار ليست بدار تكليف ؛ ثم وصل به أن ما يوجهه " الغضب يدوم عليهم فى ذلك اليوم ، فقال تعالى عاطفا على

(١) سقط من مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يوم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : للشهود (٦) فى ظ : الاعتذار (٧) زيد من م و مد (٨) زيد فى الأصل و ظ : و هو ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لقبیح (١٠) فى ظ : بل (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يوجب .

ما بعد "ثم" : (و اذا رآ) و أظهر موضع الإضمار تعميماً فقال تعالى :
 (الذين ظلموا) فعبر بالوصف الموجب للعذاب (العذاب) بعد
 الموقف^٢ وشهادة الشهداء ، و جزاء الشرط محذوف لدلالة ما قرن بالفاعلية
 تقديره : لا بسهم (فلا يخفف) أى يحصل^٣ تخفيف بنوع من الأنواع
 هـ ولا بأحد من الخلق (عنهم) شئ منه (ولا هم ينظرونه) بالتأخير
 و لالحنه بوجه من الوجوه على تقدير من التقادير من أحد ما .
 و لما بين سبحانه حاصل أمرهم في البعث و ما بعده ، و كان من
 'أهم المهم' أمرهم في الموقف مع شركائهم الذين كانوا يترجونهم ، عطف
 على ذلك قوله تعالى : (و اذا رآ) أى بالعين يوم القيامة
 ١٠ (الذين اشركوا) فأظهر أيضاً الوصف المناسب للقام (شركاءهم) أى
 الآلهة التى كانوا يدعونها^٤ شركاء (قالوا ربنا) [يا -^٥] من أحسن
 إلينا و ربانا ١ (هؤلاء شركاؤنا) أضافهم^٦ إلى أنفسهم لأنه لاحقيقة
 لشركتهم سوى تسميتهم لها الموجب لضرهم : ثم ينو المراد بقولهم :
 (الذين كنا ندعوا) أى نعبد .

١٥ و لما كانت المراتب متكررة دون رتبته سبحانه لأن علوه غير منحصر ،
 أدخل الجار فقال تعالى : (من دونك ج) ليقربونا إليك ، فأكرمنا لأجلهم

(١) سقط من مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوقف (٣) من ظ
 و م و مد ، و فى الأصل : يحجل (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امرهم
 التهم (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) فى ظ : يعبدونها (٧) زيد من ظ و م
 و مد (٨) فى ظ : اضافهم .

جريا على منهاجهم في الدنيا في الجهل و الغباوة ، تخاف الشركاء^٢ من عواقب هذا القول و الإقرار عليه سطوات الغضب (فالقوا) أى الشركاء^٢ (اليهم) أى المشركين (القول) أى^٢ بادروا به حتى كان إسراعه إليهم إسراع شيء ثقيل يلقى من علو؛ و أكدوا قولهم لأنه مطاعة لقول المشركين فقالوا: (انكم لكذوبون ج) في جعلنا شركاء و أنا نستحق العبادة ه أو نشفع أو يكون لنا أمر^٢ نستحق به أن نذكر^٢ (و القوا) أى الشركاء (الى الله) أى الملك الأعلى (يومئذ) أى يوم القيامة إذ نبعث من كل أمة شهيدا (السلام) أى الانقياد و الاستسلام بما علم به الكفار أنهم من جملة العبيد لا أمر لهم أصلا، فأصلد زندم^٢، و خاب^٢ قصدم، و قيد بذلك اليوم لأنهم كانوا في الدنيا - بتزيين^٢ الشياطين لأمورهم ١٠ و نطقهم على ألسنتهم - بحيث [يظن - ١٠] عابدهم أن لهم منعة، و بهم قوة و يجوز أن يكون ضمير "القوا" للشركين (و ضل عنهم) أى [عن - ١١] الكفار (ما كانوا) أى ببجلاتهم (يفترون ه) أى يتعمدون من دعوى النفع لهم و الضركذبا و فجورا، فكأنه قيل: هذا للذين أشركوا، فاللذين كانوا دعاة إلى الشرك مانعين من الانتقال عنه؟ فقيل: (الذين كفروا) أى أوجدوا ١٥

- (١) سقط من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من مد (٣) سقط من م (٤) في ظ: تلقى (٥) زيد في الأصل: ان، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.
(٦) في ظ: يذكر (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يردهم (٨) في مد: خاف (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بتزين (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) زيد من م.

الكفر في أنفسهم (و صدوا) 'مع ذلك غيرم (عن سبيل الله)
 أى الذى له الإحاطة / كلها (زدناهم) أى بما لنا من العظمة ، بصددهم غيرم
 (عذابا فوق العذاب) الذى استحقوه على مطلق [الشرك - ١]
 (بما كانوا) أى كونا جليلا (يفسدون *) أى يوقعون الفساد و يحدودونه ؛
 ثم كرر التحذير من ذلك اليوم على وجه يزيد على ما أفضته الآية
 السالفة ، وهو ؛ أن الشهادة تقع على الأمم لا لهم ، و تكون * بحضرتهم ،
 فقال تعالى ١ : (و يوم) أى و خوضهم يوم (نبعث) أى بما لنا من
 العظمة (فى كل أمة) من الأمم (شهيدا) أى هو فى أعلى رتب
 الشهادة (عليهم) . ولما كانت بعثة الانبياء السابقين عليهم السلام
 ١٠ خاصة بقومهم إلا قليلا ، قال : (من انفسهم) وهو ٢ نبيهم .

ولما كان لذلك اليوم من التحقق ما لا شبهة فيه بوجه وكذا شهادة
 النبي صلى الله عليه و على آله و سلم ، عبر بالماضى إشارة إلى ذلك ، وإلى
 أنه صلى الله عليه و على آله و سلم لم يزل من حين بعثه متصفا بهذه
 الصفة العلية فقال تعالى ١ : (وجئنا) أى بما لنا من العظمة (بك شهيدا)
 ١٥ أى شهادة هى مناسبة لعظمتنا (على هؤلاء ٢) أى الذين " بعثناك

(١) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٢) زيد من ظ
 وم ومد (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : هى (٥) من م
 ومد ، وفى الأصل و ظ : يكون (٦) سقط من مد (٧) من م ومد ، وفى
 الأصل و ظ : هم (٨) من م ، وفى الأصل و ظ ومد : الشهادة (٩) فى مد : حتى .
 (١٠) سقط من ظ وم ومد (١١) فى ظ : الذى .

إليهم وهم أهل الأرض ، وأكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولذلك لم يقيد بعثته بشيء ، ثم بين أنه لا إغذار في شهادته فانه لا حجة في ذلك اليوم^٢ لمن خالف أمره اليوم ، لأنه سبحانه أزاح العلل ، وترك الأمر^٣ على يضاء نقيه ليلا كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، فقال عاطفا على قوله " وما انزلنا عليك الكتب " - الآية ، المتعقب ه لقوله " لا جزم " - الآيتين : ﴿ ونزلنا ﴾ أى بعظمتنا بحسب التدرج والتجيم ﴿ عليك الكتب ﴾ الجامع للهدى ﴿ تبيان ﴾ أى لأجل البيان التام ، قالوا^٤ : وهو اسم وليس بمصدر كتقاء^٥ ﴿ لكل شيء ﴾ ورد عليك من أسئلتهم وقائعهم وغير ذلك ، وهو فى أعلى طبقات البيان كما أنه فى أعلى طبقات البلاغة ، لأن المعنى به أسرع إلى الأفهام ١٠ [وأظهر فى الإدراك ، والنفس أشد تقبلا له لما هو عليه من حسن النظام والقرب إلى الأفهام -^٨] ، وإنما احتيج إلى تفسيره مع أنه فى نهاية البيان لتقصير الإنسان فى العلم بمذاهب العرب الذين هم الأصل فى هذا اللسان . وتقصير العرب عن جميع مقاصده^٩ كما قصرُوا عن درجته فى البلاغة ، فرجعت الحاجة إلى تقصير الفهم لا إلى تقصير ١٥ الكلام فى البيان ، ولهذا تفاوت^{١٠} الناس فى فهمه لتفاوتهم فى درجات البلاغة ومعرفة طرق العرب فى جميع أساليبها ، قال الإمام^{١١} الشافعى

(١) من م ، وفى الأصل وظ ومد : بعثه (٢) زبدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الامم . (٤) زيد فى ظ : أى (٥) راجع البحر ٥٢٧ (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : كلما - كذا (٧) ليس فى ظ (٨) زيد ما بين الحائزين من ظ وم ومد . (٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ : مقاصره (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تفاوتت (١١) سقط من ظ وم ومد .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ٨٩ و ٩٠) ج - ١١

رضى الله عنه في آخر خطبة الرسالة^١ بعد أن دعا الله تعالى أن يرزقه
 فيها في كتابه^٢ ثم في^٣ سنة نبيه صلى الله عليه و على آله و سلم : فليست^٤
 تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا و في كتاب الله الدليل على سبيل
 الهدى فيها^٥، واحتج بآيات منها هذه، و ذلك لأنه^٦ سبحانه بين فيه
 ه التوحيد و المبدأ و المعاد و الأمر و النهي و^٧ الحلال و الحرام^٨ و الحدود
 و الأحكام بالنص على بعضها، و بالإحالة^٩ على السنة في الآخر، و على
 الإجماع في نحو قوله تعالى ” و يتبع غير سبيل المؤمنين“^{١٠} و على الاقتداء
 بالخلفاء الراشدين في قوله صلى الله عليه و على آله و سلم ه عليكم بسقى
 و سنة الخلفاء الراشدين من بعدى، و بالاقتداء بجميع^{١١} أصحابه رضى الله
 عنهم في قوله صلى الله عليه و على آله و سلم ه أصحابي كالنجوم بأيهم
 اقتديتم اهتديتم، و قد اجتهدوا و قاسوا و وطأوا طرق القياس و الاجتهاد
 و لم يخرج أحد منهم عن الكتاب و السنة، فهو من دلائل النبوة في^{١٢}
 كونه صلى الله عليه و على آله و سلم شهيدا لكونه ما أخبر عنهم
 إلا بما هم أهله .

(١) ص ٤ (٢-٢) من م و مد و الرسالة، و في الأصل و ظ « و » (٣) من
 ظ و م و مد و الرسالة، و في الأصل : قلت (٤) زيد في الأصل : واضح،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد و الرسالة لحذفها (٥) من ظ و م و مد،
 و في الأصل : بانه (٦-٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : الحرام و الحلال .
 (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل : بالاحاطة (٨) سورة ٤ آية ١١ (٩) من
 ظ و م و مد، و في الأصل : من جميع (١٠) من م و مد، و في الأصل
 و ظ : من .

و لما / كان التبيان قد يكون للضلال ، قال^١ تعالى : ﴿ و هدى ﴾
 أى موصلا إلى المقصود . و لما كان ذلك قد لا يكون على سبيل الإكرام ،
 قال تعالى : ﴿ و رحمة ﴾ و لما كان الإكرام قد لا يكون [بما هو -^٢] في^٢
 أعلى طبقات السرور^٣ ، قال سبحانه : ﴿ و بشرى ﴾ أى بشارة عظيمة جدا
 ﴿ للسليين ﴾ و يجوز أن يكون التقدير ” في كل امة شهيدا عليهم “ و^٢ هو ه
 رسولهم الذى أرسلناه إليهم في الدنيا ” و جئنا بك شهيدا على هؤلاء “
 لكوننا أرسلناك إليهم و جعلناك^٤ أمينا عليهم ” و نزلنا عليك الكتب
 تبيانا لكل شيء “ فلا عذر لهم ، فيكون معطوفا على ما دل الكلام
 السابق^٥ دلالة واضحة على تقديره .

و لما بين تعالى فضل هذا القرآن بما يقطع حجتهم ، و كان قد ١٠
 [قدم -^٦] فضل من يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم . أخذ بين^٦
 اتصاف القرآن [ببيان -^٧] كل شيء ، و تضمنه لذلك الطريق الأقوم ،
 فقال تعالى جامعا لما يتصل^٨ بالتكاليف فرضا و نفلا ، و ما يتصل بالأخلاق
 و الآداب عموما و خصوصا : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك المستجمع لصفات
 الكمال ﴿ يأمر بالعدل ﴾ و هو الإنصاف الذى لا^٩ يقبل عمل بدونه ، ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قال (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ .
 (٤) زيد فى الأصل و مد : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) فى ظ :
 جعلنا (٦ - ٧) فى ظ : عليه السياق (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م
 و مد ، و فى الأصل : منه من - كذا (٩) من م و مد ، و فى الأصل : يصل ،
 و فى ظ : يتكلم (١٠) سقط من مد .

و أول درجاته التوحيد الذى بنيت السورة عليه ، و العدل يعتبر تارة فى
المعنى فيراد به هيئة فى الإنسان تطلب بها المساواة ، و تارة فى العقل
فيراد به التقييد القائم على الاستواء ، و تارة يقال : هو الفضل كله من
حيث أنه لا يخرج^١ شئ من الفضائل عنه ، و تارة يقال : هو^٢ أكمل
ه الفضائل من حيث أن صاحبه يقدر على استعماله فى نفسه و فى غيره ،
و هو ميزان الله المبرأ من كل زلة [و به -^٣] يستتب^٤ أمر العالم ، و به
قامت السماوات و الأرض ، و هو وسط كل أطرافه جور^٥ ، و بالجملة
الشرع يجمع العدل ، و به تعرف حقائقه ، و من استقام على نهج^٦ الحق
فقد استتب^٧ على منهج العدل - ذكره الرازى فى اللوامع [و فيه تلخيص -^٨] ،
١٠ و فى آخر الجزء الخامس عشر^٩ من الثقفيات^{١٠} أن عمر بن عبد العزيز

رضى الله عنه قال لمحمد بن كعب القرظى رضى الله عنه : صف لى العدل ،
فقال : كن لصغير الناس أبا ، و لكبيرهم^{١١} ابنا ، و لثلاث أخا ، و للنساء
كذلك^{١٢} ، و عاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر أجسامهم^{١٣} ، و لا تضربن

(١) زيد فى مد : عن (٢) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى
ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مـ مد (٤) من ظ و م و مـ مد ، و فى
الأصل : بسبب (٥) من ظ و م و مـ مد ، و فى الأصل : جوره (٦) فى ظ : منهج .
(٧) من ظ و م و مـ مد ، و فى الأصل : است - كذا (٨) زيد من ظ - و فيه :
به ، موضع : فيه - و م و مـ مد (٩) سقط من م (١٠) قد أسلفنا الكلام عليها .
(١١) من ظ و م و مـ مد ، و فى الأصل : لكبير (١٢) من ظ و م و مـ مد ، و فى
الأصل : بذلك (١٣) فى ظ : اجسادهم .

لغضبك سوطا واحدا فتعدى فتكون [من العادين - ١] - انتهى .
 (و الاحسان) و هو فعل الطاعة على أعلى الوجوه ، فالعدل فرض ،
 و الإحسان فضل ، و هو مجاوزة النصفة إلى التحامل على النفس ، لأنه
 [ربما - ٢] وقع في الفرض نقص فخير بالنفل ، و هو [في - ١] التوحيد
 الارتقاء عن أول الدرجات ، و من أعلاه الغنى عن الآكوان ، و تكون ه
 الآكوان في غيبتها^٢ عند انبساط نور الحق كالنجوم في انطاماسها^٢ عند
 انتشار [نور - ١] الشمس ، و غايته الفناء^٥ حتى^٦ عن هذا الغنى ،
 و شهود الله وحده ، و هو التوحيد على الحقيقة كما في حديث أبي هريرة
 رضى الله عنه المتفق عليه ، الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن
 تراه فانه يراك^٢ ، و هو روح الإنسانية ، في الجزء الثامن^٨ من الثقفيات ١٠
 عن عاصم بن كليب الجرمي قال : حدثني أبي كليب أنه شهد مع أبيه
 جنازة شهدها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم ، قال : و أنا
 غلام أعقل و أفهم ، قال : فاتتهى بالجنازة إلى القبر و لما يمكن لها
 فجعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله و سلم يقول : سوّ ذا أو خذ ذا !
 [قال - ١] : حتى ظن الناس أنها ستة ، فالتفت إليهم فقال^٦ : أما ! إن ١٥
 هذا لا ينفع الميت و لا يضره ، و لكن الله تعالى يحب من العامل إذا

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :
 غيبها (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : انضمامها (٥) من م ومد ، وفي
 الأصل وظ : الفنا (٦) سقط من ظ (٧) و الحديث من الشهرة بحيث لا يفتقر
 إلى التعليق عليه (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : الخامس .

عمل أن يحسن^١ / (وإيتاني ذى القربى) فانه من الإحسان، وهو أولى الناس بالبر، وذلك جامع للإحسان في صلة^٢ الرحم .

ولما أمر بالمكارم، نهى عن المساوئ والملاثم فقال تعالى :
 (وينهى عن الفحشاء) وهى^٣ ما اشتد تقصيره عن العدل فكان
 ضد الإحسان (و المنكر) وهو ما قصر عن العدل في الجملة (و البغى^٤)
 وهو الاستعلاء على الغير ظلماً؛ وقال البيضاوى في سورة الشورى:
 هو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتجزأ كمية أو كيفية . وهو من المنكر،
 صرح به اهتماماً، وهو آخر قطعة الرحم ومشارك لها في تعجيل العقوبة
 «ما من ذنب أحرى^٥ أن يعجل الله لصاحبه العقوبة مع^٦ ما يدخر له^٧ في
 ١٠ الآخرة من البغى وقطيعة الرحم» رواه أحمد وأبو داود^٨ والترمذى^٩
 عن أبي بكرة رضى الله عنه رفعه، وأصل البغى الإرادة، كأنه صار
 - بفهم^{١٠} هذا المعنى "المحذور - المحذور عند" حذف مفعوله، لأن الإنسان
 - لكونه مجبولا على النقصان - "لا يكاد يصلح" منه إرادة، فعليه أن
 يكون مسلوب الاختيار، مع الملك الجبار، الواحد القهار، فتكون^{١١} إرادته
 ١٥ تابعة لإرادته، واختياره من وراء طاعته، وعن الحسن أن الخلقين

(١) أخرجه الثلاثة مختصراً (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: أصله (٣) في ظ :
 هو (٤) آية ٢٧ (٥) من ظ وم ومد ومسند الإمام أحمد ٣٨/٥، وراجع أيضاً
 ٢٦/٥، وفي الأصل: أخرجه (٦) سقط من ظ (٧-٧) من م ومد والمسند،
 وفي الأصل وظ: يدخله (٨) في باب في النهي عن البغى - كتاب الآداب (٩) خلال
 باب من أبواب القيامة - راجع ٣٠٣/٢ (١٠) من م ومد، وفي الأصل وظ:
 بفهم (١١-١١) في ظ: المحذور المحذرة (١٢-١٢) في م ومد: لا تكاد تصلح .
 (١٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فيكون .

الاولين ما تركا طاعة إلا جماعها و الاخيرين^١ ما تركا معصية إلا جماعها .
ولما دعا هذا الكلام على و جازته إلى أمهات الفضائل التي هي
[العلم و -^٢] العدل و العفة^٣ و الشجاعة ، و زاد من الحسن ما شاء ، فإن
الإحسان من ثمرات العفة^٤ ، و النهي عن البغي الذي هو من ثمرات
الشجاعة المذمومة إذن فيما سواه منها ، و لا يقوم شيء من ذلك إلا بالعلم^٥
و؛ كان هذا^٦ أبلغ و عظم ، به عليه سبحانه بقوله تعالى : ﴿ يعظكم ﴾ أي
يأمركم^٧ بما يرقق قلوبكم من مصاحبة ثلاثة [و مجانبة ثلاثة -^٨]
﴿ لعلمكم تذكرون ﴾ أي ليكون^٩ حالكم حال من يرجى تذكره ، لما
في ذلك من المعالي بما وهب الله من العقل ، الداعي إلى كل خير ،
الناهي عن كل ضير ، فإن كل أحد من طفل و غيره يكره ان يفعل^{١٠}
معه شيء من هذه المنهيات ، فمن كان له عقل و اعتبر بعقله علم أن
غيره يكره منه ما يكره^{١١} هو منه ، و يعلم [أنه -^{١٢}] إن لم يكف^{١٣}
عن فعل^{١٤} ما يكره أخوه وقع التشاجر ، فيحصل الفساد المؤدى إلى
خراب الأرض ، هذا في الفعل^{١٥} مع أمثاله من المخلوقين ، فكيف
بالخالق بأن يصفه بما لا يليق به سبحانه ، و عز اسمه ، و تعالى جده ،
و عظم أمره^{١٦}

- (١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الآخرين (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الصفة (٤) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : او (٥) في ظ : من (٦) تكرر في الأصل فقط (٧) في م : لتكون .
(٨) زیدت الواو في مد (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لم يكن (١٠) في ظ :
خلة (١١) في مد : الفضل .

و لما تقررت هذه الجمل التي جمعت - بجمعها للأمورات و المنهيات
 - ما تضيق عنه الدفاتر و الصدور، و شهد [لها - ٢] المعاندون من
 بلغاه العرب أنها بلغت قاموس البحر و تعالت عن طوق البشر، عطف
 على ما أفهمه السياق - من نحو: فتذكروا أو فالزموا ما أمرتم به و نابذوا
 ما نهيتهم عنه - بعض ما أجلته، و بدأ بما هو مع جمعه أهم، و هو الوفاء
 بالعهد الذي يفهم منه العلماء بالله ما دل عليه العقل من الحجج القاطعة
 بالتوحيد و صدق الرسل و وجوب اتباعهم، فكانت أعظم العهود^٢،
 و يفهم منه غيرهم ما يتعارفونه بما^٣ يجري بينهم من المواثيق، فاذا ساروا^٤
 فيها بما أمر^٥ سبحانه و تحروا رضاه [علماء منهم - ٢] بأنه العدل، قادم
 ١٠ ذلك إلى رتبة الأولين فقال تعالى: ﴿ و اوفوا ﴾ أى أوفوا الوفاء الذى
 لا وفاء^٦ فى الحقيقة غيره ﴿ بعهد الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى عاهدكم
 عليه بأدلة العقل و النقل من التوحيد و غيره من أصول الدين و فروعه
 ”الذين يوفون بعهد الله و لا ينقضون الميثاق“^٧. ”و ما يضل به الا الفاسقين“^٨
 الذين / ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه^٩ ” (اذا عاهدتم) بتقليكم^{١٠} / ٢٤٩
 ١٥ له باذعانكم لأمثاله من الأدلة فيما عرف من عوائدكم، و صرحتم به
 (١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عند (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط
 من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٥) فى مد: اشاروا (٦) فى
 مد: امروا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وفاة - كذا (٨) سورة ١٣
 آية ٢٠ (٩) فى ظ: الفاسقون (١٠) سورة ٢ آية ٢٦ و ٢٧ (١١) فى ظ:
 بتقليكم.

عند شدائدكم^١ "ثم اذا مسكم الضر فاليه تجثرون" ^٢ ثم عطف عليه ما هو من جنسه وأخص [منه - ٢] فقال تعالى : (ولا تنقضوا الأيمان) واحترز عن لغو اليمين بقوله تعالى : (بعد توكيدها) وحذف الجار. لأن المنهى عنه إما هو استغراق زمان البعد بالنقض، وذلك لا يكون إلا بالكذب الشامل له كله، بعضه بالقوة وبعضه بالفعل، ولعله جمع ٥. إشارة إلى أن المذموم استهانتها من غير توقف على كفارة، لأن من فعل ذلك ولو في واحدة كان فاعلا [ذلك - ٢] في الجميع، بخلاف من ينقض ما نقضه خير^٦ بالكفارة فإنه ناقض للبعض لا للكل، لأنه دائر مع الخير^٦ [و - ٢] الأول دائر مع الهوى؛ ثم حذر من النقض بأنه مطلع^٧ قادر، فقال تعالى مقبحا حالهم إذ ذاك (لو قد جعلتم الله) ١٠ أى الذى له العظمة كلها (عليكم كفيلًا) أى شاهداً ورجيلاً. و لما كان من شأن الرقيب حفظ أحوال من يراقبه، قال تعالى مرغبا مرهبا : (ان الله) أى الذى له الإحاطة الكاملة (يعلم ما تفعلون) فلم تفعلوا شيئا إلا بمشيئته وقدرته، فكانت كفالاته^٨ [مجمولة بهذا الاعتبار وإن لم يصرح بالجعل، ففى نقصم فعل بكم فعل الكفيل - ٢] القادر ١٥

(١) في مد: اشدائكم (٢) العبارة من هنا إلى « الضرر بفعلهم » ص ٢٤٢ س ١٣. تقدمت في ظ على « صراط مستقيم » ص ٢٣٥ س ١١ (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل: له (٥) في الأصول: جبر؛ وما أتيناه مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم: من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه (٦) من لم، وفي الأصل: الخبر، وفي ظ ومد: الخبر (٧) زبدت لوائى م (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل: كفاة.

بالمكفول^١ الماثل من أخذ الحق والعقوبة .

ولما أمر بالوفاء ونهى عن النقض ، شرع [في - ٢] تأكيد وجوب الوفاء وتحريم النقض و تقييده^٢ تنفيذا منه فقال تعالى :
(ولا تكونوا) أى فى نقضكم لهذا الأمر المعنوى (كالتى نقضت غزلها)
هـ ولما كان النقض لم يستغرق زمان البعد ، قال تعالى : (من بعد قوة)
عظيمة حصلت له (انكاثا^٣) أى أنقاضا ، جمع نكث وهو كل شيء
نقض^٤ بعد القتل^٥ سواء كان حبلا أو غزلا ، فهو مصدر بمجموع من
نقضت ، لانه بمعنى نكثت ، قال فى القاموس : النكث - بالكسر -
أن تنقض أخلاق الاكسية لتغزل ثانية . فيكون^٦ مثل جلست قعودا ،
١٠ أى فتكونوا^٧ بفعلكم ذلك كهذه^٨ المرأة التى ضربتم المثل بها فى الخرق^٩
مع ادعائكم^{١٠} أنه يضرب بأدناكم المثل فى العقل ، [ثم - ٣] وصل
بذلك ما يعرف أنهم^{١١} أسفه^{١٢} من تلك المرأة بسبب أن ضررها لا يتعدها ،
و أما^{١٣} الضرر بفعلهم فانه مفسد لذات البين فقال تعالى : (تتخذون)

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالمقدور (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بحقه (٤-٤) من م ، وفى الأصل وظ :
هذا للقتل ، وفى مد : بعد للقتل - كذا (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
فتكون (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فيكون (٧) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل : هكذا (٨) أى الجمى (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
اعادىكم (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انه (١١) فى ظ : اسفل (١٢) من
ظ و م و مد ، وفى الأصل : ما .

أى بتكليف^١ الفطرة الأولى ضد ما تدعو^٢ إليه^٣ من الوفاء^٤ (إيمانكم دخلاً)
 [أى - ^٥] فيضمحل كونها أيماناً إلى كونها ذريعة إلى الفساد بالخداع^٥
 والغرور (بينكم) من حيث أن المحلوف له يطمئن فيفجأه الضرر،
 ولو كان على حذر لما نيل منه ولا جسر عليه، وكل ما أدخل في الشيء^٦
 على فساد فهو دخل (ان) أى تفعلون^٧ ذلك بسبب أن^٨ (تكون أمة)^٩
 أى وهى^{١٠} الخادعة أو المخدوعة لأجل سلامتها (هى) أى خاصة (أربى)
 أى أزيد. وأعلى (من أمة^{١١}) فى القوة أو العدد، فإذا وجدت نقادا
 لزيادتها غدرت .

و لما عظم عليهم النقص ، و بين أن^{١٢} من أسبابه الزيادة ، حذرهم
 غوائل البطر فقال تعالى : (انما يلوكم) أى يختبركم (الله) أى الذى ١٠
 له الامر كله (به^{١٣}) أى يعاملكم معاملة المختبر بالإيمان و الزيادة ليظهر
 للناس تمسككم بالوفاء أو اخلاصكم منه اعتمادا على كثرة أنصاركم و أقله
 أنصار من نقضتم عهده من المؤمنين "أو غيرهم" مع قدرته
 سبحانه على ما يريد ، فيوشك أن يعاقب^{١٤} بالخالفه فيضعف القوى و يقلل
 (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تكليف (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : تدعون (٣-٣) سقط ما بين الرقين من مد (٤) زيد من ظ و م و مد .
 (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : شئ . (٧) من م ، وفى
 الأصل و ظ و مد : يفعلون (٨) سقط من مد (٩) فى ظ : هو . (١٠) من ظ
 و م و مد ، وفى الأصل : او (١١-١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
 وغيره (١٢) فى ظ : يوقع .

الكثير (وليبين لكم) أى إذا تجلى لفصل القضاء (يوم القيمة) مع
هذا كله (ما كنتم) أى بمجلاتكم (فيه / تختلفون) فاحذروا يوم
العرض على ملك الملوك [بحضرة الرؤساء و الملوك - '] وجميع
المعبودات و الكل بحضرة الشاه ' داخرون ، و لديه صاغرون ، و من
ه نوقش الحساب يهلك .

/ ٢٥٠

ولما أمر ونهى ، و خوف من العذاب فى القيامة ، ' و كان ربما ظن
من لا علم له - و هم الأكثر - من كثرة التصريح بالحوالة على القيامة ' نقص
القدرة فى هذه ' الدار ، صرح بنى ذلك بقوله تعالى : (ولو شاء الله)
أى الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه ، أن يجعلكم ' أمة واحدة ' .
١٠ لا خلاف بينكم فى أصول الدين و لا فروعه (لجعلكم أمة واحدة) متفقة
على أمر واحد لا تؤم ' غيره ، منفا عنها أسباب ' الخلاف (ولكن)
لم يشأ ذلك و شاء اختلافكم ، فهو (يضل من يشاء) عدلا منه ، لأنه
تام الملك عام الملك و لو ' كان الذى أضله على أحسن الحالات
(و يهدى) بفضله (من يشاء) و لو كان على أحسن ' الأحوال ،

(١) زيد من ظ و م و مد بيد أن كلمة ' الرؤساء ' ليست فى ظ (٢) من م ،
وفى الأصل و ظ و مد : السبا (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) من م
و مد ، وفى الأصل : هذا ، و الكلمة ساقطة من ظ (٥) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل : نجعلكم (٦) زيدت الواو فى ظ (٧) من م ، وفى الأصل و ظ
و مد : لا يؤم (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انشاء (٩) من ظ و م
و مد ، وفى الأصل : لكن (١٠) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : احسن .

فذلك (٦١) ٢٤٤

فذلك يكونون^١ مختلفين في المقاصد، يوم هذا غير ما يؤمه هذا، فيأتي الخلاف مع تأدية العقل إلى^٢ أن الاجتماع^٣ خير من الافتراق، فالاختلاف^٤ مع هذا من^٥ قدرته الباهرة .

ولما تقرر [بهذا - ٦] أن الكل فعله وحده فلا فعل لغيره أصلا، كان ربما أوقع في الوهم أنه لا حرج على أحد في شيء يفعله بين أن ه السؤال يكون عن المباشرة ظاهرا على ما يتعارف الناس في إسناد الفعل إلى من ظهر اكتسابه له، فقال تعالى مرغباً مرهباً مؤكداً لإنكارهم البعث فضلاً عما ينشأ عنه: ﴿ ولتسئلن عما كنتم ﴾ أى كونا أنتم مجبولون عليه ﴿ تعملون ﴾ وإن دق، فيجازى كلا^٧ منكم على عمله وإن كان غنيا عن السؤال، فهو بكل شيء عليم .

١٠

ولما بين أن الكذب وما جر إليه أفبح القبائح، وأبعد الأشياء عن المكارم، وكان من أعظم أسباب الخلاف، فكان أمره جديراً بالتأكيد^٨، أعاد^٩ الزجر عنه بأبلغ مما مضى بصريح النهي مرهباً مما يترتب على ذلك، فقال^{١٠} معبراً بالافتعال إشارة إلى [أن - ١١] ذلك لا يفعل

- (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يكون (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لا (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الاحتمال (٤) في ظ و مد: بالاختلاف (٥) من م و مد، وفي الأصل: في، وفي ظ: مع (٦) زيد من م و مد. (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: كل (٨-٨) سقط ما بين الرقین من م. (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عاد (١٠) العبارة من هنا إلى « قارها منه » ص ٢٤٦ س ١ ساقطة من م (١١) زيد من ظ و مد .

إلا بعلاج شديد من النفس لأن الفطرة السليمة يشتد تقارها منه :
 ﴿ ولا تتخذوا إيمانكم دخلاً ﴾ أى فساداً و مكرًا و داء و خديعة ﴿ بينكم ﴾
 أى فى داخل عقولكم ' و أجسامكم ' ﴿ فزل ﴾ أى فيكون ذلك سبباً
 لأن زل ﴿ قدم ﴾ هى فى غاية العظمة بسبب الثبات ﴿ بعد ثبوتها ﴾
 ٥ عن مركزها الذى كانت به من دين أو دنيا ، فلا يصير لها قرار^٢ فتسقط
 عن مرتبتها ، و زل القدم تقوله ' العرب لكل ' ساقط فى ورطة بعد
 سلامة ﴿ و تذوقوا السوء ﴾ مع تلك الزلزلة ﴿ بما صدتم ﴾ أى بأنفسكم
 [و منعم غيركم بإيمانكم التى^١ أردتم بها الإفساد لإخفاء الحق
 ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى الملك - ٧] الأعلى ، يتجدد لكم [هذا - ٧] الفعل
 ١٠ ما دمتم على هذا الوصف ﴿ ولكم ﴾ مع ذلك ﴿ عذاب^٤ عظيم ٥ ﴾ ثابت
 غير منفك إذا متم على ذلك .

و لما كان هذا خاصاً بالإيمان ، أتبعه النهى عن الحياة فى عموم العهد
 [تأكيداً بعد - ٧] تأكيد ' للدلالة على عظيم النقض ' فقال تعالى :
 ﴿ ولا تشتروا ﴾ أى ' تكلفوا أنفسكم [لجأجا - ٧] و تركا للنظر فى

- (١-١) سقط ما بين الرقین من م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سبب .
 (٣) فى مد : قرارا ؛ و العبارة فيها من هنا إلى ما سنبه عليه غير واضحة لدرجة
 أن إجراء المقابلة عليها فى قمة الصعوبة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بقوله .
 (٥) فى ظ : فى (٦) فى ظ : الذى (٧) زيد ما بين الحائزين من ظ و م .
 (٨) ليس فى الأصل (٩) زيد فى ظ : و لا .

العواقب أن تأخذوا و تستبدلوا ﴿ 'بعهد الله' ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ 'ثمنا قليلا' ﴾ أى من حطام الدنيا وإن كنتم ترونه كثيرا ، ثم علل قلته بقوله تعالى : ﴿ انما عند الله ﴾ أى الذى له الجلال والإكرام من ثواب الدارين ﴿ هو خير لكم ﴾ ولا يعدل عن الخير إلى ما دونه إلا لجوج ناقص العقل ، ثم شرط علم خيريته بكونهم من ذوى العلم فقال ه تعالى : ﴿ ان كنتم ﴾ أى بجهلاتكم ﴿ تعلمون ﴾ أى ممن يتجدد له علم ولم تكونوا فى عداد البهائم ، فصار العهد الشامل للإيمان مبدوءا فى هذه الآيات بالأمر بالوفاء به ومحتوما بالنهى عن نقضه ، والإيمان التى هى أخص منه وسط بين [الأمر والنهى المتعلقين به ، فصار الحث عليها على غاية من التأكيد عظيمة ورتبة - ٧] من التوثيق جليلة ، ثم ١٠ / ٢٥١

[بين - ٧] خيريته وكثرته بقوله تعالى على سبيل التعليل : ﴿ ما عندكم ﴾ أى من أعراض الدنيا ، وهو الذى تتعاطونه بطباعكم ﴿ ينفد ﴾ أى ينفى ، فصاحبه منقص العيش أشد ما يكون به اغتباطا بانقطاعه أو بتجويز انقطاعه إن كان فى عداد من يعلم ﴿ وما عند الله ﴾ أى الذى

(١-١) فى ظ : ثمنا قليلا (٢-٢) فى ظ : بعهد الله (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : ذلك (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : على (٥) فى ظ : لا (٦) زبدت الواو فى ظ (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : يتعاطونه (٩) من م ، وفى الأصل بياض ، وفى ظ : لطباعكم (١٠) فى ظ : ينفى (١١) فى ظ : منقبض .

له الأمر كله من الثواب ﴿باق^١﴾ فليؤتيناكم منه^١ إن فتيتم^٢ على عهد^٢،
ثم لوح بما في ذلك من المشقة عطفًا على هذا المقدر فقال تعالى مؤكداً
لأجل تكذيب المكذبين: ﴿ولنجزي^٣﴾ أى الله - على قراءة الجماعة
بالياء، ونحن - على قراءة ابن كثير وعاصم بالنون التفاتاً إلى [التكلم -^٤]
هـ للتعظيم ﴿الذين صبروا﴾ على الوفاء بما يرضيه من الأوامر والنواهي
﴿اجرم﴾ و لما كان كرماء الملوك يوفون^٥ الأجور بحسب الأعمال
من الأحسن وما دونه، أخبر بأنه يعد إلى الأحسن^٦ فيرفع الكل إليه
و يسوى الآدون به فقال: ﴿باحسن ما كانوا﴾ أى كونا هو جلة لهم
﴿يعملون هـ﴾

١٠ ولما وعد بعد أن توعد، أتبعه ما يبين أن ذلك لا يخص شريفاً ولا وضعياً،
و إنما هو دأب مع الوصف الذى رمز إليه فيما مضى بالعدل تارة، و بالعهد
أخرى، وهو الإيمان، فقال تعالى جواباً لمن كأنه قال: هذا خاص [بأحد دون
أحد -^٨]، مرغبا في عموم شرائع الإسلام: ﴿من عمل صالحا﴾ و لما كانت
[عامة، وكانت -^٩] ربما خصت الذكور^{١٠}، بين المراد من عمومها بقوله تعالى:
١٥ ﴿من ذكر أو اثنى﴾ [فعم -^{١١}] ثم قيد "مشيراً بالإفراد إلى قلة الراشدين"

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من (٢) فى الأصل وظ: يتم، و فى م: تم -
كذا (٣) فى ظ و م: لينجزين (٤) العبارة من هنا إلى « للتعظيم »
ساقطة من م (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: يوتون (٧) من م، و فى الأصل
وظ: المحسن (٨) زيد من ظ و م (٩) زيد بعده فى الأصل: كان و، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفناها (١٠) فى ظ: النكول - كذا (١١ - ١١) سقط ما
بين الرقمين من م .

بقوله تعالى: ﴿و هو مؤمن﴾ .

ولما كان الإنسان كلما علا في درج الإيمان، كان جديرا بالبلاء والامتحان، بين تعالى أن ذلك لا ينافي سعادته، ولذلك أكد قوله: ﴿فلنحيينه﴾ دفعا لما يتوهمه المستدرجون^١ بما يعجل لهم من طياتهم في الحياة الدنيا ﴿حيوة طيبة﴾ أى في الدنيا بما تؤتية من ثبات القدم، ه وطهارة الشيم ﴿ولنجزينهم﴾^٢ كلهم ﴿اجرم﴾^٣ فى الدنيا والآخرة ﴿باحسن ما كانوا﴾ أى كونا جليلا ﴿يعملون﴾ قال العلماء: رضى الله عنهم^٤: المطيع فى عيشة هنية، إن كان موسرا فلا كلام فيه، وإن كان معسرا فبالقناعة والرضى بحكم النفس المطمئنة، والفاجر بالعكس، إن كان [معسرا -^٥] فواضح، وإن كان موسرا فخرصه لا يدعه يتها^٦ ١٠ فهو لا يزال فى عيشة ضحك .

ولما تقررت هذه الاحكام على هذه الوجوه الجليلة، و^٧ أشارت بحسن^٨ ألفاظها وشرف سياقتها إلى أغراض هى مع جلالتها غامضة دقيقة، فلاح بذلك أن^٩ القرآن تبيان لكل شئ فى حق من سلم من غوائل الهوى وجبائل الشيطان، وختم ذلك بالحث على العمل^{١٥} الصالح، وكان القرآن تلاوة وتفكرا وعملا بما ضمن

(١-١) سقط ما بين الرقيين من م (٢) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فإظ و م أخذناها (٣) و من هنا استأنفت نسخة مد (٤) منهم البيضاوى - راجع روح المعاني ٤/٤٣٩ (٥) فى الأصل: عنه، و رضى الله عنهم ساقطة من ظ و م ومد (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) فى م: منهتا (٨-٨) فى ظ: إشارة لحسن (٩) فى ظ: جلاتها (١٠) سقط من ظ .

أجل^١ الأعمال الصالحة ، تسبب عن ذلك الأمر بأنه إذا قرئ هذا القرآن المنزل على مثل تلك الأساليب الفائقة يستعاذ^٢ من الشيطان لئلا يحول بوساوسه بين القارئ وبين مثل تلك الأغراض والعمل بها ، وحاصله الحث على التدبر وصرف جميع الفكر إلى التفهم والاتجاه إليه تعالى في كل عمل صالح لئلا يفسده الشيطان بوساوسه ، أو يحول بين الفهم وبينه ،
 ٥ يانا لقدر الأعمال الصالحة ، وحثا على الإخلاص فيها و تشمير الذيل عند قصدما ، لاسيما أفعال القلوب^٣ التي هي أغلب ما تقدم هنا ، فقال تعالى مخاطبا لأشرف خلقه ليفهم غيره من باب الأولى فيكون أبلغ في حثه وأدعى إلى اتباعه : ﴿ فاذا قرأت ﴾ أى أردت أن تقرأ مثل
 ١٠ ٢٥٣ ”وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا“ ﴿القرآن﴾ الذى هو قوام العمل الصالح والداعى إليه والحث عليه ، مع كونه تيانا لكل شيء ، وهو اسم جنس يشمل القليل منه والكثير ﴿ فاستعذ ﴾ أى إن شئت جهرا و^٤ إن شئت سرا ؛ قال الإمام^٥ الشافعى : والإصرار أولى في الصلاة ، وفي قول^٦ : يجهر كما يفعل خارج الصلاة . ﴿ بالله ﴾ أى سل^٧ الذى له
 ١٥ الكمال كله أن يبيذك ﴿ من الشيطان ﴾ أى المحترق باللعنة ﴿ الرجيم ﴾ أى المطرود عن الرحمة من أن يصدق بوساوسه عن اتباعه ، فانه لا عائق

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : احل (٢) من م و مد ، وفي الأصل
 وظ : فيستعاذ (٣) زيد في ظ : الصالحة (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
 ابلغ (٥) سورة ٧ آية ٤ ، وهى ساقطة من م بما فيها كلمة « مثل » (٦) زيد في
 ظ : اى (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : او (٨) سقط من ظ و م و مد .
 (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : قوله (١٠) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : مثل .

عن الإذعان، لأساليه الحسان، إلا خذلان الرحمن، بوساوس الشيطان،
 قتل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لأن ذلك أوفق للقرآن، وقد
 ورد به بعض الأخبار^١ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً
 وهو المشهور^٢ نص عليه الإمام^٣ الشافعى رضى الله عنه، والصارف لهذا
 الأمر عن الوجوب أحاديث كثيرة فيها القراءة بدون ذكر تعوذ كحديث^٤ هـ
 البخارى، وغيره^٥ عن أبى سعيد بن^٦ المعلى رضى الله عنه أن النبى صلى الله
 عليه وعلى آله وسلم قال له: ما منعك أن تجيبني؟ قال: كنت أصلى،
 قال: ألم يقل الله "استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم" ثم قال: لأعلنك
 سورة هي أعظم سورة في القرآن "الحمد لله رب العالمين" وفي رواية
 الموطأ^٧ أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم نادى أياً وأنه قال: كيف
 تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال أبى: فقرأت^٨ "الحمد لله رب العالمين"
 حتى أتيت على آخرها. ومن طالع كتابي "مساعد النظر للإشراف على
 مقاصد السور"^٩ رأى^{١٠} مثل هذا أحاديث كثيرة جداً من أحسنها حديث
 (١) راجع باب الاستعاذة في الصلاة - من كتاب الصلاة لأبن ماجه (٢) سقط
 من ظ و مد (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لحديث (٤) راجع أوائل
 سورة الأنفال من كتاب التفسير (٥) كالإمام أحمد في مسنده ٢١١/٤
 (٦) سقط من مد (٧) راجع باب ما جاء في أم القرآن من افتتاح الصلاة.
 (٨) من ظ و م و مد و الموطأ، وفي الأصل: بقراءة (٩ - ٩) من ظ و م
 و مد، وفي الأصل: مساعد السورة - خطأ، وقد ذكر هذا الكتاب غير مرة.
 (١٠) من م، وفي الأصل و ظ و مد: اى .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ٩٩ - ١٠١) ج - ١١

[نزول - ١] سورة الكوثر^١، وقيل: التعوذ بعد القراءة لظاهر الآية،
وختم القرآن بالمعوذتين موافق^٢ لهذا القول بالنسبة إلى^٣ الحال، والقول
الأول الصحيح بالنسبة إلى ما ندب إليه المرتحل من قراءة الفاتحة
و أول البقرة^٤.

• ولما كان ذلك ربما أوهم تعظيمه، نفى ذلك بقوله جواباً لمن كأنه
قال: هل له سلطان؟: ﴿إنه ليس له سلطان﴾ [أى - ١] بحيث لا يقدر
المسلط عليه على الاتفكاك عنه ﴿على الذين آمنوا﴾ بتوفيق ربهم لهم
﴿و على ربهم﴾ أى وحده ﴿يتوكلون﴾ ويجوز أن يكون المعنى أنه لما
تقرر في الأذهان أنه لا نجاة من الشيطان، [لأنه سبط - ١] علينا بأنه
١٠ يرانا من حيث لا نراه، ويجزى فينا^٥ مجرى الدم، وكانت فائدة الاستعاذة
الإعادة، أشير إلى حصولها بقوله على سبيل التقليل "إنه" أى استعذ بالله
بذلك منه، لأنه ليس له سلطان على الذين آمنوا بالله ليردم كلهم عما
(١) زيد من ظ و م و مد (٢) رواه البقوى في تفسيره عن طريق أنس أنه
قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم
رفع رأسه متبهاً فقلنا: ما أحضرك يا رسول الله؟ قال: نزلت على آفا سورة،
فقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيتك الكوثر" إلى آخر الآية - راجع
هامش لباب التأويل ٢٥٠/٧ (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: مناسب (٤) في
ظ: لهذا (هـ) العبارة من ذ وقيل التعوذ، إلى هنا ساقطة من م (٦) سقط من
ظ و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فيها.

يرضى الله ، و على ربهم وحده يتوكلون ، ثم وصل بذلك^١ ما أفهمه من
أن له سلطانا على غيرهم فقال تعالى : ﴿ انما سلطنته ﴾ أى الذى يتمكن
به غاية التمكن بامكان الله له ﴿ على الذين يتولونه ﴾ أى تولوه وأصروا
على ذلك بتجديد ولايته^٢ كل حين ﴿ والذين هم ﴾ أى بظواهرهم
و بواطنهم ﴿ به ﴾ أى بالشيطان^٣ ﴿ مشركون ﴾^٤ دائما لأنهم إذا تبعوا
وساوسه وأطاعوا أوامره فقد عبدوه فجعلوه^٥ بذلك شريكا ، فهم
لا يتأملون [دقائق القرآن - ٦] بل ولا يفهمون ظواهره على ما هى عليه
لما أعمام به الشيطان من وساوسه ، و حبسهم به عن هذه الأساليب
من محاسبه^٧ ، فهم لا يزالون يطعنون^٨ فيه بقلوب عمية و ألسنة بذية ؛ ثم
عطف على هذا المقدر^٩ - الذى دل عليه الكلام - ما أتجه تسلط الشيطان^{١٠}
عليهم فقال تعالى : ﴿ واذا بدلنا ﴾ أى بعظمتنا بالنسخ ﴿ آية ﴾ سهلة
كالعدة بأربعة أشهر / و عشر ، و قتال الواحد من المسلمين لاثنين^{١١} من
الكفار ، "أو شاقّة كتحريم" المحر و إيجاب "صلوات خمس" ، فجعلناها

٢٥٣ /

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك (٢) زيد فى الأصل و ظ : على ،
و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :
الشيطان (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فجعلوها (٦) زيد من ظ و م و مد .
(٧) من م و مد ، و فى الأصل : محاسبه ، و فى ظ : محاسبة (٨) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : يطعمون (٩) فى ظ : القدر ، و فى مد : القدر (١٠) فى مد :
الاثنين (١١ - ١٢) من م ، و فى الأصل : وساقه لتحريم ، و فى ظ : أو شاقّة
لتحريم ، و فى مد : أو ساقه كتحريم - كذا (١٢ - ١٣) فى م : خمس صلوات .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ١٠١ و ١٠٢) ج - ١١

﴿ مكان اية لا ﴾ [شاقة - ١] كالعدة بحول ، ومصابة عشرة^٢ من الكفار ، أو سهلة كآيات المتضمنة لإباحة الخمر وإيجاب ركعتين أول النهار و ركعتين آخره ، فكانت^٣ الثانية مكان الأولى ، وبدلا منها^٤ ، أو يكون المعنى : نسخنا آية صعبة فجعلناها مكانها آية سهلة ؛ و التبديل : رفع الشيء مع وضع غيره مكانه ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة ﴿ اعلم بما ينزل ﴾^٥ من المصالح بحسب الاوقات و الاحوال بنسخ أو بغيره ﴿ قالوا ﴾ أى الكفار ﴿ انما انت ﴾^٦ أى يا محمد ا ﴿ مفتر ﴾^٧ أى فالك^٨ تأمر اليوم بشئ و غدا تنهى عنه و تأمر بضده ، وليس الامر كما قالوا ﴿ بل اكثروا ﴾ و هم الذين يستمرون على الكفر ﴿ لا يعلمون ﴾^٩ ١٠ أى لا يتجدد لهم علم ، بل هم فى عداد البهائم ، لعدم^{١٠} انتفاعهم بما وهبهم الله من العقول ، لانهما كههم فى اتباع^{١١} الشيطان ، حتى زلت أقدامهم فى هذا الامر الواضح بعد إقامة البرهان بالإعجاز على أن كل ما كان معجزا كان من عند الله ، سواء كان ناسخا أو منسوخا أولا ، فصارت معرفة أن هذا قرآن و هذا غير قرآن بعرضه على هذا البرهان من أوضح الامور ١٥ و أسهلها تناولا لمن^{١٢} أراد ذلك منهم أو من غيرهم من فرسان البلاغة

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى م : عشر (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : وكانت (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من م (٥) فى مد : فجعلناها (٦) زيد فى مد : اى (٧) تأخر فى الأصل عن « يا محمد » و الترتيب من ظ و م و مد . (٨) فى ظ : فكذلك (٩) فى ظ : هو (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بعد . (١١) فى مد : انتفاع (١٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كن .

فكانه قيل : فما أقول ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ لمن واجهك بذلك منهم : ﴿ نزله ﴾
 أى القرآن بحسب التدرج لأجل اتباع المصالح لإحاطة^١ علم المتكلم به
 ﴿ روح القدس ﴾ الذى هو روح كله ، ليس فيه داع إلى هوى ، فكيف
 يتوهم فيما ينزله^٢ افتراء لاسيما مع إضافته إلى الظهر البالغ ، فهو ينزله
 ﴿ من ربك ﴾ أيها المخاطب الذى أحسن إليك بانزاله ثم بتبديله بحسب
 المصالح كما أحسن تربيتك بالنقل من حال إلى حال لإصلاح^٣ فى واحدة
 منها ما يصلح فى غيرها من الظهر إلى البطن ، ثم من الرضاع إلى الفطام
 فما بعده ، فكيف تنكر تبديل الأحكام للمصالح ولا تنكر تبديل الأحوال
 لذلك ، حال كون ذلك الإنزال ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الثابت الذى
 جل عن دعوى الافتراء بأنه لا يستطيع قضاؤه ﴿ ليثبت ﴾^٤ أى تثبتا عظيما^٥ ١٠
 ﴿ الذين آمنوا ﴾ فى دينهم بما يرون من إعجاز البذل والمبدل مع تضاد
 الأحكام ، وما فيه من الحكم والمصالح بحسب تلك الأحوال - مع ما
 كان فى المنسوخ من مثل ذلك بحسب الأحوال السالفة - وليتبرنوا
 على حسن الانقياد ، و يعلم بسرعة انقيادهم فى ترك الألف تمام استسلامهم
 و خلوصهم عن شوائب الهوى ؛ ثم عطف على^٦ محل " ليثبت " قوله : ١٥
 ﴿ وهدى ﴾ أى يانا [واضحا - ^٧] ﴿ وبشرى ﴾ أى بما فيه من تجديد العهد
 (١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الإحاطة (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
 نزله (٣) فى ظ : لا تصلح (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥ - ٥) سقط ما
 بين الرقين من م (٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) فى ظ : عن (٨) زيد
 من ظ وم ومد .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ١٠٢ - ١٠٥) ج - ١١

بالمك الأعلى و تردد الرسول بينه وبينهم بواسطة نبيهم صلى الله عليه
وعلى آله وسلم ﴿للسلمين﴾ المتقادين المبرئين من الكبر الطامس
للافهام، المعنى للأحلام، ولولا مثل هذه الفوائد لفاتت
حكمة تجميعه .

٥ . ولما نقض شبهتهم هذه إشارة وعبرة بما فضحهم، نقض لهم
شبهة أخرى بأوضح من ذلك وأضح فقال تعالى : ﴿ولقد نعلم﴾ أى
علما مستمرا ﴿انهم يقولون﴾ أى أيضا قولاً متكررا لا يزالون يلهجون
به ﴿انما يعلمه بشر﴾ وهم يعلمون أن ذلك سفساف من القول؛ ثم
استأنف الرد عليهم فقال تعالى : ﴿لسان﴾ أى لغة وكلام ﴿الذى يلحدون﴾
١٠. أى يميلون أو يشيرون ﴿إليه﴾ بأنه^٢ عليه إياه، مائلين عن القصد جائرين
عادلين عن الحق ظالمين ﴿اعجمي﴾ أى غير لغة العرب، وهو
مع ذلك ألكن فى النادية غير بين، وهو غلام كان نصرانيا لبعض
قرش اختلف فى اسمه^٣، وهذا التركيب وضع فى لسان العرب للايهام^٤
/ والإخفاء، ومنه^٥ عجم الزيب - لاستتاره^٦، والعجماء : البهيمة - لأنها
١٥ لا تقدر على إيضاح ما فى نفسها، وأما أعجمت الكتاب فهو للإزالة .

/ ٢٥٤

(١) تأخر فى الأصل وظ عن «شبهة أخرى» والترتيب من م ومد (٢) فى
ظ : لا يكادون (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل : بان (٤) من ظ وم ومد،
وفى الأصل : هم (٥) وللتنصيل ترجى مراجعة لباب التأويل ٤ / ٩٥ (٦) من
م ومد، وفى الأصل : للافهام، وفى ظ : للايهام (٧) فى ظ : هو (٨) من م ومد،
وفى لأصل : للاستشارة، وفى ظ : للاستتاره .

وهذا (٦٤)

٢٥٦

(وهذا) أى القرآن (لسان عربى مبین *) أى هو من شدة يانه مظهر
لغيره أنه ذو يان عظيم ، فلو أن المعلم عربى للزمهم أن لا يعجزوا عن
الإتيان بمثل ما علم ، فكيف و هو أعجمى .

فلما بان بهذا فضيحتهم ، كان كأنه قيل : إن من العجب إقدامهم
على مثل هذا العار وهم يدعون النزاهة ؟ فأجاب بقوله تعالى : •
(ان الذين لا يؤمنون) أى صدقون كل تصديق معترفين (بأيت الله لا)
أى الذى له العظمة كلها (لا يهديهم الله) أى الملك الأعلى الذى له
الغنى المطلق ، بل يضلهم عن القصد ، فلذلك يأتون بمثل هذه الخرافات
فأبشر لمن بالغ فى العناد ، بسد باب الفهم و السداد .

ولما كان ربما توهم أنه لكونه هو المضل لا يتوجه اللوم عليهم ، ١٠
نفى ذلك بقوله : (ولهم عذاب اليم *) أى بذلك ، لمباشرتهم له مع
حجب^١ المراد عنهم و خلق القدرة^٢ لهم ، إجراء^٣ على عوائد بعض الخلق
مع بعض .

ولما زيف شبههم ، أثبت لهم ما قذفوه^٤ به و هو برىء
[منه - ١] مقصورا^٥ عليهم ، فقال تعالى : (انما يفترى) أى يعتمد
(الكذب الذين لا يؤمنون) أى لا يتجدد منهم الإيمان (بأيت الله ج) ١٥
أى الذى له الكمال كله ، فان ردهم لما قام الدليل على أنه حق و عجزوا

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تعجب (٢) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : القدر (٣) فى ظ : قدموا (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م
و مد ، وفى الأصل : مقصودا .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ١٠٥ - ١٠٧) ج - ١١

عنه تَعَمُّدٌ منهم للكذب^١؛ ثم قصر مطلق الكذب عليهم [فقال -^٢]:
(وَأَوَّلَتْكَ) أى البعداء البغضاء (م) أى خاصة^٣ (الكذِبُونَ) أى العريقون^٤ فى الكذب ظاهرا و باطنا .

ولما ذكر الذين لا يؤمنون مطلقا، أتبعهم صفحا منهم هم أشد
[كفرا -^٥] فقال تعالى: (من) أى أى^٦ مخلوق وقع له أنه^٧ (كفرا بالله)
أى الذى له صفات الكمال، بأن قال أو عمل ما يدل على الكفر؛
و لما كان الكفر^٨ كله ضارا^٩ وإن قصر زمنه، أثبت الجار فقال تعالى:
(من بعد إيمانه) بالفعل أو بالقوة، لما قام على الإيمان من الأدلة التى
أوصلته إلى حد [لا يلبس -^{١٠}] فصار استكباره عن الإيمان ارتدادا عنه،
١٠ وجواب الشرط "دل ما" قبله وما بعده على أنه: فهو الكاذب، أو فعلية
غضب من الله (الا من اكرد) أى وقع إكراهه على قول كلمة الكفر^{١١}
(وقلبه) أى و الحال أن قلبه (مطمئن بالإيمان) فلا شيء عليه،
وأجمعوا^{١٢} - مع إباحة ذلك له - أنه لا يجب عليه التكلم بالكفر، بل إن
ثبت^{١٣} كان ذلك أرفع درجة، والآية نزلت فى عمار بن ياسر رضى الله

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الكذب (٢) زيد من م (٣-٣) سقط
ما بين الرقيين من م و مد (٤) فى ظ و مد: العريقون (٥) زيد من ظ و م
و مد (٦) من ظ و م، وفى الأصل: من، والكلمة ساقطة من مد (٧) سقط
من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من مد (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل:
ضار (١٠-١٠) فى ظ: ما دل (١١) العبارة من «أى وقع» إلى هنا تقدمت فى مد
على "الامن" وسقطت من م، ومن هنا إلى «أن قلبه» سقطت من مد (١٢) من
م و مد، وفى الأصل وظ: رجحوا (١٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ثبتت .

عنه^۱ أكرهوه فتابعهم وهو كاره، فأخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه كفر. فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [كلا! إن عمارا مليء إيمانا من قرنه إلى قدمه^۲ واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم^۳] وهو يسكى، فجعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يمسح عينه ويقول: إن عادوا فعد لهم^۴ بمثل ما قلت. (ولكن من شرح) أى فتش فتعا صار يرشح به (بالكفر صدرا) أى منه أو من غيره بالتسبب فيه، لأن حقيقة الإيمان والكفر يتعلق بالقلب دون اللسان، وإيماء اللسان معبر و ترجمان معرف بما فى القلب لتوقع الاحكام الظاهرة (فعلهم) لرضام به (غضب) [أى غضب -^۵] ثم بين جهة عظمه^۶ بكونه (من الله ج) ۱۰. أى الملك الأعظم (ولهم) أى بطواهرهم وبواطنهم (عذاب عظيم) لارتدادهم على أعقابهم.

ولما كان من يرجع إلى^۷ الظلمات بعد خروجه منها^۸ إلى النور جديرا بالتعجب منه، كان كأنه قيل: لم يفعلون^۹، أو [لم -^{۱۰}] يفعل

- (۱) والقصة بتفصيلها مذكورة فى لباب التأويل ۴/ ۹۶ (۲) فى ظ: قدميه.
(۳) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم ومد واللباب (۴) زيد بعده فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لخذفناها (۵) انعبارة من هنا إلى «بالتسبب فيه» ساقطة من م (۶) من ظ وم، وفى الأصل «و» (۷) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ان (۸) زيد من ظ وم ومد (۹) فى ظ: عظيمة، وفى مد: عظيمة - كذا (۱۰) من ظ وم ومد، وفى الأصل: من (۱۱) فى ظ: منه (۱۲) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يفعلوا (۱۳) زيد من م.

يهم ذلك؟ فقال تعالى: ﴿ذلك﴾^١ الارتداد أو^٢ الوعيد العظيم
 ﴿بانهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿استحبوا﴾ أى أحبوا حبا عظيما
 ﴿الحياة الدنيا﴾ [أى - ٣] الدنيئة^٣ الحاضرة الفانية، فأثروها
 ﴿على الآخرة﴾^٤ الباقية الفاخرة / لأنهم رأوا ما فيه [المؤمن - ٥] من
 ٢٥٥ ه الضيق والكافر من السعة ﴿و﴾ بسبب ﴿ان الله﴾ أى الملك^٥
 الذى له الغنى الأكبر ﴿لا يهدى القوم﴾ الكافرين ه) الذين علم
 استمرارهم عليه، بل يخذلهم ويسلط الشيطان عليهم يحتالهم عن دينهم .
 ولما كان استمرارهم على الكفر أعجب من ارتدادهم، أتبعه سيئه
 فقال تعالى: ﴿اولئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿الذين طبع﴾ أى ختم
 ١٠ ختما هو كفيل بالمطب ﴿الله﴾ أى الملك الذى لا أمر لاحد معه
 ﴿على قلوبهم﴾ ولما كان التفاوت فى السمع نادرا^٦، وحده فقال تعالى:
 ﴿وسمهم وابصارهم﴾ فصاروا - لعدم انتفاعهم بهذه المشاعر - كأنهم
 لا يفهمون^٧ ولا يسمعون ولا يبصرون ﴿اولئك﴾ أى الابعاد^٨ من
 كل خير ﴿هم الغفلون ه) أى^٩ الكاملو الغفلة^{١٠}: ثم أتبع ذلك جزاءهم
 (١) زيد فى الأصل وظ: أى، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها .
 (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل «و» (٣) زيد من م ومد (٤) فى ظ:
 الكائنة (٥) زيد من ظ وم ومد غير أن فى ظ «المؤمنين» (٦) سقط
 من ظ وم ومد (٧) ليس فى الأصل فقط (٨) من ظ وم ومد، وفى
 الأصل: الذى (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: قادرا (١٠) فى ظ:
 لا يفقهون (١١) فى مد: البعداء (١٢ - ١٣) من م ومد، وفى الأصل:
 الكاملون لغفلة، وفى ظ: الكاملوا الغافلة - كذا .

عليه فقال تعالى: ﴿ لا جرم ﴾ أى لا شك ﴿ انهم فى الآخرة هم ﴾
أى خاصة' (الخنسرونه) أى أكل الناس خسارة لأنهم خسروا رأس
المال و هو' نفوسهم، فلم يكن لهم مرجع يرجعون إليه .

ولما قدم القاتن والمفتون، أتبع ذلك ذكر حكمهما على القراءتين
فقال تعالى: بحرف التراخى إشارة "إلى تقاصر" رتبتهما عن رتبة من ه
لم يفعل ذلك: ﴿ ثم ان ربك ﴾ أى ' المحسن إليك بالعفو عن أمتك
وتخفيف الآصار عنهم فى قبول توبة من ارتد بلسانه أو قلبه
﴿ للذين هاجروا ﴾ أهل الكفر بالنزوح من بلادهم توبة إلى الله تعالى
كما كانوا فيه .

ولما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل فى أى وقت كان، أشار* ١٠
إلى ذلك بالجاء فقال "تعالى مينا" أن^٦ الفتنة بالاذى - وإن كان^٧ بالغا -
غير قادحة فى الهجرة^٨ وما تبعها، يفيد ذلك^٩ [فى الهجرة -^٨] بدونها
من باب الاولى ﴿ من بعد ما فتنوا ﴾^٩ بالبناء للجهول - على قراءة
الجماعة، لأن المضر^{١٠} هو الفتنة [مطلقا -^{١١}]، وللفاعل على قراءة
ابن عامر، [أى -^٨] ظللوا بأن فتنوا من آمن بالله حين كانوا كفاراء ١٥

(١) زيد بعده فى الأصل هم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها .
(٢) فى ظ : هم (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٤) سقط من م و مد .
(٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل : إشارة (٦) من ظ و م ومد، وفى
الأصل : الى (٧) فى ظ : كانت (٨) زيد من م و مد (٩) زيد فى الأصل، أى،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (١٠) من م و مد، وفى الأصل
وظ : الضر (١١) زيد من ظ و م ومد .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦: ١١٠ - ١١٢) ج - ١١

أو أعطوا الفتنة من أنفسهم ففتنوها بأن أطاعوا في كلمة الكفر، أو في
الرجوع مع^١ من ردهم إلى بلاد الكفر بعد الهجرة من بعد إيمانهم
(ثم جاهدوا) أي أوقعوا جهاد الكفار مع النبي صلى الله عليه
وعلى آله وسلم توبة إلى الله تعالى (وصبروا لا) على ذلك إلى أن
ماتوا عليه (ان ربك) أي المحسن إليك بتسخير من هذه
صفاتهم^٢ لك .

ولما كان له سبحانه أن يغفر الذنوب كلها^٣ ما عدا الشرك، وأن
يعذب^٤ عليها كلها وعلى بعضها، وأن يقبل الصالح كله، وأن يرد بعضه،
أشار إلى ذلك بالجاء فقال تعالى: (من بعدها) أي هذه الأفعال الصالحة
الواقعة بعد تلك الفاسدة وهي الفتنة (لغفور) أي بليغ المحو للذنوب^٥
(رحيم) أي بليغ الإكرام فهو يغفر لهم ويرحمهم .

ولما تقدم كثير من التحذير والتبشير، وتقدم أنه لا يؤذن للذين
كفروا ولا هم يستعتبون، وختم ذلك بانحصار الخسار^٦ في الكفار،
بين اليوم^٧ الذي تظهر فيه تلك الآثار، ووصفه بغير الوصف المقدم
١٥ باعتبار المواقف، فقال تعالى مبدياً من "يوم نبعث من كل أمة شهيداً"

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من م (٣) من ظ و م ومد،
وفي الأصل: بصفاتهم (٤) العبارة من هنا إلى «عليها كلها» ساقطة من ظ .
(٥) من م ومد، وفي الأصل: يعد (٦) سقط من مد (٧) في ظ: الخسارة .
(٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل: القوم (٩) من ظ و م ومد، وفي
الأصل: يظهر .

(يوم تاتي) أي فيه (كل نفس) أي إنسان وإن عظم جرمها (تجادل) أي تعتذر، وعبر بالمجادلة إيهاما للدفع بأقصى ما تقدر عليه، وأظهر في قوله: (عن نفسها^٢) أي ذاتها بمفردها لا يهملها غير ذلك لما يوم الإضمار من أن كل أحد يجادل عن جميع الأنفس. ولما كان مطلق الجزء مخوفا مقلقا، بنى للفعول قوله: (وتوفى كل نفس) صالحة وغير صالحة^٢ (ما عملت) أي جزاء من جنسه (ومم) ولما كان المرهوب^٣ مطلق الظلم، وكان البناء للفعول أبلغ / في فقيه^٤ قال تعالى: (لا يظلمون^٥) أي لا يتجدد عليهم [ظلم -^٦] لا ظاهرا ولا باطنا، ليعلم بإبدال "يوم" من ذلك المتقدم أن الحسارة باقاة الحق عليهم لا بمجرد إسكاتهم.

١٠

ولما عقب سبحانه ما ضرب سابقا من الأمثال بقوله تعالى "ورزقكم من الطيبات" وتلاه بذكر الساعة بقوله تعالى "وما امر الساعة" إلى آخره: واستمر فيما مضت مناسباته آخذا بعضه بحجز بعض حتى ختم بالساعة وآمن من الظلم فيها، وبين أن الأعمال هناك [هي -^٧] مناط الجزاء، عطف على ماضى - من الأمثال المفروضة ١٥ المقدرة المرغبة^٨ - مثلا محسوسا موجودا، مبينا أن الأعمال في هذه

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يقدر (٢) في ظ: نفسه (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ذلك (٤) في مد: جزاءه (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الموهوب (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: نفعه (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الرعية.

الدار [أيضا - ١] مناط الجزاء، مرهبا من المعالجة فيها [بسوط - ١]
 من العذاب فقال تعالى : ﴿ و ضرب الله ﴾ أى الملك المحيط بكل شيء .
 قدرة و علما لكم أيها المعاندون ١ ﴿ مثلا قرية ﴾ من قرى الماضين التى
 تعرفونها كقرية هود أو صالح أو لوط ٢ أو شعيب عليهم السلام كان حالها ٣
 ٥ كالحلم ، و عن ابن عباس ٤ رضى الله عنها ٥ أنها مكة ٦ ﴿ كانت ائمة ﴾
 أى ذات أمن يأمن ٦ به أهلها فى زمن الخوف ﴿ مطمئنة ﴾ أى تارة
 بأهلها ، لا يحتاجون فيها إلى نجدة و انتقال بسبب زيادة الامن بكثرة
 العدد و قوة المدد ، و كف الله الناس عنها ، و وجود ما يحتاج إليه أهلها
 ﴿ ياتيا ﴾ أى على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ رزقها رغدا ﴾ أى ٧
 ١٠ واسعا طيبا ﴿ من كل مكان ﴾ برا و بحرا بتيسير الله تعالى لهم ذلك .
 و لما كانت السعة تجر إلى البطر غالبا ، نبه تعالى على ذلك بالقاء

فقال تعالى : ﴿ فكفرت ﴾ و نبه سبحانه على سعة فضله بجمع ٨ القلة الدال
 على أن كثرة فضله عليهم تافهة بالنسبة إلى ما عنده سبحانه و تعالى [فقال - ٩] :
 ﴿ بانعم الله ﴾ [أى - ١] الذى له الكمال كله كما كفرتم ﴿ فاذاقها الله ﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هود (٣) من
 م ، و فى الأصل و ظ و مد : حلم (٤) و قال ابن الجوزى : فى هذه القرية
 قولان : أحدهما أنها مكة - فانه ابن عباس و مجاهد و قتادة و الجمهور و هو
 الصحيح ، و الثانى أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز
 فبعث الله عليهم الجوع - قاله الحسن ، راجع لباب التأويل ٩٨/٤ (٥-٥) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٦) سقط من ظ (٧) سقط من ظ و م و مد (٨) من ظ
 و م و مد ، و فى الأصل : بجميع (٩) زيد من م و مد .

أى المحيط بكل شيء قدرة و علما (لباس الجوع) بعد رغد العيش
 (والخوف) بعد الأمن و الطمأنينة حتى صار [لهم - ١] ذلك
 بشموله لهم لباسا ، و بشدة^٢ عركهم ذواقا ، فكأن النظر إلى المستعار
 [له ، وهو هنا أبلغ لدلالته على الإحاطة و الذوق ، ولو نظر إلى
 المستعار - ١] لقال : فكساها ، فكان يفوت الذوق ، و ذلك كما نظر ه
 إليه كثير في قوله :

غمر الرداء^٢ إذا تبسم^٢ ضاحكا غلقت لضحكته^٤ رقاب المال^٥
 استعار الرداء للمعروف لأنه يصون العرض صون الرداء لما يلقي عليه ،
 و وصفه بالغمر^٦ الذى هو وصف المعروف و النوال ، لا وصف الرداء
 الذى هو المستعار ،^٧ ولو^٧ نظر إليه لوصفه بالسعة أو^٨ الطول مثلا كما ١٠
 نظر إليه [من - ١] قال ذاكر السيف الذى يصون به الإنسان نفسه :
 ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك يا أبا بكر بن عمرو
 لى الشطر^٩ الذى ملكت يمينى و دونك فاعتجر^{١٠} منه بشرط

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بشرة .
 (٣-٣) من ظ و م و مد و روح المعانى ٤/٥١ و البحر المحيط ٥/٤٣٠ ، وفى
 الأصل : الذاتيم - كذا (٤) فى م و مد : بضحكته (٥) من ظ و م و مد و الروح
 و البحر ، وفى الأصل : الماء (٦) سقط من ظ (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : فلو (٨) فى ظ «و» (٩) فى ظ : الشط (١٠) من ظ و م و مد و البحر ،
 وفى الأصل : مااعتجر - كذا .

نظم الدرر (سورة النحل: ١٦ - ١١٤) ج - ١١

فنظر إلى المستعار وهو الرداء في لفظ الاعتجار، فبانت فضيحة^١
ابن الراوندى في زندقته إذ قال لابن الاعرابي: هل يذاق اللباس؟
فقال له^٢: لا بأس يا أيها الناس^٣ هب أن محمدا ما كان نيا، أما، كان
عريا؟ (بما كانوا) أى بجبلاتهم (يصنعون) من الكفر والكبر،
ه قد مرنوا عليه بكثرة المداومة مروّن الإنسان على صناعته .

ولما كان تعالى لا يعذب حتى يعث رسولا، حقق ذلك بقوله
تعالى: (ولقد جاءهم) أى أهل هذه القرية (رسول منهم) كما وقع لهم
(فكذبوه) كما فعلتم (فاخذهم العذاب) كما سمعتم، وإن كان المراد
بها مكة فالمراد به الجوع الذى دعا عليهم به النبي صلى الله عليه وعلى
آله وسلم لما قاله اللهم أغنى عنهم سبع كسبع يوسف^٤، وأما الخوف
١٠ فما كان من جهاد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم [لهم - ^٥]
(وهم ظلمون) أى عريقون^٦ فى وضع^٧ الأشياء فى غير مواضعها،
لأنهم استمروا على كفرهم مع الجوع، وسألوا النبي صلى الله عليه وعلى
آله وسلم فى الإغاثة فدعا لهم .

/ ٢٥٧

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: نصيحة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ
و م و مد، وفى الأصل: السائر - كذا (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل:
الا (٥) زيد فى الأصل: على صفة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٦) راجع باب الدعاء على المشركين من دعوات البخارى (٧) زيد من م و مد .
(٨) فى ظ و مد: غريقون (٩) فى ظ: وصف .

ولما تقرر بما مضى من أدلة التوحيد، ثبت ثباتا لا يتطرق إليه^١
 شك أن الله هو الإله وحده كما أنه هو الرزاق^٢ وحده، ونبههم على
 دقائق في تقديره^٣ للرازاق تدل^٤ على عظمته وشمول علمه وقدرته
 واختياره، فثبت أنهم^٥ ظالمون فيما جعلوا للأصنام من رزقه، وأنه ليس
 لأحد أن يتحرك إلا بأمره سبحانه، وختم ذلك بهذا المثل المحذرة^٦ من
 كفران النعم، عقبه بقوله تعالى صادا لهم عن أفعال الجاهلية: ﴿فكفوا﴾
 أى قسب عن جميع ما مضى أن يقال لهم: كلوا ﴿فما رزقكم الله﴾ أى
 الذى له الجلال^٧ والجمال^٨ مما عده لكم فى هذه السورة وغيرها، حال كونه
 ﴿حلالا طيبا﴾ أى لا شبهة فيه ولا مانع بوجه ﴿واشكروا نعمت الله﴾
 أى^٩ الذى له صفات الكمال حذرا من أن يحل بكم ما أحل بالقرية الممثل^{١٠}
 بها ﴿ان كنتم اياه﴾ أى وحده ﴿تعبدون﴾ كما اقتضته هذه الأدلة،
 لأنه وحده هو الذى رزقكم وإلا عاجلكم بالعقوبة لأنه ليس بعد العناد^{١١}
 عن البيان إلا الانتقام، فصار الكلام فى الرزق والتفريع على عدم
 [الشكر - ١١] مكتنفا الأمثال قبل وبعد .

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: اليك (٢) فى ظ: الرزاق (٣) من ظ
 وم ومد، وفى الأصل: تقريره (٤) فى مد: دل (٥) زيد فى الأصل: فى انهم،
 ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٦) فى ظ: المحذور (٧) فى ظ:
 الكمال (٨) زيد فى الأصل: والكمال، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد
 فحذفناها (٩) سقط من ظ ومد (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل:
 العباد (١١) زيد من ظ وم ومد.

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ١١٥ و ١١٦) ج - ١١

ولما كان الإذن^١ إنما هو في بعض الرزق في الحال المذكور
فاحتج إلى معرفته ، وكانت المباحات أكثر من المحظورات ، حصر القليل
ليعلم منه الكثير ، لأن كل ضدين معروفين إجمالاً عُين أحدهما ، عرف
من تعيينه الآخر ، فقال تعالى : ﴿ إنما حرم ﴾ أى الله الذى لا أمر لاحد
معه ﴿ عليكم الميتة ﴾^٢ التى ينت^٣ على لسان الرسول صلى الله عليه و على
آله و سلم أنها ميتة وإن ذكيت ﴿ والدم و لحم الخنزير ﴾^٤ خصه
بالذكر بعد دخوله فى الميتة لاتخاذ النصارى أكله كالدين ﴿ وما اهل ﴾
أى بأى إهلال كان من أى مهل كان . و لما كان مقصود السورة
ليان^٥ الكمال ، كان تقديم غيره لتفسيح حال المعنى به أولى فقال تعالى :
١٠ ﴿ لغير الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ملك سواه ﴿ به ﴾^٦ .

ولما كان الإنسان قد يضطر إلى أكل كل^٧ ما يمكن أكله ، بين
لهم أنه رفق بهم فأباح لهم سد الرمق من الحرام فقال تعالى : ﴿ فمن اضطر ﴾
[أى -^٨] كيفما وقع له الاضطرار ﴿ غير باغ ﴾ على مضطر آخر
﴿ ولا عاد ﴾ سد الرمق .

١٥ [ولما كان -^٩] الإذن فى الأكل من هذه الأشياء^{١٠} حال الضرورة

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الذى (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : الذى ثبت (٣-٣) تقدم ما بين الرقين فى ظ على « التى بينت » والعبارة
من بعده إلى « أكله كالدين » ساقطة منه (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
البيان (٥) ليس فى الأصل فقط (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد من ظ و م
و مد (٨) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى غيره فحذفناها .

إما هو رخصة ، و كانت الشهوة داعية إلى ما فوق المأذون فيه ^١ قال تعالى : ﴿ فان الله ﴾ أى المختص بصفات الكمال ، بسبب تناوله منها على ما حده ﴿ غفور رحيم ٥ ﴾ فن ^٢ زاد على ما أذن [له - ^٣] فيه ^٤ فهو جدير بالانتقام .

ولما تبين بهذه الآية - كما مضى تقريره فى الانعام ^٥ - جميع المحرم ٥ أكله من الحيوانات ، فلم بذلك جهلهم فيما حرموه على أنفسهم لأجل أصنامهم ، صرح بالنهى عنه لإبلاغاً فى تأكيد ذلك الحصر فقال تعالى : ﴿ ولا تقولوا ﴾ أى بوجه من الوجوه فى وقت ما .

ولما كان تحليلهم وتحريمهم قولاً فارغاً ليس له حقيقة أصلاً ، لأنه لا دليل عليه ، عبر عنه بأنه وصف باللسان لا يستحق أن يدخل إلى ١٠ القلب فقال تعالى : ﴿ لما تصف ﴾ أى لأجل الذى تصفه ﴿ السنتكم ﴾ أى من الانعام و الحروث و الزروع . و لما حرك النفس إلى ^١ معرفة ما يقال لأجل ذلك ، بين مقول ذلك القول فقال تعالى : ﴿ الكذب ﴾ أى القول الذى هو عين الكذب .

ولما اشتد التشوف ^٦ إلى تعيين / ذلك المقول ^٧ ، أبدل منه فقال ١٥ / ٢٥٨ تعالى : ﴿ هذا حلال و هذا حرام ﴾ ويجوز أن يكون " الكذب " مفعول " تصف " فتكون " ما " مصدرية ، أى لوصفها إياه ، فكأن

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى مد : فما (٣) زيد من م (٤) سقط من م (٥) آية ١٤٥ و ١٤٦ (٦) فى مد : فى (٧) فى ظ : التشوق (٨) من مد ، و ظ و م : القول (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيكون .

حقيقة الكذب كانت مجهولة فلم تعرف إلا بوصف ألسنتهم لها ، فهو
مبالغة في وصف كلامهم بالكذب ، وما بعده مقول القول .

ولما كانوا - كما تقدم - يدعون أنهم أعقل الناس ، فكان اللائق
[بهم -^٢] إرخاءً للعنان النسبة إلى معرفة اللوازم عند الإقدام على الملزومات ،
ه قال تعالى : ﴿ لتفتروا على الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ الكذب^٣ ﴾
لأن من قال على أحد ما لم يأذن فيه كان قوله كذباً ، وكان كذبه
لقصد افتراء الكذب ، وإلا لكان فى غاية الجهل ، فدار أمرهم فى مثل
هذا بين الغباوة المفرطة أو قصد ما لا يقصده^٤ عاقل ، وهذا باب من
التهمك عجيب ، فكأنه قيل : فما يستحقون على ذلك ؟ فأجاب بقوله تعالى :
١٠ ﴿ ان الذين يفترون ﴾ أى يقطعون عمداً ﴿ على الله ﴾ أى الذى له
الامر كله ﴿ الكذب ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ لا يفلحون^٥ ﴾ .

ولما كان الفلاح عندهم هو العيش الواسع فى هذه الدنيا ، أجاب
من كأنه قال : فانا^٦ ننظرهم بنعمة ورفاهة^٧ ؟ فقال تعالى : ﴿ متاع قليل^٨ ﴾
أى ما هم فيه^٩ لفنائته وإن امتد ألف عام ﴿ ولهم ﴾ بعده ﴿ عذاب اليم^{١٠} ﴾
١٥ [و -^٢] من ألمه العظيم دوامه فأى متاع هذا .

ولما بين لهم نعمته بتوسعته عليهم بما ضيقوا به على أنفسهم ،
بين لهم نعمة أخرى بتمييزهم^{١١} على بنى إسرائيل فقال تعالى :

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وكان (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ
وم و مد (٣) فى ظ : فقال (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لم يقصده .
(٥) فى ظ : فانا (٦) فى ظ : رفاهية (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ : بتمييزهم .

﴿ و على الذين هادوا ﴾ أى اليهود ﴿ حرما ﴾ أى بعظمتنا عقوبة لهم بعدوانهم و كذبهم على ربهم ﴿ ما قصصنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى كان المقصود بها معجزا ﴿ عليك ج ﴾ .

و لما لم يكن قص ذلك عليه صلى الله عليه و على آله و سلم مستغرقا زمان القبل، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبل ج ﴾ أى فى الأنعام ﴿ وما ظلمنهم ﴾ ه [أى - ٢] الذين ٢ وقع منهم الهود بتحريمنا عليهم [ما حرما - ٢] ﴿ ولكن كانوا ﴾ أى دائما طبعاً لهم و خلقاً مستمرا ﴿ انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ه ﴾ أى بالبغي و الكفر، فضيقنا عليهم معاملة بالعدل، و عاملناكم أتم حيث ظلمتم بالفضل، فاشكروا النعمة [واحذروا غوائل النعمة . و لما بين هذه النعمة - ٢] الدنيوية عطف عليها [نعمة - ٢] هى ١٠ أكبر منها جدا، استجلابا لكل ظالم، و بين عظمتها بحرف التراخى فقال تعالى: ﴿ ثم ان ربك ﴾ أى المحسن إليك ﴿ للذين عملوا السوء ﴾ وهو كل ما من شأنه أن يسوء، وهو ما لا ينبغي فعله ﴿ بجهالة ﴾ كما علمتم ١ وإن عظم فعلهم و تفاش جهلهم ﴿ ثم تابوا ﴾ .

و لما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل، أدخل الجار فقال تعالى: ١٥ ﴿ من ١ بعد ١ ﴾ أى الذنب و لو كان عظيما، فاقصروا على ما أذن (١) زيد فى الأصل: كما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفنا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ: الذى (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) سقط من م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا ينفى (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: علمتم (٨-٨) من ظ و م و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: بعدها .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦: ١١٩ - ١٢١) ج - ١١

فيه خالقهم ﴿واصلحو آلا﴾ بالاستمرار [على - '] ذلك ﴿ان ربك﴾
 أى المحسن إليك بتسهيل دينك وتيسيره . ولما كان إنما يغفر بعد التوبة
 ما عدا الشرك الواقع بعدها ، أدخل الجار فقال تعالى : ﴿من بعدها﴾
 أى التوبة وما تقدمها من أعمال السوء ﴿لغفور﴾ أى بليغ السر لما
 عملوا^١ من السوء ﴿رحيم﴾ أى محسن^٢ بالإكرام فضلا ونعمة .

ولما دعاهم^٣ إلى مكارم الأخلاق ونهاهم^٤ عن مساوئها بقبوله لمن
 أقبل إليه^٥ وإن عظم^٦ جرمه ، إجابة لدعوة أيهم^٧ إبراهيم عليه السلام
 فى قوله " فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم^٨ " أتبع
 ذلك ذكره^٩ ترغيبا فى اتباعه فى التوحيد والميل مع^{١٠} الأمر والنهى
 ١٠ إقداما وإحجاما إن كانوا ممن يتبع الحق أو يقلد الآباء ، فقال على
 سبيل [التعليل - '] لما قبله : ﴿ان إبراهيم﴾ أى أبائكم الأعظم إمام
 الموحدين ﴿كان أمة﴾ فيه من المنافع الدنيوية والآخروية / ما يوجب
 أن يؤمه ويقصده^{١١} كل أحد يمكن اتفاعه به ﴿قاتا﴾ أى مخلصا
 ﴿لله﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ليس فيه شيء من الهوى ﴿حنيفا﴾
 ١٥ ميالا مع الأمر والنهى بفسخ أو بغيره . فكونوا حنفاء أتباعا للحق ،

/ ٢٥٩

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م ومد (٢) فى ظ : علوا (٣) من ظ و م
 ومد ، وفى الأصل : حسن (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : دعاكم .
 (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : نهاكم (٦-٧) فى ظ : لن عظم ، وفى
 مد : وان (٧) سقط من ظ و مد (٨) سورة ١٤ آية ٣٦ (٩) زيدت الواو فى
 الأصل ، ولم تكن فى ظ و م ومد لحذفها (١٠) فى ظ : من (١١) من ظ
 و م ومد ، وفى الأصل : بعضده .

لما قام عليه من الأدلة^١، واستأنانا بأعظم آياتكم .

ولما كان السياق للإثبات^٢ الكمال لإبراهيم عليه السلام، وكانت
الأوصاف الثبوتية قرينة المأخذ سريعة الوصول إلى الفهم، وأتى بعدها^٣
وصف سلبى بجملة، حذف نون "يكن" منها إيجازا وتقريبا
للفهم تخفيفا^٤ عليه وحفظا له من أن يذهب قبل تمامها إلى غير المراد^٥،
وإعلاما بأن الفعل منفي عنه عليه السلام على أبلغ وجوه النفي لا ينسب
إليه شيء منه ؛ لو قل^٦، قليل : ﴿ ولم يك ﴾ ولما كانوا مشركين^٧ هم
وكثير من أسلافهم، قبح عليهم^٨ ذلك بأن أعظم^٩ من يعتقدون عظمته
من آياتهم ليس من ذلك القليل، فقال تعالى : ﴿ من المشركين ﴾^{١٠}
الواقفين مع الهوى، فلا تكونوا منهم؛ ثم بين حاله^{١١} [فقال - ١٢] :
﴿ شاكر ﴾ ولما كان لله على من جعله [أمة - ١٣] من النعم ما لا يحصى،
بين أن ذلك [كله - ١٤] قليل في جنب فضله، فقال مشيرا إلى ذلك
بجمع القلة وإلى أن الشاكر على القليل يشكر إذا أتاه الكثير من
باب الأولى : ﴿ لانهمة ﴾ فهو لا يزال يزيده من فضله،^{١٥} فتقبل دعاءه^{١٦} لكم

- (١) من ظ وم ومد، وفي الأصل : الدليل (٢) في ظ : في الإثبات (٣) من ظ
وم ومد، وفي الأصل : بها (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل : تحقيقا .
(٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل : مراد (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من م .
(٧) من مد، وفي الأصل : اشركير، وفي ظ بياض يمتد إلى الكلمتين التاليتين .
(٨) في ظ : اليهم (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل : عظم (١٠) العبارة من
« ولما كانوا مشركين » إلى هنا ساقطة من م (١١) من ظ وم ومد، وفي
الأصل : ماله (١٢) زيد من ظ وم ومد (١٣-١٣) من ظ وم ومد، وفي
الأصل : وقد دعا .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ١٢١ - ١٢٣) ج - ١١

فاشكروا الله اقتداء به ليزيدكم، فكأنه قيل: فما أثابه [على - ١] ذلك؟
 أو^٢ علل ما قبل، فقال تعالى: ﴿اجتنبه﴾ أى اختاره اختياراً تاماً ﴿وهده﴾
 أى بالبيان الأعظم و التوفيق الأكمل ﴿الى صراط مستقيم﴾ وهو
 الخفية السمحة. فكان بمن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وكان
 مخالفاً للآبكم الموصوف في المثل السابق؛ [ثم - ١] قال: ﴿واتينيه﴾ أى
 بما لنا من العظمة ﴿فى الدنيا﴾ بلسان الصدق و الثناء الجميل الذى ذلنا له^٣
 أسنة الخلق ﴿حسنة^٤﴾ و به بالتعبير عن المعطى بنون العظمة على جلالته
 حيث جعله إماماً معظماً لجميع أهل الملل، فجمع القلوب على محبته، وجعل
 له فيهم لسان صدق، ورزقه فى أولاده من النبوة و الصلاح و الملك
 ١٠ و الكثرة ما هو مشهور.

و لما كانت عظمة الدنيا لا تعتبر إلا مقرونة^٥ بنعمة الآخرة، قال^٦
 تعالى: ﴿وانه فى الآخرة﴾ و^٧ قال تعالى: ﴿لمن الصالحين^٨﴾ أى له
 ما لهم من الثواب العظيم - معبراً به من تعظيماً لمقام الصلاح و ترغيباً فيه .
 و لما قرر من عظمته [فى الدنيا و الآخرة ما هو داع إلى اتباعه،
 ١٥ صرح بالامر به تنبيهاً على زيادة عظمته - ١] بأمر متباعد فى الرتبة
 على سائر التبعات التى أتى عليه بها، و ذلك كونه صار مقتدى لأفضل
 ولد آدم، مشيراً إلى ذلك بحرف التراخي الدال على علو رتبته بعلو
 رتبة من أمر باتباعه فيما مهده بما أمر به من التوحيد و الطريق الواضح

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ « و » (٣) فى مد : به (٤) من ظ و م
 و مد ، و فى الأصل : من (٥) فى م : مقترنة (٦) من م و مد ، و فى الأصل :
 وظ : فقال (٧) سقطت الواو من ظ .

السهل فقال سبحانه: ﴿ ثم أوحينا ﴾ أى ثم^١ زدناه تعظيماً و جلالة بأن
أوحينا ﴿ اليك ﴾ وأنت أشرف الخلق ، و فسر الإيحاء بقوله عز وجل
ترغياً فى تلقى هذا الوحي أحسن التلقى باقتفاء الأب^٢ الأعظم: ﴿ ان اتبع ﴾
أى بناية جهدك ونهاية همتك .

ولما كان المراد أصل الدين و حسن الاقتضاء^٣ فيه بسهولة الانقياد ه
و الانسلاخ^٤ من كل^٥ باطل ، و الدعوة بالرفق مع الصبر ، و تكرير الإبراد
للدلائل [و - °] كل ما يدعو إليه العقل الصرف و الفطرة السليمة ، عبر
بالملة فقال تعالى: ﴿ ملة إبراهيم ﴾ و لا بعد فى أن يفهم ذلك الهجرة أيضاً .
ولما كانت الخيفية أشرف أخلاق إبراهيم عليه السلام . فكانت

مقصودة بالذات ، صرح بهنا فقال تعالى: ﴿ حنيفاً ﴾ أى حال كونك ١٠
أو كونه شديد الانجذاب مع الدليل [الحق - °] ؛ و رغب العرب فى
التوحيد و نفروهم^٦ من الشرك^٧ بقوله تعالى: ﴿ وما كان ﴾ أى بوجه
من الوجوه ﴿ من المشركين ه ﴾ / و لما دعا سبحانه فيها^٨ إلى معالى
الشيء و عدم الاعتراض ، و ختم بالأمر^٩ بالملة الخيفية التى [هى - °]
سهولة الانقياد للدليل . و عدم الكون مع الجامدين ، اقتداء بالأب ١٥

(١) سقط من مد (٢) فى ظ : الرب (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
الانقضاء (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لكل (٥) زيد من ظ و م و مد .
(٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بعدهم (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من
ظ (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فى قوله (٩) العبارة من هنا إلى
« لا يجر إلى خير » س ١ ص ٢٧٦ ساقطة من م (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ
و مد ، وفى الأصل : الأمر (١٢) زيد من ظ و مد .

الأعظم ، وكان الخلاف و العسر مخالفاً لملته ، فكان لا يجر إلى خير ،
 و' كان من المعلوم أن كل حكم' حدث بعده ليس من ملته ، وكان
 اليهود يزعمون جهلاً أنه كان على دينهم ، وكان السبت من أعظم شعائرهم ،
 أنتج' ذلك قوله تعالى جواباً لمن قد يدعى من اليهود أنه كان على دينهم ؛
 ٥ و تحذيراً من العقوبة على الاختلاف في الحق بالتشديد في الأمر :
 (إنما جعل) أي يجعل من لا أمر لغيره (السبت) أي تحريمه واحترامه
 'أو وباله' (على الذين اختلفوا فيه ') حين أمرهم تيهيم بالجمعة فقبل ذلك
 بعضهم وأراد السبت آخرون ، فبدلوا بالجمعة ' [السبت - ٨] . و شدد
 عليهم في أمره اتقائاً منهم بما تفهمه' التعدية بـ'على' فكان ذلك
 ١٠ وبالأعلى عليهم ، وفي ذلك تذكير " بنعمة التيسير علينا ؛ قال البغوي " :
 قال الكلبي : أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة فقال : تفرغوا [قه - ١٢]
 في كل سبعة أيام يوماً ، فاعبدوه يوم الجمعة ، و لا تعملوا فيه عملاً
 لصنعتكم ، و ستة أيام لصناعتكم' ، فأبوا " إلا شردمة منهم " و قالوا :

(١) زيد في م : لما (٢) سقط من ظ (٣-٢) من م ومد ، وفي الأصل : شعائر اربع .
 (٤) العبارة من " وكان السبت " إلى هنا ساقطة من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين
 الرقنين من م (٦) من م ، وفي الأصل وظ ومد : امر (٧) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل : الجمعة (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :
 يفهمه (١٠) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : تيسر (١١) في معالم التنزيل -
 راجع لباب التأويل ٤ / ١٠١ و هامشه (١٢) زيد من المعالم و اللباب (١٣) في
 اللباب : شيئاً ، و الكلمة ساقطة من المعالم (١٤) من ظ و المعالم ، وفي الأصل
 وم ومد : نصاعا تم (١٥-١٥) ليس ما بين الرقنين في المعالم ولا اللباب .

لا نريد إلا اليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت ، فجعل ذلك
اليوم عليهم وشدّد عليهم فيه^١ ، ثم جاءهم عيسى عليه السلام يوم الجمعة
فقالوا: لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا ، فأخذوا^٢ الأحد ، فأعطى الله
الجمعة هذه^٣ الأمة فقبلوها^٤ ، و بورك لهم فيها^٥ . [وقال عبد الرزاق فى
تفسيره: أخبرنى معمر أخبرنى من سمع^٦] مجاهدا يقول فى قوله تعالى ” انما ه
جعل السبت“ فقال : ردوا الجمعة وأخذوا السبت مكانه . و روى الشيخان^٧
عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم
قال : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة يد أنهم أوتوا الكتاب من
قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فهذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا
فيه فهدانا الله له^٨ . فهم لنا فيه تبع ، فاليهود غدا والنصارى بعد غد . ١٠
ولما [كان -^٩] الإشراك واضحا فى أمر النصارى ، استغنى^٩ بنفيه عنه
عن التصريح بأنه ليس على دينهم ؛ ثم حذر من الاختلاف مثبتا أمر
البعث فقال تعالى : ﴿ وان ربك ﴾ أى المحسن إليك بطواعية أصحابك
لك ﴿ ليحكم بينهم ﴾ أى هؤلاء المختلفين ﴿ يوم القيمة ﴾ واجتماع جميع

(١) زيد فى ظ : الله (٢) فى العالم واللباب : فاتخذوا (٣) من العالم و م ومد ،
وفى الأصل و ظ واللباب : لهذه (٤-٥) من ظ و م ومدو العالم واللباب ،
وفى الأصل بياض (٥) زيد من ظ و مد (٦) رواه البخارى فى بداية كتاب
الجمعة وفى العديد من الأبواب و مسلم فى باب فضيلة الجمعة على باقى الأيام من
كتاب الجمعة (٧) فى ظ : لهم (٨) زيد من ظ و م ومد (٩) زيد فى الأصل : عنه ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفها .

نظم الدرر (سورة النحل ١٦ : ١٢٤ و ١٢٥) ج - ١١

الخالق ﴿فما كانوا﴾ أى بجبلاتهم ﴿فيه يختلفون﴾ من قبول الجمعة و ردها، و من الإذعان لتحريم الصيد وإيائه و غير ذلك، فيجازى كل فريق منهم بما يستحقه.

ولما قدم سبحانه في هذه السورة حكاية كثير من استهزائهم بوعده
 ٥ ووعيده، و تكذيبهم^٢ لرسله على أشبع^٣ وجه، و التفتير^٤ عن حرقة
 الحرص عليهم، المفضي^٥ إلى شدة التأسف على ضلالهم و غير ذلك
 بما ربما أياس منهم فأقعد عن دعائهم، و أتبعه ضرب الأمثال، و نصب
 الجدال - على تلك المناهج المعجزة بما^٦ يسبق من ظواهرها إلى الفهم
 عند قرع السمع^٧ من المعاني الجليلة، و المقاصد الجليلة - لعامة الخلق
 ١٠ ما يحل عن الوصف، و إذا تأملها الخواص وجدوا فيها من دقائق
 الحقائق، و مشارع الرقائق^٨، و محكم الدلائل، و متقن المقاصد و الوسائل،
 ما يوضح - بتفاوت الأفهام و تباين الأفكار^٩ - أنه بحر لا ساحل له
 و لا قرار، و لا منتهى لما تستخرج منه الانظار، و ختم باتباع الآب^{١٠}
 الأعظم، لما كان ذلك، و أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه و على آله و سلم
 ١٥ و هو السميع المطيع أن يسن بآثاره، و يقتدى باضماره و إظهاره، فسر

(١) في ظ : كتحریم (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ : تكذيبهم (٣) في ظ :
 اشنع، و في مد : اسنع (٤) من م و مد، و في الأصل : التعبير، و في ظ :
 التغيير (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : الغنى (٦) من ظ و م و مد، و في
 الأصل : بما (٧) من م و مد، و في الأصل : السهم، و في ظ : سمع (٨) في مد :
 الدقائق (٩) زيد في مد : و محكم الدلائل (١٠) في ظ : الرب .

له تلك الملة التي أمره باتباعها فقال تعالى: ﴿ ادع ﴾ [أى - ١] كل من تمكن
دعوته ﴿ الى سيل ربك ﴾ أى المحسن إليك ، بتسهيل السيل الذى
تدعو إليه واتساعه ، وهو الإسلام الذى هو الملة الخفيفة ﴿ بالحكمة ﴾
وهى المعرفة بمراتب الافعال فى الحسن والقبح والصالح والفساد ،
وقيل لها^١ حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي أن يختار ، ه
فالحكيم^٢ هو العالم بما يمنع من الفساد - قاله الرماني^٣ ، وهى فى الحقيقة
الحق الصريح ، فمن كان أهلا له^٤ دعا به ﴿ والموعظة ﴾ بضرب الامثال
والوعد والوعيد مع خلط^٥ الرغبة بالرغبة والإنذار بالبشارة
﴿ الحسنة ﴾ أى التى يسهل^٦ على كل فهم ظاهرها ، ويروق^٧ كل تحرير
ما ضمنته^٨ سرأرها ، مع اللين فى مقصودها وتأديتها هذا لمن لا يحتمل ١٠
إلا^٩ ذلك ﴿ وجادلهم ﴾ أى الذين^{١٠} يحتملون ذلك منهم اقلهم^{١١} عن
مذاهبهم الباطلة إلى مذهبك^{١٢} الحق بطريق الحجاج ﴿ باتى هى^{١٣} احسن^{١٤} ﴾
من الطرق بالترق واللين والوقار والسكينة ، ولا تعرض [عنهم - ١]

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : انها (٣) من
م ومد ، وفى الأصل وظ : فالحكم (٤) فى ظ : الرازى (ه) سقط من ظ .
(٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : غلظ (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
تسهل (٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : مزاق - كذا (٩) من ظ وم ومد ،
وفى الأصل : تضمنه (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الذى (١١) من ظ
وم ومد ، وفى الأصل : اقلهم (١٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : مذاهبك .
(١٣) ليس فى الأصل قط .

يأساً منهم ، ولا تجازم بسبق^١ مقالهم و قبيح فعالهم صفحا عنهم
ورققا بهم ، فهو يان لأصناف^٢ الدعوة بحسب عقول المدعين ، لأن
الانبياء عليهم السلام مأمورون بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم ،
وقيل : الدعوة إن كانت لتقرير الدين^٣ و تثبيت الاعتقاد في قلوب
أهله - وهي مع ذلك يقينية مطهرة^٤ عن احتمال نقيض - فهي الحكمة
وهي لطالب الحق المذعن إن كان مستعدا للتبويل بفكره الثاقب^٥ ،
وإن كانت مقارنة^٦ لاحتمال النقيض مفيدة للظن والإقناع فهي الموعظة
وهي للذعن الذي لا استعداد له ، وإن كانت لإلزام الجاحدين وإلحاح
المعاندين فهي المجادلة^٧ ، فإن كانت مركبة من مقدمات مسلمة^٨ عند
الجمهور أو عند الخصم فقط فهي الحسنة^٩ ، وإن كانت من مقدمات كاذبة
غير مسلمة يراد تزويجها بالخيال الباطلة والطرق الفاسدة فهي السيئة التي
لا تليق بمنصف^{١٠} ، ثم علل الملازمة لدعائهم على هذا الوجه بقوله تعالى :
﴿ ان ربك ﴾ أي المحسن إليك بالتخفيف عنك ﴿ هو ﴾ أي وحده ﴿ اعلم ﴾
أي^{١١} من كل من يتوهم فيه علم ﴿ بمن ضل عن سيله ﴾ فكان في أدنى
درجات الضلال - وهو أعلم بالضالين الراسخين في الجور عن الطريق^{١٢} -

(١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بشىء (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :
الاصناف (٣) في ظ : الذي (٤) من م ومد ، وفي الأصل : وظ : مظهرة .
(٥-٥) سقط ما بين الرقين من م (٦-٦) في ظ : كان مقارنة - كذا (٧) من
ظ وم ومد . وفي الأصل : متسلسلة (٨) سقط من ظ .

فلا اتفكك له^١ عن الضلال، وهو أعلم بمن اهتدى لسيله فكان في أدنى درجات الهداية^٢ (وهو) أى خاصة (اعلم بالمهتدين) أى الذين هم في النهاية منها، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا "من ضل" دليلا على حذف ضده ثانيا، و"المهتدين" ثانيا دليلا على حذف ضدهم أولا^٣. وأما أنت فلا علم لك بشئ من ذلك إلا باعلامنا، وقد ألزمتك هـ البلاغ المبين، فلا تقتر عنه معرضا عن الحرص المهلك واليأس فانه ليس عليك هدام.

ولما بين أمر الدعوة^٤ وأوضح طرقها و^٥ قدم أمر الهجرة والإكراه^٦ في الدين والفن فيه المشير إلى ما سبب ذلك من^٧ المحن والبلاء^٨ من الكفسار^٩ ظلما، وختم ذلك بالامر بالرفق [بهم-^{١٠}]، 'عم - بعد ١٠ ما خصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم به من الامر بالرفق، بالامر لأشياعه بالعدل والإحسان كما تقدم ولو مع أعدى الأعداء، و^{١١} النهي^{١٢} عن مجازاتهم إلا على^{١٣} "وجه العدل"^{١٤} - فقال تعالى: (وإن عاقبتهم) أى كانت [لكم-^{١٥}] عاقبة عليهم تتمكنون فيها من أذاهم (فعاقبوا بمثل ما) (١) من م، وفي الأصل وظ ومد: لهم (٢-٢) سقط ما بين الرقين من م. (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: الدعوى (٤) العبارة من "بين أمر" إلى هنا ساقطة من م (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الانزام (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: عن (٧-٧) تكرر ما بين الرقين في الأصل فقط (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) في م: نهى (١٠-١٠) من م، وفي الأصل وظ ومد: ذلك الوجه.

فظم الدرر (سورة النحل ١٦: ١٢٦ و ١٢٧) ج - ١١

ولما كان الأمر عظاماً في كل فعل من المعاقبة من أى فاعل كان فلم يتعلق بتعيين الفاعل غرض، بنى للمفعول قوله تعالى: ﴿عوقبتم به﴾ وفي ذلك إشارة - على ما جرت به عوائد الملوك في كلامهم - إلى إعادتهم عليهم وإسلامهم في أيديهم، وجعله بأداة الشك إقامة^٢ بين ٢٦٢ / ٥ / الخوف والرجاء .

ولما أباح لهم درجة العدل، رقام إلى رتبة الإحسان بقوله تعالى: ﴿ولئن صبرتم﴾ بالعفو عنهم ﴿لهو﴾ أى الصبر ﴿خير للصبرين﴾ وأظهر في موضع الإضمار تعميماً وتعليقاً بالوصف .

ولما كان التقدير: فاصبروا^١، عطف عليه لإفراداً له صلى الله عليه و على آله وسلم بالأمر، لإجلاله وتسليته فيما كان سبب نزول الآية^{١٠} من التمثيل بعمه حمزة رضى الله عنه، وتوحيها بعظم^٢ مقام الصبر وزيادة في حث الأمة، لأن أمر الرئيس أدعى لامشال أتباعه، فقال تعالى: ﴿واصبر﴾ ثم اتبع [ذلك - ^٨] بما يحث على دوام الالتجاء إليه المتج للرفقة والفناء عن الأغيار ثم الفناء عن الفناء،^٩ لئلا يتوهم أن ١٥ لأحد فعلاً مستقلاً فقال تعالى: ﴿وما صبرك﴾ أى أيها الرسول

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : الى (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل : في (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل : أقامته (٤) في ظ : قوله (هـ) في ظ : فاصبر (٦) العبارة من " من الأمر بالرفق " ص ٢٨١ س ١١ الى هنا متكررة في الأصل فقط (٧) من م، وفي الأصل و ظ و مد : بعظيم (٨) زيد من ظ و م ومد (٩-١٠) سقط ما بين الرقين من م .

الاعظم ا (الا بالله) أى الملك الاعظم الذى شرع لك هذا الشرع
 الاقوم وانت قائم فى نصره ، ولقد قابل هذا الامر صلى الله عليه وعلى
 آله وسلم بأعلى مقامات^١ الصبر ،^٢ وذلك أنهم^٣ مثلوا بقتلى المسلمين فى
 غزوة أحد إلا حظلة الغسيل رضى الله عنه فان أباه كان معهم^٤ فتركوه
 له^٥ . فلما وقف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على عمه حمزة ه
 رضى الله عنه فوجدهم^٦ قد جدعوا أنفه وقطعوا أذنيه وجبوا مذاكيره
 وبقروا بطنه ، نظر إلى شيء لم ينظر [قط - ٧] إلى أوجع لقلبه منه فقال :
 رحمة الله عليك ، فانك كنت فعالا للخير وصولا^٧ للرحم ، ولولا أن
 تحزن صفة لسرنى أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى ، أما والله ! لئن
 أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم ، وقال^٨ الصحابة رضى الله عنهم : ١٠
 لنزيدن على صنيعهم ، فلما نزلت الآية بادر صلى الله عليه وعلى آله وسلم
 الامثال^٩ ، و كان لا يخطب خطبة إلا نهى عن المثلة ، وأحسن يوم الفتح
 بأن نهى^{١٠} عن قتالهم وأعتقهم بعد أن صاروا فى قبضته - " صلى الله
 عليه وعلى آله وسلم وشرف وكرم وبجل وعظم دائما أبدا " .

(١) زيد فى مد : هذا (٢) والتفاصيل الآتية مصدرها معالم التنزيل للبغوى -
 راجع هامش الباب ١٠٢/٤ (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لانهم (٤) من ظ
 وم ومد ، وفى الأصل : معه (٥) سقط من ظ (٦) من ظ وم ومد ، وفى
 الأصل : فوجدوا (٧) زيد من م (٨) فى ظ : وصالا (٩) من م وإمد ، وفى
 الأصل و ظ : قالت (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الامثال (١١) زيد
 فى مد : عنه (١٢-١٣) ليس ما بين الرقین فى ظ وم ومد .

ولما كان - بعد توطير^١ النفس على الصبر و تفرغ القلب من
الآحثة - يرجع إلى الأسف على إهلاكهم [أنفسهم -^٢] يتماديهم على
العتو^٣ على الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ أى فى شدة
كفرهم قبالغ^٤ فى الحرص الباخع للنفس .

ولما كان سبحانه فى مقام التبشير ، بالمحل الكبير والموطن الخطير ،
الذى ما حازه قبل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بشير ولا نذير ، وذلك
هو الإسراء إلى الملكوت الأعلى ، والمقام الاسمى^٥ من السماوات العلى ،
فى حضرات القدس ، ومحال الأنس ، ووطأ^٦ لذلك فى سورة النعم
بمقامات الكرم إلى أن قارب الوصول إليه ، أوجز فى العبارة بحذف
١٠ حرف مستغنى عنه دلالة عليه فقال : ﴿ ولا تك ﴾ بحذف النون إشارة
إلى ضيق الحالة عن أدنى إطالة^٧ :

وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار
وهذا بخلاف ما يأتى فى سورة النمل^٨ إن شاء الله تعالى ﴿ فى ضيق ﴾
١٥ ولوق^٩ - كما لوح إليه تنوين التحقير بما يشير إليه حذف النون . فان
أذى الكفار الذى السياق للتسليية عنه^{١٠} لا يضرك فى المقصود الذى
بعث لأجله ، وهو إظهار الدين وقبح المفسدين بوجه من الوجوه
﴿ بما يكرهون ﴾ أى من استمرار^{١١} مكرهم بك^{١٢} " " واعبد ربك حتى

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تواطين (٢) زيد من ظ وم ومد .
(٣) فى مد : الفسق (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : قبالغ (٥) من ظ وم ومد ،
وفى الأصل : الاسنى (٦) من م ومد ، وفى الأصل : وط : الحالة (٧) آية ٧٠ .
(٨) العبارة من هنا إلى « بوجه من الوجوه » ساقطة من م (٩) من ظ وم ومد ،
وفى الأصل : منه (١٠) فى مد : استمرار - كذا (١١) من ظ وم ومد ، وفى
الأصل : بل .

ياتيك اليقين“ وكأنك به ، وقد أتى فاصبر فان الله تعالى معزك ومظهر
دينك وإن كرهوا ؛ ثم علل 'ذلك بقوله' تعالى : (ان الله) أى
الجامع لصفات الكمال بلطفه وعونه (مع الذين اتقوا) أى وجد منهم
الخوف من الله تعالى ، فكانوا فى أول منازل التقوى ، وهو مع المتقين
الذين كانوا فى النهاية منها^٢ ، فعدلوا فى^٣ أفعالهم من التوحيد وغيره عملا ه
بأمر الله فى الكتاب الذى هو تبيان لكل شئ^٤ ، وهو مع الذين أحسنوا
وكانوا فى أول درجات الإحسان^٥ (والذين هم) أى بضائرم وظواهرهم
(محسنون) أى صار الإحسان صفة لهم غير منفكة عنهم^٦ ، فهم فى
حضرات الرحمن^٧ ، وأنت رأس المتقين المحسنين ، فانه معك ، ومن كان
[الله -]^٨ معه كان غالبا ، وصفته راجحة ، وحالته سالحة ، وأمره عال ،
وضده فى أسوأ الأحوال ، فلا تستعجلوا^٩ قلقا كما استعجل الكفار
استهزاء^{١٠} ، تخلقا فى التأتى والحلم^{١١} بصفة من تنزه عن نقص الاستعجال ،
وتعالى عن ادعاء الأكفاء والأمثال ، فقد عاتق آخرها أولها ، ووافق
مقطعها مطلعها ، أو آخرها احتباك : ذكر ”الذين اتقوا“ أولا دليلا على
حذف ’الذين أحسنوا‘ ثانيا ، ”والمحسنين“ ثانيا دليلا على حذف ’المتقين‘^{١٢}
أولا^{١٣} - والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب^{١٤} .

(١ - ١) فى ظ : بذلك قوله (٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : اوجد .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من م (٤ - ٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
فعدا الى (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) فى ظ : فلا تستعجلوه (٧) زيدت
الوافى الأصل ، ولم تكن فى ظ وم ومد فحذفها (٨) من م ومد ، وفى
الأصل و ظ : الحكم (٩ - ٩) سقط ما بين الرقين من ظ وم .

سورة الإسراء

و تسمى سبحان^١ و بنى لإسرائيل

^٢ المقصود بها الإقبال على الله وحده ، و خلع كل ما سواه ، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور ، و تفضيل بعض الخلق على بعض ، وذلك هو العمل بالتقوى التي أدناها التوحيد الذي افتتحت به النحل ، و أعلاها الإحسان الذي اختتمت به ، و هو ° الفناء عما سوى الله ، و هي من أوائل ما أنزل ، روى البخاري^٣ في فضائل [القرآن - ٧] وغيره^٤ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بنى إسرائيل و الكهف و مريم و طه و الأنبياء إنهم من العتاق الأول ، و هن^٥ من تلادى ° . و كل من أسمائها واضح الدلالة على ما ذكر أنه مقصودها ، أما 'سبحان' الذي هو علم^٦ للتنزيه فن أظهر ما يكون فيه ، لأن من كان على غاية النزاهة عن [كل - ٧] نقص ، كان جديرا بأن لا يعبد^٧ إلا إياه ، و أن نعرض عن كل ما سواه ، لكونه متصفا بما ذكر^٨ ، و أما بنو إسرائيل فن أحاط أيضا بتفاصيل

(١) السابعة عشرة من سور القرآن ، و الجمهور على أنها مكية بتمامها ، و هي مائة و عشر آيات عند الجمهور و إحدى عشرة عند الكوفيين - كما في روح المعاني ٤/٦٦٤ (٢) في م : الاسراء - كذا (٣) زيدت الواو في ظ (٤) في ظ : الذي (٥) في ظ : هي (٦) باب تأليف القرآن (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨) في تفسير سورة الإسراء (٩) من ظ و م و مد و الصحيح ، وفي الأصل : هي . (١٠) من ظ و م و مد و الصحيح ، وفي الأصل : بلادى (١١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اعلى (١٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لا يعبد . (١٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ذكره .

أمرهم في سيرهم إلى الأرض المقدسة الذي^١ هو كالإسراء وإيتائهم الكتاب
وما ذكر مع ذلك من أمرهم في [هذه-^٢] السورة عرف ذلك (بسم الله)
^٣ الملك المالك لجميع الأمر (الرحمن) لكل ما أوجده [بما رباه -^٤]
(الرحيم) لمن خصه بالتزام العمل بما يرضاه :

لما^٥ كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات ه
النقص ، و الاتصاف بالكمال المتبع لانه قادر على الأمور الهائلة ، ومنها^٦
جعل الساعة كلبح البصر أو أقرب ، و ختمها بعد تفضيل إبراهيم عليه
السلام و الأمر باتباعه بالإشارة إلى نصر أوليائه - مع ضعفهم في ذلك
الزمان و قتلهم - على أعدائه على كثرتهم و قوتهم ، و كان ذلك من
خوارق العادات و نواقض المطردات ، و أمرهم بالتأني و الإحسان ، افتح ١٠
هذه بتحقيق ما أشار ذلك الختم إليه بما خرقة^٧ من العادة في الإسراء ،
و تنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك ، تنبيهها على أنه^٨ قادر على أن
يفعل الأمور العظيمة الكثيرة الشاقة في^٩ أسرع وقت ، دفعا لما قد يتوهم
أو^{١٠} يتعنت به من يسمع نهييه عن الاستعجال و أمره بالصبر ، و بيانا

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : التي (٢) زيد من م (٣) زيد في ظ :
أي (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ولما .
(٦) في ظ : منه (٧) في ظ : خرق (٨) العبارة من هنا إلى « يتوهم أو » ساقطة
من مد (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : من (١٠) زيد في الأصل : قد ، ولم تكن
الزيادة في ظ و م و مد لحذفها .

لأنه مع المتق المحسن ، و تنويها بأمر محمد صلى الله عليه و على آله و سلم ،
و إعلاما بأنه رأس المحسنين و أعلام رتبة / و أعظمهم منزلة ، بما آتاه
من الخصائص التي منها المقام المحمود ، و تمثيلا لما أخبر [به - '] من
أمر الساعة فقال تعالى : ﴿ سبِّحْنِ ﴾ [و هو علم للتنزيه ، دال على
٥ أبلغ ما يكون من معناه ، منصوب بفعل متروك إظهاره ، فسد - '] مسده
﴿ الذي أسرى ﴾ فتره نفسه الشريفة عن كل شائبة تقص يمكن أن
يضيفها إليه أعداؤه بهذا اللفظ الأبلغ عقب الأمر بالتأني آخر النحل .
كما نزه نفسه الشريفة^٢ بذلك اللفظ عقب النهي عن الاستعجال في أولها ،
و هو راد لما علم من ردهم عليه و تكذيبهم له إذا حدثهم عن الإسراء ،
١٠ و فيه مع ذلك إيماء إلى التعجب^٣ من هذه القصة للتنبيه على أنها من
الأمور البالغة في العظمة إلى حد لا يمكن استيفاء وصفه .

و لما كان حرف الجر مقصورا على إفادة التعدية في ' أسرى ' الذي
بمعنى ' أسرى ' ، و كان ' أسرى ' يستعمل متعديا و قاصرا عبر به ، و اختير
القاصر [للدلالة - '] على المصاحبة زيادة في التشريف فقال تعالى :
١٥ ﴿ بعبدہ ﴾ [أي - '] الذي هو أشرف عباده و أحقهم بالإضافة إليه
الذي لم يتعبد قط لسواه من صنم و لا غيره لرجاء شفاعته و لا غيرها .

و لما كان الإمراء هو السير في الليل ، و كان الشيء قد يطلق على
جزء معناه بدلالة التضمن مجازا^٤ مرسلا ، نقي هذا بقوله تعالى : ﴿ ليلا ﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) في ظ : التعجب .

(٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مجاز .

وليدل [بتنوين - ^١] التحقير على أن ^٢ هذا الأمر ^٣ الجليل كان في جزء
يسير من الليل ، وعلى أنه عليه الصلاة والسلام لم يحتاج - في الإسراء
والعروج إلى سدره المنتهى وسماع الكلام من العلى الأعلى - إلى رياضة
جسام ولا غيره ، بل كان مهيأ ^٤ لذلك متأهلاً له ، فأقامه تعالى من الفرش
إلى العرش (من المسجد الحرام) أى من الكعبة المشرفة مسجد إبراهيم ه
عليه السلام ، قيل : كان قائماً في الحطيم ، وقيل : في الحجر ، وقيل : في
بيت أم هانئ ^٥ - وهو قول الجمهور ، فالمراد بالمسجد " حيثئذ الحرم " ^٦
لأنه فناء [المسجد (إلى المسجد الأقصى) أى الذى هو أبعد المساجد
حيثئذ وأبعد - ^٧] المسجدين الأعظمين مطلقاً من مكة المشرفة ، بينهما
أربعون ليلة ، فصلى بالأنبياء كلهم : إبراهيم وموسى ومن سواهما - على ١٠
جميعهم أفضل الصلاة والسلام ، ^٨ ورأى من آياتنا ما قدرناه له ، ورجع
إلى بين أظهركم إلى المسجد ^٩ الأقرب منكم في ذلك الجزء اليسير من
الليل وأنتم تضربون أكباد الإبل في هذه المسافة شهراً ذهاباً وشهراً

(١) زيد من ظ وم ومد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ
وم ومد ، وفي الأصل : متبياً (٤) راجع لكل ذلك لباب التأويل ٤ / ١٠٤ .
(٥-٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : مسجد الحرام (٦) زيد في الأصل : من ،
ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفها (٧) في ظ : آياته (٨) زيد في الأصل :
الأقصى ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفها .

إياها، ثم^١ وصفه بما يقتضى تعظيمه وأنه أهل للقصد فقال تعالى:
 ﴿الَّذِي بَرَكْنَا﴾ أى بماننا من العظمة^٢، بالمياه والأشجار وبأنه^٣ مقر
 الأنبياء ومهبط الملائكة وموطن العبادات ومعدن الفواكه والأرزاق
 والبركات ﴿حوله﴾ أى لأجله^٤، فاظنك به نفسه^٥ فهو أبلغ من
 ٥ «باركنا فيه»، ثم منه إلى السماوات العلى إلى سدرة المنتهى إلى [ما -^٦]
 لم ينله بشر غيره صلى الله عليه وعلى آله وسلم^٧ وشرف وكرم وبجل
 وعظم دائماً أبداً^٨؛ ولعله حذف ذكر المعراج من القرآن هنا لقصور
 فهمهم^٩ عن إدراك أدلته لو^{١٠} أنكره بخلاف الإسراء، فانه أقام دليله
 عليهم بما شاهدوه من الآمارات^{١١} التى وصفها لهم وهم قاطعون بأنه
 ١٠ صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يرها قبل ذلك، فلما بان صدقه بما
 ذكر من الآمارات^{١٢} أخبر [بعد ذلك -^{١٣}] من أراد الله بالمعراج؛ ثم
 ذكر سبحانه الغرض من الإسراء بما يزيد فى تعظيم المسجد فقال:
 ﴿انزله﴾ بعينه وقلبه ﴿من أينما﴾ السماوية والأرضية كما أرينا أباه
 الخليل عليه السلام ملكوت السماوات والأرض، وجعل الالتفات

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل: مرى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 ومد لخدفتاها (٣) فى ظ: لانه (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لاجلك .
 (٥) زيد من ظ وم ومد (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ وم ومد .
 (٧) من م ومد، وفى الأصل و ظ: فهو مبهم (٨) من ظ وم ومد، وفى
 الأصل: او (٩ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) زيد من م ومد .

لتمظيم الآيات و البركات؛ روى البخارى^١ عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال: أتى النبي صلى الله عليه و على آله و سلم ليلة أسرى به [بالياء -^٢]
بقدحين من خمر و لبن، فنظر إليهما فأخذ اللبن فقال جبرئيل عليه السلام:
الحمد لله الذى هداك للفطرة، لو أخذت [الخمر -^٣] غوت أمتك . و عن
جابر^٤ رضى الله عنه سمعت النبی صلى الله عليه و على آله و سلم يقول: ه
لما كذبتى^٥ قريش قت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت
أخبرهم عن آياته و أنا أنظر إليه .

و لما كان المول^٦ عليه غالباً فى إدراك الآيات حس^٧ [السمع -^٨]
و البصر، و كان تمام الانتفاع بذلك إنما هو بالعلم، و كان سبحانه قد
خص هذا النبي صلى الله عليه و على آله و سلم من كمال الحس بما يعد معه ٩٠
حس غيره عدما، عبر عن ذلك كله بقوله تعالى: ﴿ انه ﴾ أى هذا^٩
العبد الذى اختصناه بالإسراء ﴿ هو ﴾ أى خاصة ﴿ السميع ﴾ أى أذنا
و قلبا بالإجابة لنا و الإذعان لأوامرنا ﴿ البصير ﴾ بصرا^{١٠} و بصيرة بدليل
ما أخبر [به -^{١١}] من الآيات . و صدقه من الدلالات، حين نعت^{١٢}

(١) فى باب قوله " أسرى بعبد ليلاً من المسجد الحرام " من كتاب التفسير، و فى
أوائل كتاب الأثرية (٢) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٣) فى باب قوله
" أسرى بعبد ليلاً من المسجد الحرام " من كتاب التفسير (٤) مكذا فى الأصل
و م و نسخة من الصحيح، و فى ظ و مد و الصحيح: كذنى (٥) من م و مد،
و فى الأصل و ظ: القول (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحسن (٧) زيد
من م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لهذا (٩) فى ظ: بصيرا .
(١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بلغت .

ما سأله عنه من بيت المقدس ومن أمر عيرهم وغيرهما^١ بما هو مشهور
 في قصة الإسراء^٢ بما كان يراه وهو ينعت لهم وهم لا يرونه ولا يقاربون
 ذلك ولا يطمعون فيه، وقال من كان دخل منهم إلى بيت المقدس :
 أما النعت والله فقد أصاب^٣، أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جملها،
 ٥ وأحوالها وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورك^٤،
 فخرجوا ذلك [اليوم -^٥] نحو الثانية يشتدون، فقال قائل : هذه والله
 الشمس قد طلعت، فقال آخر : وهذه والله العير قد أقبلت، يقدمها
 جمل أورك^٦ كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا^٧ وقالوا : إن هذا إلا سحر مبين.
 قال الإمام^٨ الرازي في اللوامع : وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم
 ١٠ أبصر جميع ما في الملكوت بالعين المبصرة^٩ مشاهدة لم يسترب فيه حتى
 روى أنه [قال -^{١٠}] : رأيت ليلة أسرى بي إلى العلى الذرة تدب^{١١} على
 وجه الأرض من سدرة المنتهى^{١٢}، وذلك لحدة بصره، والبصر على
 أقسام : بصر الروح، وبصر العقل الذي منه التوحيد، وبصر القرية الذي
 خص به الأولياء وهو نور الفراسة، وبصر النبوة، وبصر الرسالة.
 ١٥ وهذه الأبصار كلها بمجموعة لرسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم
^{١٣} وشرف وكرم وبجل وعظم دائماً أبداً^{١٤}، [وله -^{١٥}] زيادة بصر
 قيادة^{١٦} الرسل وسيادتهم، فانه سيد المرسلين وقائدهم.

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : غيرها (٢) راجع لباب التأويل ١١١/٤
 و ١١٢ (٣) تكرر في مد؛ وزيد في الباب : ثم قالوا : يا محمد (٤) من ظ و م و مد
 والباب، وفي الأصل : ازرق (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) في ظ : هذا .
 (٧) في ظ : ثم (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) زيدت الواو في الأصل ،
 ولم تكن في ظ و م و مد لحذفها (١٠) في مد : تدر (١١) سقط من مد .
 (١٢-١٣) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (١٣) في ظ : قيامة .

وكان مطلعا على الملك والملكوت كما قال: زويت لى الارض مشارقتها
ومغاريتها - انتهى . وهذا الاخير رواه مسلم^١ وأبو داود^٢ والترمذى^٣
عن ثوبان رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: إن الله
تعالى زوى لى الارض فرايت مشارقتها ومغاريتها، وكان يصبر من
ورائه^٤ كما يصبر من أمامه^٥ - كما أخرجه الشيخان^٦ وغيرهما^٧ من
حديث أنس رضى الله عنه، وفي كثير من طرقه عدم التقيد بالصلاة،
وهذا صريح فى أن بصره لم يكن متقيدا بالعين، بل خلق الله تعالى
الابصار فى جميع أعضائه وكذا السمع. "فإن كون^٨ العين محلا لذلك
وكذا الاذن إنما هو بجعل^٩ الله، ولوجمل ذلك فى غيرهما لكان كما
يريد سبحانه ولا مانع، ولم يكن الظلام يمنعه من نفوذ البصر فى
مسند أحمد^{١٠} عن جابر بن عبد الله رضى الله عنها قال: فقدت رحلى ليلة
فمررت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يشد^{١١} لعائشة
(١) فى كتاب الفتن (٢) فى باب سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا فى أمته -
من كتاب الفتن (٣) فى ظ: ان (٤) من ظ وم ومد والمراجع الثلاثة، وفى
الأصل: الى (٥-٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٦) راجع باب إقبال الإمام على
الناس عند تسوية الصفوف - كتاب الأذان من صحيح البخارى، وباب الأمر
بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها - كتاب الصلاة من صحيح مسلم.
(٧) راجع مسند الإمام أحمد ٢/ ٣١٩ و ٥٠٥ (٨) العبارة من هنا الى
"ولا مانع" ساقطة من م (٩-٩) فى ظ: فإن لم تكن - كذا (١٠) من ظ ومد،
وفى الأصل: كجمل (١١) ٣٥٨/ ٢ (١٢) سقط من ظ.

رضى الله عنها، فقال: ما لك يا جابر؟ فقلت: فقدت جملي^١ أو^٢ ذهب في ليلة ظلماء، فقال لي: هذا جملك، اذهب^٣ نخذه، فذهبت نحو ما قال لي، فلم أجده فرجعت إليه فقلت: بأبي و أمي يا رسول الله! ما وجدته، فقال لي: على رسلك. حتى إذا فرغ أخذ يسدي فانطلق حتى أتينا الجمل فدفعه إلي^٤، قال: هذا جملك - الحديث. وروى البيهقي في دلائل النبوة^٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء، وروى مثل ذلك^٦ عن عائشة رضي الله عنها، وقال القاضي عياض في الشفا^٧: [حكى -^٨] بقى بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها^٩ قالت: كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء^{١٠}، وأسند عن أبي هريرة^{١١} رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: لما تجلى الله لموسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء^{١٢} مسيرة عشرة فراسخ. و يجوز أن يكون اختصاص نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم [بذلك -^{١٣}] بعد الإسراء - انتهى. وقد أخرج حديث

(١) من المسند، وفي النسخ كلها: رحلى (٢) من م ومد والمسند، وفي الأصل وظ و و (٣) من ظ و م ومد والمسند، وفي الأصل: فاذهب (٤) العبارة من «هذا جملك» إلى هنا متكررة في المسند (٥) ورواية البيهقي هذه قد أوردتها السيوطي في الخصائص الكبرى - باب المعجزة والخصائص في عينيه الشريفين. (٦) راجع نفس الباب من الخصائص (٧) راجع الفصل الثاني من الباب الثاني ص ٣٣ (٨) زيد من م ومد والشفا (٩ - ٩) تكرر ما بين الرقيين في مد قبل «وقال القاضي عياض» (١٠) في مد: الظلمة (١١) زيد من ظ و م ومد.

أبى هريرة هذا الحافظ نور الدين الهيثمى فى زوائد^١ المعجمين : الأوسط والأصغر للطبرانى ، ولعل هذا من مناسبة تعقيب هذه الآية بذكر موسى عليه السلام .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم قوله " أن إبراهيم كان أمة قاتلاً لله حنيفاً - إلى قوله تعالى : ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة^٥ إبراهيم حنيفاً " [الآية -^٢] ، كان ظاهر ذلك تفضيل إبراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى جميع الأنبياء لأسباب مع الأسر بالاتباع ، فأعقب^٣ ذلك بسورة الإسراء ، وقد تضمنت من خصائص نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ،^٤ وانطوت على ما حصل منه المنصوص فى الصحيح والمقطوع [به -^٥] والمجمع عليه [من -^٦] أنه - صلى الله عليه وسلم - عليه وعلى آله وسلم وشرف وكرم وبجل وعظم - سيد ولد آدم ، فاستفتحت^٦ السورة بقصة الإسراء وقد تضمنت - حسبما وقع فى صحيح مسلم^٧ وغيره - إمامته بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفيهم إبراهيم وموسى وغيرهما من الأنبياء من غير استثناء ، هذه رواية ثابت عن أنس رضى الله عنه ،^٨ وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه - صلى الله عليه وسلم -

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : رواية (٢) زيد من م ومد (٣) فى مد : فأعقب (٤) العبارة من هنا إلى " بجل وعظم " ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : واستفتحت (٧) باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات - كتاب الإيمان (٨) سقط من ظ (٩) وهذا حديث طويل رواه البزار - راجع بجمع الزوائد ١/ ٦٩ .

عليه وعلى آله وسلم وشرف وكرم وبجل وعظم دائما أبدا - أننى
على ربه فقال: الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرا
ونذيرا، وأنزل على القرآن فيه تبيان كل شىء، وجعل أمتى خير أمة
أخرجت للناس^١، وجعل أمتى وسطا وجعل أمتى هم الاولون وهم
الآخرون، وشرح^٢ لى صدرى، ووضع عفى وزرى، ورفع لى ذكرى،
وجعلنى فاتحا وخاتما، فقال إبراهيم عليه السلام: بهذا فضلكم محمد
صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه من
طريق الربيع بن أنس^٣ وذكر سدره المنتهى [و-^٤] أنه تبارك وتعالى
قال له: سل! فقال: إنك^٥ اتخذت إبراهيم خليلا، وأعطيت ملكا عظيما،
١٠ وكلمت موسى تكليما، وأعطيت داود ملكا عظيما، وأنت له الحديد،
وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكا عظيما، [و-^٦] سخرت له
الجن والإنس والشياطين والرياح، وأعطيت ملكا لا ينبغي لأحد من
بعده، وعلت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يرئى الآكة والأبرص،
وأعدته^٧ وأمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليهما سيل^٨، فقال
١٥ له ربه تبارك وتعالى: قد اتخذتك حبيبا^٩ فهو مكتوب فى التوراة

(١) زيد فى مد: بشيرا (٢) زيد فى مد: الله (٣) راجع مجمع الزوائد ١/ ٧١ .
(٤) زيد من ظ وم ومد (٥) زيد فى الأصل: لا، ولم تكن الزيادة فى ظ
وم ومد ومجمع الزوائد فخذناها (٦) سقط من ظ (٧) زيد من مجمع الزوائد
(٨) من ظ وم ومد ومجمع الزوائد، وفى الأصل: اخذته (٩) من م ومد
ومجمع الزوائد، وفى الأصل و ظ: سيلا (١٠) فى مجمع الزوائد: خليلا .

" [محمد - ١] حبيب الرحمن " وأرسلتك^٢ إلى الناس كافة ، وجعلت
 أمتك هم الأولون والآخرون . وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى
 يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلتك أول النبيين خلقا / وآخرهم
 ٢٦٧ / بعثا ، وأعطيتك [سبعا من المثاني ولم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك - ١]
 خواتيم^٣ سورة البقرة من كنز تحت العرش^٤ لم أعطها نبياً قبلك ، وجعلتك هـ
 فاتحاً وخاتماً^٥ . وفى حديث شريك^٦ أنه رأى موسى عليه السلام فى
 السماء السابعة^٧ قال : بتفضيل كلام الله ، قال : ثم علا به فوق ذلك ما لا يعلمه
 إلا الله^٨ ، فقال [موسى - ١٠] : لم أظن أن يرفع على أحد . وفى حديث على بن أبى
 طالب رضى الله عنه خرج به الزوار^٩ فى ذكر تعليمه عليه الصلاة والسلام الأذان
 وخروج^{١٠} الملك فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يا جبريل ! من هذا ؟ ١٠
 قال^{١١} : والذى بعثك بالحق ! إني لأقرب الخلق مكاناً ، وإن هذا الملك

(١) زيد من ظ و م ومد و بجمع الزوائد (٢) من م و بجمع الزوائد ، وفى
 الأصل و ظ و مد : أرسلناك (٣) فى م و مد : خواتم (٤) سقط من ظ
 و م و مد (٥) من ظ و م ومد و بجمع الزوائد ، وفى الأصل : عرشي .
 (٦ - ٦) فى ظ : خاتما و فاتحاً (٧) راجع باب قول الله " وكلم الله موسى
 تكليماً " كتاب التوحيد من صحيح البخارى (٨) من ظ و م ومد و الصحيح ،
 وفى الأصل : السادسة (٩ - ٩) تأخر ما بين الرقيين فى الصحيح عن على أحد .
 (١٠) زيد من م و الصحيح (١١) راجع بجمع الزوائد ٣٢٨ / ١ (١٢) من
 ظ و م ومد ، وفى الأصل : خرج (١٣) زيد فى ظ : فقال .

ما رأيته [قط - ١] منذ خلقت قبل ساعتي هذه . وفيه^٢ : ثم أخذ الملك يد محمد صلى الله عليه و على آله و سلم قدمه ، فأمر بأهل السماء فيهم آدم و نوح ، و في هذا الحديث قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه^٣ : [فيومئذ - ١] أكمل [الله - ٤] لمحمد - صلى الله عليه و على آله و سلم^٥ و شرف و كرم و بجل و عظم^٥ - [الشرف - ١] على أهل السموات و الأرض ؛ قال ابن الزبير : و قد حصل منه تفضيله صلى الله عليه و على آله و سلم -^٦ و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا^٦ - بالإسراء و خصوصه بذلك ، ثم قد انطوت السورة على ذكر المقام المحمود ، و هو مقامه في الشفاعة الكبرى ، و ذلك مما خص به حسبا ثبت في الصحيح و انعقد عليه إجماع أهل السنة ، و لا أعلم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصائصه صلى الله عليه و على آله و سلم - و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا - الذي فضل به كافة الأنبياء عليهم أفضل الصلاة و السلام مثل ما تضمنت هذه و الحمد لله - انتهى .

ولما ثبت بهذه الحارقة ما أخبر به عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة على كل ما يريد ، و ما حباه صلى الله عليه و على آله و سلم به^٧ ١٥ من الآيات اللينات في هذا الوقت اليسير ، أتبعه ما منيح في المسير من مصر إلى الأرض المقدسة من الآيات في مدد طوال^٨ جدا موسى عليه السلام الذي كان أعظم الأنبياء [بركة - ٩] على هذه الأمة ليلة الإبراء

(١) زيد من جمع الزوائد (٢) راجع ص ٣٢٩ (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : رواية (٤) زيد من ظ و م و مد و جمع الزوائد (هـ) سقط ما بين الرقین من ظ (٦-٦) ما بين الرقین ساقط حيثما ورد من ظ و م و مد (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد . و في الأصل : طويل (٩) زيد من ظ و م و مد .

لما^١ أرشد النبي صلى الله عليه و على آله و سلم [إليه -^٢] من مراجعة الله تعالى في تخفيف الصلاة حتى رجعت من خمسين إلى خمس مع أجر^٣ خمسين ، و الذى كان أنهى المروج به إذ^٤ ناجاه [الله -^٥] و قربه رأس جبل الطور^٦ بعد الأمر^٧ بالرياضة بالصوم و التخلي^٨ أربعين يوما ، و الذى تقدم في آخر النحل^٩ أن قومه اختلفوا عليه في السبت ، تنفيرا من مثل^{١٠} حالهم ، و تسلية عن تبعهم في تكذيبهم و ضلالهم ، و ذلك في سياق محذر للكذابين عظام البلاء ، فقال تعالى - عاطفا على ما تقديره ، فأتينا عبدنا محمدا صلى الله عليه و على آله و سلم الكتاب المفصل المعجز ، و جعلناه هدى للخلق كافة ، و تولينا حفظه فكان آية باقية حافظا لدينه دائما - :

(و اتينا) أى بعظمتنا (موسى الكشيب) أى الجامع لخيري^{١١} الدارين ١٠

لتقواه و إحسانه ، معظما له بنون العظمة ، فساوى بين النبيين في تعظيم الإراءة [و الإيتاء -^{١٢}] و خص محمدا صلى الله عليه و على آله و سلم باضافة آياته إلى مظهر العظمة ، و كان إيتاء موسى عليه السلام الكتاب في نيف و أربعين سنة بعد أن أخرج معه بنى إسرائيل من خبائل فرعون و جنوده الذين كانوا لا يحصون كثرة بتلك^{١٣} الآيات الهائلة التى لا يشك عاقل ١٥

أن من قدر عليها لا يمتنع عليه شيء أراد ، و في هذه المدة الطويلة

(١) في ظ : كما (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اخر (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اذا (٥-هـ) تكرر ما بين الرقین في الأصل فقط (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التجل (٧) راجع ص ٢٧٦ و ٢٧٧ من هذا الجزء (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لخیر (٩) في ظ : تلك .

- بل^١ بزيادة - كان وصول بنى إسرائيل من مصر إلى هذا المسجد الذى
أوصلنا عبدنا إليه ورددناه إليكم فى بعض ليلة راكبا البراق الذى
كان يركبه الأنبياء قبله ، يضع حافره فى^٢ منتهى طرفه ، و بنو إسرائيل
كانوا يسيرون^٣ جميع النهار مجتهدين [ثم يبيتون -^٤] فى الموضع الذى
٢٦٨ / ٥ أذلجوا منه فى التيه / لا يقدرّون أن يجوزوه^٥ أربعين سنة - على ما قال
كثير من العلماء^٦ ، أو أنهم كانوا فى هذه المدة يدورون حول جبل أدوم^٧
- كما فى التوراة^٨ ، فثبت أنا إنما فعل بالاختيار على حسب ما نراه من
الحكم ، ثم ذكر ثمرة^٩ كتاب موسى عليه السلام فقال تعالى : ﴿ وجعلناه ﴾
أى الكتاب ، بما لنا من العظمة ﴿ هدى ﴾ .

١٠. ولما كان هذا التوئين يمكن أن يكون للتعظيم يستغرق الهدى ،
بين الحال بقوله : ﴿ لبنى إسرائيل ﴾ بالحمل على العدل فى التوحيد و الأحكام ،
و أسرينا بموسى عليه السلام [و -^{١٠}] بقومه من مصر إلى بلاد المسجد
الاقصى ، فأقاموا سائرین إليها أربعين سنة ولم يصلوا ، و مات كل من
خرج منهم من مصر إلا^{١١} النقيبين الموفين^{١٢} بالعهد ، فقد بان الفصل^{١٣}

(١) سقط من مد (٢) فى ظ : عند (٣) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة
فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى
الأصل : يجوزوا ، و فى ظ : يجوزون (٦) راجع لباب التأويل ٢٨/٢ و الكشف
٢٥٣/١ (٧) فى ظ : ادم (٨) راجع الأصحاح الحادى والعشرين من باب العدد .
(٩) سقط من ظ (١٠) زيد من م و مد (١١ - ١٢) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : السبعين الموفين - كذا ، و هما يوشع بن نون و كالب بن يوفنا - كما
فى لباب التأويل ٢٨/٢ (١٢) فى م و مد : الفضل .

بين الإسرائيلين^١ كما بان الفصل^٢ بين الكتائين ، فذكر الإسراء أولا
 دليل على حذف مثله لموسى عليه السلام ثانيا ، و ذكر إتياء الكتاب ثانيا
 [دليل - ٢] على حذف مثله أولا . فالآية من الاحتباك ؛ ثم نبه على أن
 المراد من ذلك كله التوحيد اعتقادا و عبادة بقوله تعالى : ﴿ الْآلَ ﴾
 أى لثلاث ﴿ تتخذوا^٣ ﴾ بالياء [التحية - ٢] فى قراءة أبى عمرو ، و بالفوقانية^٥
 فى قراءة الباقيين ، فنبه بصيغة الأفعال على أنه - لكثرة ما على وحدانيته
 من الدلائل ، وله إلى خلقه^٦ من المزايا و الفضائل - لا يعدل عنه إلى
 غيره إلا بتكلف^٧ عظيم من النفس ، و منازعة بين الهوى و العقل و ما فطر
 سبحانه عليه النفوس من الانقياد إليه و الإقبال عليه ، و نقر من له همه
 عليه و نفس آية من الشرك بقوله - منها بالجار على تكرار الرتب دون ١٠
 رتبة عظمته سبحانه و عدم الاستغراق لها ، تاركا^٨ نون العظمة للتخصيص
 على المراد من دون لبس بوجه - : ﴿ من دونى ﴾ و قال تعالى - : ﴿ وَكَيْلًا ۝ ﴾
 [أى - ٢] ربا يكلون أمورهم [إليه - ٩] و يعتمدون عليه من صم و لا غيره ،
 لتقريب إليه بشفاعة و لا غيرها^{١٠} - منها بذكر الوكالة^{١١} على سفة آرائهم فى

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الاسرين - كذا (٢) ف م و مد : الفضل .
 (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) ف م و مد : يتخذوا (٥) من ظ و م
 و مد ، وفى الأصل : بالتحثانية (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : حكته .
 (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بتكليف (٨) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : باركا (٩) زيد من مد (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بغيرها .
 (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الوقاية - كذا .

ترك من يكنى^١ في كل شيء إلى من لا كفاية^٢ عنده لشيء، ثم أتبعه ما يدل على شرفهم بشرف أبيهم، وأنه لم ينفعهم إدلائهم^٣ إليه - عند إرادة الانتقام - بما ارتكبوا من الإجمام، فقال - منبها على الاهتمام بالتوحيد والامر بالإخلاص [بالعود إلى مظهر العظمة حيث لا لبس، ه ناصبا على الاختصاص -]^٤ في قراءة أبي عمرو، وعلى النداء عند الباقيين، تذكيرا بنعمة الإنجاء من الغرق - : ﴿ ذرية من حملنا ﴾ أى فى السفينة بعظمتنا، على ظهر ذلك الماء الذى طبق ما تحت أديم السماء، ونبه على شرفهم وتمام نعمتهم بقوله تعالى : ﴿ مع نوح ﴾^٥ أى من أولاده وأولادهم الذين أشرفهم إبراهيم الذى كان شاكرًا^٦ ثم إسماعيل عليهما السلام، لأن الصحيح أن من كان معه من غيرهم ماتوا ولم يعقبوا، ولم يقل: ذرية نوح، ليعلم أنهم^٧ عقب أولاده [المؤمنين لتكون تلك منة أخرى؛ ثم نبه على تقواه وإحسانه حثا على الاقتداء به بقوله -]^٨ : ﴿ انه كان ﴾ أى كونا جليلا ﴿ عبدا شكورا ﴾^٩ أى مبالغا في الشكر الذى هو صرف جميع ما أنعم الله به فيما خلقه له فأحسن^{١٠} إليه لشكره بأن

- (١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: يكن (٢) زيد فى الأصل و ظ : له، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفنا (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ : اولادهم (٤) زيد من ظ و م ومد (ه) من ظ و م ومد، وفى الأصل: شاكر (٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل: انه (٧) فى ظ : مبالغة (٨) فى ظ : ما (٩) من ظ و م ومد، وفى الأصل: وحسن .

جعل في ذريته النبوة والكتاب^١ كما فعل إبراهيم عليه السلام لأنه
كان شاكراً ، فاقصدوا بهذين الابوين [العظيمين -^٢] في الشكر يزدكم^٣ ،
ولا تقلدوا غيرهما في الكفر يعذبكم ، وخص نوحا عليه السلام لأنه ما
أمل [لأحد ما أمل -^٤] لقومه ولا^٥ أهل أحدا ما أمهلهم ، ثم أهلكهم
أجمعين^٥ - [كما -^٦] أوماً إليه قوله " حملنا " - إهلاك نفس واحدة . ثم
أذهب الماء بعد إغراقهم بالتدرج في مدة طويلة ، ثبت أنه منزّه عن
العجلة ، وأنه سبحانه تارة يفعل الأمور الكثيرة الشاقة في أسرع وقت ،
وتارة يعمل ما هودونها في أزمان طوال ، فإن كالشمس أنه [إنما -^٧] يفعل
على حسب ما يريد مما تقتضيه حكمته ؛ روى البخارى في التفسير^٨ عن أبي
هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
بلحم فرفع^٩ إليه الذراع^{١٠} ، وكانت / تعجبه فنهش^{١١} منها [نهشة -^{١٢}] ثم
قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدررون بما^{١٣} ذلك ؟ يجمع الله
الناس : الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي^{١٤} ، وينفذهم
(١) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد ما
بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) زيد في مد : الله (٤) سقط من ظ (هـ) من
ظ و م و مد ، وفي الأصل : جميعا (٦) بمناسبة هذه الآية (٧) من ظ و م
ومدو الصحيح ، وفي الأصل : قرع (٨-٨) من م و مد والصحيح ، وفي الأصل :
كان يهيج فنهش ، وفي ظ : كانت يعجبه فنهش - كذا (٩) زيد من ظ و م
ومد والصحيح (١٠) في ظ و م و مد : مم (١١) من ظ و م و مد
والصحيح ، وفي الأصل : الداعون .

البصر ، و تدنو الشمس ، فبلغ الناس من الغم و الكرب ما لا يطيقون
و لا يحتملون ، فيقول^١ الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع
لكم إلى ربكم ؟ - فذكر حديث الشفاعة العظمى وإتيانهم^٢ الأنبياء
آدم و بعده أولى العزم عليهم الصلاة و السلام ، و أنهم يقولون لنوح
٥ عليه السلام : [و - ٥] قد سماك الله عبدا شكورا ، و كلهم يتبرا و يحيل
على من بعده إلى أن وصل الأمر إلى نبينا صلى الله عليه و على آله و سلم
فيقولون^٣ : يا محمد ! أنت رسول الله و خاتم الأنبياء ، و قد غفر [الله - ٦]
لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر ، اشفع لنا إلى ربنا^٤ ، ألا ترى إلى ما
نحن فيه . فأطلق فآتى [تحت - ٩] العرش فأقع ساجدا للرب ، ثم يفتح الله
١٠ على من محامده و حسن الثناء عليه [شيئا - ٧] لم يفتحه على أحد قبلى ،
ثم يقال : يا محمد ! ارفع رأسك ! سل تعطى^٥ و اشفع تشفع ! فأرفع
رأسى فأقول : أمتى يارب [أمتى يارب - ٩] . فيقال : يا محمد ! أدخل
من أمتك من لا حساب عليهم^٦ من الباب اليمين من أبواب الجنة ،
و هم شركاء الناس فيما [سوى - ٧] ذلك من الأبواب ، ثم قال : و الذى

(١) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : نقول (٢) سقط من ظ
و م و مد (٣) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : عند (٤) من ظ
و م و مد . و فى الأصل : إيتائهم (٥) زيد من م و الصحيح (٦) فى ظ : فيقول .
(٧) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٨) فى الصحيح : ربك (٩) زيد من
م و مد و الصحيح (١٠) فى الصحيح : تعطه (١١) فى م و مد : فقال :
(١٢) العبارة من « ارفع رأسك » إلى هنا ساقطة من ظ (١٣) من ظ و م و مد
و الصحيح ، و فى الأصل : عليه .

نفسى يده ۱ [إن - ۱] ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة
 وحمير أو ۲ كما [بين - ۲] مكة و بصرى . ثم أتبع ذلك ما يدل على
 شرف كتاب موسى وصحة نسبه إليه تعالى بما يقتضى شمول العلم و تمام
 القدرة بما كشف ۳ عنه الزمان من صدق إخباره ، و حفاظة وعيده
 وإنذاره ، تنبيها على أن من كذب بكتابه أهلكه كائنا من كان وإن ۵
 طال إمهاله ، فلا تنفروا بحله لأن الملوك لا تقر غلى أمر يقدح فى ملكها ،
 فقال تعالى : ﴿ وقضينا ﴾ أى بعظمتنا بالوحى المقطوع به ، منزلين و منهين ۶
 ﴿ الى بنى اسرائيل ﴾ أى عبدنا يعقوب عليه السلام الذى كان أطوع ۷
 أهل زمانه لنا ﴿ فى الكتب ﴾ الذى أرسلناه إليهم [على لسان موسى
 عليه السلام - ۸] ﴿ لتفسدن ﴾ ۹ أكد بالدلالة على القسم باللام لأنه يستبعد ۱۰
 الإفساد مع الكتاب المرشد ﴿ فى الارض ﴾ أى المقدسة التى كأنها ۱۱ لشرفها
 [هى الأرض - ۱۲] بما يغضب الله ﴿ مرتين و لتعلن ﴾ أى بما صرتم
 إليه من البطر لسيان المنعم ﴿ علوا كبيرا ﴾ بالظلم و التمرد ، و لا ينتقم
 منكم إلا على حسب ما تقتضيه ۱۲ حكمتنا فى الوقت الذى زيد بعد إمهال
 طويل ؛ و القضاء : فصل الأمر على إحكام ﴿ فاذا جاء وعد اولهما ﴾ ۱۵

(۱) زيد من الصحيح (۲) من الصحيح ، وفى النسخ كلها « و » (۳) زيد من
 ظ و م و مد و الصحيح (۴) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 و مد لحذفناها (۵) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مبينين (۶) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : طوع (۷) زيد من ظ و م و مد (۸) زيد فى مد : اى (۹) من
 ظ و م و مد ، وفى الأصل : يسبقه (۱۰) فى ظ : كانت (۱۱) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : يقتضيه .

أى وقته الذى حددناه^١ [له - ٢] للاتقام فيه ﴿ بعثنا ﴾ أى بعظمتنا؛
 ونبه على أنهم أعداء بقوله : ﴿ عليكم ﴾ ونبه على عظمتهم وقدرته وسعة
 ملكه بقوله تعالى : ﴿ عبادا لنا ﴾ أى لا يدان لكم بهم لما وهبنا لهم
 [من - ٣] عظمتنا ﴿ اولى باس ﴾ أى عذاب وشدة في الحرب شديدة
 ه ﴿ شديد^٤ فحاسوا ﴾ أى ترددوا مع الظلم والعسف وشديد السطوة؛
 والجوس^٥ : طلب الشيء باستقصاء ﴿ خلل ﴾ [أى بين - ٦] ﴿ الديار^٧ ﴾
 الملزوم لقهر^٨ أهلها وسفولهم^٩ بعد ذلك العلو الكبير؛ والخلال :
 انفراج ما بين الشيئين وأكثر - لضرب^{١٠} من الوهن ﴿ و كان ﴾ أى
 ذلك البحث^{١١} و وعد العقاب به ﴿ وعدا مفعولاه ﴾ أى لاشك في وقوعه
 ١٠ ولا بد أن يفعل لانه^{١٢} لاحائل بيننا^{١٣} وبينه ، ولا يبدل القول إلا عاجز
 أو جاهل ؛ عن ابن عباس^{١٤} رضى الله عنهما أنهم جالوت وجنوده ؛ وعن
 سعيد بن المسيب أنهم يختصر وجنوده ؛ [وعن الحسن : العالقة ؛ وعن سعيد
 ابن جبير : سنجاريب وجنوده - ١٥] : قال في السفر الخامس^{١٦} من التوراة

(١) فى ظ : حده . و الكلمة ساقطة من مد (٢) زيد من ظ و م (م) زيد من
 م (٤) تكرر فى الأصل فقط بعد « اولى باس » (هـ) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : الحوس (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من
 ظ و م و مد ، وفى الأصل : لتعمر (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
 سفولهم (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تضرب (١١) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : البعث (١٢) سقط من مد (١٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
 بينها (١٤) و راجع أيضا الكشف ومعان التزيل و روح المعاني - تفسير هذه
 الآية (١٥) راجع الأصحاح الثامن والعشرين .

إشارة إلى هذه المرة الأولى - والله أعلم: وإن أنتم لم تسمعوا قول الله ربكم [و لم تحفظوا - ١] و لم تعملوا^٢ بجميع سننه التي أمركم بها اليوم، ينزل بكم^٣ هذا اللعن الذي أقص^٤ عليكم كله، و يدرككم العقاب، و تكونوا [ملعونين - ٥] في القرية و السفر^٦ و في الحضر، و يلعن نسلكم و ثمار أرضكم، و تكونوا ملعونين إذا دخلتم. و ملعونين إذا / خرجتم، ينزل ٥ / ٢٧٠

بكم الرب البلاء و الحشرات، و ينزل بكم الضربات الشديدة و بكل شيء تمدون أيديكم [إليه - ١] لتعملوه حتى يهلككم و يتلفكم سريعا، من أجل سوء أعمالكم و ترككم لعبادتي، يسلط الله عليكم الموت فيهلككم من الأرض التي تدخلونها لتروها. يضربكم^٢ الله^١ بحيران^٣ العقل و البهق و البرص، و بالحريق باشتال^٤ النار، و باليرقان و الجرب و السموم، و يسلط عليكم^{١٠} هذه الشعوب حتى تهلكوا، و تكون السماء التي فوقكم عليكم شبه النحاس، و الأرض التي تحتكم شبه الحديد. و يصير الرب مطر أرضكم غبارا، و يكسرکم الرب بين يدي أعدائكم. يخرجون إليهم في طريق واحدة و تهربون في سبعة طرق. و تكونون^{١١} مثلا و فزعا لجميع مملكات^{١٢} الأرض،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لم تعلموا.
 (٣) في مد: لكم (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: أقص (٥) زيد بناء على نص التوراة. و العبارة من بعده إلى «أرضكم و تكونوا» - حاكمة من ظ.
 (٦) من م و مد، وفي الأصل: السعة (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فضر بكم (٨) سقط من ظ (٩) من مد، وفي الأصل: باسمك، وفي ظ: بانتال، وفي م: باشتال (١٠) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يكون (١١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: مملكات.

و تكون^١ جيفكم [طعاما -^٢] لجميع السباع و طيور السماء ، و لا يذب
 أحد^٣ عنكم ، و يضربكم^٤ الرب بالجراحات التي [ضرب -^٥] بها أهل مصر ،
 و يبليكم بالبرص و الزحير و بالحكة ، و لا يكون لكم شفاء من ذلك ،
 و يضربكم الرب بالعمى^٦ و السكع و رعب القلب ، و تكونون^٧ تجسسون
 ه في الظهيرة مثل ما يتجسس العميان ، و لا يتم شيء^٨ مما تعملون ، و لا يكون
 له^٩ تمام ، و تكونون مقهورين مظلومين مفسوسين [كل أيام حياتكم -^{١٠}]
 و لا يكون لكم منقذ ، تخطبون المرأة فيتزوجها غيركم ، و تبنون بيتا و يسكنه
 غيركم ، و تغرسون كروما و لا تعصرون منها ، و تذبحون ثيرانكم بين
 أيديكم و لا تأكلون^{١١} منها شيئا ، و يؤخذ حمارك ظلما و لا تقدر أن تخلصه ،
 ١٠ و يسوق العدو أغنامكم و لا يكون لكم^{١٢} [منقذ -^{١٣}] ، و يسمى^{١٤} بنيك
 و بناتك شعب آخر و تنظر إليهم و لا تقدر^{١٥} لهم على خلاص ، و^{١٦} تشقى
 و تغتم^{١٧} نهارك كله أجمع و لا يكون لك حيلة ، و تمار أرضك و كل كدك
 يأكله شعب لا تعرفه^{١٨} . و تكون مضطهدا مظلوما^{١٩} طول عمرك^{٢٠} ،

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يكون (٢) زيد من التوراة (٣) من
 ظ و م و مد ، وفي الأصل : احدا (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
 يضرب (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بالعمى .
 (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : يكونون (٨) في النسخ كلها : شيئا (٩) من ظ
 و م و مد ، وفي الأصل : لكم (١٠) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لا تأكلوا .
 (١١) في مد : لهم (١٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تسي (١٣) من ظ و م
 و مد ، وفي الأصل : لا يقدر (١٤ - ١٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
 يسمى و يقيم (١٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لا يعرفه (١٦ - ١٦) من
 ظ و م و مد ، وفي الأصل : لون هملك .

و يضربك الرب بمجرح^١ ردىء على ركبتيك وساقيك ولا يكون لك ،
 و يسلط عليك الجراحات من قرنك^٢ إلى قدمك ، و يسوقك الرب ،
 و يسوق ملكك الذى ملكته عليك إلى شعب لم يعرفه أبوك ، و تعبد
 هناك آلهة عملت من خشب و عجارة ، و تكون^٣ مثلاً و عجباً و يكرهك
 كل من يسمع خبرك - ثم قال^٤ : و يولد لك بنون و بنات و لا يكونون^٥ ه
 لك ، بل يسبون ، و ينطلق بهم مبيسين . ثم قال^٦ : و يسلط الرب عليك
 شعباً يأتيك و أنت جائع ظمآن ، و تخدم^٧ أعدائك الذين يسلطهم^٨ الله
 عليك من بعيد من أقصى الأرض . و يسرع إليك مثل طهران النسر
 شجب لا تعرف لغتهم ، شعب وجوههم صفيقة لا تستحي من الشيوخ ،
 و لا رحم الصبيان ، و يضيق عليك فى جميع قراك حتى يظفر بسوراتك^٩ ١٠
 المشيدة التى تتوكل عليها و تثق بها ، و تضطر حتى تأكل^{١١} لحم ولدك^{١٢}
 من الحاجة و الضيق الذى يضيق عليك عدوك ، و الرجل المدلل [منكم - ١٣]
 المتلذذ المفيق تنظر عيناه إلى أخيه و حبلته و إلى من بقى من ولده جائعاً ،
 و لا يعطيهم من لحم ابنه الذى يأكل ، لأنه لا يبقى عنده شيء من الاضطهاد

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مجرح (٢) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : فرقك (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكون (٤) بعد آيتين .
 (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يكون (٦) بعد خمس آيات (٧) من
 ظ و م و مد ، و فى الأصل : يخدم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :
 يسلط (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بسوراتك (١٠) من ظ و م
 و مد ، و فى الأصل : يأكل (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مولدك .
 (١٢) زيد من م و مد .

والضيق الذى يضيق عليك عدوك^١ فى كل قراك^٢ ، و المرأة المخدرة^٣ المدللة المفيقة التى لم تطأ الأرض قدماها^٤ من الدلال^٥ تنظر عيناها^٦ إلى زوجها و إلى ابنها^٧ و بنتها^٨ و إلى ولدها التى^٩ تلد ، وهى تأكلهم ، وذلك من الحاجة و الفقر و عدم الطعام مما يضيق عليك عدوك و يضطهدك
 ٥ فى جميع قراك .

ولما بين سبحانه أنه قادر على إذلال العزيز بعد ضخامة عزه ، بين أنه مقتدر على إِدالته^٩ [على - ١٠] من قهره بعد طول ذله إذا نقاه من درنه و هذبه من ذنوبه ، فقال تعالى مشيرا بأداة التراخى إلى عظمة هذه الإدالة^{١٠} بخرقها للعوائد : (ثم رددنا) أى بما لنا من العظمة / ، و عجل لهم^{١١} / ٢٧١

١٠ البشرى بقوله تعالى : (لكم) أى خاصة (الكرة) أى العود^{١٢} و العظمة ؛ و بين أن ذلك مع السطوة بقوله سبحانه : (عليهم) قال بعض المفسرين^{١٣} : فى زمان داود عليه السلام (و امددناكم) أى أعانكم

(١) العبارة من « والرجل المدلل » ص ٣٠٩ س ١٢ إلى هنا ساقطة من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المخدرة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قدماك (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الدلالة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عيناك (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من مد (٧) فى مد : الذى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (٩) من م و مد ، و فى الأصل : ازالته ، والكلمة ساقطة من ظ (١٠) زيد من م و مد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الادلة (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكم (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العود (١٤) راجع روح المعاني ٤/ ٤٧٨ .

بعظمتا (باموال) تستعينون بها على قتال أعدائكم (و بنين) أى تقفون^١
 بهم^٢ (وجعلنكم) أى بعظمتا (اكثر) أى من عدوكم (فقيراه)
 أى ناسا^٣ ينفرون معكم^٤ إذا استفرتموهم للقتال ونحوه من المهمات ،
 [و الظاهر - °] أنه ليس المراد^٥ بهذه المرة ما كان على يدى^٦ داود
 عليه السلام لأن الله يقول فى هذه^٧ المرة الثانية "و ليدخلوا المسجد كما
 دخلوه اول مرة" و داود عليه السلام أسس المسجد ولم يكمله ، إنما
 أكمله^٨ ابنه سليمان عليهما السلام من بعده^٩ ، و الذى غر من قال [ذلك - °]
 أن بنى إسرائيل كانوا قهروا قبل داود عليه السلام من الفلسطينيين^{١٠}
 وغيرهم ، ثم كان خلاصهم على يده^{١١} عليه السلام - كما مضت الإشارة
 إليه فى سورة البقرة ، قال فى الزبور فى المزمور الثالث^{١٢} عشر^{١٣} : من ١٠
 يعطى صهيون الخلاص لإسرائيل ؟ إذا رد الرب سبى شعبه^{١٤} يتהלل يعقوب
 و يفرح إسرائيل ؟ و فى الثالث و الأربعين : اللهم ! إنا قد سمعنا بأذانتنا
 (١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : تنقون (٢) فى ظ : بها (٣) من ظ و م
 و مد ، و فى الأصل : ناس (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منكم (٥) زيد
 من ظ و م و مد (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : يد (٨) سقط من م (٩) من
 م و مد ، و فى الأصل و ظ : كلمة - كذا (١٠) وفى الروح : و دفع بأن حقيقة
 المسجد الأرض لا البناء ، أو يحمل قوله تعالى دخلوه على الاستخدام (١١) من
 ظ و مد ، و فى الأصل و م : الفلسطين (١٢) فى ظ : يديه (١٣) من ظ و م و مد ،
 و فى الأصل : الثلاث (١٤) و فى الأسفار القديمة التى بجهازتنا : فى المزمور
 الرابع عشر ؛ و نفس الزيادة تنسحب على كل من المزامير الآتية (١٥) من ظ
 و م و مد ، و فى الأصل : شعبة .

و أخبرنا آباؤنا بالأعمال التي صنعت في أيامهم الأولى ، فلتسبحك يا إلهنا
كل يوم ، ونشكر اسمك إلى الدهر ، الآن أضفقتنا وأقصيتنا ، ولم تكن
يا رب [تصحب - ٢] جيوشنا ، لكن رددتنا^١ على أعقابنا عن أعدائنا ،
و^٢ اختطفنا ميفضونا^٣ ، جعلتنا مأكلة كالغنم ، مددتنا^٤ بين الشعوب ، بعث
٥ شعبك بلائمن ، أقلت كثرة عيدهم ، صيرتنا عارا في جيراننا ، هزنا^٥
وطنزنا^٦ لمن حولنا ، صرنا مثلا في الشعوب ، و هزنا^٧ للرؤوس في الأمم ،
حزنا^٨ بين^٩ يدي^{١٠} النهار كله ، الحزى [غطى - ٢] وجهي ، من صوت
المعير ، اللهم ! إن هذا كله قد فالتنا ولم نفس اسمك ، ولا نكثنا عهدك^{١١} ،
ولا صرفنا قلوبنا عنك ، عدلت بتصدنا عن سبلك ، أنزلتنا^{١٢} محال^{١٣} وعرة ،
١٠ غشيتنا بظلال الموت ، ولم نفسك يا رب ، وقال في المزمور الثامن
والسبعين و الذي بعده : اللهم ! إني الأمم دخلت ميراثك و بحسب
هيكل قدسك ، جعلوا أورشليم خرابا كالبحرس^{١٤} ، و صيروا جثث عبيدك

(١) من م و مد ، وفي الأصل وظ : لان (٢) ريد من ظ و م و مد (٣) من
ظ و م و مد ، وفي الأصل : رددنا (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
على (٥-٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : احفظتنا منعمونا - كذا (٦) من
ظ و م ، وفي الأصل : يديتنا ، وفي مد : بدوينا (٧) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : طهرا (٨) من م و مد ، وفي الأصل وظ : هذا (٩) من ظ و م
و مد ، وفي الأصل : حري - كذا (١٠) زيد في الأصل : الناس ، ولم تكن
الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (١١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
عندك (١٢) من م و مد ، وفي الأصل وظ : انزلنا (١٣) من م ، وفي الأصل
و مد : كالبحرس ، وفي ظ : كالبحرس .

طعاما لطير السماء ، ولحوم أصفياك لوحوش الأرض ، سفكوا دماءهم
 كالماء حول أورشليم^١ وليس لهم دافن ، صرنا عارا في جيراننا^٢ ، هزه^٣
 و طنا لمن حولنا ، حتى متى تسخط يارب ، دائما يشتعل^٤ مثل النار غضبك ،
 أفِضْ^٥ رجزك على الأمم الذين لا يعرفونك وعلى الملوك الذين لم يدعوا
 اسمك ، فانهم أكلوا يعقوب وأخربوا دياره ، لا تذكر خطايانا الأولى^٥ ه
 بل تفشاننا رأفتك سريعا ، لانا قد تمسكنا جدا ، فكن لنا معينا يا إلهنا
 ومخلصنا ، ونمجد اسمك يارب ، نجنا واغفر لنا^٦ خطايانا لأجل اسمك
 الكريم ، لثلا تقول الأمم : أين إلههم ؟ عند ذلك تعلم الشعوب وت نظر
 عيوننا انتقام دماء^٧ عبيدك المسفوكه ، وليدخل إليك تنهد الأسارى ،
 وكمثل عظمة ذراعك أنقذ بني^٨ المقتولين ، جازِ جيراننا في حزنهم^٩ للواحد ١٠
 سبعة بالعار الذى عيروه يارب ! نحن شعبك و غم رعيتك ، نشكرك
 إلى الأبد ونخبر^{١٠} بتسايحك من جيل إلى جيل . " أنصت ياراعى

- (١) من م ومد ، وفي الأصل : ارسليم ، وفي ظ : اورشليم (٢) في ظ وم
 ومد : جيراننا (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : يشعل (٤) من ظ وم
 ومد ، وفي الأصل : افضى (٥-٥) من م . وفي الأصل : لا يذكر خطايانا الاول ،
 وفي ظ : لا تذكر خطايانا الاول (٦) العبارة من " لا تذكر " إلى هنا ساقطة من مد .
 (٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : دم (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :
 من (٩) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : جعلهم (١٠) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل : تجهز (١١) ومن هنا يبتدئ الزمور الثمانون عندنا .

إسرائيل الذي هدى يوسف كالحروف . انظر أيها الجالس على الكرويين ،
استعلن قدام [إفرايم -'] و بنيامين [ومنشا -'] . وأظهر جبروتك وتعال
لخلاصنا ، اللهم ! أقبل و أشرق وجهك علينا و خلصنا ، اللهم ربنا القوي !
حتى متى تسخط على صلاة عبيدك ، و تطعمهم الخبز بدموعهم

و تسقيهم / الدموع بالكيل ، جعلتنا عارا لجيراننا ، و استهزأ بنا أعداؤنا ، ٥ / ٢٧٢

اللهم^٢ رب القوات ! أقبل بنا و أشرق وجهك علينا و خلصنا ، أنت
نقلت الكرمة من مصر ، طردت الشعوب و غرستها ، سهلت طريقا
أمامها ، مكنت أصولها ، امتلأت الأرض منها ، ظلل الجبال ظلها ،
و أغصانها على أرز الله ، كذلك^٣ امتدت عروقها إلى البحر و إلى الأنهار

١٠ فروعها ، ثم إنك هدمت سياجها ، و قطعها كل عابري السيل ، خنزير

الغاب أفسدها ، و حيوان الوحش رعتها ، اللهم رب القوات ! اعطف
علينا ، و اطلع من السماء ، و انظر و تعاود هذه الكرمة ، و أصلح^٤ الفرس

الذي غرسه يمينك^٥ و ابن الإنسان الذي قويته ، و لتهلك الذين أحرقوها

بأنار برجرك^٦ . و لتكن يدك على رجل يمينك و ابن الإنسان [الذي -']

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) في م : لجيرتنا (٣) سقط من ظ (٤) من م

و مد ، وفي الأصل و ظ : ظلما (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لذلك .

(٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اطلع (٧) من م و مد ، وفي الأصل

و ظ : يمينك (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : حرك (٩) زيد

م م .

اصطفيت^١ لك ، لا تبعدنا منك ^٢و أنقذنا لنمجد^٣ اسمك ، اللهم رب
القوات ! اعطف علينا و أشرق وجهك علينا ^٤و خلصنا^٥ ؛ و في الرابع
و الثمانين : رضيت يا رب عن^٦ أرضك ، و رددت [سبي يعقوب ، غفرت
ذنوب شعبك ، سترت جميع خطاياهم ، سكنت كل رجلك ، و رددت -^٧
شدة غضبك ؛ و في الثامن و الثمانين^٨ : قدوس إسرائيل ملكنا^٩ بالوحي ، ه
كلمت نبيك و قلت : إني جعلت عوناً للقوى ، رفعت مختاراً من شعبي ،
و وجدت داود عبدي ، مسحته بدهن قدسي ، بدى أعانه ، و ذراعى قوته ،
عدوه لا يضره ، و ابن الخطيئة لا يذله ، و قطعت أعداءه من بين يديه ،
و لمغضيه^{١٠} قهرت ، ألماتي و رحمتي معه ، و باسمي يرتفع قرنه^{١١} ، جعلت
في البحار طريقه ، و في الأنهار يمينه ، هو يدعوني : أنت [أبي و -^{١٢}] ١٠
إلهي ، ناصري و خلاصي ، و أنا أجعله بكراً رفيعاً على جميع ملوك الأرض
و أحفظ^{١٣} عليه رحمتي إلى الأبد ؛ ثم قال^{١٤} : و أنت رفضت و أقصيت

- (١) من م و مد ، و في الأصل : اصفيت ، و في ظ : اصله (٢-٣) من ظ و م
ومد ، و في الأصل : انقذ لمجدت (٣-٤) سقط ما بين الرقين من م (٤) من ظ
وم و مد ، و في الأصل : من (٥) زيد ما بين الحازين من ظ و م و مد .
(٦) راجع آية ١٨ و ما بعدها (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ملكا .
(٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لمتعيه (٩-١٠) من م و مد ، و في
الأصل و ظ : ترتفع قوته (١٠) زيد من م (١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل :
احفظه (١٢) راجع آية ٣٩ و ما بعدها .

مسيحك ، وقضت عهد عبدك في الأرض ، ودنت^١ قدسه ، وهدمت
جميع سياجه ، وكل حصونه أخفت^٢ ، اختطفه^٣ عابرو السيل ، صار عارا
في جبرته ، [رفت - ٢] يمين أعدائه ، فرحت جميع مبغضيه ، رددت
نصرة سيفه ، لم تعنه في الحرب ، أبطلت شجاعته ، طرحت^٤ في الأرض
كرسيه ، صغرت^٥ أيام سنه^٦ ، صيت حزنا عليه ، فحتى متى تسخط
يا رب ؟ إلى الأبد يتقد مثل النار رجزك ، اذكر خلقك لي ، فانك لم تخلق
الإنسان باطلا ، من هو الإنسان الذي يعيش ولا يعاين الموت أو ينجي^٧
نفسه من الجحيم ؟ اللهم ! أين رحمتك القديمة التي حلفت^٨ بحقك لداود
عليه السلام ؟ اللهم ! أعداؤك عيروا^٩ آثار مسيحك ، تبارك الرب إلى
١٠ الأبد ، [يكون يكون - ١٢] ؛ وفي الخامس بعد المائة^{١٠} : خلصنا يا إلهنا^{١١}
واجعنا من الأمم لنشكر^{١٢} اسمك القدوس ، ونفتخر بمسيحك ، تبارك

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : دلت (٢) من ظ و م ومد ، وفي
الأصل : احتفظه (٣) زيد ما بين الجازين من ظ و م ومد (٤) من ظ و م
ومد ، وفي الأصل : كرمت (٥) زيد في مد : آيات (٦) من م ومد و ظ ،
وفي الأصل : سفته ، وفي الزمور : شببته (٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :
بالذي (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : محين - كذا (٩) من ظ و م
ومد ، وفي الأصل : خلقت (١٠) سقط من ظ (١١) من الزمور ، وفي النسخ
كلها : غيروا (١٢) زيد من ظ و م ومد ، وموضعه في الزمور : آمين قأمين .
(١٣) راجع آية ٤٨ وما بعدها (١٤) زيد في الأصل : و ارحمنا ، ولم تكن
الزيادة في ظ و م ومد ولا الزمور فحذفناها (١٥) من م ومد ، وفي الأصل :
ليشكر ، وفي ظ : انشرك - كذا .

الرب إله إسرائيل من الآن وإلى الأبد، يقول جميع الشعب: 'يكون'،
وفي الخامس والعشرين بعد المائة: إذا رد^٢ الرب سبي صهيون صرنا
كالتغريين^٣، حيثنذ تمتلئ أفواها فرحاً وألسنتنا تهللاً، هناك يقال في
الأمم: قد أكثر [الرب -] الصنيع إلى هؤلاء، أكثر الرب^٤ الصنيع
إلينا فصرنا فرحين، يارب اردد سينا^٥ كأودية اليمن^٦، الذين يزرعون هـ
بالدموع ويحصدون بالفرح^٧، كانوا^٨ ينطلقون يذرون زرعهم^٩ باكين
و يأتون مقبلين بالتهليل حاملين غلاتهم؛ وفي السادس والثلاثين بعد
المائة: على أنهار بابل جلسنا هناك [وبكينا -] حين^{١٠} ذكرنا صهيون،
وعلقنا قيثاراتنا على الصفصاف الذي في وسطها، لأن الذين سبونا

سألونا [هناك -] قول التمجيد، والذين انطلقوا قالوا: سبحوا / لنا من ١٠
تسايع صهيون! كيف نسبح لكم^{١١} تسايح الرب في أرض غريبة؟ إن
نسبتك يا يروشلیم فتنسائي يميني، ويلصق لساني^{١٢} بجحكي إن لم أذكرك^{١٣}
وإن لم أسبق وأصعد إلى يروشلیم في ابتداء فرحي، اذكر يارب بني أدوم^{١٤}.

- (١) زيد في م ومد: يكون (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: اراد.
- (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: كالتغريين - كذا (٤) زيد من ظ
- وم ومد (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: سيدنا (٧) في م: التيمن (٨) من ظ
- وم ومد، وفي الأصل: بالفرح (٩) في ظ: كما (١٠) سقط من م.
- (١١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: حتى (١٢) زيد في الأصل و ظ: من،
- ولم تكن الزيادة في م ومد والمزمور مخدفاها (١٣-١٤) من ظ و م ومد،
- وفي الأصل: يحبك إن اذكرني - كذا (١٤) في ظ: بني إسرائيل .

في يوم 'أورشليم قائلين': اهدموا إلى الأساس. يا ابنة بابل الشقية! طوبى لمن يجازيك جزاء صنيعك بنا. طوبى لمن أخذ أطفالك وضرب بهم الصخرة.

و هذا الذى فى هذا المزمور إيدان بما يحل بهم من بختنصر*، و قد
 ه تقدم غير مرة أن ما كان فيما ينقل من هذه الكتب القديمة من لفظة
 توم^٦ نقصا كالأب ونحوه فانها على تقدير صحتها عنهم لا يجوز إطلاقها
 فى شرعنا، و الظاهر أن هذه^٧ الإدالة المذكورة^٨ فى القرآن فى هذه
 الكرة^٩ هى التى كانت فى أيام عزير عليه السلام على يد كورش ملك
 الفرس - كما سيأتى إن شاء الله تعالى، و أن الذين كانوا قهروهم
 ١٠ 'أولاًهم' أجناد بختنصر - كما تقدم، ففى سفر أنبياء [بنى -] إسرائيل
 الذين كانوا بعد موسى عليه السلام^{١١} أن الله تعالى أوحى إلى إرميا بن حلقيا^{١٢}

(١-١) من المزمور، وفى الأصل و ظ : ابروسليم القائلون، وفى م :
 اورشليم القائلون، وفى مد : اروشليم القائلون (٢) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل : صنيعك (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل : اصفاك (٤) من ظ
 و م و مد، وفى الأصل : بما (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل : تحقير .
 (٦) فى ظ : يوهه (٧-٧) من م و مد، وفى الأصل : الاداة المذكور، وفى
 ظ : الاداة المذكورة (٨-٨) من م، وفى الأصل و ظ و مد : المرة هى الكرة .
 (٩) من م و مد، وفى الأصل : الذى، والكلمة ساقطة من ظ (١٠-١٠) من
 م و مد، وفى الأصل و ظ : اولادهم (١١) زيد من ظ و م و مد (١١) راجع
 سفر إرميا - لأصحاح الأول (١٣) من ظ و م، وفى الأصل و مد : خلفيا .

من^١ الاحبار الذين كانوا في عناوث^٢ في أرض بنيامين على عهد
يوشيا ملك يهوذا في السنة الثالثة عشرة^٣ من ملكه يتوعدهم بأنهم إن
لم يرجعوا عما أحدثوا من الضلالات سلط [عليهم -^٤] ملك بابل ، ولم
[يزل -^٥] يحذرهم مثل ذلك ويخبرهم بما يحصل لهم من الشر بذنوبهم
إلى أن تمت أيام يواكيم بن يوشيا ، وفي إحدى عشرة سنة لصديقا^٦ ه
ابن يوشيا إلى يوم سبت^٧ أورشليم في الشهر الخامس ، وهو شهر آب ،
وكان يخبرهم بأن ملك بابل يأسر صديقا ملك اليهود ، ويسوقه مع
الأسرى إلى بابل ، ويستمررون في أسرهم [سبعين -^٨] سنة ثم يردم الله
تعالى إلى بيت المقدس .

قال إرميا عليه السلام : إن الله تعالى قال لي : من قبل أن أصورك
في البطن عرفتك ، وخصصتك لي نيا من قبل أن تخرج [من الرحم -^٩]
وجعلتك^{١٠} نيا للشعوب ، فقلت : أطلب إليك يا رب وإلهي أن تعفيني ،
لأنني لست أعلم أن أنطق^{١١} لأنني حدث ، فقال لي الرب : لا تقل : إني
حدث . لأنك^{١٢} "توجه إلى" كل ما أرسلك فيه وتجمع ما أمرك به

(١) من السفر ، وفي النسخ كلها : بن (٢) من م ومد ، وفي الأصل : عماوب ،
وفي ظ : عناوب (٣) في م : عشر (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) من ظ وم
ومد ، وفي الأصل : نخبرهم (٦) العبارة من هنا إلى « لصديقا بن يوشيا » ساقطة
من مد (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : بصرا - كذا (٨) من م ، وفي الأصل
وظ ومد : السبت (٩) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : ويرسلهم (١٠) زيد في
الأصل : لي ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد وسفر إرميا فخذناها (١١) من
ظ وم ومد ، وفي الأصل : انطلق (١٢-١٣) في م : متوجه في .

من القول ، فأذمه ، ولا تخف لأنى أنا معك أفذك من كل آفة ، وإن
 الرب مد يده وقربها إلى فى^١ ، وقال [لى - ٢] الرب : قد صيرت
 أقوالى [فى - ٣] فىك ، فأعلم أنى قد سلطتك اليوم على جميع مملكات
 الأمم لتهدم وتنقض وتهلك ، وتستأصل^٤ وتبكت وتنبأ^٥ ، وتقسنى ،
 ٥ ثم أوحى إلى الرب^٦ : وقال^٦ : ما الذى رأيت يا إرميا ؟ فقلت : رأيت
 غصنا^٧ من شجر اللوز ، فقال لى [الرب - ٨] : ما أحسن ما رأيت ،
 لأن معجل فصل أقوالى ؛ ثم أوحى [إلى الرب - ٩] ثانية : ما الذى
 رأيت ؟ فقلت : رأيت منجلا منصوبا ووجهه إلى ناحية الجرياء - أى^{١٠}
 الشمال - فقال لى^{١١} الرب : من ناحية الجرياء^{١٢} ينفتح الشر^{١٣} وينزل فى
 ١٠ جميع الأرض التى^{١٤} ليهودا ، فأنا مرسلك أن تدعو جميع عشائر^{١٥}
 مملكات الجرياء ، يقول الرب . فيأتون ويلقى كل رجل [منهم - ٩]
 كرسبه فى مدخل [أبواب - ٩] اورشليم ، ويجوطن بسورها كما
 (١) من ظ و م ومد . وفى الأصل : أنى (٢) زيد من مد والسفر (٣) زيد
 من السفر (٤-٤) من م ومد ، وفى الأصل : ونكسب رسا - كذا ، وما بين
 الرقين ساقط من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « اللوز فقال لى » ساقطة من ظ .
 (٦) زيد فى الأصل وم ومد : لى ، ولم تكن الزيادة فى السفر لخذفانها (٧) من م
 ومد ، وفى الأصل : قضيا (٨) زيد من م والسفر (٩) زيد من ظ وم ومد .
 (١٠) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : الى (١١) سقط من م (١٢-١٢) سقط
 ما بين الرقين من ظ (١٣) من م ، وفى الأصل و ظ ومد : الذى (١٤) من
 ظ وم وحد ، وفى الأصل : شعائر .

يدور ، وجميع^١ قري يهوذا ، و أنتقم منهم بأحكامى و قضائى من أجل^٢
 جميع سرورهم و بسوء أعمالهم ، لأنهم اجتنبونى و^٣ بخرؤا لآلهة^٤ غريبة
 بالبخور ، و سجدوا لصنعة أيديهم . فأما أنت فشدد على ظهرك ، و قم فقل
 عليهم^٥ جميع^٦ الأقوال التى أمرك^٧ بها و لا تخفهم و لا تحابهم لئلا أكسرك
 / بين أيديهم و أذلك ، [و - ^٨] قد جعلتك [اليوم - ^٩] كالقرية^{١٠} ٢٧٤ / ٥
 العزيزة الممتعة ، و مثل قضيب من حديد ، و صيرتك مثل سور من
 نحاس على الأرض كلها ، و على جميع ملوك يهوذا و على عظمايتهم و على
 أحبارهم و آبائهم . و على جميع شعب الأرض ، فإن^{١١} جاهدوك لم يقهروك
 لأنى معك و أنا منقذك منهم .

و لم يزل يقوم فيهم بمثل هذا من كلام فى غاية البلاغة و الرقة ١٠
 بحيث يفتت^{١٢} الأكباد ، و يصدع القلوب ، و يفيض العيون ، نحو أربع
 كراريس^{١٣} ، و لو لا خوف الملالة و كراهة الإطالة لآتيت بكثير منه ،
 و كان المتنبئون الكذبة يقومون فيهم بخلاف ذلك مما يؤمنهم إلى أن

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يجمع (٢) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : اجلهم (٣-٢) من م و مد ، و فى الأصل : يحرسوا الآلهة ، و فى ظ : بخرؤا
 الآلهة - كذا (٤) من م و مد ، و فى الأصل : عظمهم ، و فى ظ : عظيم (٥) فى
 ظ : هذه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أمرهم (٧) زيد من ظ و م
 و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالقرية (٩) من ظ و م و مد ،
 و فى الأصل : فاذا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تفتت (١١) فى ظ :
 كراريس .

ضربوا إرميا ليترك^١ عنهم مثل ذلك . فلم يكن يستطيع تركه و قال لشخص
من المتنبئين اسمه حينئذ^٢ : إن الرب [لم يرسلك ، أنت وكلت هذا الشعب
على الزور ، ومن أجل هذا يقول الرب - ^٣] : 'هو ذا' أطرحك عن
وجه الأرض ، وفي هذه السنة تموت ، لأنك تكلمت بالإثم قدام الرب ،
ه فمات حينئذ النبي الكذاب في تلك السنة في الشهر السابع . ثم زاد
تحذير إرميا لهم إلى أن حبسوه^٤ ، ثم^٥ إن الله تعالى أمره أن يكتب لهم
ما يوحى إليه في صحيفة ويرسلها إليهم . فدعا باروخ^٦ بن ناريا^٧ الكاتب
و أمره بكتابة^٨ ما أنطقه به الرب و قال له . هاأنا [محبوس - ^٩] ولست
أستطيع [أن - ^{١٠}] أدخل بيت الرب ، فخذ^{١١} هذه الصحيفة و ادخل
١٠ انت [إلى - ^{١٢}] بيت الرب في يوم الصوم و اقرأها عليهم ، فأنها كلام
الرب ، لعلهم يرجعون عن طريقة السوء ، و يكف الرب عن الشر الذي
قاله عليهم . لأنه عظيم الجزاء^{١٣} و الغضب الذي تكلم^{١٤} به الرب على
هذا الشعب . ففعل باروخ^{١٥} ذلك ، فأخذوا الصحيفة من يده^{١٦} و أوصلوها^{١٧}

(١) من م و مد ، وفي الأصل وظ : لينزل (٢) راجع أخريات الأصحاح الثامن
والعشرين (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) في الأصل : هو هو ذا (٥) راجع
الأصحاح الثاني و الثلاثين (٦) راجع الأصحاح السادس و الثلاثين (٧) من م
و مد و سفر إرميا ، وفي الأصل وظ : باروخ (٨) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : بارنيا ، وفي السفر : نيريا (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : إن
يكتب (١٠) في ظ : فخذوا ، وفي م : خذ (١١) من م و مد ، وفي الأصل
وظ : الزجر (١٢) من م ، وفي الأصل وظ و مد : يتكلم (١٣-١٣) من ظ
و م و مد ، وفي الأصل : فأوصلوها .

إلى الملك يواقيم [ن يوشيا - ١] فشققها^٢ و أحرقها بالنار . فأمره الله^٣
أن يكتب صحيفة أخرى مثلها ويزيد ما يأمره^٤ الله به^٥ ، ومنه أن يواقيم
ملك يهوذا لا يكون له من^٦ يجلس على كرسي داود عليه السلام ، وجيفته
تكون مطروحة في السموم بالنهار وفي الجليل بالليل ، وأمر به^٧ بذريته
و بعبده ، و آتى على أورشليم و على [كل - ٨] سكانها و على بيت ه
يهوذا بكل الشر الذي قلت عليهم ، لأنهم لم يسمعوا صوتي .

^٩ و لما ملك صديقيا^{١٠} على اليهود ، وكانت السنة العاشرة من ملكه ،
و هي الثامنة عشرة^{١١} لبختنصر ملك بابل ، أحاطت جيوش [ملك - ١٢]
بابل بأورشليم ، و كان إرميا النبي محبوسا في دار حرس الملك ، حبسه فيها
صديقيا ملك يهوذا . و قال له : ما لك تنبأ و تقول : هكذا يقول الرب : ١٠
هوذا أدفع هذه القرية و صديقيا ملك يهوذا في يدي ملك بابل^{١٣} و يضبطها ،
و لا ينجو من أيدي الكلدانيين ، لأن الرب دفاع يدفعه في يدي ملك بابل^{١٤}

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : فشققها (٣) راجع
آية ٢٧ و ما بعدها من نفس الأصحاح (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :
يا صر (٥) سقط من م (٦) زيد في الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
ومد لحذفها (٧) سقطت الواو من ظ (٨) زيد من م ومد (٩) راجع الأصحاح
الثاني و الثلاثين (١٠) مر قبل ذلك بصديقيا ، وفي السفر : صديقيا (١١) من
م ومد ، وفي الأصل و ظ : عشر (١٢) زيد من ظ و م ومد . والعبارة
من بعده إلى « فيها صديقيا ملك » ساقطة من ظ (١٣ - ١٤) سقط ما بين
الرقين من ظ .

و يكلمه فه لقمه و عيناه^١ إلى عينيه^٢. و ينطلق به إلى بابل ؟ فأوحى الله
إلى إرميا و هو محبوس فقال: يقول الرب : هوذا أدفع هذه القرية
[إلى -^٣] ملك بابل فيحرقها بالنار ، و أنت فلا تفلت من^٤ يديه ، و لكنك
أخذاً^٥ تؤخذ [و تدفع إليه -^٦] و عيناك إلى عينيه تنظر ، و فكك إلى
هـ فه يكلم ، و إلى بابل تذهب ، و لكن [اسمع -^٧] يا صديقيا ملك يهوذا
قول الرب^٨ ، هكذا يقول الرب^٩ عليك : إنك [لست -^{١٠}] تموت
بالحرب ، و لكنك موت سلامة تموت ، و كالذي ناحوا على آباءك الملوك
الأولين الذين كانوا قبلك ينوحون عليك و يقولون^{١١} : و سيداه^{١٢} لأن
هذا القول [الذي -^{١٣}] تكلمت به قاله^{١٤} الرب ،^{١٥} " هذا كله " ، و أجناد ملك
١٠ بابل تحاصر أورشليم و تقاتلها .

^{١٣} ثم إن صديقيا أرسل إلى فرعون بمصر ليستجد به فخرج جنده ،
فلما سمع بهم الكلدانيون انصرفوا عن أورشليم ، و حل قول الرب على

(١) العبارة من هنا إلى « و عيناك » ساقطة من ظ (٢) من م و مد ، و في
الأصل : عينه (٣) راجع الأصحاح الرابع و الثلاثين (٤) زيد من م و مد .
(٥) زيد في الأصل : بين ، و لم تكن الزيادة في م و مد و السفر لحذفناها (٦) من
م و مد ، و في الأصل : اخذ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد في ظ و م
و مد : ان (٩) زيد في الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة في غيره لحذفناها (١٠) في
ظ : يقول (١١) في ظ : قال (١٢ - ١٣) موضع الرقين في السفر : فكلم إرميا
النبي صديقيا ملك يهوذا بكل هذا الكلام في أورشليم (١٣) و من هنا ينتقل
السياق إلى الأصحاح السابع و الثلاثين .

إرميا أن هكذا يقول الرب إله إسرائيل لملك^١ يهوذا الذي بعث إلى
جند فرعون ليعينوه : هوذا الآن جند فرعون | يرجعون إلى أرض
مصر ، و يرجع الكلدانيون و يقاتلون هذه القرية و يحتوون عليها و يحرقونها
بالتار ، هكذا يقول الرب ، لا تظنوا في أنفسكم أن^٢ الكلدانيين^٣ الذين انصرفوا
عنكم ليس يرجعون ، بل إنهم يرجعون^٤ و يحرقون القرية بالنار^٥ ثم إن^٦
اليهود اتهموا إرميا بأنه يريد أن يفر إلى الكلدانيين فجلدوه و طرحوه في
السجن^٧ ، فأخرجه^٨ الملك صديقا و سأله^٩ في البيت سرا عن قول الرب
فقال له : في يد ملك بابل تدفع ، و قال له : ما ذا أخطأت إليك و إلى
عينيك و إلى هذا الشعب إذ طرحتموني في السجن ؟ و أين [الذين -^{١٠}]
كانوا يتنبأون^{١١} لكم أنه لا يأتي عليكم ملك بابل و لا على هذه الأرض ؟ فرد^{١٢}
إلى السجن . و لم ينزله إلى الحب لأنه كان لا يقدر على مخالفة أشرف
ملكته^{١٣} . ثم قال إرميا : هكذا^{١٤} يقول الرب : من يسكن هذه القرية بالحرب

(١) من مد و السفر ، و في الأصل و ظ و م : الملك (٢) من م و مد ، و في
الأصل : لا ، و في ظ : الى (٣) في ظ : الكلدانيون (٤) زيد في الأصل : الى
مصر ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد و السفر فحذفناها (٥) راجع آية ١٣
و ما بعدها من نفس الأصحاح (٦) زيد في الأصل و م و مد : في الحب ، و لم تكن
الزيادة في ظ و السفر فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : و أخرجه .
(٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : سال (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من
ظ و م و مد ، و في الأصل : سقيالون (١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل :
القرية (١٢) راجع الأصحاح الثامن و الثلاثين (١٣) تكرر في الأصل قطـ .

فبالجوع والموتان يذهب ، فأما من يخرج إلى الكلدانيين فانه يحيى نفسه
و يعيش ، هكذا يقول الرب ، فقال الأشراف : يقتل^١ هذا الرجل
لأنه^٢ يسقط أيادى المقاتلة الذين بقوا فى القرية وأيادى الشعب إذا قال
هذا الكلام ، فقال الملك صديقا : هوذا^٣ منذ وقع فى أيديكم لا يستطيع
ه أن يغير هذا الكلام ، ولم يكن الملك يقدر يقول لهم شيئا ، فأخذوا إرميا
وطرحوه^٤ فى جب إملوخيا^٥ بن الملك [فى دار السجن -^٦] ، والجب
لم يكن فيه [ماء -^٧] ولكن حمأة ، ففرق إرميا فى الحمأة ، وسمع
عبد للملك^٨ حبشى وكان رجلا مؤمنا فقال للملك : يا سيدى ائبس ما صنع
هؤلاء القوم بالنبي إذا^٩ طرحوه فى جب ، وهوذا يموت ، فقال الملك :
١٠ خذ معك من ههنا ثلاثين رجلا ، وانطلقوا أصعدوا إرميا من الجب
قبل أن يموت ، وإن عبد الملك أخذ رجلا ودخل إلى الخزانة^{١١} التى
أسفل بيت الملك ، وأخذ من ثَمَّ خلقانا فسبسبها^{١٢} [إلى إرميا -^{١٣}] بالحبل
وقال [له -^{١٤}] : خذ هذه الخلقان ، واجعلها [تحت -^{١٥}] إبطيك ، لئلا

(١) فى ظ ومد : تقتل (٢) من م ، وفى الأصل وظ ومد : لان (٣) من
ظ وم ومد ، وفى الأصل : هو هذا (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ايدىهم .
(٥-٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فطرحوه (٧) من ظ وم ومد ، وفى
الأصل : انا املحها - كذا ، وفى السفر : ملكيا (٨) زيد من ظ وم ومد .
(٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الملك (١٠) من م ومد ، وفى الأصل
وظ : اذا (١١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الخرابة (١٢) من ظ وم ومد ،
وفى الأصل : فيها .

يعقرك الجبل ، ففعل إرميا كذلك وأصعده من الجب وأجلسوه في [دار - ١] السجن ، وأرسل الملك فأدخل إرميا إليه وجعله في داخل ثلاثة آيات ، مخدع^٢ داخل مخدع^٣ قال^٤ [له - ١] : إني أسألك أن لاتكتنني شيئا ، قال إرميا لصديقا : إني أخاف أن تقتلني ، وإن أنا أشرت عليك لم تطعني ، فقال صديقا : حتى هو^٥ الرب الذي خلقني إني ه لا أقتلك ولا أدفئك^٦ إلى الناس الذين [يريدون - ١] نفسك ، فقال إرميا : هكذا يقول الرب إله^٧ إسرائيل : لن^٨ خرجت إلى أشراف ملك بابل لتحسين نفسك . وهذه القرية تسلم ولا تحرق بالنار ، وتعيش أنت وبنوك ، وإن أنت لم تخرج إليهم فستدفع هذه القرية إلى الكلدانيين و يحرقونها [بالنار - ١] وأنت فلا تنجو من أيديهم ، [فقال الملك لإرميا : إني أخشى ١٠ من اليهود أن أخرج إلى الكلدانيين فلعلهم يدفعونني في أيديهم - ١] و يهزأون بي . قال إرميا : إنهم ليس يدفعونك [في أيديهم - ١] ، اسمع [إلى - ١] كلمة الرب لمنفعتك لتحبي نفسك .

^٩ وحل على إرميا قول الرب إذ كان محبوسا في دار الحرس : انطلق فقل للعبد^{١٠} الحبشي الذي للملك : هكذا يقول الرب القوى إله ١٥

- (١) زيد من ظ وم ومد (٢) من م ومد ، وفي الأصل : ففرج ، والكلمة ساقطة من ظ (٣-٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : فقال (٤) سقط من ظ . (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل «و» (٦) في ظ : لا ادفع (٧) زيد في ظ : بنو (٨) في م : ان (٩) راجع آية ه . وما بعدها من الأصحاح التاسع والثلاثين . (١٠) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : لعبد .

إسرائيل^١: هو ذا آتى على هذه القرية بالشر. و يكونون قدامك فى ذلك اليوم، و أنجيك، قال الرب: و لا تدفع فى يد القوم الذين لا يخشون الله، و لا تسقط [فى الحرب - ٢]، و لكنك تنجو بنفسك لأنك توكلت على ما قال [لك - ٣] الرب^٤. و جلس إرميا فى دار السجن حتى اليوم الذى أخذ فيه الكلدانيون أورشليم فى السنة التاسعة لصديقيا ملك يهوذا فى الشهر العاشر، و فى تسعة من الشهر آتى بختنصر^٥ ملك بابل فى^٦ كل أجناده إلى أورشليم و حلوا عليها، و فى إحدى عشرة^٧ سنة لصديقيا فى الشهر الخامس اثلثت القرية. فأتى كل أشراف [ملك - ٢] بابل إلى الباب^٨ الأوسط، فلما رأى صديقيا أنهم / قد جلسوا فى الباب الأوسط / ٢١٦

١٠ و قد هرب المقاومة و خرجوا بالليل^٩، خرج الملك أيضا من الباب الذى بين السورين فى طريق نيسان، فلما صار إلى الصحراء طلبه جند الكلدانيين^{١٠} على الأثر. فأدركوه فى صحراء أريحا و افترق عنه أجناده^{١١} فساوقوه حتى أصدعوه إلى بختنصر^{١٢} ملك بابل فى ديلاب من أرض حماة، و ذبح

(١) زيد فى الأصل: سيد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
 (٢) زيد فى الأصول: تخشى، و لم تكن الزيادة فى السفر فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) راجع الآية الأخيرة من الأمحاح الثامن و الثلاثين و الأمحاح التاسع و الثلاثين بالإضافة إلى الأمحاح الثانى و الخمسين (٥) من ظ، و فى غيره: بخت ناصر (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م، مد، و فى الأصل: عشر (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باب (٩) فى م و مد: فى الليل (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السكندانيين (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخباره.

[ملك بابل - ١] بنى^٢ صديقيا وكل أشراف يهوذا ، وأعمى عيني صديقيا
و أوثقة في السلاسل لكي يذهب به إلى بابل ، وأحرق بيت الملك و بيوت
الشعب بالنار ، واستأصل السور المحيط بأورشليم ، وكذا بقية الشعب ،
الذين بقوا^٣ في القرية و الذين هربوا إليه سبام و دفعهم إلى وازردان^٤
صاحب شرطته ، فانطلق بهم إلى بابل ، ومساكين الشعب - الذين ه
[ليس - ١] لهم^٥ شيء^٦ - تركهم في أرض يهوذا ، واستعمل عليهم أخيقام
ابن شافان ، و أمر بمختصر^٧ صاحب شرطته أن يأخذ إرميا و قال : لتكن
عينك عليه ، و لاتفعل به^٨ بأسا^٩ . و ما قال لك [من شيء - ١] فافعله ،
فأرسل إلى إرميا فأخذه من دار الحبس ، و دفعه إلى أجديا بن أخيقام
ابن شافان ليرده إلى بيته ،^{١٠} و قال وازردان صاحب الشرطة لإرميا : إلهك
الذى قال هذا الشر على [هذه البلدة ، و فعل كالذى قال ، لأنكم أخطأتم
للرب و لم تسمعوا صوته ، فأنزل بكم - ١] هذا الأمر ، و أما أنت
فهاأنذا [قد - ١] أحللتك من السلاسل التى كانت فى يديك ، فان شئت
أن تأتى معى إلى بابل [فتعال - ١] ، و إن شئت فأقم^{١١} ، فهذه الأرض

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بين (٣) من
ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعثوا (٤) فى السفر : بنوزرادان (ه) فى ظ و مد :
هم (٦) من السفر ، و فى أصواتنا : شيئا (٧) من ظ ، و فى غيره : بمختصر .
(٨) سقط من مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل وظ : ماشا - كذا (١٠) راجع
الأصحاح الأربعين (١١) زيد من السفر (١٢) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : فاتهم .

في يدك كلها، فحيثما كان خيرا^١ لك وحيث يحسن في عينك^٢ فانطلق إليه، وإلا فاجلس عند [جدليا بن^٣] أخيقام بن شافان الذي سلطه بختنصر^٤ في يهوذا، وأعطاه صاحب الشرطة مواهب في الطريق وستره^٥ بسلام، فأتى إرميا^٦ إلى أجديا بن أخيقام إلى مسفيا^٧، وجلس عنده مع الشعب الذين خلفهم ملك بابل في الأرض.

هذا ما دل على أولى البأس الشديد الذين سلطهم الله عليهم، و أما ما دل على رحمة الله لهم ففي^٨ تأريخ يوسف بن كريون^٩ أن الروم لما بلغهم أن بختنصر^{١٠} ملك بابل فتح^{١١} مدينة بيت المقدس ازداد خوفهم من الكسديانيين^{١٢}، فأرسلوا إلى بختنصر رسلا وهدايا، وطلبوا^{١٣} منه الأمان والمسألة، فأمنهم وعاهدهم على طاعته^{١٤} وموالاته، فاطمأنوا وأمنوا^{١٥} وانقطعت عنهم تلك الحروب إلى زمان^{١٦} دارا الملك، وكان

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: خير (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: عينك (٣) زيد من السفر (٤) من ظ، وفي غيره: بختنصر (٥) من م ومد، وفي الأصل و ظ: شرحه (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بارميا. (٧) في السفر: مصفاة (٨) من ظ م ومد، وفي الأصل: من (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كرمون؛ ويوسف هذا أحد أكابر اليهود، وسيأتي ذكره مفصلا (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: انتح (١١) من م ومد، وفي الأصل: الكنديانيين، وفي ظ: الكلدانيين (١٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: طلب (١٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: طاعته (١٤) من م ومد، وفي الأصل: تهنوا، وفي ظ: انقوا - كذا (١٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: زمن.

سبب [الحروب - ١] بين الروم و بين الكسديانيين^٢ أن الكسديانيين^٣ كانوا يعادون اليونانيين ، فأعان الروم اليونانيين ففضب الكسديانيون^٤ من ذلك فخاربوا أهل رومية ، و اتصلت الحروب بينهم إلى هذا الحد ، فلما انتقد^٥ الله العزيز العليم على الكسديانيين^٦ طول تجبرهم [و حكم - ١] بزوال^٧ ملكهم و انقضاء دولتهم [كما = ١] أخبرت به الأنبياء عليهم ه السلام ، أثار عليهم من ملوك الأمم ملكين عظيمين : أحدهما دارا^٨ ملك ماداي^٩ ، و الآخر كورش ملك الفرس ، [فتزوج كورش ملك الفرس - ١] بنت دارا^{١٠} و اتفقا على مقصية الكسديانيين^{١١} ، و أظهرها الخلاف على بلتشار^{١٢} بن بختنصر ملكهم . ثم سار إلى بابل في عساكر قوية^{١٣} ، فأرسل إليهم بلتشار^{١٤} عسكريا كبيرا ، فجرت بينهم حرب عظيمة ، قتل ١٠ فيها من الفريقين خلق كثير ، ثم انهزم عسكري بلتشار^{١٥} و هربوا ، فبهم

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و في الأصل : الكسديانيين و ،
- و في ظ : الكلدانيين و - كذا (٣) من م و مد ، و في الأصل : الكسديانيين ، و في
- ظ : الكلدانيين (٤) في ظ : الكلدانيون (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل :
- اسعل - كذا (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : زوال (٧) في ظ و مد : دار .
- (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : نادا ، و أما أسفار الأنبياء فورد فيها اسمه :
- داريوس المادى - راجع على سبيل المثال نهاية الأصحاح الخامس من سفر دانيال .
- (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : دار (١٠) من ظ و م ، و في الأصل :
- بلغار ، و في مد : بلقشعار ، و في سفر دانيال : بلشاصر (١١) من ظ و م و مد ،
- و في الأصل : قومه (١٢) من ظ و م ، و في الأصل : بلعسر ، و في مد : بلقشعر .

كورش ودارا إلى مسيرة يوم عن بابل، و قتل كثيرا منهم، و أقام دارا و كورش في ذلك الموضع، ثم إن بلشصر^١ بعث إليهما بألف قائد من قواده^٢ و معهم^٣ جميع خاصته و جابرتة، فخرجوا من بابل آخر النهار، و ساروا ليلتهم فأتوها إلى عسكر دارا و كورش [عند الصباح-^٤].

٥ فكبسوم و قتلوا [منهم مقتلة عظيمة، فانهرم دارا و ثبت كورش فقاتل الكسدانيين و منعهم أن يتبعوا عسكر دارا، و قامت الحرب بينهم طول النهار، ثم استظهر الكسدانيون على الفرس و قتلوا-^٥] جماعة / منهم، فانهمز الفرس / ٢٧٧

و عاد^٦ قواد بلشصر إليه ظافرين غانمين، فعظم سرور بلشصر بذلك، و صنع لقواده صنيعا عظيما أحفل فيه و أحضر^٧ الآلات الحسنة من الفضة

١٠ و الذهب، و بالسع في إكرامهم و حضر معهم مجلس الشراب، فأكل و شرب و عظم سرورهم و سروره، فلما أخذ الشراب منه أراد أن يزيد في إكرام أصحابه و سرورهم، فأمر باحضار آلات الذهب و الفضة التي^٨ كان جده يحتضر الملك قد أخذها من هيكل بيت المقدس، و نقلها مع جالية بني إسرائيل إلى بابل، فأحضرت تلك الآلات بحضرة بلشصر فشرب فيها الخمر و سقى [فيها-^٩]

١٥ قواده و نساءه و جواريه، و أقبلوا يسبحون لأصنامهم و يحمدون، قال : فسخط الله سبحانه من ذلك و كره ما فعله بلشصر من ابتذال آلات القدس^٩

(١) من ظ و م، و في الأصل : بلعسر، و في مد : بلقشعر (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل : فوايـلـهـ (٣) من م، و في الأصل و ظ و مد : معه . (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : عادوا (٦) و من هنا يتصل السياق بالأصحاح الخامس من سفر دانيال (٧) في م : اظهر - كذا (٨) في ظ : الذي (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل : بيت المقدس .

ولم يخف من الله ولم يشكره على ما ظفّره بأعدائه، فأرسل ملاكا وأمره أن يكتب بحضرة بلتشار ألفاظا^١ بأحر تضمن^٢ [ذكر -^٣] ما حكم الله به عليه وعلى مملكته، فحل الملك بأمر الله عز وجل وكتب الألفاظ على حائط المجلس مقابل المنارة، وكان يرى أصابع الملك وهي تكتب وما رأى بقية شخصه، وكانت تلك الأصابع شديدة البهار^٤ والنور، فلما رآها ذهل ولحقه رعب شديد [و فرع -^٥] وارتعد جميع جسمه رعدة شديدة، ورعب جميع جنده^٦، ولم يفهم تلك الكتابة ولا وجد في أصحابه من يقرأها، لأن الخط كان كسدانيا^٧ وكان اللفظ عبرانيا، فأمر^٨ باحضار دانيال النبي - صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم - فقرأها وفسرها وقال: أيها الملك! قد أخطأت خطأ عظيما بابتدائك آلات قدس الله بأيدي جندك^٩ وجواريك فنجسوها، ولذلك سخط الله وأرسل ملاكا حتى كتب^{١٠} هذه الألفاظ ليعلمك ما يريد أن يفعله، فأما هذه الألفاظ المكتوبة فهي "حسب ووزن ونقل" وتفسيرها أن الله حسب مدة دولتكم التي "قد جعلها" لكم فوجدوها^{١١} قد انقضت

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الفاظه (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يتضمن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) في ظ: هو (ه) من ظ و م و مد، وفي الأصل: البلاء (٥) في ظ: جسده (٦) من م و مد، وفي الأصل: وظ: كسرانيا (٧) حسبما أشارت به عليه مملكته - كما في سفر دانيال (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عبيدك (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: كتبت (١٠-١١) في ظ: جعلوها، وفي م: جعلها (١٢) في ظ: فوجدوها.

و انتهت ولم يبق منها شيء، و وزنك في الميزان فوجدك ناقصا، يريد^١
 أنه جربك بالإحسان إليك والظفر بأعدائك فوجدك غير شاكر لإحسانه
 ولم تحمده، بل سبحت الأصنام، و أما تفسير 'نقل' فإن الله قد قضى
 و حكم بزوال الملك عنك ونقله إلى^٢ كورش و دارا؛ قال: فلما سمع
 ٥ بلتشصار ما قال دانيال ازداد خوفه و فزع [و اضطرب قواده أيضا
 و فزعوا فزعا شديدا، و انصرفوا إلى منازلهم -^٣] و هم خائفون، فلما
 نام بلتشصر في تلك الليلة جاء إليه خادم من خدمه فقتله على فراشه،
 و أخذ رأسه و مضى إلى دارا و كورش، و أخبرهما بخبر بلتشصار و ما
 فعل من ابتذال آية القدس^٤، و خبر الكتابة التي كتبها الملك قدامه
 ١٠ و تفسير دانيال لها، و ما أخبره به من انقضاء ملكه و انتقال دولته إلى
 ملوك مادی و فارس بسبب ابتذاله آية القدس^٥، فلما سمع دارا و كورش
 ما أخبرهما به و نظرا رأس بلتشصار شكرا لله عز و جل و اعترفا بقدرته
 و أكثرا تسيحه و تمجيده^٦، و نذر كورش أنه يبني بيت^٧ الله بأورشليم،
 و يرد تلك الآية، و يطلق جالية اليهود أن يرجعوا إلى بلادهم، [ثم -^٨]
 ١٥ سار كورش و دارا^٩ من مواضعهما، و دخلا بابل و قتل جميع أهلها بأشد

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: تريد (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ
 و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: خدامه (٥) من ظ و م و مد،
 و في الأصل: المقدس (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: ملكه (٧) في ظ:
 تمجيده (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: دار.

القتل و أعظم العذاب ، فتم^١ عند ذلك ما أخبرت به الانبياء عليهم^٢
 الصلاة و السلام من انتقام الله تعالى من الكسديين^٣ و أهل بابل و مجازاتهم
 بما فعلوه^٤ بآنية^٥ قدسه ، ثم اقتسم دارا^٦ و كورش مملكة الكسديين^٧
 فأخذ دارا مدينة بابل و أعمالها / و تسلّم قصر بلتشصار و جلس على سريره ،
 ٢٧٨ / و أخذ كورش جميع مملكة الكسديين^٨ التي هي^٩ غير بابل و أعمالها^{١٠} ،
 و استقر الامر بينهما على ذلك ، و كان دارا^{١١} في ذلك الوقت شيخا
 فلم تطل مدته فلما مات اتفق عظماء مادي و فارس [على أن ملكوا عليهم
 كورش ، و منذ ذلك الوقت صار ملك مادي و فارس -^{١٢}] واحدا ،
 و بقى الامر على ذلك و لم يتغير ، و لما^{١٣} تسلّم كورش مملكة الكسديين^{١٤} .
 و جلس على كرسي بابل و ملك على مادي و فارس حركة الله تعالى في ١٥
 السنة الاولى من ملكه ، فذكر نذره الذي كان [قد -^{١٥}] نذر أنه [يطلق -^{١٦}]
 لجلالية بنى إسرائيل الرجوع إلى بلدهم . و أنه يبني قدس الله ، و يرد آلاته^{١٧}
 إليه ، فأمر باحضار شيوخ [الجالية -^{١٨}] و كبرائهم ، فأخبرهم بما قد عزم عليه
 من بناء بيت المقدس و إطلاقهم و قال [لهم -^{١٩}] : من اختار من^{٢٠}
 (١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : قيم (٢) زيد في م : افضل (٣) من ظ
 و م و مد ، و في الأصل : الكسرانيين (٤) من م ، و في الأصل و ظ و مد : فعلوا .
 (٥) زيد بعده في ظ : و أهل بابل ، و زيدت الواو في مد (٦) من ظ و م و مد ،
 و في الأصل : دار (٧) من م و مد . و في الأصل : الكسرانيين (٨) من م و مد ،
 و في الأصل : من (٩) العبارة من و تسلّم قصره إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) زيد
 من ظ و م و مد (١١) في مد : لم (١٢) في ظ : الانية (١٣) سقط من ظ .

جالية اليهود أن يعضى إلى مدينة القدس لبناء الهيكل الذى^١ أخربه بختنصر
فليمض ويستعن بالله عز وجل فانه يعينه ، و أنا كورش عبد الإله
العظيم أطلق من خزانتي جميع ما يحتاج إليه من المال والعدد لعمارة بيت
الرب الذى ظفرتى بالكسديانيين^٢ ، وأعطاني^٣ ملكهم ، قال : فلما سمع
• شيوخ الجالية مقالة كورش عظم^٤ سرورهم بذلك^٥ وشكروا الله عز وجل
على إحسانه ، وطلعوا [إلى - °] مدينة بيت المقدس ، ومعهم جماعة
كثيرة ، ومعهم عزرا^٦ الكاهن [عليه السلام - °] ونحميا^٧ ومردخاي
و يشوع^٨ وسائر رؤساء الجالية ومقدميهم ، فبنوا بيت الله على المقدار
الذى رسم لهم كورش ، وبنوا المذبح على واجبه وحدوده ، وقربوا
١٠ القرابين على واجبها ، وكان كورش يطلق [لهم - °] كل سنة ما يحتاجون
إليه لخدمة بيت الله من المال والحنطة والزيت والخمر والغنم والبقر^٩ .
وأطلق لهم مالا كثيرا ، ولم يزل الأمر [يجرى - °] على ذلك طول
مملكة الفرس ، قال : ثم عظم أمر كورش وبسط الله يده على جميع
الأمم والممالك ، وفتح^{١٠} له الحصون المنبئة وأعطاه كنوز الأرض

(١) زيد في الأصل : قد ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها (٢) من
ظ و م ومد ، وفي الأصل : بالكسريانيين (٣) في ظ : أعطاك (٤-٥) من ظ
وم ومد ، وفي الأصل : بذلك سرورهم (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) من ظ
وم ومد ، وفي الأصل : غرر ؛ وراجع للتفاصيل الآتية سفر عزرا من أسفار
الأنبياء (٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : نحا - كذا (٨) من م ومد ، وفي
الأصل و ظ : يسوع (٩ - ٩) في ظ : البقر والغنم (١٠) من ظ و م ومد ،
وفي الأصل : افتتح .

و ذخائرهما ، و لم يزل مقبلا مظفرا حينما توجه كما أخبر الله تعالى على يد أشعيا^١ النبي عليه السلام أنه يفعل ذلك بكورش^٢ [من أجل -^٣] إحسانه^٤ إلى بني إسرائيل ؛ قال في سفر الأنبياء في نبوة^٥ أشعيا بن آموص^٦ : هكذا يقول الرب : أنا الذي [أبطل -^٧] آيات العرافين ، و أصير كل ترفيهم جهلا ، و أرد الحكماء إلى خلفهم ، و أعرف أعمالهم للناس ،^٨ و أثبت كلمة عبيدي ، و أتمم قول رسلي ، لانه قال لاورشليم : إنها تعمر ، و لقرى يهوذا : إنها^٩ تبنى و تعمر^{١٠} خراباتها ، و يقول للغور أن يخرب و تيبس^{١١} أنهاره ، و يقول لكورش : ارفع لثم جميع إرادتي ، و تأمر ببناء اورشليم و تقيم هياكلها ،^{١٢} هكذا يقول الرب^{١٣} لمسيحه و كورش الذي أخذ^{١٤} يمينه لتخضع له الشعوب و يظهر على الملوك أبدا : أفتح^{١٥} الأبواب بين يديه ، و لا تنلق الأبواب أمامه ، أنا أسير قدامه ، و أسهل له العسر ، أكرس^{١٦} أبواب النحاس ، و أحطم أعغال^{١٧} الحديد ، و أعطيه الذخائر

- (١) من م و مد ، وفي الأصل : شعيا ، وفي ظ : شعيا (٢) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لكورش (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لاحسانه (٥ - ٥) من ظ و م و مد و سفر الأنبياء ، وفي الأصل : شعيا بن اعوض ؛ و راجع للواد الآتية آية ٢٥ من الأصحاح الرابع و الأربعين . (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تعمر و تبنى (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تقسى (٨) و من هنا يبتدئ الأصحاح الخامس و الأربعون . (٩) زيدت الوار بعده في الأصل ، و لم تكن في غيره فحذفناها (١٠) من م ، وفي الأصل و ظ و مد : اخذه (١١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الكبير (١٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : عال ؛ و الأعغال : آلات ترفع أو تقلع بها الحجارة .

التي في الظلمات ، و الأشياء المطمورة المستورة ، ليعلم أني أنا الرب الذي^١
دعوته قبل مولده [إله -^٢] إسرائيل^٣ ، من أجل عبدى يعقوب وإسرائيل
صغبي دعوتك باهتمامك ، و كنيك من قبل أن تعرفنى ، أنا الرب ولا إله
غيرى - انتهى ما فى سفر الأنبياء . ولم يزل كورش يحسن إلى بنى إسرائيل
ه حتى مات و ملك^٤ بعده ابنه تمكيشه^٥ فأفخذ^٦ ما كان صنعه أبوه من البر
إلى اليهود و إطلاق الأموال الكثيرة لهم^٧ تعظيما لبيت الله ، و كان من
بعده من ملوك الفرس على ذلك ، و يطلقون ما كان كورش يطلقه
للقرايين و غيرها ، و يحلون بيت الله و يعظمونه و يتركون به ، حتى^٨
كان أحشوريش - و هو أردشير الملك - فتغيرت حال اليهود فى زمانه
١٠ بسبب وزير استوزره من العماليق يسمى هامان ، ثم إن الله تعالى عطفه
عليهم^٩ بسبب زوجة^{١٠} [له -^{١١}] من اليهود ، و لم يزل أمرهم مستقيما
و هم تحت طاعة الفرس إلى أن ملك / الإسكندر الثانى ، قال ابن كثير^{١٢}
فى سورة الكهف : و هو الذى يؤرخ له من مملكة الروم ، و قد
كان قبل المسيح بنحو [من -^{١٣}] ثلاثمائة [سنة -^{١٤}] - [انتهى -^{١٥}] . و هو

(١) فى ظ : اتى (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : بنى إسرائيل (٤) من
ظ و م و مد ، و فى الأصل : تملك (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تمليشه .
(٦) من م ، و فى الآيل و ظ و مد : و انفذ (٧) سقط من ظ (٨) زيد فى
الأصل : اذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٩-٩) فى م : بزوجة .
(١٠) سقط من مد (١١) راجع آية ذى القرنين (١٢) زيد من ظ و م و مد
و تفسير ابن كثير .

المأقيدونى اليونانى الرومى ، ملك بعد قتل أبيه فليفوس ، و كان عمره حين ملك عشرين سنة ، و كان حكيما غارفا بسائر العلوم ، و كان الذى علمه الحكمة أرسطاطاليس الحكيم ، و كان الإسكندر يشاؤره فى أموره و يرجع إلى رأيه و يتدرب بتدبيره ، و لم يكن يشبه أباه و لا أفعه ، و كان وجهه كوجه الأسد و عيناه مختلفتين^٢ : اليمنى سوداء تنظر إلى ه أسفل ، و اليسرى^٣ صافية اللون كعين السنور تنظر إلى فوق ، و أسنانه دقيقة حادة كأسنان الكلب ، و كان شجاعا جريئا مقداما من صباه ، فلما فتح بلاد المغرب و رجع منها قصد بلاد الشام و توجه إلى بيت المقدس [فلقبه ملائكة الرب فأمره أن يعظم القدس و أهلها ، ففعل ثم قصد دارا الثانى ملك الفرس - °] ، فلما حاذى نابلس خرج إليه سنبلاط^٦ ١٠ السامرى صاحبها و حمل إليه أموالا كثيرة و هدايا ، ثم سار إلى دارا فقتله ، ثم إلى ملك الهند فكذلك ، [ثم - °] إلى مطلع الشمس ، ثم أحب أن يرى أطراف الأرض فضرب فيها ، و رأى من الأمم و العجائب ما هو مذكور فى سيره ، و رجع فمات بيبابل ، ثم كان أمر اليهود تارة [و تارة - °] و هم تحت حكم اليونان الذين ملكوا بعد الإسكندر ، ثم ١٥ غلب الروم فكان اليهود تحت أيديهم ، و كانوا يقومون و يقعدون تارة و تارة إلى أن كثرت فيهم الأحداث ، و عظمت المصائب و الفتن ، و عم الفساد ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتدبر (٢) من م و قد ، و فى الأصل و ظ : مختلفين (٣) من ظ و م و مد و فى الأصل : الاخرى (٤) فى ظ : النور (هـ) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) فى ظ : سنبلط .

و كثر فيهم الخوارج^١، و اتصل القتل و الغدر^٢ و النهب و الغارات ،
و قتلوا زكريا و يحيى ابنه عليهما السلام ، و أطبقوا على إرادة^٣ قتل المسيح
ابن مريم عليهما السلام ، فرفضه الله تعالى [إليه -^٤] ثم سلط عليهم
طيطوس^٥ قيصر [فأهلكهم -^٦] و أخرج البيت الخراب الثاني - كما
سيأتي ، ثم لم يبق لليهود أمر إلى الآن .

٥ قلنا ثبت بكون ما توعد [به -^٧] سبحانه في أوقاته كما أخبر به
بطشه و حله^٨، فثبت قدرته و علمه ، أشار إلى [أن -^٩] من سبب
إذلاله لمن يريد به الخير المعصية ، و سبب^٩ [إعزازه -^{١٠}] الطاعة ،
فقال تعالى : (ان احسنتم) أى بفعل الطاعة على حسب الأمر في الكتاب
١٠ الداعي إلى العدل و الإحسان (احسنتم لانفسكم ق) فان ذلك يوجب
كوني معكم^{١١} فأكسبكم عزاء^{١٢} في الدنيا أو في الآخرة أو فيها (و ان اساتم)
أى بارتكاب المحرمات و الإفساد (فلها) (الإساءة ، و ذكرها باللام
تنبيه على أنها^{١٣} أهل لزيادة النقرة لأن [كل -^{١٤}] أحد يتطير من نسبتها
إليه بأى عبارة كانت ، فاذا تطير مع العبارة المحبوبة فكيف يكون حاله
١٥ مع غيرها .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخوارج (٢) سقط من ظ و م و مد .
(٣) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٤) زيد
من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طيطوس (٦) العبارة
من هنا إلى « أشار إلى » ساقطة من ظ (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد ،
و فى الأصل : علمه (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثبت (١٠-١١) من
ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالسنتكم غدا (١١) فى ظ : ان .

و لما انتهزت فرصة الترغيب في الطاعة و الترهيب من المعصية ،
عطف الوعيد الثاني بالقاء إشارة إلى أنه بعد نصر بني إسرائيل على أهل
المرّة الأولى ، و لعلمها أيضا مؤذنة^١ بقرب مدتها من مدة الإدالة فقال
تعالى : ﴿ فاذا جاء ﴾ أى أتى إتيانا هو كالمجأ إليه قسرا على خلاف
ما يريد^٢ الآتى إليه ﴿ وعد الآخرة ﴾ أى وقته ، فاستألمتم البلاء لما ه
أفسدتم و أحدثتم من البلايا التى أعظمها قتل ذكريا و يحيى عليهما السلام
و العزم على قتل عيسى عليه السلام ﴿ ليسوءا ﴾ أى بعثا عليكم عبادا لنا
ليسوءوا ﴿ وجوهكم ﴾ أى يجعل^٣ آثار المساءة بادية فيها ، و حذف متعلق
اللام لدلالة الأول عليه ﴿ و ليدخلوا المسجد ﴾ أى الاقصو الذى
سقطناكم إليه من مصر فى تلك المدد الطوال^٤ ، و أعطيناكم بلاده بالتدرج ، ١٠
و جعلناه محل أمنكم [و عزم - *] ، ثم جعلناه محلا لإكرام أشرف خلقنا
بالإسراء به إليه و جمع أرواح النيين كلهم فيه و صلاته بهم ثم ، و هذا
تعريض بالتهديد لقريش بأنهم إن لم يرجعوا^٥ أبدل أمنهم^٦ فى الحرم
/ خوفا و عزم ذلا ، فأدخل عليهم جنودا^٧ لا قبل لهم بها ، و قد فعل ذلك
عام الفتح لكنه فعل إكرام لا إهانة بركة هذا النبي الكريم صلى الله عليه ١٥
و على آله و سلم و شرف و كرم و بجل و مجد و عظم دائما أبدا ﴿ كما دخلوه ﴾

(١) فى ظ : مودية (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نريده (٣) من ظ
وم و مد ، و فى الأصل : تجعل (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الطول .
(٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابدلنا منهم .
(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جنود .

أى الأعداء ﴿اول مرة﴾ بالسيف، و يقهروا^١ جميع جنودكم دفعة واحدة
 ﴿وايتبروا﴾ أى يهلكوا و يدمروا مع التقطيع و التفريق ﴿ما علوا﴾
 أى عليه من ذلك، و قيل: 'ما' مصدرية، أى مدة علوم فيكون "يتبروا"
 قاصرا فيعظم مدلوله، و أكد الفعل و حقق الوعد فقال: ﴿تقيرا﴾ .
 ٥ و قال فى التوراة إشارة إلى هذه المرة الأخيرة - والله أعلم -
 بعد ما مضى من الإشارة إلى المرة الأولى سواء^٢: و إن [لم - ٢] تحفظ
 و تعمل بجميع الوصايا و السنن التى كتبت فى هذا الكتاب [لتتق] الله
 ربك و تهاب اسمه المحمود المرهوب، يخلصك الرب بضربات موجعة
 و يتليك بها و يتلى نسلك من بعدك، و ينزل بك جميع الضربات التى
 ١٠ أنزلها بأهل مصر و تدوم عليك، و كل و جع و كل ضربة لم تكتب فى
 هذا الكتاب - ٢ [يتليك الله بها حتى تهلك و يبقى^٣ من نسلك عدد
 قليل من بعد كثرتهم التى كانت قد صارت مثل نجوم السماء، لأنك
 لم تسمع قول الله ربك، فيكون كما فرحكم الرب و أنعم عليكم و كثركم
 يستأصلكم بالعقاب و النكال، و يدمر عليكم و ينافكم، و تجلون عن^٤
 ١٥ الأرض التى تدخلونها لثروتها، و يفرقكم الرب بين جميع الشعوب من
 أقطار السماء إلى أقطارها، و تعبدون [هناك - ٢] الآلهة الأخرى التى
 (١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يقهر (٢) راجع آية ٩٥ و ما بعدها من
 الأصحاح الثامن و العشرين من تغية (٣) زيد ما بين الحاذرين من ظ و م
 و مد (٤) فى الأصول: و تتقى، و التصحيح بناء على نص التوراة (٥) من ظ
 و م و مد، و فى الأصل «و» (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تبقى .
 (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على .

عملت من الحجارة والخشب لم تعرفوها أنتم ولا آباؤكم، ولا تسكنون
أيضا بين تلك الشعوب ولا تكون^١ راحة لأقدامكم، [ولكن - ٢]
يصير^٣ الله قلوبكم فوعة مرتجفة، و يتليكم بظلة العين و سيلان الأنف،
و تكون^٤ حياتكم معلقة حيالكم من بعيد، و تكونون^٥ فزعين الليل و النهار،
ولا تصدقون أنكم تعيشون، بالغداة تقولون: متى [نمسى؟ و بالعشى ٥
تقولون: متى - ٢] نصبح؟ و ذلك من فزع قلوبكم و خوفكم و^٦ من ظلة
أبصاركم و قلة حيلكم، و يردكم الله إلى أرض مصر في سفن على الحال
الذي قلت لكم، لا تعودون أن تروها أبدا، و تباعون^٧ هناك عبيدا و إماء،
و لا يكون من يشتريكم، هذه أقوال^٨ العهد التي أمر الله بها موسى^٩ أن
يعاهد بني إسرائيل في أرض موآب سوى العهد الذي عاهدكم ١٠
بحوريب - انتهى .

و إنما قلت : إن هذا إشارة إلى المرة الثانية ، لأنه تكرير لذلك
[الذي - ٢] قدمته في الأولى ، لحمله على أن يكون مشيرا إلى غير ما
أشار إليه الأول أولى . بل ربما كان متعينا ، ثم أخبرني بعض فضلاء
اليهود أن علماءهم قالوا كذلك ، و كان الخراب في هذه المرة على يد طيطوس ١٥

(١) من ظ - و قد زيد فيه : من - و م و مد ، و في الأصل : لا يكون (٢) زيد
ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل :
يضرب (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يكون (٥) من ظ و م و مد ،
و في الأصل : تكون (٦) سقطت الواو من ظ (٧) في ظ : تباعدون (٨) في
ظ : الاقوال (٩) زیدت الواو فی النسخ كلها ، ولم تكن في التوراة لحذفها .

بعد أن تملك أبوه أسفسيانوس على الروم و رجع من الأرض المقدسة
 بعد موت ملكهم تيروس الذي كان أرسله لقتال اليهود لما خرجوا عن
 طاعته ، وكان معه يوسف بن كريون أحد أكابر اليهود ، وكان أحد من
 ندبه اليهود لقتال أسفسيانوس و من معه ، فأسروه وأحسنوا إليه فاستمر
 عندهم ، فلما مات تيروس وملكه أصحابه^٥ رجع إلى رومية وبعث ابنه
 للفراغ من القدس وبعث يوسف معه بمد أن استمر البيت عامراً^٦ من
 عمارة العزيز عليه السلام أربعائة [سنة - ٢] وعشرين سنة ، ولم يدخل
 [بعد - ٣] هذا الخراب في أيدي اليهود ، وكان هذا ثلاثمائة^٧ سنة^٨
 وثمانين سنة من ولاية الإسكندر ، وقال مؤرخهم في شرح هذا الخراب :
 ١٠ إن طيطوس كان في قيسارية ، فسار منها حتى انتهى [إلى - ٢] يالو
 فأخذ^٩ من نقادة عسكره ستمائة رجل ، و سار إلى بيت المقدس ليقف
 على أحوال المدينة ، و ينظر الحصن ، و يعلم ما يحتاج إلى عمله ، و يدبر^{١٠}
 الأمور^{١١} بحسب ذلك ، و عمل على أن يرأسل أهل بيت المقدس بالجميل
 و يدعوهم إلى المسألة و يبذل^{١٢} لهم الأمان ، فلما قرب / [من - ٢] المدينة

/ ٢٨٩

(١) زيدت الواو في مد (٢) في ظ : عمارا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد
 من م (٥) من م و مد ، وفي الأصل : الثلاثمائة (٦) العبارة من « وعشرين
 سنة » إلى هنا ساقطة من ظ (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لم يدخل .
 (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : قاعة - كذا (٩) من ظ و م و مد ،
 وفي الأصل : يدمر (١٠) من م ، وفي الأصل و ظ و مد : الامر (١١) من
 ظ و م و مد ، وفي الأصل : يقول .

وجد^۱ الأبواب مغلقة ، و ليس يخرج من المدينة و لا يدخل إليها أحد
لما بين الخوارج من الحروب المتصلة ، فاجد من خاطبه من القوم ،
فانصرف راجعا إلى عسكره .

قال : و كان قوم من أصحاب الخوارج لما علوا بمجيء طيطوس
قد خرجوا من المدينة ، فكنتوا له في بعض الطريق ، فلما اجتاز بهم^۵
و هو راجع أحاطوا به و حالوا بينه و بين أصحابه^۶ ، فقاتلهم قتالا شديدا
حتى خلع بعد أن أشرف على الهلاك ، فلم ما القوم عليه من النجدة
و الشر فأعد لذلك عدته لما أراد الله من خراب القدس ، و كان الله
سبحانه و تعالى ملكه و عز سلطانه قد أظهر لبنى إسرائيل أمورا دلتهم
على زوال أمرهم لو أنهم تبصروا^۷ ، منها شبه كوكب كبير له نور قوى^{۱۰}
و ضوء شديد كان القدس يضيء منه^۸ البلد كله^۹ طول الليل قريبا من
ضوء النهار ، فأقام كذلك سبعة أيام مدة عيد الفصح^{۱۱} ، ففرح به الجهال
واغتم العلماء ، و منها أنهم أحضروا في هذا العيد بقرة ليقربوها ، فولدت
خروفا فاستنكر الناس ذلك ، و منها أن باب القدس الشرقي كان عظيما
ثقيل لا يعالجه إلا جماعة ، فلما كان [في - ٦] تلك الأيام كانوا^{۱۵}
يحدونه كل يوم مفتوحا من غير قاتح ، فيجتمع^{۱۲} الرجال المعتادون له
فيخلقونه ثم يعودون إليه فيجدونه مفتوحا ، فكان الجهال يفرحون و العلماء
(۱) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فوجد (۲) في ظ : عسكره (۳) من ظ
وم و مد ، وفي الأصل : يبصروا (۴- ۵) في م : جميع البلد (۵) من ظ و م و مد ،
وفي الأصل : الفصيح (۶) زيد من م (۷) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : فيجتمعون .

يقتمون ، ومنها أنه ظهر على بيت قدس الاقداس في الهواء صورة
وجه الإنسان شديد الحسن عظيم البهاء^١ و التور ، ومنها أنه ظهر أيضا
في الجو صور^٢ ركبان من نار يطيرون في الهواء قريبا من الأرض على
بيت المقدس وعلى جميع أرض اليهود ، ومنها أنه سمع الكهنة في
ليلة عيد العنصرة^٣ في القدس حس جماعة كثيرة يذهبون و يجثون في
الهيكل من غير أن يروهم^٤ بل كانوا يسمعون و طأهم فقط ، ثم سمعوا
صوتا عظيما يقول^٥ : أمضوا بنا حتى نرتحل عن هذا البيت ، ومنها أنه
[كان -^٦] قد ظهر قبل هذا بأربع سنين في المدينة رجل يمشي
كالجنون و يصبح بأعلى صوت يقول : صوت من المشرق^٧ ، صوت من
١٠ المغرب ، صوت من أربع جهات الدنيا ، صوت على^٨ أورشلام ،
و صوت على الهيكل ، صوت على الحصن ، و صوت على القروس^٩ ،
و صوت على جميع الناس ، الويل على أورشلام ، الويل على أورشلام ،
و كان لا يهدأ^{١٠} من هذا الكلام ، و كان الناس يغيضونه و يزجرونه
و يتصورونه بالجنون ، فلم يزل على ذلك إلى أن أحاط العدو بالمدينة ،
(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : البلاء (٢) من م و مد ، وفي الأصل و ظ :
صورة (٣) هو عيد تذكّار حلول الروح القدس على التلاميذ يقع بعد عيد الفصح
بخمسين يوما ، وعند اليهود هو عيد تذكّار نزول^٤ الشريعة في طور سيناء .
(٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يرون (٥) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : يقال (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيدت الواو بعده في الأصل
و لم تكن في ظ و م و مد لحذفها (٨) زيد في الأصل : اكده ، و لم تكن
الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٩) في ظ : القروس ، وفي م : القروس ، وفي
مد : القروس ، و لم تتمكن من ضبط الكلمة (١٠) في ظ : لا يهدى .

فابتدا [في - ١] بعض الأيام يتكلم على عادته ، فأناه حجر في رأسه فات
و وجد في حائط قدس الأقداس حجر قديم مكتوب عليه « إذا صار
بنيان الهيكل مربعا ملك على [أرض - ٢] بنى إسرائيل ملك عظيم ، و يتسلط
على سائر الأرض ، فقال قوم : هو ملك بنى إسرائيل ، وقال الحكماء والكهنة :
بل ملك الروم ، و وجد أيضا حجر قديم مكتوب عليه « إذا كمل بنيان ه
القدس و صار مربعا فانه عند ذلك يخرب ، فلما وقع الحصار و انهدم
أنطونيا^٢ سدوا السور فصار الهيكل مربعا كما سيأتي ، وأعظم الامارات
ما كان عليه خوارجهم من^٤ القتال ، و سفك دماء الخاص و العام ،
و الحريق و الجوع ، بحيث أنه أحاط البلاء بهم [وجميع الناس - ١]
و لا يحدون مهريا حتى كرهوا الحياة .

١٠

و لما خلاص طيطوس من الخوارج بات في عسكره ، ثم سار بالليل
من يالو^٥ ، فأصبح على^٦ بيت المقدس و نزل على رأس جبل الزيتون
الذى في^٧ شرق المدينة أورشليم ، ليحجز^٨ الوادى بينه و بينها و لا يخفى
عليه من / يخرج إليه منها ، ثم رتب عسكره و وصاهم بالتعاون و النظافر
و اليقظة و الحذر ، و أن لا يفارق بعضهم بعضا ، و قال : إنكم تقاتلون ١٥
قوما لم تقاتلوا^٩ مثلهم في البأس و الشجاعة و الصبر على القتال و البصر

٢٨٢ /

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) زيد من م ومد (٣) اسم لسور موضع متصل
بالقدس - كما سيأتي (٤) في م : في (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : يالوا -
وقد مر (٦) زيد في الأصل : راس ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها .
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ليحجزوا (٩) من م
ومد ، وفي الأصل : لم يقاتلوا ، وفي ظ : لم يقاتلون .

بالحرب^١، فلما رآه اليهود اصططح رؤساء^٢ الخوارج يوحانان^٣ وشمعون
والعازار على أن [لا - ^٤] يحارب بعضهم بعضا ويتفقوا على محاربة
الروم، واجتمعوا وفتحوا باب المدينة ولقوا من كان قرب من
الروم، فقاتلهم واشتد الحرب فانهزم^٥ الروم، فردهم طيطوس وشجعهم
فعادوا فكانت^٦ بينهم حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير، وانهزم اليهود
فوقضوا عند السور وبثوا جريدة من^٧ أصحابهم في عدد كثير من جهة
أخرى، فداروا من وراء عسكر الروم، وزحف أولئك من أمامهم،
فكان الروم بين العسكرين^٨ فقتل منهم خلق كثير فانهزموا، وثبت
طيطوس في جمع^٩ من أصحابه فاشتد الأمر حتى كاد^{١٠} يقتل، فقال أصحابه:
١٠. امض إلى الجبل، فاختر الموت على الهزيمة ولم يزل يقاتلهم حتى تخلص
بعد أن استظهر عليه اليهود ثلاث دفعات، ولما عاد^{١١} اليهود إلى
المدينة نقضوا عهودهم وحارب بعضهم بعضا كما كانوا،^{١٢} لأن يوحانان^{١٣}
كان يريد الرئاسة، وكان شمعون والعازار يأيان ذلك، وحضر
عيد الفصح - وهو الفطير - فدخل يوحانان^{١٤} في أصحابه إلى القدس

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: في الحرب (٢) زيد في الأصل: اليهود،
ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل:
يوماتان (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل: وانهزم.
(٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: وكانت (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل:
في (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل: عسكرين (٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل:
وفي الأصل: جميع (١٠) في ظ: كان (١١) من ظ و م ومد، وفي الأصل:
عاهد (١٢-١٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لا يوماتان - كذا.

في اليوم الأول ، فلقبهم الناس بالجيل و سروا بهم ، قزعوا^١ ما ظهر من ثيابهم فاذا تحتها السلاح ، و أخذوا على الناس الابواب ، فقتلوا خلقا كثيرا من الكهنة و غيرهم و لم يرحوا صغيرا و لا كبيرا ، فقتل العازار و شمعون من كان خارج [القدس -^٢] من جماعة يوحانان^٣ ، فخرج إليهم و اشتد الأمر و اتصلت الحرب ، فلما علم طيطوس زحف إلى ٥ المدينة فقال له قوم من اليهود الذين على السور : نفتح لك الباب على أن تؤمننا و تريحنا من هؤلاء الخوارج ، فلم يثق [بهم -^٤] لما ظهر لهم من شرم و غدرهم ، و علت الأصوات في المدينة ، لأن بعضهم كان يريد أن يفتح لطيطوس و بعضهم^٥ يمنع ، و تبادروا^٦ إلى حفظ الابواب [و السور ، فتقدم جماعة من الروم إلى المدينة طمعا في أن يفتح لهم ١٠ الباب -^٧] فرماهم الخوارج بالحجارة و النشاب ، و أعانهم الذين كانوا استدعوا الروم للدخول ، ثم خرج جماعة من اليهود فهزموا الروم و أنكروا فيهم و تبعوهم إلى قرب عسكرهم ، و شرعوا يهزأون بهم و يعيرونهم^٨ بالهزيمة ، فأراد من في العسكر أن يلاقوهم فمنعهم طيطوس و اشتد غضبه على^٩ أصحابه^{١٠} و قال : لست أعجب من اليهود في غدرهم ، ولكن أعجب ١٥ منكم مع بصركم [بالحرب -^{١١}] و كثرة تجاربكم كيف خدعوكم ؟

- (١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : و زرعوا (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يومئذ (٤) زيد في الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لخذلناها (٥ - هـ) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
 تبادروا (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يعيرون (٧ - ٧) في ظ : الصحابة .

فضيتم إلى المدينة بغير أمرى وخالفتم وصيقى، ولذلك انهزمت لانه
لا يجوز للرعية أن تخالف أمر الملك، وقد علمت أن بعض ملوكنا
قتل ابنه لانه مضى إلى الحرب بغير أمره، فأنتم مستحقون للقتل بعصيانى،
مستوجبون لما جرى عليكم من الهزيمة، فسجد أصحاب طيطوس [له - ١]
٥ واعترفوا بخطأهم وقالوا: لا نعاود، فأمرهم أن يعدلوا ما حول المدينة
من المعائر والوهداث، و يسدوا الآبار^٢ ليسهل عليهم القتال ويهدم
السور، ففعلوا [ذلك - ١] و قطعوا كل ما حول المدينة من الشجر
والنبات، و كان حولها من سائر الجهات بساتين كثيرة فيها أنواع
الأشجار والفواكه مسيرة أميال من كل جهة، فكان إذا أقبل إنسان
١٠ عليها يرى أحسن منظر فلم يبق الروم من ذلك شيئا، و كان من يعرف
تلك البساتين إذا رآها بعد إتلافها يبكى ويستوحش، و اشتغل اليهود
بخوارجهم، و اتفق^٣ شمعون والعازار على يوحانان^٤ و كان قد ملك
القدس / و معه ثمانية آلاف و أربعمئة رجل من الشجعان، و كان
[مع - ١] شمعون عشرة آلاف من اليهود و خمسة آلاف من أدوم^٥.
١٥ - أى^٦ النصارى - و كان الكهنة و جماعة من أهل المدينة مع العازار،
و حصل الناس^٧ بين هؤلاء بأسوأ حال، و كانوا إذا استظهر الروم
على المدينة اتفقوا و حاربوهم^٨. فاذا دفعوهم^٩ عادوا إلى الشر فيما بينهم.

/ ٢٨٣

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : الابواب (٣) فى ظ : اشتغل (٤) من
ظ و م و مد، وفى الأصل : يومانان (٥) فى ظ : ازوم (٦) من ظ و م و مد،
وفى الأصل : من (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل : للناس (٨-٨) من ظ
م و مد، وفى الأصل : و اذا دفعوا .

ثم إن طيطوس أحضر كبش^١ الحديد و غيره من^٢ آلات القتال^٣
 ليهدم السور، و صنع [أبراجا -^٤] عظيمة من الخشب توازي^٥ سور
 المدينة و تحتها بكر ليدفعها الرجال و تصعد عليها المقاتلة، و أرسل إليهم
 رجلا من أصحابه يدعومهم إلى المسالة فرماه بعض من على السور قهقهة،
 و اصططح الخوارج [و خرجوا -^٦] إلى الروم فقاتلهم^٧ و أحرقوا^٨
 الكبش و جميع تلك الآلات و أبعدوهم و رجعوا إلى المدينة يتقاتلون،
 فلما علم^٩ طيطوس بذلك دفع الكبش على السور فهدم منه قطعة كبيرة،
 فهرب من كان وراءه إلى السور الثاني، فأبعد^{١٠} الروم ما سقط من حجارة
 السور ليتسع لهم المجال، فاصططح الخوارج و فرقوا أصحابهم على جهات
 المدينة، و اشتد القتال بينهم و بين الروم،^{١١} و صدق الفريقان^{١٢}، و تولى^{١٣}
 طيطوس الحرب بنفسه، و أقبل يشجع أصحابه و يعدم بالأموال و الصلات،
 و شجع الخوارج أصحابهم و نادى [شمعون -^{١٤}] : من انهزم قتل
 و هدم منزله .

فلما رأى طيطوس ثبات أصحاب شمعون مال^{١٥} إلى جهة يوحانان،
 ولأنها معتدلة و طيبة، و أراد أن ينطح^{١٦} السور الثاني، فناداه رجل ١٥

(١) في ظ : لبس - كذا (٢ - ٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : آلات
 للقتل (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ :
 توارى (هـ) في ظ : فقتلوه (٦) زيد في الأصل : بذلك، ولم تكن الزيادة في ظ
 و م و مد لحذفها (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل : و أبعد (٨-٨) تكرر
 ما بين الرقيين في الأصل فقط (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل : قال (١٠) من
 م و مد، وفي الأصل : ينطح، وفي ظ : نطح .

اسمه قصطور^١ من فوق السور: أسألك يا سيدي أن تشفق [على - ^٢]
 هذه المدينة و الأمر يجرى على ما تحب، فظن طيطوس صدقه فتوقف
^٢ و شرع^٣ يكلمه، و أطال المراجعة احتيالا منه ليتمكن أصحابه من
 إحراق الكبش، ثم سأله أن يبعث [له - ^٤] شخصا من أصحابه ليتفق
 معه، فأرسل إليه شخصا من وجوه الروم فقال [له - ^٥]: اقرب حتى
 ألقى إليك ما لي ثم^٦ أنزل، فألقى [عليه - ^٧] صخرة فأخطأته وقتلت^٨
 رجلا كان معه، فغضب طيطوس و دفع الكبش على [السور - ^٩]
 الثاني فانهدم^{١٠} منه قطعة كبيرة، فاشتد أسف قصطور فقتل نفسه،
 و تبادر اليهود فتمنوا الروم من الدخول من الموضع الذي ائلم،
 ١٠ و حاربهم إلى أن أخرجوهم عن السور الأول و قتلوا جماعة منهم،
 و اتصلت [الحرب - ^{١١}] بين الفريقين أربعة أيام، و ورد على طيطوس
 في اليوم الرابع عسكر كبير من أمم مختلفة تعينه على اليهود، فخرج
 اليهود على عادتهم^{١٢} [فقاتلوهم - ^{١٣}] فلم تكن لهم بهم طاقة [فانهزموا - ^{١٤}]
 و دخلوا إلى الحصن الثالث، فأمر طيطوس برفع الحرب و كف عنهم
 ١٥ خمسة أيام،^{١٥} و ركب^{١٦} في اليوم الخامس و تقدم إلى قرب^{١٧} السور،

(١) في ظ: قسطور (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٢) من ظ و م و مد، وفي
 الأصل: فشرع (٤) تكرر في الأصل فقط (٥) من ظ و م و مد، وفي
 الأصل: قتل (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ: فهدم (٧) من ظ و م
 و مد، وفي الأصل: عاداتهم (٨-٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فلما كان.
 (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اقرب.

فوجد يوحانان و شمعون و أصحابها قد خرجوا من المدينة ليحرقوا الكباش ، فابتدأهم طيطوس بالسلام و خاطبهم بالجميل و الملاطفة و قال :
 قد رأيتم ما جرى من [هدم - ١] هذين السورين ، و ليس يتعذر هدم السور^٢ الثالث ، و قد علمتم أنكم ما انتفعتم في هذه المدة بما فعلتموه ، و كذلك لا تتفعون أيضا بدوامكم على ما أتم عليه من اللجاج في^٣ مخالفتنا . ه
 فارجعوا عن ذلك قبل أن أهدم^٤ هذا السور الباقي ، و أستريح المدينة ، و أخرب الهيكل ، و لست أختار ذلك و لا أريده ، فان رجعتم إلى طاعتنا كنا لكم على أفضل ما عهدتموه منا ، و دامت لكم السلامة ، و زال عنكم ما أتم فيه من المكروه .

و أمر يوسف بن كريون أن يقرب منهم و يبلغ معهم^٥ الغاية ١٠
 في القول و يستدعيهم إلى المسألة و يبدل [لهم - ٦] من الأمان و العهد ما يثقون به و يسكنون^٧ إليه ، فوقف قدام باب المدينة و قال :
 اسمعوا [مني - ٨] يا معشر بني إسرائيل ما أنا مخاطبكم به ، فاني [إنما - ٩]
 ٢٨٤ / مخاطبكم بما ينفعكم و يعود بصلاحكم إن قبلتموه ، [و - ١٠] اعلموا أن
 محاربة الأعداء و مقاومتهم قد كانت نحسن بكم حين كانت بلدانكم ١٥
 عامرة ، و عساكركم متوافرة^{١١} ، و أحوالكم مستقيمة ، فأما بعد^{١٢} أن

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) في م : من .
 (٤) في ظ : انهدم (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : منهم (٦) زيد من م
 و مد (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تسكنون (٨) زيد من م (٩) من
 م و مد ، و في الأصل : مواقرة ، و في ظ : متواترة (١٠) سقط من ظ .

بلغتم إلى هذه 'الحال'، من 'خراب البلدان وفناء الرجال'، وذهاب
 النعم واختلال الأحوال، فكيف تطمعون في مقاومة هذه الأمة العظيمة
 القوية التي قد^٢ قهرت الممالك والأمم وابتولت عليهم، فعلى أى
 شيء تعتمدون؟^٣ فإن قلتم^٤: إنا نعتد على الله عز وجل ونرجو
 أن ينصرنا كما جرت عادته مع آبائنا، فيجب أن تعلموا أنه هو الذى
 سلط عليكم^٥ هذه الأمة لسوء أفعالكم^٦ وكثرة ذنوبكم^٧، لأنكم ارتكبتم
 المحارم، وسفكتم الدماء، ونجستم هيكل الله المقدس، وقتلتم كهنته
 وصلحاء أمته ظلماً، فكيف ترجون من الله النصر والمعونة مع هذه
 الأفعال^٨ القبيحة والله لا ينصر من عصاه، وإن كنتم تتكلمون على
 الحصون والعدد والعساكر فأنتم تعلمون [أن -^٩] جميع ذلك قد ذهب^{١٠}
 أكثره، ولم يبق [منه -^{١١}] إلا القليل، وهذه المدينة قد هدم^{١٢}
 سوران^{١٣} من أسوارها^{١٤} ولم يبق غير^{١٥} واحد و هم^{١٦} مجدون في
 هدمه، وأنتم كل يوم في نقصان وضعف وعدوكم في زيادة وقوة،
 فإن دتم على ما أنتم [عليه -^{١٧}] هلكتم ولم^{١٨} يبق منكم باقية، فإن

(١-١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: المحال لمن (٢) سقط من م (٣-٣) من
 ظ و م ومد، وفي الأصل: قاتم (٤) من ظ، وفي الأصل: عليهم، والكلمة
 ساقطة من م ومد (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل: فعالكم (٦) زيد في
 م: القديمة (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) في ظ: ذكر (٩) في ظ: ذهب.
 (١٠-١٠) من ظ و م ومد، وفي الأصل: منها (١١) من ظ و م ومد،
 وفي الأصل: الا (١٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: أنتم (١٣) ومن هنا
 إلى ما سنبه عليه تعرضت نسخة مد لا نظماس يصعب معه إجراء المقابلة عليها.

قلت: إنا نختار القتل على الذل للأمم و طاعتهم، فقد علمت أن آباءنا
و أصولنا - وهم السادة الذين يحب علينا أن نقدي بهم - لم يمتنعوا من
ميسلة الأمم الذين جاوروهم و مداراتهم، ولو كان أمرا مكروها
لقد كانوا^١ أولى بكرهته منكم، والمتقدمون منا أطاعوا المصريين في
أزمان كثيرة و ملوك الموصل و التكدانيين^٢ و الفرس ثم اليونانيين^٣
الذين جاروا عليهم و أساءوا إليهم و صبروا على ظلمهم لهم إلى أن
أذن الله بخلصهم [منهم - ٢] على أيدي [بنى - ٢] حشمتاي الكهنة،
ثم أطاعوا بعد ذلك ملوك الروم إلى هذه الغاية، ولم يروا أن عليهم
نقصا في طاعتهم، و كذلك أتم [إن - ٢] أطعتموهم كان ذلك أولى بكم
من أن تعرضوا أنفسكم للهلاك، و نعمتكم للزوال، و بلدكم للخراب، ١٠
و تحصلوا^٤ بعد ذلك في أضعاف ما كرهتموه من الذل، و لا يعذركم
في ذلك عاقل و لا يحمدرأيكم، على أن الروم ما زالوا محسنين إليكم،
كفؤكم أمر أعدائكم من اليونانيين، و أزالوا سلطانهم عنكم، و أعانوكم على
كثير من الأمم الذين يعادونكم [حتى غلبتموهم - ٥] و استوليت عليهم،
فأتم بطاعتهم^٦ أولى منكم بمحبتهم، و قد علمت أن الله عز و جل ١٥
قد جعل لكل أمة دولة و سلطانا سلطها فيه، فإذا [انقضى - ٢] ذلك
الزمان زالت دولتها و سلطانها فذلت لغيرها و خضعت^٧ لمن كان يخضع لها،

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: لكان وا (٢) من م، وفي الأصل وظ:
الكرانيين (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، وفي الأصل وظ: تخلصوا (٥) زيد
من م، و موضعه في ظ: غلبتموها (٦) من م، وفي الأصل: بطاعتكم، وفي
ظ: بطاعته (٧) من ظ و م، وفي الأصل: خضعت - كذا.

وقد بسط الله أيديكم زمانا ، و سلطكم على غيركم دهرا ، ثم جعل الدولة
والسلطان لسواكم ، وأراد أن يذلكم لهم ، ففتى خالفتم مراد الله
ولم تقبلوا حكمه هلكتم ، وليس يشك في أن الله أراد في هذا الزمان
أن يرفع الروم ويبسط^١ أيديهم ، لانه قد أذل [لهم - ٢] الملوك
و ظفرهم بالأمم حتى أطاعهم من في سائر جهات الدنيا من هو أشد منكم
بأسا ، وأكثر عددا ، وأقوى سلطانا ، وكيف تطمعون في أن تغلبوهم
و أنتم تشاهدون إقبالهم وقوة^٢ أمرهم ومعونة الله لهم ، و ترون أنفسكم
بخلاف ذلك ، وليس يعيب الإنسان ولا ينقصه طاعته لمن هو أقوى
منه وأعلى يدا ، لأن الله عز وجل قد جعل أمر الخلق في الدنيا مبني
على أن يكون بعضهم تابعا لبعض ، وبعضهم قاهرا لبعض ، وبعضهم

/ ٢٨٥

محتاجا إلى / بعض ، وكل صنف يخضع لمن هو أقوى منه و يذل له
و يطيعه ، وذلك ظاهر موجود في الناس على طبقاتهم ، وفي الحيوانات
على اختلافها ، وليس يستغنى عن ذلك أحد ، ولا يذمه عاقل ، وإذا
كان الأمر كذلك فليس ينقصكم طاعة الروم ، ولا الروم بأول من
أطعموهم وقد تقدمت^٣ طاعتكم لهم منذ سنين ، وقد ابتدأوكم في هذا
الوقت بالجيل ، ودعوكم إلى المسالمة ، وبذلوا لكم الأمان ، وضمنوا
لكم الإحسان ، وظهر منهم الإشفاق^٤ على مدينتكم و قدسكم فائقوا الله ،

(١) زيد في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) زيد من ظ
وم (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : قراة (٤) من م ، وفي الأصل وظ : ان .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : قدمت (٦) زيد في الأصل وظ : عليكم ،
ولم تكن الزيادة في م لحذفناها .

وتلافوا أمركم ، وأحسنوا النظر لمن بقي منكم ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه من طاعتهم^٢ لتبقوا وتتمسك أحوالكم ، وتسلم هذه المدينة وهذا القدس الجليل قبل أن يهدم هذا الحصن الباقي فتهلكوا .

فصاح الخوارج بشتم يوسف و الفرية عليه ورموه بالسهم والحجارة ، فتباعد^٣ قليلا وأغلظ لهم في الكلام وقال : يا معشره العصابة أخبروني^٤ بما الذي حكمكم على قتال [الروم - ٥] إن كنتم تقصدون بذلك صيانة القدس عن^٦ الأعداء [فأنتم - ٧] قد ابتدئتموه بالمعاصي ونجستموه بما سفكتم فيه من الدماء الكثيرة^٨ [ظلمنا - ٩] ، وإن كنتم تريدون نصرة الأمة وإعزازها^{١٠} فأنتم تقتلونهم بأيديكم وتبالغون في ظلمها والإساءة إليها ، وهل يفعل الأعداء بكم أكثر^{١١} مما فعلتموه؟^{١٢} أو يبلغون^{١٣} فيكم أكثر مما [قد - ١٤] بلغتموه في أنفسكم؟ أخبروني متى كان من تقدم من أمتنا أو تأخر يغلبون من يحاربهم ويستظهرون على أعدائهم^{١٥} بالعساكر^{١٦} والعدد دون الصلاح

- (١) في ظ : الظن (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : اليه (٣) في ظ : طاعتكم .
(٤-٤) من ظ وم ، وفي الأصل : عليهم ورموا (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : وتباعد (٦-٦) من ظ وم ، وفي الأصل : بالذي (٧) ريد من ظ وم (٨) في ظ : على (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : ابتدئتموه ، ومن بعده تستأنف نسخة مد .
(١٠) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : الكثير (١١) زيد من ظ وم ومد .
(١٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : اعذارها (١٣-١٣) في ظ : وتبالغون .
(١٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : أعدائكم (١٥) في ظ وم : بالعسكر .

و التقوى ؟ وهل تخلص^١ من تخلص^٢ من الشدائد إلا بطاعة الله و الدعاء له ؟
 و هل [كانوا -^٣] يغلبون^٤ إلا بنصر^٥ الله لهم و معوته إياهم ؟ و هل كان
 ينصرهم^٦ إلا إذا أطاعوه و اتقوه ؟ فلما عصوه سلط عليهم الأعداء
 و مكنتهم منهم حتى قهروهم و أذلومهم ، و لم ينتفعوا بعددهم و سلاحهم
 ه و لا قدروا على مقاومة الأعداء بأسهم و قوتهم ، و قد علمت أن الله
 عز و جل كفى الصالحين في كل زمان أمر أعدائهم ، فمنهم من دعا الله
 عز و جل عند الشدائد فاستجاب له بلا حرب ، و أظهر^٧ الآيات العظيمة
 في معوتهم و كفايتهم ، فبلغوا بذلك ما لم يكونوا يلبثون إليه بحولهم
 و قوتهم ، و منهم من حارب الأعداء و استعان بالله عز و جل فأعانه
 ١٠ على عدوه و ظفقه به ، و لم يفعل الله مثل ذلك مع^٨ العصاة ليظهر^٩
 فضيلة الصالحين ، اعتبروا بأبيكم إبراهيم عليه السلام ، لما أخذ فرعون
 امرأته^{١٠} ألم يضرب الله فرعون و أهله بالبلاء العظيم حتى خضع فانكسر
 و رد امرأة إبراهيم عليه السلام و هى سليمة ، ثم أحسن إليه و أكرمه ،
 فهل قدر إبراهيم عليه السلام على ذلك بالسيف و المحاربة أو^{١١} بالصلاح
 (١) من م و مد ، و فى الأصل وظ : يخلص (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م
 و مد ، و فى الأصل : تغلبون (٤) فى م : بنصرة (٥) زيد فى الأصل : بعددهم ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ : استجاب (٧) من ظ و م
 و مد ، و فى الأصل : العصا ليظهره (٨) راجع أخبار الأوصياء فى التوراة
 فى باب التكوين من التوراة ؛ و أغلب الأمثلة الآتية مستفادة من التوراة
 و غيرها من الأسفار القديمة (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » .
 و الدعاء

و الدعاء إلى الله عز و جل ؟ و كذلك^١ فعل الله مع إسحاق عليه السلام
لما أخذ أيساخ ملك فلسطين امرأته^٢، و قد علمت أن موسى عليه السلام
[لم يستظهر -^٣] على فرعون و عساكر المصريين حتى هلكوا و تخلصت
أمة بنى إسرائيل منهم بحرب و لا عدة، بل بالدعاء و كفاية الله له،
و لما حارب عماليق بنى إسرائيل هل غلبوه إلا بدعاء موسى عليه السلام^٥
و صلاته ؟ و يوشع بن نون عليه السلام^٦ لما عبر الأردن مع بنى إسرائيل
قد كان في جمع^٧ كبير [و قوة -^٨] فهل فتح [يرىحاً -^٩] بالحرب أو بالآية
العجبية في سقوط الحصن ؟ و لما أخطأ عاجان^{١٠} بما أخذه من يرىحاً من
الغنيمة التي نهى الله عنها بنى إسرائيل ألم يسنخ الله على الأمة بسببه^{١١}
حتى غلبهم أهل مدينة^{١٢} عاي و هم قليل . فلم يقدر بنو إسرائيل مع^{١٣}
كثرتهم على مقاومتهم إلى أن صلى يوشع بن نون عليه السلام و دعا
إلى^{١٤} الله عز و جل فاستجاب الله / [دعاه -^{١٥}] و نصر بنى إسرائيل
على عاي ؟ و جدعون^{١٦} لما غلب عسكر مدين و عماليق مع كثرتهم

٢٨٦ /

(١) من ظ و م . وفي الأصل و مد : لذلك (٢) راجع آية ٧ و ما بعدها من
الأصحاح السادس و العشرين من باب التكوين (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) ورد ذكر العماليق في عدة أمصاحات من باب العدد (٥) راجع أوائل سفر
يوشع (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : جميع (٧) في الأصل : عماطار ،
وفي ظ و م و مد : عاجان ، وفي سفر يوشع - الأصحاح السابع : عجان .
(٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لسببه (٩) في ظ : هل (١٠) من ظ
و م و مد ، وفي الأصل : المدينة (١١) سقط من ظ (١٢) راجع آية ١١ و ما
بعدها من الأصحاح السادس من سفر القضاة .

هل غلبهم إلا بمعونة الله [لهم - ١] ؟ واذكروا^٢ كيف انهزم عسكر
الارمن العظيم عن سبب^٣ية^٤ بصلاة^٥ الشيع [النبي - ١] عليه السلام
ودعائه، وقد كان أهل المدينة أشرفوا على الهلاك من الجوع، فأوقع الله
[الخوف - ١] في قلوب الارمن فانهزموا بغير حرب ولا قتال،
هـ ' وخرج' أهل المدينة فقتلوا عسكرهم وزال عنهم الجوع، واذكروا^٦
ما فعل الله مع نساء الملك ويوشافاط لما ظفرها بأعدائهما بالدعاء
والصلاة، وقد علمتم أن شمشون^٧ قبل أن يخطى كان جبارا مظفرا،
فلما أخطأ أسره أعداؤه فصار ذليلا في أيديهم مثل أقل الناس وأضعفهم
وطحنوه بالرحى مثل الإمام، وكذلك شاوول^٨ - وفي نسخة: طالوت -
الملك لما كان طائفا لله تعالى كان الله^٩ ينصره، فلما عصاه أسله الله إلى
أعدائه فظفروا به، ولم يتفجع بعساكره وعدده، وأمصيا^{١٠} لما حارب
أدوم غلبهم^{١١} وظفر^{١٢} بهم، فلما أخذ أصنامهم ونصبها في بيت المقدس

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) في ظ : انظروا (٣) في ظ : سببسته، وفي الأصحاح
السادس من الملوك ٢ : السامرة، وفي معجم البلدان : قالت : المشهور أن سبب^٣ية
بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين بيت المقدس يومان (٤ - ٤) من ظ
وم ومد، وفي الأصل : فخرج (٥) راجع الملوك والأيام من الأسفار القديمة.
(٦) من القضاة - الأصحاح الرابع عشر، وفي الأصل وم ومد : مسمون، وفي
ظ : شمشون (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل : ساوول، وفي صموئيل -
الأصحاح التاسع : شاوول (٨ - ٨) سقط ما بين الرقين من ظ وم مد (٩) مثله في
الأصحاح الرابع عشر من الملوك ٢، وفي ظ فقط : امصيا (١٠) سقط من ظ -
(١١) من ظ وم ومد، وفي الأصل : ظفروه .

سخط الله عليه، فلما حارب يواش ملك بنى إسرائيل بعد ذلك انهزم
أقبح هزيمة لخدلان ابيه له وتركه معوته، واذكروا^١ هلاك عسكر^٢
سنجاريب ملك الموصل العسكر العظيم بغير^٣ حرب ولا قتال بل بصلاة
حزقيا الملك والانياء عليهم السلام [ودعائهم، واعتبروا^٤ جديقا
الملك لما عصى الكسديين وظن أنهم يغلبهم بمساكره وبعده و خالف^٥
الانياء عليهم السلام-^٦] في مسالمتهم، هل^٧ انتفع بذلك؟ وهل كانت
عاقبه وعاقبة الأمة إلا إلى الهلاك؟ فهذا وغيره مما لم أذكره لكم يدلکم
على عناية الله بالاخيار، و خذلانه للعصاة الاشرار.

و ساق لهم^٨ من مثل هذا^٩ كلاما كثيرا بليقا، ثم رغبهم في
طاعة أسفسيانوس بالخصوص بما^{١٠} اشتهر من حسن سيرته، وقال: ١٠
ولو لم تعلموا ذلك إلا بما عاملني^{١١} [به-^{١٢}] من الجميل، وقد كنت
أستوجب [منه-^{١٣}] غير ذلك لكفأكم^{١٤}، لأنى كنت أول من
اجتهد في محاربته، وقتلت خلقا كثيرا من أصحابه، ولقد كنت أعلم
أنى^{١٥} خالفت الصواب، ولكنى لما رأيتمكم بأجمعكم قد اتفقتم على

- (١) راجع الأصحاح الثامن عشر من الملوك ٢ (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل:
عساكر (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بلا (٤) راجع الأصحاح السادس
والثلاثين من الأيام ٢ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم ومد (٦) من ظ
وم ومد، وفي الأصل: قيل (٧-٧) ما بين الرقيين تكرر في الأصل فقط .
(٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لما (٩) من م ومد، وفي الأصل وظ:
عاملين (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فكفأكم (١١) في م: اننى .

محاربتهم وبعثموني لم أخالفكم، وبذلت الجهود في مناصحتكم، وثبتت
 في^١ حصن^٢ يودفناك إلى [أن -^٣] فنى أصحابي، وغلبنى الأمر،
 ولم يبق لي حيلة، ثم حصلت مع الروم فما أساءوا إلي بل أحسنوا
 وأجملوا وعفوا عني، وأنا معهم إلى^٤ هذه الغاية على^٥ ما أحب،
 ه وقد [كنت -^٦] اجتهدت قبل حصولي معهم أن أهرب إليكم فما
 تم لي ذلك، وأنا الآن أحمد الله تعالى إذ لم يسهل لي ذلك، فاني
 لو كنت معكم لكنت إما أن أشارككم في أفعالكم هذه فأكون مخطئاً،
 أو أخالفكم فقتلونني ظلماً، فتأملوا ما خاطبتكم [به -^٧] ولا تظنوا
 أن الله ينصركم، فانكم لا تستحقون [ذلك -^٨] لأنكم قد أسخطتموه،
 ١٠ واستدلوا على ذلك بآية^٩ عين سلوان، فانها قد كانت قرية من الجفاف
 قبل أن ينزل^{١٠} بكم هذه العساكر، فلما نزلوا غزرت فصارت كالنهر
 لتعلموا أن الله تعالى يريد معونة أعدائكم عليكم، وأنا أعلم أن كلامي
 لا يؤثر فيكم لستم ما قد حكم الله به^{١١} من هلاك هذه المدينة وخراب
 هذا القدس الجليل، ولذلك^{١٢} قد قست قلوبكم فصارت كالحجارة بل
 ١٥ هي أقسى وأصلب من الحجارة، لأن الحجر قد يؤثر فيه [الماء -^{١٣}]

(١) سقط من ظ (٢) زيد في الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد
 لحذفها (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) في ظ: عليهم (ه) من ظ وم ومد،
 وفي الأصل: على (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الى (٧) من ظ وم ومد،
 وفي الأصل: بانه (٨) في ظ وم: تنزل (٩) زيد في الأصل: نزل بكم، ولم تكن
 الزيادة في ظ وم ومد لحذفها (١٠) زيد في الأصل: لستم، ولم تكن الزيادة
 في ظ وم ومد لحذفها (١١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كذلك.

إذا

إذا دام انصابه عليه ، و أنتم لا تؤثر فيكم المواعظ الكثيرة ، ولا تلين
قلوبكم ولا تنكسر ، ولكنى قد بلغت الغاية فيما يلزمنى من نصيحتكم ،
فاقبلوا نصيحى و أشفقوا على هذا / القدس [الجليل - '] الذى بنته
الأنبياء المقدسون و الملوك العظماء ، فان بقاء عزمكم و ثبات أمركم مقرون ببقائه
و عمارته ، و إن خرب لم يبق لكم عز ولا إقبال ولا دولة ، فاقبلوا ه
ما بذله لكم ابن الملك من الأمان ، وثقوا بعهده و ما ضمنه من الإحسان ،
و أنا الضامن لكم عنه ، و إن اهتمتمون بأنى أخذكم و أريد معاونة
الروم عليكم فأنتم [تعلمون - '] أن أبى و أمى و زوجتى الكريمة على
و أولادى معكم ، فان ظهر لكم من طيطوس بعد مسالمتكم له ما تكرهون
فاقتلوه و اقللوه فقد و هبتكم دماءى و دى [على ذلك - '] . ١٠

ثم بكى يوسف بكاء شديدا ، و كان طيطوس يسمع كلامه فرق له
و أمر باطلاق من كان من السبي فى عسكره ، و أطلق لهم أن يمضوا
حيث شاءوا فقال أكثر أهل المدينة إلى طاعة طيطوس ، فمنهم الخوارج
و وكلوا بآبواب المدينة من يحفظها ، و أمروا الموكلين أن يقتلوا كل
من أراد الخروج ، و لما طال الحصار اشتد الجوع ، و كان الخوارج ١٥
يفتشون منازل الناس و ينهبون الطعام و يقتلون من مانعهم عنه ، فكان
الناس يموتون فى المدينة [بالجوع - '] ، و من أراد الخروج إلى ظاهر

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى ظ : و كما (٣) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل : و أنتم (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سو - كذا .
(٥) فى ظ : فى (٦) فى مد : فما مال - كذا (٧) سقط من م .

المدينة ليأخذ شيئاً من نبات الأرض قتله الخوارج ، وإن قدير علي
الخروج قتله الروم ، فأفانم ذلك . و كان طيطوس إذا سمع ذلك^١
رق لهم^٢ و استعطفهم ، فلا يزيد استعطافه الخوارج إلا قسوة ، و يخاطبونه
بالقيح ليكف عن ذلك لئلا يميل معه الناهي .^٣ فلما رأى^٤ ذلك جد^٥ في
إخراجه [السور - ٦] الثالث ليخلص^٧ الناس من الخوارج ، قسم
عسكره أربعة أقسام^٨ و نصب كباشاً على الجهات الأربع ، فخرج إليهم
الخوارج فقاتلهم قتالاً شديداً^٩ ، و قتلوا من الروم خلقاً كثيراً ، و كانوا
قد نديوا أربعة من أشدائهم لإحراق الكباش إذا اشتغلوا بالقتال .
و لم يزالوا يقاتلونهم حتى تم لهم ما أرادوا و أحرقوا الكباش و جميع
١٠ آلاتها ، و نظر الروم من شجاعة اليهود و بأسهم ما هالهم^{١١} فانهزموا ،
فردم طيطوس و جعل يشجعهم و قال : أما^{١٢} تأنفون أن يغلبكم
اليهود بعد أن استظهرنا عليهم ، و هدمنا سورين من أسوار المدينة ،
و لم يبق غير^{١٣} سور واحد ، و قد هلك أكثرهم و ليس لهم من
ينصرم ، و نحن فمساكرنا متوافرة ، و معنا أمم كثيرة تعيننا عليهم ،
١٥ ثم أمرهم أن يتركوا قتالهم حتى يهلكوا من الجوع . فضبطوا جميع

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بذلك (٢) سقط من م (٣ - ٣) من ظ
وم و مد ، وفي الأصل : ليلا يرى (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : جدا .
(٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اخراج (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) في
ظ : تلخصت (٨ - ٨) تكرر ما بين الرقيين في الأصل فقط (٩) من ظ و م و مد ،
وفي الأصل : كثيراً (١٠) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : هالوا (١١) من
ظ و م و مد ، وفي الأصل : ما (١٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الا .
طرق (٩١) ٣٦٤

طرق المدينة ، فضاقت الأمر بهم جدا واشتد الجوع ، ولم يكن أحد ' يقدر أن يطحن قمحا ثلثا ينهب ، ولا يخبز ثلثا يفضحه الدخان ، فكان من عئدة شيء يستقون القمح والدقيق ، فمات كثير من الناس ، واشتغل الأحياء بأنفسهم ، فما كانوا يدفنون موتاهم ، وكان الحى ' ربما أخذ ميته فألقاه فى بئر ثم يلقي نفسه بعده ليموت ، وكان بعضهم يحفر [له - ٢] ٥ قبرا ثم يضطجع فيه ' حتى يموت ، وامتلات الشوارع بالموتى ، فكان الخوارج يلقونهم من السور إلى الوادى الشرقى ، فلما رآهم طيطوس اغتم ورق لهم ، وكان ' بيت المقدس ' امرأة من أهل النعم ، أصلها من مدينة فى حيرة الأردن ، فلما كثرت الفتن هناك انتقلت فى جملة من انتقل إلى بيت المقدس بجميع عبيدها و سائر نعمتها ، ولم يكن ' لها غير ١٠ ابن واحد صغير وهى تحبه حبا شديدا ، فلما قويت المجاعة ، ونهب الخوارج جميع ما عندها ، اشتد بها ' الأمر وكان ابنها يتضور ' من الجوع ، فلما زاد بها الجوع وما يؤلم قلبها من تضور ابنها ' ، أرادت قتل ابنها لتأكله ، فبقيت حائرة لا تدرى على أى ' الأمرين ' تحمل نفسها ، هل تقتل ولدها العزيز عليها [بيدها - ٢] ، وذلك من أعظم الأمور وأشنعها ، أم تصبر ١٥

(١) زيد فى ظ : ان (٢) فى مد : الميت (٣) زيد من ظ وم وم مد .
(٤) سقط من ظ (هـ - هـ) من ظ وم وم مد ، وفى الأصل : بيت (٦) فى ظ :
لم تكن (٧) أى يتلوى ؛ وفى ظ : يتضرر (٨) من ظ وم وم مد ،
وفى الأصل : ولدها (٩) من م وم مد ، وفى الأصل وظ : الأمر .

'على ما' تراه به و بنفسها من البلاء / وقد فارقها الصبر و عدمت
 الجلد، ثم زادها الجوع فزال عنها التميز فقالت: يا ابني و واحدی !
 قد [كنت - '] أمل * أن تعيش * حتى تبرئ، و كنت أخاف أن
 تموت قبلی فأجمع بموتك، فیا ليتنی ' كنت قد * ثكلتك دفعتك و احتسبتك
 عند الله، و الآن یا ولدی قد * أحاط بنا المكروه و أيقنا بالهلاك،
 فالحي لا يرجو الحياة و الميت لا يدفن، و أنا و أنت هالكان، و إن
 مت یا بنی لم يدفك أحد و كنت كغيرك ممن أكلته * الكلاب و طيور
 "السماء، و قد رأيت أن أقتلك لتستريح مما أنت فيه ثم آكلك فأجعل
 بطي التي " حلتك فيها " قبراً لك، و أسد بك جوعی، فيكون ذلك
 ١٠ عوض [برك - '] بی الذي كنت أرجوه، و تنال بذلك الأجر العظيم،
 و يكون * ذلك عاراً * على هؤلاء الخوارج الذين أوقعونا في هذا
 البلاء، و زيادة في سخط الله عليهم، و يذكر ذلك على عمر الدهر *،
 و يتحدث به بعدنا الاجيال، و يعتبر به ذور الالباب * ثم قبضت على
 ابنها يدها الواحدة و أخذت الحديد بالآخري و هي كالمنجونة، و حولت

- (١-١) من ظ و م و مد، و في الأصل: هما (٢) زيد في ظ: من (٣) سقط من
 ظ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٦) زيد في ظ: قد.
 (٧-٧) من م و مد، و في الأصل: قد كنت، و في ظ: كنت (٨) في مد: قد.
 (٩) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لخدفاها (١٠) تكرر في
 الأصل فقط (١١) و من هنا إلى ما سنبه عليه تعرضت نسخة مد لانطباس يعوق
 إجراء المقابلة عليها (١٢) في ظ: الذي؛ والبطن تأنيته أيضا لفة (١٣) في ظ: فيه.
 (١٤) زيد من ظ و م (١٥) من ظ و م، و في الأصل: الدهور.

وجهاها عنه ثلاثاً نراه و ضربته بالحديدة فأت ، ثم أخذت منه و شوته و أكلته ، فلما شم الخوارج ربح ذلك اللحم هجموا عليها فقالوا [لها - ١] : من أين لك هذا اللحم ؟ ولم ^٢ استأثرت به علينا ؟ فقالت : ما كنت بالتي ^٣ أوثر نفسى عليكم فاجلسوا ، فجاءت بالمائدة و أخرجت ما بقى من جسم ابنها و قالت : هذا ولدى و أعز الناس عندى ، قتله يدي لإفراط ه الجوع و أكلت ^٤ من لحمه ، و هذا ^٥ بقية جسمه عزلتها لكم ^٦ ، فكلوا و اشبعوا و لا تكونوا أشد رحمة ^٧ لولدى منى ، و ^٨ لا تضعف قلوبكم عن ذلك فانه قبيح ^٩ لشجعتان مثلكم أن تكون امرأة أقوى ^{١٠} قلباً منكم ، و أنتم أحق بأن ترضوا بهذا منى . لأنكم الذين ^{١١} سيتم علينا البلاء حتى بلغنا هذا المبلغ ، ثم رفعت صوتها تبكى ^{١٢} و تنتحب و تنوح على ابنها ، فلما رأوا ذلك هالهم و خرجوا مذعورين و اشتهر خبرها ، فقلق الناس قلقاً شديداً ، و تحققوا صحة ^{١٣} الوعيد الذى سبق من الله ، و انكسر الخوارج [لذلك - ١] و استعظموه و أطلقوا للناس الخروج ، فخرج فى ذلك الوقت خلق كثير .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لما (٣) فى ظ : بالذى (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : أكلته (٥) فى ظ : هذه (٦) فى ظ : لها (٧) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٨) العبارة من هنا إلى « بهذا منى » ساقطة من ظ (٩) زيد فى الأصل : منكم ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفناها (١٠) من م ، وفى الأصل : أحوى (١١) فى ظ : الذى (١٢) زيد فى الأصل : و تنوح ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (١٣) من ظ و م ، وفى الأصل : شدة .

فلما اتصل ذلك بطيطوس استعظمه واشتد خوفه من الله تعالى ،
 ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم ! أنت العالم بالحقائق ، والمطلع على
 السرائر والنيات ، أنت تعلم أني لم أجدني إلى هذه المدينة لاسي^١ إلى أهلها
 ولقد ساءني أمر هذه المرأة فلا تؤاخذني به ، وطالب هؤلاء الخوارج
 ه و انتقم منهم ، وظفرني بهم ولا تمهلهم . و أمر بالإحسان إلى من خرج
 إليه من اليهود ، فكان كثير منهم لا يقدرّون على فتح أفواههم ، وكثير
 منهم مات لما أكل الطعام ، وكان الصبيان وغيرهم يحتفظون الخبز إذا
 نظروهم وينهشونه بلا عقل ، فاذا أكلوا ماتوا ، فقال طيطوس ليوسف
 ابن كريون : ما الحيلة في هؤلاء حتى لا يموتوا ؟ فقال : ينبغي أن يسقوا
 ١٠ اللبن والحساء الرقيق^٢ أياما حتى تلين^٣ أعماؤهم ، ثم الطعام بعد ذلك ،
 ففعل ذلك فلم منهم جماعة . وتقدم الروم إلى السور الثالث لهدموه
 غرج [إليهم -^٤] يوحانان^٥ وشمعون وأصحابهما مع مام^٦ [فيه -^٧]
 من الضر فقاتلهم قتالا شديدا ، وقتلوا منهم جماعة ، فأمر طيطوس
 بدفع^٨ الكباش على^٩ السور ، فدفع^{١٠} عليه في الليل فهدم ، وكبر^{١١} الروم
 ١٥ تكبيرا^{١٢} عظيما وكبر^{١٣} اليهود من داخل المدينة ، فلم يحسر^{١٤} الروم على

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : لاشيء (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
 الدقيق (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يلين (٤) زيد من ظ و م (هـ) من
 ظ و م ، وفي الأصل : يوحانان (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : برفع .
 (٧) في ظ : الى (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : فرفع (٩) في ظ : كثر .
 (١٠) في ظ : تكبيرا (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : فلم تيسر - كذا .

دخول المدينة، فلما أصبحوا إذا سور جديد بازاء الهدم قد بناه اليهود
 تلك الليلة / وهم قيام عليه، فاستعظم [الروم - ١] ذلك و^٢ 'أيسوا من^٣
 الفتح، فقال طيطوس: هذا رطب لم يستحكم، وإذا ضربه الكبش أسرع^٤
 الانهدام، فطلع الروم على السور^٥ الذي هدموه، وقف اليهود على
 الجديد^٦ واشتد القتال، فهزمهم اليهود بعد أن^٧ قتلوا كثيرا منهم فضجر^٨ ه
 الروم وعزموا على الرحيل، فجمع طيطوس أصحابه وقال: اعلوا أن
 كل من يعمل عملا فانما^٩ قصده إلى الغاية. ولذلك يصبر على التعب
 ليلغ ما أراد، وربما كان آخر العمل^{١٠} أشق من أوله، فان تركه ذهب
 تبعه ضائعا و [بقى - ٩] عمله ناقصا لا ينفع به. وضرب لهم أمثالا [في
 ذلك - ٩] ثم قال: وأنتم قد صبرتم على محاربة هؤلاء القوم واستظهرتم^{١٠}
 عليهم^{١١} إلى هذه الغاية حتى هلك رؤساؤهم وجابرتهم. وخربت^{١٢} حصونهم
 وفنوا بالجوع والسيف، ولم يبق منهم غير شذمة يسيرة كالموتى، فان
 انصرفتم كنتم [قد - ٩] ضيعتم تبعكم وأعنتم^{١٣} على أنفسكم وأهتتموها

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) في ظ: عظم عليهم (٣) من ظ وم، وفي الأصل:
 سرع (٤) من ظ وم، وفي الأصل: الردم (٥-٥) من ظ وم، وفي الأصل:
 فاشتد (٦-٦) من ظ وم، وفي الأصل: قتل منهم كثيرا فضجروا - كذا (٧) من
 ظ وم، وفي الأصل: وإنما (٨) ومن هنا استأنفت نسخة مد (٩) زيد من
 ظ وم ومد (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: عليه (١١) من م ومد،
 وفي الأصل وظ: ضربت (١٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: اعيتم.

عند كل من يسمع خبركم^١ ، ولو كنتم انصرفتم عنهم قبل هذا كان أجسن
بكم^٢ ، وأما الآن فلا عذر لكم في عجزكم عن محاربة قوم^٣ قد بلغ بهم
الضرر والجوع هذا المبلغ ، فإن رجعت عنهم طمع [فيكم-^٤] كل أحد ،
واجترأ عليكم كل من يخافكم ، ولم لاتأسون^٥ [باليهود-^٦] في الصبر
هـ [والشجاعة-^٧] مع فناء رجالهم ، واجتماع المكاره عليهم ، وانقطاع
رجائهم ، فصرهم إما طمعا في الظفر ، أو أنفة من الغلبة ، أو رغبة في بقاء
الذكر ، فأنتم أحق بذلك منهم لتدفعوا العار عن أنفسكم على أنكم قد صبرتم
في أيام تيروس قيصر^٨ على محاربة هؤلاء القوم ، وعلمتم [على-^٩] أن
لا^{١٠} ترجعوا عنهم إلا بعد الظفر ، فلما ملك أسفسيانوس الذي هو أشجع من
١٠ تيروس^{١١} وأعظم بأسا ، أردتم أن ترجعوا عنهم قبل أن تظفروا ، فأى
عذر ليكم . فلما سمعوا هذا^{١٢} ثبتوا .

ثم مضى جماعة منهم ليلا ، فصعدوا^{١٣} من تلك الثلة ودخلوا إلى
المدينة فكبروا ، فأتبه اليهود و كانوا قد ناموا لطول^{١٤} تعبهم^{١٥} و ضررهم ،
ولزم كل منهم مكانه ، ومضى^{١٦} طيطوس إلى أصحابه فوقف عند السور

- (١) من ظ و م و مد . وفي الأصل : خبرها (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
لكم (٣) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ و م و مد فحذفناها .
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، وفي الأصل : لايتأسون ، وفي
ظ : لا تنلسون (٦-٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تيروس قيصر - كذا .
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يروس (٩-٩) سقط
ما بين الرقين من مد (١٠) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ذلك .
(١١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : وصعدوا (١٢) من م و مد ، وفي
الأصل و ظ : الطول (١٣) في ظ : تبعهم (١٤) في ظ : مضوا .

إلى أن أصبحوا ، فانهزم اليهود إلى القدس و تبعهم الروم فاقتلوا في
الصحن البراني ، ولم يكن إلا السيوف لضيق الموضع ، فكان^٩ بينهم قتال
لم يكن فيما مضى لاستقبال الجميع ، لأنهم حصلوا في موضع لا مطمع فيه
بالسلامة إلا بالصدق في القتال ، وكان الكل رجالة ، فعظمت الحرب
بينهم و علت أصواتهم و ضجيجهم حتى سمعت من البعد ، وكثرت القتل^{١٠}
في الفريقين و استظهر^{١١} اليهود آخرأ و أخرجوا الروم قرب ربيع النهار ،
و أمر طيطوس بهدم سور موضع متصل بالقدس يسمى أنطونيا ليتسع المجال
لأصحابه^{١٢} ، فلما هدم ذلك اتلم سور القدس و سهلت الطريق إليه ، فبادر
اليهود و بنوه و أدخلوه^{١٣} في جملة القدس فصار مربعا ، فكان [ذلك -^{١٤}]
تصديق^{١٥} ما رأوه قبل [ذلك -^{١٦}] مكتوبا على الحجر القديم المقدم ذكره .
« إذا كل بنيان القدس فصار مربعا فعند^{١٧} ذلك يخرب بيت المقدس ،
و كان اليهود قد نسوا ذلك ، فلما رأوه تذكروا و غلبوا أن المدة قد تمت
و أنه سيخرب .

وكان يوم هذه الحرب العظيمة عيد الغنصرة ، فحرب طيطوس من
القدس^{١٨} و كلمهم و رغبهم في المسألة لينمكنوا من العبادة في هذا العيد ،
و وعدهم بالإحسان إليهم و قال : قد علمتم أن ملككم بخيا^{١٩} لما حاصره

(١) زيد في الأصل : الا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٢) من
ظ و م و مد ، وفي الأصل : و كان (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
القتل (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : استظهرت (٥) من ظ و م و مد ،
و في الأصل : و أصحابه (٦) في ظ : أدخله (٧) العبارة من هنا إلى « فصار مربعا »
ساقطة من ظ (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد ، وفي الأصل : تصديقا .
(١٠) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فصعد (١١) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : القد - كذا (١٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : محسنا - كذا .

[بختصر ملك - ١] بابل و خرج إليه مستأمنًا ، انتفع بذلك و تقع
 قومه و بلده فسلخوا ، و أن صدقيا^٢ الملك لما لج في محاربة بختصر
 و لم يساله كما^٣ أمرته الأنبياء ، أهلك المدينة و الأمة و أساء إلى نفسه
 و إليهم ، فسيلكم أن تعتبروا بهما و تهتدوا^٤ بأصوبهما فعلا و أحدهما^٥
 عاقبة ، فاقبلوا نصيحتي ، و اكتفوا بما جرى ، و وعدم أن يعفو عن جميع
 ما تقدم / و يحسن إليهم - و أطال الكلام .

/ ٢٩٠

وكان يوسف بن كربون يترحم لهم و يبكي بكاء شديدا ، ثم قال لهم
 يوسف : إني لست أعجب من خراب هذه المدينة ، لعلني بأن مدتها
 قد انتهت ، و لكنني أتعجب منكم و أتم تقرأون كتاب دانيال النبي
 ١٠ عليه السلام و تعلمون^٦ ما ذكره من بطلان القرابين و عدم الكاهن المسيح ،
 و أتم مع ذلك لا تنكسرون و لا تخضعون^٧ لله ، و لا تستسلمون لمن
 قد سلطه الله عليكم . فلم يقبل الخوارج و لا رجعوا غير أن جماعة من
 الكهنة و الرؤساء تم لهم الخروج إلى الروم فآمنهم و أحسن إليهم ، فنع
 الخوارج من بقي ، و ضبطوا الطرق ، فبكي اليهود و شكوا منع الخوارج
 ١٥ لهم من الخروج ، فأراد الخوارج [قتلهم - ٨] فبادر الروم ليخلصوهم
 فهجروا إلى القدس فقاتلوهم قتالا شديدا فانهمز الروم . و أدتهم الهزيمة
 (١) زيد من ظ و م و مد (٢) في ظ : صدقيا (٣) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : لما (٤) في ظ : تعتبروا (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : خيرهما .
 (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تعلموا (٧) في ظ : لا تنخضعون (٨) زيد
 من م و مد .

إلى داخل القدس الأعظم قدس الأقداس ، فقتلهم اليهود فيه ، فاختار
 طيطوس من عسكره ثلاثين ألفا وأمرهم أن يدخلوا إلى صحن القدس
 لمحاربتهم ، وأراد هو الدخول معهم فنهه أصحابه وقالوا : قف على موضع
 عال لتقوى قلوب أصحابك ، وبيدوا المجهود في القتال ، ولا تخاطر
 بنفسك و بنا ، واتفق رأيهم على يات ، فلم بذلك اليهود فلم يناموا ه
 تلك الليلة ، فلما أصبحوا اقترق اليهود على أبواب صحن القدس وأقاموا
 على مقاتلة الروم سبعة أيام ، فقتلوا^١ منهم جماعة كثيرة وأبعدوهم عن
 القدس ، فأمر طيطوس أصحابه بالكف عنهم ليفنيهم الجوع ، وكان بقرب
 القدس قصر عظيم من بناء سليمان بن داود عليهما السلام ، ثم زاد فيه
 ملوك البيت الثاني طبقة عالية من الخشب^٢ الحسن ووزروا^٣ جميع^{١٠}
 الجدر بالخشب ، فطلوا جميع ما فيه من الخشب بالنفط والكبريت والزفت ،
 ثم أخفوا فيه رجلا منهم ليشعل النار في مواضع من ذلك الخشب إذا
 دخله^٤ الروم ، وكان فيه باب خفي يخرج إلى موضع^٥ آخر لا يفتن
 [له^٦] إلا من يعرفه ، ثم مضوا إلى عسكر الروم ليلا وهم في القدس
 فناوشوهم ، فاجتمع عليهم من الروم خلق كثير فقاتلهم ساعة ، ثم انهزموا^{١٥}
 فدخلوا هذا القصر ، فدخل الروم وراءهم فلم يجدوا أحدا منهم ، فصعدوا

- (١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : قتل (٢) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : الحسن (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : زدوا ، وفي مد : وردوا .
 (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ان دخل فيه (٥) في ظ : مواضع .
 (٦) زيد من ظ و م و مد .

إلى الطقة العالية ، فخرج اليهودي^١ الذي كان قد اختفى ، فاختلط [بهم -^١] وأطلق النار في تلك المواضع ، فاضطربت النار في جميع جواربه فبادر^٢ الروم إلى الباب فوجدوا اليهود قد سدوه بسيوفهم فهلكوا ، وكان فيهم جماعة من وجوه الروم ، تخاف الروم من اليهود^٣ ولم يأمنوا أن يحتالوا عليهم بأمر آخر ، فخرجوا من القدس و المدينة و رجعوا إلى معسكرهم ، فأمر طيطوس بضبط الطرق والتضييق^٤ عليهم ليهلكهم [الجوع -^٥] فمات أكثرهم ، وخرج كثير من أصحاب الخوارج إلى طيطوس قتلهم ، ثم دخلت الروم إلى بيت الله فلم يجدوا من يمانعهم ، وكان طيطوس قد أكد على أصحابه في أن لا يحرقوا القدس ١٠ فقال له رؤساء أصحابه : إنك إن لم تحرقه لم تتمكن من اليهود ، لأنهم لا يزالون يقاتلون ما كان باقيا ، فاذا أحرق ذهب عزم فانكسرت قلوبهم فلم يبق لهم ما يقاتلون عنه ، فقال : لا تحرقوه إلا أن آمركم^٦ ، وكان في طريقه باب مغشى بصفائح الفضة وهو مغلق ، فأحرقه بعض الروم ليأخذوا الفضة ، فلما احترق وجدوا الطريق إلى القدس الاجل^٧ ، فدخلوه ١٥ و حلوا أصنامهم فنصبوها فيه ، فخرج قوم ممن بقى من اليهود في الليل إلى / أولئك الذين في القدس قتلهم . فلما بلغ ذلك طيطوس جاء إلى القدس قتل أكثر من وجد فيه من اليهود ، و هرب من بقى منهم إلى

/ ٢٩١

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : اليهود (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : فبادرت (٤) سقطت الوار من ظ (٥) في ظ : التضييق (٦) في ظ : آمرهم (٧) في ظ : الاصل .

جبل صهيون، فلما كان الغد أحرق الروم ابواب قدس الأقداس،
و كانت^١ مغشاة بالذهب، فلما سقطت كبروا و صرخوا صراخا عظيما،
لجاء طيطوس مسرعا ليمنع من إحراقه فلم يتم له ذلك، و يقال: إنه صاح
حتى انقطع صوته، فلما علم أن الأمر قد خرج عن^٢ يده دخل لينظره
قبل أن يحترق، فلما رأى حسنه و بهجته تحير و تعجب و قال: حقا ه
إن هذا البيت الجليل ينبغي أن يكون بيت الله إله السماء و مسكن
جلاله و نوره، و إنه ليحق^٣ لليهود أن يحاربوا عنه و يستقلوا^٤ [عليه -^٥]
و لقد أصابت الأمم و أحسنت فيما كانت تفعله من إعظام هذا البيت
و إكرامه و حمل الهدايا إليه، و إنه لأعظم [من -^٦] هيكल رومية
و من جميع [هياكل -^٧] الأمم التي شاهدناها و بلغنا خبرها، و ما أردت ١٠
إحراقه و^٨ لكن هم^٩ فعلوا ذلك بشرم و لجاجهم، و كان من^٩ بقي من
الكنهنة لما رأوا الحريق حاربوا الروم عنه، فلما علموا أنهم عاجزون
عن دفعهم قالوا: ما نريد أن نبقى بعده. فطرحوا أنفسهم [في النار -^{١٠}]
فهلكوا، و مضى عند ذلك من بقي من اليهود إلى جميع ما في المدينة
من القصور الجليلة و المنازل الحسنة فأحرقوها بجميع ما فيها من الذخائر ١٥

- (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: كان (٢) من م و مد، وفي الأصل: من،
و الكلمة مع ما يتلوهما ساقطة من ظ (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بحق.
(٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يستقلوا (٥) زيد من مد (٦) زيد من
م و مد (٧) زيد من م و مد، و زيد موضعه في ظ: هنالك (٨-٨) في ظ:
لكنهم (٩) في ظ: ممن (١٠) زيد من ظ و م و مد.

و الآلات^١، و كان حريق القدس في اليوم العاشر من الشهر الخامس
و هو آب، و ذلك ظير اليوم الذي أحرق^٢ فيه الكسدانيون^٣
البيت الأول .

و لما كان في غد^٤ هذا اليوم ظهر من اليهود رجل متنبئ^٥
ه فقال لهم: اعللوا أن [هذا - ^٦] القدس سيمود عن قليل مبنا^٧ كما
كان من غير أن يبينه الآدميون، بل بقدرة الله تعالى، فدوموا على ما أتم
عليه من محاربة الروم و الامتناع من طاعتهم، فاجتمع^٨ عليه جماعة
فقاتلوا، فظفر بهم الروم فقتلوهم بأسرهم، و قتلوا كثيرا من عوام اليهود
و ضعفاتهم ممن كانوا^٩ قد رحوه^{١٠} قبل ذلك، و راسل^{١١} يوحانان
١٠ و شمعون طيطوس يطلبان منه الأمان فقال: قد كنت طلبت إليكما^{١٢}
ذلك [قبل - ^{١٣}] . فأما الآن فأتيا في قبضتي و ليس لي عذر عند الله
ولا [عند - ^{١٤}] أحد من الناس^{١٥} في استبقائكما^{١٦} . فأنحدرا ليلا إلى
القدس بأصحابهما فقتلوا قائدين^{١٧} من الروم فأمر طيطوس بقتل من بقي
في المدينة من اليهود ممن كان [قد - ^{١٨}] رحمه، فلما [رأى - ^{١٩}]

(١) في ظ : آلات (٢) في ظ : احترق (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل :
الكسدانيون (٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل : غير (٥) من ظ و م ومد، وفي
الأصل : متنبئ (٦) زيد من م ومد (٧) سقط من ظ (٨) في ظ : فاجتمع .
(٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل : كان (١٠) من ظ و م ومد، وفي الأصل :
رحوه (١١) في ظ : ارسل (١٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل : منكما .
(١٣) زيد من م (١٤) زيد من ظ و م ومد (١٥) من ظ و م ومد، وفي
الأصل : الله (١٦) في ظ : استبقائكم (١٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل : قايده .

أصحاب شمعون^١ ذلك خافوا على أنفسهم، فأرسلوا^٢ إلى طيطوس
 [أن يؤمنهم، فقتل شمعون رؤساءهم و هرب الباقيون إلى طيطوس -^٣]
 فأمنهم وكف أصحابه عمن بقي من اليهود^٤ في المدينة^٥؛ ثم هرب شمعون
 و يوحانان من جبل صهيون [إلى موضع استترأ فيه، فتم استيلاء طيطوس
 على جميع البلد و هدم سور جبل صهيون -^٦]، و لما طال عليها^٧ الاستتار^٨
 و اشتد بهما^٩ الجوع خرجا إلى طيطوس فقتلها، ثم رحل متوجها إلى
 رومية و معه السبي و الغنائم، و كان كلما نزل منزلا يقدم جماعة ممن
 ظفروا به^{١٠} من الخوارج إلى السباع التي معه حتى أفنهم، و كان العازر
 لما رأى إفساد شمعون و قتله من^{١١} لم يكن له ذنب من اليهود [قد -^{١٢}]
 علم أن لا مخلص لهم من البلاء، فخرج عنه قبل استيلاء الروم على^{١٣} البلد^{١٤}
 عنها و أقام في بعض المواضع، فلما رحل طيطوس مضى إلى قرية^{١٥} مصيرا
 فعمرو^{١٦} حصنها، فسمع به طيطوس و هو بأنطاكية فرد إليه قائدا من
 قواده لمخاصره، فلما عاين الملكة دعا أصحابه إلى قتل من خلفهم^{١٧}
 من العيال و الاستقتال ليموتوا أعزة، فأجابوه^{١٨} إلى ذلك و قاتلوا
 حتى قتلوا كلهم - فسبحان القوى الشديد، [الفعال -^{١٩}] لما يريد . ١٥

(١-١) موضع ما بين الرقيين في مد : رؤساءهم و هرب الباقيون (٢) زيد من
 ظ و م ومد (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ
 و م ومد، وفي الأصل : عليهم (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل : بهم .
 (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل : بمن (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل :
 عن (٩-٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل : مصر ليعمر (١٠) من ظ و م
 ومد، وفي الأصل : خلقه (١١) في ظ : فاجابوا .

ولما انقضى ذلك^١، كان كأنه قيل: أما لهذه المرة من كرة كالأولى؟
فأطمعهم بقوله سبحانه و تعالى: ﴿عسى ربكم﴾ أى الذى عودكم باحسانه
﴿ان يرحمكم﴾ [فيتوب عليكم ويكرمكم-^٢] ثم أفزعهم بقوله تعالى:
﴿وان عدتم﴾ أى بما نعلم^٣ من دبركم إلى المعصية مرة / ثالثة فما فوقها
﴿عدنام﴾ أى بما تعلمون لنا من العظمة، إلى عذابكم فى الدنيا، وقد عادوا
غير مرة بما أشار إليه الكلام، وإن كان فى سياق الشرط، ليظهر
الفرق بين كلام العالم وغيره، وأشار إلى ذلك قوله فى التوراة عقب
ما مضى^٤: وإذا تمت عليك هذه الأقوال كلها والدعاء واللعن الذى
تلوت عليك قُب فى قلبك وأنت متفرق بين الشعوب التى يفرقك^٥ الله
١٠ فيها، وأقبل إلى ربك واسمع قوله، واعمل بجميع ما أمرك به اليوم
أنت و بنوك من كل قلبك، فيرد الرب سيك و يرحمك، و يعود فيجمعك
من جميع الشعوب التى فرقك فيها، وإن كان المبددون^٦ يا آل إسرائيل
فى أقطار الأرض يجمعك [الله-^٧] ربك من هناك و يقربك من ثم
و يردك إلى الأرض التى ورثها أبوك و ترثون، و ينعم عليكم و تكثرون
١٥ أفضل من آباءكم، و يخن^٨ الله الرب قلوبكم و قلوب نسلكم إلى الأبد،

(١) زبدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م و مد لحذفها (٢) زيد
من م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يمانعكم (٤) من ظ و م و مد،
وفى الأصل: ثم (٥) راجع الأصحاح الثلاثين من تفتية (٦) من ظ و م و مد،
وفى الأصل: يثرك (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المدون (٨) زيد
من ظ و م و مد (٩) من التوراة، وفى الأصول: يخن .

و تقون الله ربكم من كل قلوبكم و أنفسكم لما يريحكم و ينعمكم و ينزل الله كل هذا اللعن بأعدائكم و شنائكم^١ الذين آذوكم . (و جعلنا) أى بعد ذلك بعظمتنا (جهنم)^٢ التى [تلقى -^٣] داخلها بالتجهنم و الكراهة (للكافرين) و هذا الوصف^٤ الظاهر موضع ضمير لبيان^٥ تعليق الحكم به على سبيل الرسوخ سواء فى ذلك [هم -^٦] و غيرهم ، و فيه إشارة ه إلى أنهم يعودون إلى الإفساد ، و إلى أن منهم من يؤمن و منهم من يكفر (حصيراء) أى محبسا^٧ يحصرهم^٨ غاية الحصر ، و عن الحسن أن الحصر هو الذى يفرش و يبسط^٩ ، فالمنى أنه يجعلها^{١٠} مهادم .

و لما ثبت أن كتاب موسى عليه السلام الذى أنزل عليه فيما بين مصر و بيت المقدس فى تلك المدة المتطاولة هو هدى لبنى إسرائيل ، ١٠ صادق الوعد و الوعيد فيما قضى فيه إليهم من أمرهم و أمر بيت المقدس من ترقية^{١١} حال من أطاعه و إعلاهم^{١٢} و أخذ من عاداهم^{١٣} و من تعكيس أحوال العصاة مرة بعد أخرى بتسليط الأعداء عليهم بالقتل^{١٤} و الأسر

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سياكم (٢) سقط من م (٣) العبارة من هنا إلى « والكراهة » ساقطة من م (٤) زيد من ظ و مد (ه) فى ظ : الوضع . (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : البيان (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مجلسا (٩) فى ظ : تحصرهم (١٠) و مثله ذكر البغوى عن الحسن فى العالم - راجع هامش لباب التأويل ١٢٣ / ٤ (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : جعلها (١٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : برفيه . (١٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عاداكم (١٤) زيد فى الأصل : عليهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفها .

و النهب و تخريب البلاد ، تنبيها على أن طاعة الله تجلب كل خير و كرامة ،
و معصيته^١ توجب كل بلية ، كما كشف عنه الزمان على ما هو معروف
من^٢ تواريخ اليهود و غيرها ، لاح أن القرآن يزيد عليه في كل معنى
حسن و أمر شريف فيما أتى به من الوعود^٣ الصادقة ، و الأحكام المحكمة ،
و المعاني الفائقة ، في النظم العذبة الرائقة ، مع الإعجاز عن الإتيان بآية
من مثله لجميع^٤ الإنس و الجن بنسبة ما زاد المسير^٥ المحمدى إلى
بيت المقدس - الذى أراه [فيه^٦] من آياته - على المسير^٧ الموسوى
الذى آتاه فيه الكتاب ، فقال - فى جواب من كأنه قال : قد علم أن
كتاب موسى عليه السلام الذى أنزل فى مسيره لقصد محل المسجد
الاقصى قيم^٨ فى الهداية و الوعود الصادقة ، فما حال كتاب محمد صلى الله
عليه و على آله و سلم الذى أنزل عليه منه^٩ فى سبب مسيره إليه فى
ذلك ؟ : (ان هذا القرآن) أى الجامع لكل حق [و الفارق بين
كل -^{١٠}] ملتبس^{١١} (يهدى) .

و لما كان صاحب الذوق السليم يحذف الموصوف هزة و روعة ،
لما يحذف من الفخامة بابهامه^{١٢} لا يجدها عند ذكره و إيضاحه ، قال : (للتى)

- (١) من م و مد ، وفى الأصل : معصية الله ، وفى ظ : معصية (٢) فى م : فى .
(٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الوعد (٤) فى مد : بجميع (٥) فى ظ :
المشير (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قيم .
(٨) سقط من ظ (٩) من م و مد ، وفى الأصل : تلتبس ، وفى ظ : ملتبس .
(١٠) فى ظ : بابهامه .

أى للطرائق والأحوال والسنن التى (هى أقوم) من كل طريقة^١
 ومنه وحال دعا إليها [كتاب -^٢] من الكتب السماوية، أما فى الصورة
 فباعتبار ما علا به من البيان، وأما فى الوجود فباعتبار العموم لجميع
 الخلق فى الدارين، وأما فى الأصول فتتصرف الأمثال وتطريب الوسائل،
 وحسم قواعد الفقه وإيضاح وجوه الدلائل، وأما فى الفروع فباعتبار هـ
 الأحسن / تارة فى السهولة والخفة، وتارة فى غير ذلك - كما هو واضح ٢٩٣ /
 عند من^٣ تأمل ما بين الأمرين،

ولما انقسم الناس إلى مهتد به وضال^٤، أتبع سبحانه ذلك
 يانه^٥، وكان التعبير عن حالهما بالبشرى فى قوله تعالى -: (و يبشر المؤمنين)
 [أى -^٦] الراغبين فى هذا الوصف، ولهذا قدم بيانا لهم بقوله تعالى: ١٠
 (الذين) يصدقون^٧ إيمانهم بأنهم (يعملون) أى على سبيل التجديد^٨
 والاستمرار والبناء على العلم (الصلحت) من التقوى والإحسان
 (أن لهم) أى جزاء لهم فى ظاهرهم وبواطنهم (أجرا كبيرا) - إشارة
 إلى صلاح هذه الأمة ونباتهم على دينهم [وأنه لا يزال أمرهم ظاهرا كما كان
 إنذار كتاب موسى عليه السلام قومه إشارة إلى إفسادهم وتبديلهم دينهم -^٩] ١٥
 ولما بشرهم بما لهم فى أنفسهم، أتبعه ما لهم فى أعدائهم فقال تعالى:

(١) فى ظ: طريق (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ
 وم ومد، وفى الأصل: خال (٥ - هـ) فى ظ: ذلك سبحانه ببيانه .
 (٦) زيد فى الأصل وظ: أى، ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفها (٧) زيد
 فى الأصل وظ: فى، ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفها (٨) من ظ وم ومد
 وفى الأصل: التحذير (٩) فى ظ: أعدائهم .

(وان) أى^١ ويشتر المؤمنين [أيضا -^٢] بأن (الذين لا يؤمنون)
 أى لا يتجدد منهم إيمان (بالآخرة) حقيقة أو مجازا، المسبب عنه أنهم^٣
 لا يعملون الصالحات حقيقة لعدم مباشرتها، أو مجازا بينائها^٤ على غير
 أساس الإيمان؛ وعبر بالعتاد تهكما بهم، فقال تعالى: (اعتدنا) أى
 أحضرنا و هيأنا ما هو في غاية الطيب و النفاسة و الملازمة على سبيل
 الوعد الصادق الذى لا يتخلف بوجه، وهو مع ذلك منظور^٥ إليه،
 لعظمتنا (لهم) من عندنا بواسطة المؤمنين أو بلا واسطة.

ولما استشراف الأعداء إلى هذا الوعد استشراف المقتبط المسرور^٦،
 أنهم في تفسيره^٧ بما خلع قلوبهم على طريقة دحية بينهم ضرب وجميع،
 ١٠ و سر قلوب الأولياء سرورا عظيما، فقال تعالى: (عذابا اليما)^٨ فانه
 لا بشرى لذوى الهمم أعلى ولا أسر^٩ من الانتقام من مخالفيهم، فصار
 فضل الكتاب على الكتاب كفضل الذهاب على الذهاب، وحذف المؤمنين
 الذين [لا -^{١٠}] يعملون الصالحات، لتيام البشارة بالإشارة إلى أنهم من
 القلة في هذه الأمة الشريفة بحيث لا يكادون أن يوجدوا.

١٥ ولما ذكر سبحانه ما لكلامه من الدعاء [إلى الأقوم -^{١١}]، أتبعه

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣-٢) من
 م، و مد وفي الأصل و ظ : عنهم لانهم (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل :
 لبقاياها (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل : منظورا (٦) من ظ و م و مد،
 وفي الأصل : السرور (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل : تفسيرهم (٨) من
 ظ و م و مد، وفي الأصل : اشرف .

ما عليه الإنسان^١ من العوج الداعى له إلى العدول عن التمسك بشرائعه
 القويمة والإقدام على ما لا فائدة فيه، تنبيها على ما يجب عليه من التأنى
 للنظر فيما يدعو^٢ إليه نفسه ووزنه بمعيار الشرع، فقال تعالى: ﴿و يدع﴾
 [حذف -^٣] واوه - الذى هو لام الفعل - خطأ^٤ فى جميع المصاحف
 - ولا موجب لحذفه لفظا فى العرية - مشير إلى أنه يدعو بالشر لسفهه ه
 وقلة عقله، وهو لا يريد علو الشر عليه - بما أشير إليه بحذف ما معناه
 عند أهل الله الرفعة والعلو، وإلى [أن -^٥] غاية فله الهلاك إلى أن
 يتداركه الله، وقد ذكرت حكم الوقف عليه [و على -^٦] أمثاله فى سورة
 القمر (الإنسان) أى عند الغضب ونحوه على نفسه وعلى من يحبه،
 لما له من الأنس بنفسه والنسيان لما يصلحه (بالشر) أى ينادى ربه ١٠
 ويتضرع إليه بسبب إيقاع الشر به (دعاه) أى مثل دعائه (بالخير)
 أى بحصول الخير له ولمن يحبه، ثم نبه على الطبع الذى هو منبع ذلك،
 فقال تعالى: ﴿و كان الإنسان﴾ أى هذا النوع بما له من قلة التدبر
 [لاشغاله -^٧] بالنظر فى عطفته^٨ و الأنس بنفسه، كونا هو مجبول^٩
 عليه (مجبولا) أى مبالغا فى العجلة يتسرع إلى طلب كل ما يقع فى ١٥
 (١) فى ظ: انحصان - كذا (٢) فى ظ و مد: تدعو (٣) زيد من م و مد.
 (٤ - ٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لجميع (٥) زيد من ظ و م و مد.
 (٦) العبارة من هنا إلى «سورة القمر» ساقطة من م (٧) زيد من ظ و مد.
 (٨ - ٨) من م و مد، وفى الأصل: الذى بحصوله، وفى ظ: أى بحصوله.
 (٩) من م، وفى الأصل و ظ و مد: عطفه (١٠) من ظ و م و مد،
 وفى الأصل: مجبولا.

قلبه و يخطر بباله من غير أن يتأني [فيه - ١] تأني المتبصر^١ الذي لا يريد أن يوقع شيئاً إلا في أتم موافقه ، ولذلك يستعجل العذاب لنفسه استهزاء ، ولغيره استغفاء ؛ والعجلة : طلب الشيء في غير وقته الذي لا يجوز تقديمه عليه ، وأما العرعة فهي عمله في أول وقته الذي هو أولى^٢ به .

ولما ثبت ما لصفته تعالى من العلو ، ولصفة الإنسان من السفل تلاء بما لآلهاله [تعالى - ١] من الإتقان ، ذاكراً ما هو الأقوم من دلائل / ٢٩٤ / التوحيد و النبوة في العالمين : العلوى^٣ و السفلى^٤ ، ثم ما لأفعال الإنسان من^٥ العوج جرياً مع طبعه ، أو من الإحسان^٦ بتوفيق اللطيف المنان ، ١٠ فقال تعالى مينا ما منحهم به من نعم^٧ الدنيا بعد ما أنعم عليهم به من نعم الدين : (وجعلناهم) [أى - ١] بما لنا من العظمة (البيل والنهار آيتين) دالتين على تمام العلم و شمول القدرة . آية الليل كآيات التشابه ، و آية النهار كالحكمة ، فكما أن المقصود من التكليف^٨ لا يتم إلا بذكر المحكم و التشابه فكذلك الزمان لا يتيسر الانتفاع به إلا بهاتين الآيتين (فحونا)

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م ومد ، وفي الأصل : البصر ، وفي ظ : لتبصر - كذا (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : اول (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : الأنبياء - كذا (٥) في ظ : العلو (٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : السفل (٧) من م ومد ، وفي الأصل وظ : مع (٨) من م ومد ، وفي الأصل : الانسان ، وفي ظ : الاحيان (٩) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : هم . (١٠) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : التكليف .

أى بعظمتنا الباهرة ﴿أية اليل﴾ باعدام الضياء 'لجعلناها لا تبصر' بها
 المراثيات كما لا يبصر' الكتاب إذا محى ﴿وجعلنا﴾ أى بعظمتنا
 ﴿أية النهار﴾ ولما كانت فى غاية الضياء يبصر بها كل من له بصر،
 أسند الإبصار إليها مبالغة فقال: ﴿مبصرة﴾ أى بالشمس التى جعلها
 منيرة^٢ فى نفسها، فلا تزال هذه الدار الناقصة فى تنقل^٣ من نور إلى هـ
 ظلة ومن ظلة إلى نور [كا - °] للانسان - بجملته التى يدعو إليها
 طبعه وتأنيه الداعى إليه عقله - من انتقال من نقصان إلى كمال ومن
 كمال إلى نقصان، كما أن القمر الذى هو أنقص من الشمس كذلك؛
 [ثم - °] ذكر بعض المنافع المترتبة^٤ على ذلك فقال تعالى: ﴿لتبتغوا﴾
 أى تطلبوا^٥ طلبا شديدا ﴿فضلا من ربكم﴾ [أى - °] المحسن إليكم ١٠
 فيها بضياء هذا تارة وبرد هذا أخرى ﴿ولتعلوا﴾ بفصل هذا من
 هذا (عدد السنين) أى من غير حاجة إلى حساب، لأن النيرين
 يدلان على تحول^٦ الحول بمجرد تنقلهما^٧.

ولما كانا أيضا يدلان على حساب المطالع والمغارب، والزيادة
 والنقصان، وغير ذلك من الكوائن، لمن أمعن النظر، وبالغ فى الفكر. ١٥

- (١-١) من ظ وم، وفى الأصل: لجعلناها لا يبصر، وفى مد: لجعلناها لا يبصر.
 (٢) من ظ وم، وفى الأصل ومد: لا تبصر (٣) من ظ وم ومد، وفى
 الأصل: مسيرة (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تفعل (هـ) زيد من ظ
 وم ومد (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: المترتبة (٧) من ظ وم ومد،
 وفى الأصل: تطلبوا (٨) فى ظ: تحويل (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: نقلهما.

قال^١ تعالى: ﴿و الحساب^٢﴾ أى جنسه، فصلناها لذلك على هذا الوجه المتقن بالزيادة والنقصان، و تغير الأحوال فى أوقات معلومة، على نظام لا يخل^٣ على طول الزمان مقدار ذرة، و لا ينحل^٤ قيس^٥ شعرة إلى أن يريد الله خراب العالم و فناء الخلق، فيبد ذلك كله فى أسرع وقت و أقرب زمن، و لولا اختلافها لاختلطت الاوقات و تعطلت الأمور ﴿و كل شيء﴾ غيرهما مما تحتاجون إليه فى دينكم أو دنياكم ﴿فصلته﴾ أى بعظمتنا، و أزلنا ألباسه؛ و أكد الأمر تنبها على تمام القدرة؛ و أنه لا يمجزه شيء يريده، فقال تعالى: ﴿تفصيلا﴾ فانظروا بأبصاركم و بصائركم، و تتبعوا فى علانياتكم و سرائركم، تجدوا ١٠ أمرا^٦ متقنا و نظاما محكما ”ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر غاسقا و هو حسير“.

ولما كان هذا أمرا دقيقا جدا، أتبعه ما هو أدق منه و أغرب فى القدرة و العلم من تفاصيل أحوال الآدميين، بل كل مكلف بعضها من بعض من قبل أن يخلقهم، فقال تعالى: ﴿و كل انسان﴾ أى من ١٥ [فى - ٢] طبعه التحرك و الاضطراب ﴿الزمنه﴾ أى بعظمتنا ﴿ظنره﴾ أى عمله الذى قدرناه عليه من خير و شر، و لعله عبر به

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فقال (٢-٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: اوقات لا تختل (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لا محل (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: أزلنا (٥) العبارة من هنا إلى «أمرا متقنا» ساقطة من ظ (٦) من م و مد، وفى الأصل: امر (٧) زيد من ظ و م و مد. (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: أو.

لأنهم كانوا لا يقدمون ولا يحجمون في المهم من أعمالهم إلا بالطائر
 فيقولون: جرى لفلان الطائر بكذا. (في عنقه) أى الذى محل
 الزين [بالقلادة - ٢] ونحوها، والشين بالغل ونحوه، إلزاما لا يقدر
 أن ينفك عن شيء منه كما لا يقدر على الاشتكاك عن العنق، وذلك
 كما ألزمتنا بنى إسرائيل ما قضينا إليهم في الكتاب، فكان كما قلنا، وهم
 يعلمون أنه من السوء يمكن، فلم يقدروا على الاحتراز منه والافتصال
 عنه، فلا يمكن أن يظهر في الأبد إلا ما قضى به في الأزل. جف القلم
 بما هو كائن، (ونخرج) أى بما لنا من العظمة وشمول [العلم وتام - ٢]
 القدرة (له يوم القيمة) / أى الذى لا بد من إيجاده (كتابا) بجميع
 ما عمل (يلقه) حال كونه (منشورا) تكتبه حفظتنا كل يوم، ١٠
 ثم إذا صعدوا قابلوا ما فيه على ما سطرناه قديما في اللوح المحفوظ فيجدونه
 كما هو، لا خلاف فيه أصلا، فاذا لقي كتابه يوم العرض قيل له:
 (اقرأ كتبك) أنت بنفسك غير ملزم بما يقرأه غيرك (كنى)
 وحقق الفاعل بزيادة الباء فقال تعالى: (بنفسك اليوم) أى في
 جميع هذا اليوم الذى تكشف فيه السور، وتظهر جميع الأمور ١٥
 (عليك حسيب) أى حاسبا بليغا، فانك تعطى القدرة على قراءته

- (١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لكذا (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد
 من ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل: بالفعل (٥) من م ومد،
 وفي الأصل وظ: من (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: بالجميع (٧) في ظ:
 ملزوم (٨) زيد في الأصل: جميع، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفناها.
 (٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل: حاسبتا.

أما كنت^١ أو قارنا ، ولا ترى فيه^٢ زيادة ولا نقصا^٣ ، ولا تقدر أن
تنكر منه حرفا ، إن أنكره لسانك شهدت عليك أركانك ، فيا لها
من قدرة باهرة ، وقوة قاهرة^٤ ، ونصفه ظاهرة^٥ !

ولما كان ما مضى ، أنتج قطعاً معنى ما قلنا لبني إسرائيل " إن
٥ احسنتم " - الآية ، لكل أحد منهم ومن غيرهم ، وذلك قوله تعالى :
(من اهتدى) فبيع الهدى (فانما يهتدى لنفسه ج) لأن ثوابه لا يتعداه
(ومن ضل) بالإعراض عما أنزلنا من البيان (فانما يضل عليها) لأن
عقابه عليه ، لا يتجاوز (ولا تزر وازرة) أى [أى - ٥] وازرة كانت
(وزر أخرى) لتخفف^٦ عنها ، بل لكل جزاء عمله لا يتعداه إلى غيره ،
١٠ فثيب^٧ من اهتدى ونعذب^٨ من ضل (وما كنا) أى على عظمتنا
(معذنين) أحدا (حتى نبعث) أى بعثا يناسب عظمتنا (رسولا)^٩
فن بلغته دعوته فخالف أمره واستكبر^{١٠} عن اتباعه عذبه بما يستحقه ،
وهذا أمر قد تحقق بأرسال آدم عليه السلام " ومن بعده من
الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام في جميع الأمم كما قال تعالى :
١٥ " ولقد بعثنا^{١١} في كل [أمة - ١٢] رسولا " ، " وإن من أمة إلا خلا فيها نذير " ^{١٣}

(١) في ظ : كان (٢) زيد في ظ : من (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
نقصان (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : باهرة (٥) زيد من م (٦) من ظ
وم و مد ، وفي الأصل : ليخفف (٧) من م و مد ، وفي الأصل : وثبت .
(٨) من م و مد ، وفي الأصل : يعذب (٩) زيد في ظ : أى (١٠) في ظ :
استكثر ، وفي مد : استنكر (١١) العبارة من هنا إلى « فيها نذير » - اقطعة من م
ومد (١٢) في ظ : أرسلنا (١٣) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٦
آية ٣٦ (١٤) سورة ٣٥ آية ٢٤ .

فان دعوتهم إلى الله تعالى قد انتشرت ، و عمت الأقطار و اشتهرت ، انظر إلى قول قریش الذين لم يأتهم نبى بعد إسماعيل عليه السلام "ما سمعنا [بهذا - ١] فى الملة ٢ الأخيرة" فانه يفهم أنهم سمعوه فى الملة ٢ الأولى ، فمن بلغت دعوة أحد منهم بوجه من الوجوه قصص فى البحث عنها فهو كافر مستحق للعذاب ، فلا تغتر بقول كثير من الناس فى نجات أهل الفترة ٥ مع إخبار النبى صلى الله عليه و على آله و سلم أن آباءهم الذين مضوا فى الجاهلية فى النار ٢ ، و أن ما يدرج الجعل خير منهم ٣ - إلى غير ذلك من الأخبار ، قال الإمام أبو عبد الله الحلي ٤ أحد أجلاء الشافعية و عظماء أئمة الإسلام "رضى الله عنهم" فى أوائل منهاجه ٦ فى باب من لم تبلغه الدعوة : و إنما قلنا : إن من كان منهم عاقلاً عتيراً إذا رأى و نظر إلا ١٠ أنه لا يعتقد ديناً فهو كافر ، لأنه و إن لم يكن سمع دعوة نبياً صلى الله عليه و على آله و سلم فلا شك أنه سمع دعوة أحد من الأنبياء الذين كانوا قبله صلى الله عليه و على آله و سلم على كثرتهم ، و تطاول أزمان دعوتهم ، و فور عدد الذين آمنوا بهم و اتبعوهم و الذين كفروا بهم و خالفوهم ،

(١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٣٨ آية ٧ (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) و هذا البحث قد استوعبه السيوطى من مختلف النواحي فى رسالته «الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة» فراجعها ايضاً (٤) راجع مستند الإمام أحمد ٣٠١/١ (٥) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخارى الشافعى ، فقيه ، محدث ، متكلم ، أديب ، قوفى سنة ٤٠٣ هـ ، و راجع لمصادر ترجمته معجم المؤلفين ٣/٤ (٦) و اسمه الكامل : منهاج الدين ، و هو كتاب جليل فى نحو ثلاثة مجلدات - راجع كشف الظنون .

فان الخبر قد يبلغ على لسان المخالف كما يبلغ على لسان الموافق ، وإذا
سمع آية دعوة كانت إلى الله فترك أن يستدل بعقله على صحتها وهو
من أهل الاستدلال والنظر ،^١ كان بذلك معرضا عن الدعوة فكفر -
واقه أعلم ، وإن أمكن أن يكون لم يسمع قط بدين ولا دعوة نبى
هـ ولا عرف أن^٢ في العالم من ثبت إلها - وما نرى^٣ أن ذلك يكون -
فان كان فأمره على الاختلاف - يعنى عند من يوجب الإيمان بمجرد
العقل ومن لا يوجبه إلا بانضمام النقل . / وما قاله الحليمي نقل
نحوه^٤ عن الإمام الشافعى نفسه^٥ رضى الله عنه ؛ قال الزركشى^٦ فى آخر
باب الديات من شرحه على المنهاج : وقد أشار الشافعى إلى^٧ عشر
١٠ قصور^٨ - أى عدم بلوغ - الدعوة حيث قال : وما أظن أحدا
إلا بلغته الدعوة إلا أن يكون قوم من وراء النهر بكوننا ، وقال
الدميرى^٩ : [و - '] قال الشافعى : ولم يبق من لم^{١٠} تبلغه الدعوة .

/ ٢٩٦

ولما أشار إلى عذاب المخالفين ، قرر أسبابه وعرف أنها بقدره ،

(١) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ وم ومد لحذفها (٢-٣) من
ظ وم ومد ، وفى الأصل : لا اعترف الا (٣) من ظ وم ومد ، وفى
الأصل : ما يرى (٤) العبارة من هنا إلى « لم تبلغه الدعوة » ساقطة من م (٥) سقط
من ظ (٦) فى ظ : بنفسه (٧) هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى الشافعى - راجع
للمصادر تربيته معجم المؤلفين ٢٠٥/١ (٨-٨) فى ظ : عدم تصوره (٩) هو إلياس
ابن عبد الله الدميرى فقيه شافعى ، وله أيضا شرح على المنهاج - راجع معجم
المؤلفين ٣١٤/٢ (١٠) زيدت الواو من ظ وم مد .

و أن

و أن قدره لا يمنع حقوق المذاب، لبناء الأمر على ما يتعارفه
 ذوو^۱ العقول [بينهم -^۲] قال تعالى : (و إذا) أى فنبعث^۳ الرسل
 بأوامرنا و نواهنا ، و إذا أردنا أن ننجي قربة الحياة الطيبة في
 الدنيا و الآخرة ، ألقينا في قلوب أهلها امثال أوامرنا و التقيد باتباع
 رسلنا ، و إذا (أردنا) و إرادتنا لا تكون إلا عظيمة جدا (ان نهلك)^۵
 أى بعظمتنا (قرية) في الزمن المستقبل (امرنا) أى بما لنا من العظمة
 التي لا يقدر أحد على مخالفتها (مترفيا) الذين لهم الأمر و النهي
 بالفسق ، أى استدرجناهم بأدوار النعم و دفع النقم على ما يعملون^۶
 من المعاصي ، الذي كان - بكونه سببا بطرم و مخالفتهم - كالامر بالفسق
 (ففسقوا فيها) بعد ما أزال^۷ الرسول معاذيرهم بتبليغ^۸ الرسالة كما قال ۱۰
 تعالى " فلما نسوا ما ذكروا به - أى على السنة الرسل - فتحنا عليهم
 أبواب كل شيء^۹ " - الآية " و كذلك جعلنا في كل قرية اكبر مجرميها
 ليكفروا فيها^{۱۰} " و خص المترفين لأن غيرهم لهم تبع ، و لانهم أحق
 الناس بالشكر^{۱۱} و أولى بالانتقام عند الكفر ، و يجوز أن يكون : أمرناهم
 بأوامرنا ففسقوا فيها ، أى الأوامر " [بالطاعات -^{۱۲}] التي يعلم قطعا ۱۵

(۱) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : ذوى (۲) زيد من ظ و م و مد (۳) من ظ
 و م و مد ، وفي الأصل : فبعث (۴) سقط من ظ (۵) في ظ : يعلمون (۶) في ظ :
 زال (۷) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لتبليغ (۸) سورة ۶ آية ۴ (۹) سورة ۶
 آية ۱۲۳ (۱۰) في مد : بالشعر (۱۱) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : امرنا .

أن أوامرنا 'تكون بها ولا تكون' بغيرها، لأننا لا نأمر بالفحشاء، وقد
 جرت العادة بأن المترف عبر الانقياد، لا تكاد تسمع نفسه بأن يصير
 تابعا بعد ما^١ كافي متبوعا، فدعوا قلوبهم غيرهم لأن الأصاغر تبع للأكبر
 فأتبعوا على المحبة فأهلكناهم، وقرأ يعقوب: أمرنا - بمد الهزلة
 ٥ بمعنى كثرتنا، من أمرت الشيء وأمرته فأمر - إذا كثرت، وفي الحديث^٢
 خير المال سكة مأبورة^٣ ومهرة مأبورة، أي كثيرة التاج، وروى
 البخاري في التفسير^٤ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا
 نقول للحى إذا كثروا في الجاهلية: أمير بنو فلان. والكثرة راجعة
 إلى الأمر الذي [هو -^٥] ضد النهى، فانه نتيجة العز الذي هو لازم
 ١٠ الكثرة، ويجوز أن يكون من المؤامرة، أي أمرناهم بأوامرنا فما
 امتثلوا وأمرناهم بأوامرهم، أي^٦ سألونا ما يريدون فأعطيناهم ذلك
 استدراجا فأبطروهم نيل الأمانى ففسقوا (فحق) أي وجب وجوبا
 لاشك في وقوعه (عليها القول) الذي توعدناهم [به -^٧] على لسان
 الرسول بمباشرة البعض للفسق وسكوت الباقيين على حسب ما
 ١٥ تتعارفونه^٨ بينكم في أن من خالف الأمر الواجب عليه استحق العقاب^٩
 (فدمرناها^{١٠}) أي أهلكتناها [إهلاكا -^{١١}] شديدا بغتة غير مبالين بها فجعلناها
 (١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: قطعاً ولا يكون (٢) من ظ و م و مد،
 وفي الأصل: ان (٣) راجع مسند الإمام أحمد ٣ / ٤٦٨ (٤) من ظ و م و مد
 والمسند، وفي الأصل: مأموره (٥) على هذه الآية (٦) زيد من ظ و م و مد،
 (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: « و » (٨) في ظ: يتعارفونه (٩) من
 ظ و م و مد، وفي الأصل: العذاب (١٠) من ظ و م و مد والقرآن
 الكريم، وفي الأصل: فدمرناهم.

كالمدرة المفتة ، و كان أمرها على عظمتنا هينا ، ولذلك أكد فقال تعالى : (تدبراه) .

ولما قرر أن هذا شأنه إذا أراد أن يهلك^١، أخبر أنه فعل ذلك بمن لا يحصيهم العد من القرون . ولا يحيط بهم الحد من الأمم ، لأن الاعتبار بالمشاهد أوقع في القلب و أهول^٢ عند النفس ، فكأنه قال : هـ كم [فعلنا - ٢] ذلك بالقرى ولم نستعجل في^٣ إهلاك قرية منهم ولا أخذناهم من غير إنذار ، بل أرسلنا فيهم و أملينا لهم إلى أن كان ما علمناه في الإزل ، وجاء الوقت الذي قدرناه ، و بلغوا في الذنوب ما يستحقون به الأخذ ، و لقد / أهلكنا قوم نوح على هذا السن . ٢٩٧ /
و كانوا أهل الأرض - كما مضت الإشارة إليه و وقع التنبيه عليه ، و إهلاكهم ١٠ كان في إبلاغ أهل الأرض ما أرسلنا به رسلنا من التوحيد . لأن ذلك لم يخف على أحد بعدهم ، و عطف على هذا المقدر قوله تعالى : (وكم أهلكنا) أي بما لنا من العظمة ، و بين مدلول 'كم' بقوله تعالى : (من القرون) على هذا السن .

ولما كان الإهلاك بعذاب الاستئصال لم يستغرق ما بعده ، أدخل ١٥ الجار فقال تعالى : (من بعد نوح^٤) الذي أتم ذرية^٥ من أنجبناه^٦

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : نهلك (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : اهون (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : من (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : التوجيه (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ما (٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ذريته (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : انجبنا .

بالحل منه بذنوبهم، أمهلناهم حتى أعذرنا إليهم [ثم - ١] أخذناهم^٢ في مدد متفاوتة، فكان بعضهم أقصر^٣ مدة من^٤ بعض وبعضهم أنجينا^٥ بعد أن أحطنا به مخايل العذاب، و أما من قبل نوح فالظاهر من عبارة التوراة و سكوت القرآن أنهم لم يكونوا [كفارا - ٥]، وبه صرح كثير من المفسرين في تفسير "كان الناس امة واحدة"^٦.

ولما كان ذلك^٧ ربما أوجب أن يقال: كيف يعذب الساك مع إمكان عذره بعجزه^٨ أو غيره؟ قال دافعا لذلك تاركا مظهر العظمة، تلطفا بهذا النبي الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، في جملة^٩ حالة: ﴿و كفى بربك﴾ أي المحسن إليك بالعفو عن أمتك وأعقابهم من^{١٠} الاستئصال ﴿بذنوب عباده﴾ أي لكونه خلقهم وقدر ما فيهم من جميع الحركات والسكنات ﴿خييرا﴾ من القدم، فهو يعلم السر وأخفى، وأما أتم فليست هناك، فكم من إنسان كنتم ترونه من أكابر الصالحين ثم أسفرت عاقبه عند الامتحان عن أنه من أصل الضالين^{١١} ﴿بصيراه﴾ بها، إذا وقعت لا يخفى^{١٢} عليه شيء منها، وأما أتم فكم من شخص

(١) زيد من م (٢) في ظ : اخذنا (٣-٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل : من مدة (٤) من ظ وم ، وفي الأصل ومد : انجينا (٥) زيد من ظ وم ومد . (٦) سورة ٢ آية ٢١٣ (٧) تكرر في الأصل فقط (٨) من م ومد، وفي لأصل وظ: لعجز (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل : حملة (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل : عن (١١) في ظ : الصالحين (١٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل : لا يخفى .

كتم ترونه مجتهدا في العبادة : فاذا خلا بارز ربه بالعظام .
ولما تقرر أنه سبحانه خبير بذنوبهم بعد تزهيده في الدنيا بما ذكر
من مصارع الأولين : أتبعه الإخبار بأنه ' يعاملهم على حسب علمه على
وجه متعرف بعلمه بجميع طوياتهم من خير و شر ، مرغب في الآخرة ،
مرهب من الدنيا ، لأنها المانعة من اتباع الرسل و التقيد بطاعتهم ، خوفا
من نقص الحظ من الدنيا بزوال ما [هو - '] فيه من الرئاسة و المال
و الانهباك في اللذة "جهلا بأن" ما قدر لا يكون غيره سواء كان
صاحبه في طاعة أو معصية فقال تعالى : (من كان يريد) أى إرادة
هو فيها في غاية الإيمان بما اقتضاه طبعه المشار إليه بفعل الكون .

١٠ ولما كان مدار مقصود السورة على الإحسان الذى هو العبادة
على المشاهدة ، و كان ذلك متنافيا لحال من يلتفت إلى الدنيا ، عبر
بقوله تعالى : (العاجلة) أى فقط (عجلنا) أى بعظمتنا (له فيها)
" أى العاجلة " (ما نشاء) عما يريد . لا جميع ما يريد ؛ ثم أبدل من
" له " قوله تعالى : (لمن يريد) أى لا لكل من أراد ذلك ،
تنبيها على أن " ذلك بقوتنا لا بقوة ذلك المريد " (ثم جعلنا)

(١) فى ظ : بان (٢) زيد من ظ و م و مد (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : حملا على ان (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من م (٥) من ظ و م و مد ،
فى الأصل : تريده (٦) من ظ و م و مد والقرآن الكريم ، وفى الأصل : يريد .
(٧) زيد فى الأصل : من اراد ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لجذباتها .

أى بما لنا من العظمة (له) أى لظاهره و باطنه (جهنم ج)
 أى الدركة النارية التى تلقى بالتجهنم من كان يلحق الدنيا و أهلها بالتبسم
 (يصلها) فى الآخرة (مذموما) أى مفعولا به الذم ، و هو ضد
 المدح (مدحورا) مدفوعا مطرودا مبعدا، فينبغى لمريد الدنيا أن
 لا يزال على حذر لانه لا ينفك من عذاب الآخرة ، فان لم يعط شيئا
 من مناه - كما أشار إليه "لمن يريد" - اجتمع له العذابان كاملين : فقر
 الدنيا و عذاب الآخرة ، و إن أعطى فهو لا يعطى كل ما يريد - بما
 أشار إليه "ما نشاء" - فيجتمع له عذاب ما منعه منها مع عذاب الآخرة .
 و لما ذكر/ الجاهل . ذكر العالم العامل فقال تعالى : (ومن اراد الآخرة)

/ ٢٩٨

١٠ أى مطلق لإرادة - بما أشار إليه التجريد "من كان" (وسمى) أى
 و ضم إلى نيته العمل بأن سعى (لها سعيها) أى الذى هو لها ، و هو ما
 كانت جديرة به من العمل بما يرضى الله "بما شرعه فى كتابه و سنة
 رسوله صلى الله عليه و على آله و سلم ، لا أى سعى كان بما لم يشهد
 ظاهر الكتاب و السنة ، إعلاما بأن النية لا تنفع [إلا مع العمل ، إما
 ١٥ بالفعل عند التمكن ، و إما بالقوة عند عدمه ؛ ثم ذكر شرط السعى الذى
 لا يقبل إلا - ١٠] به . فقال تعالى : (و هو مؤمن) أى راسخ فى هذا الوصف

(١) زيد فى ظ : له (٢) فى ظ : يلقى (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لمن
 يريد (٤) زيد فى ظ : الدنيا و - كذا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : من (٧) العبارة من هنا إلى الكتاب
 و السنة ، ساقطة من م (٨ - ٨) من مد ، وفى الأصل : من ، وفى ظ : فلم .
 (٩) فى ظ : من (١٠) زيد من ظ و م و مد .

كما جاء عن بعض السلف: من لم يكن له ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب - وتلا هذه الآية^١، وهذا الرسوخ^٢ هو الإحسان الذي يدور عليه مقصود السورة^٣؛ ثم رتب عليه الجزاء فقال: ﴿فَاوْلَئِكَ﴾ أي^٤ العالو الرتبة لجمعهم الشروط الثلاثة ﴿كَانَ﴾ أي كونا لا بد منه ﴿سَعِيهِمْ مَشْكُورًا﴾ أي مقبولا مثابا عليه بالتضعيف^٥ مع أن بعضهم تفتح^٦ عليه أبواب الدنيا كداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ونستعمله فيها بما يجب، وبعضهم نزويها^٧ عنه كرامة له لا هوأها^٨، فالحاصل أنها^٩ إن وجدت عند الولي لم تشرفه، وإن عدمت عنه لم تحقره، وإنما الشرف وغيره عند الله بالأعمال.

ولما أخبر عن نفسه الشريفة بما يشير إلى التوسعة على من يريد^{١٠} من أهل الباطل، أخبر بأنه قضى بذلك^{١١} في الأزل تفضلا فقال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي من الفريقين: [مريد -^{١٢}] الدنيا ومريد الآخرة ﴿نَعْدُ﴾ أي بالعطاء؛ ثم أبدل^{١٣} من "كلا" قوله تعالى: ﴿تَهْوَلَاءُ﴾ أي الذين طلبوا^{١٤} الدنيا نعد ﴿وَتَهْوَلَاءُ﴾ الذين طلبوا الآخرة نعد ﴿من عطاء ربك﴾ أي المحسن إليه بجميع قضائه، إن ضيق على مؤمن فبالحماية من الدنيا^{١٥}

- (١) ذكره في لباب التأويل ١٢٥/٤ وروح المعاني ٥٠/٤ أيضا بدون التعيين.
- (٢ - ٣) سقط ما بين الرقین من م (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بفتح (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يروها (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: هواة (٧) زیدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد، وفي الأصل و ظ: ذلك (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد، وفي الأصل: من ابدلا - كذا.
- (١١) في ظ: ظلموا.

الفانية التي إنما هي^١ لهو ولعب، وإن وسع فبالاستعمال فيها على حسب ما يرضيه ويعلى كلمته ﴿وما كان عطاء ربك﴾^٢ أى الموجد لك المدبر لا مرك^٣ ﴿محظوراه﴾ أى ممنوعا في الدنيا عن مؤمن ولا كافر، بل هو ملء السهل والجبل من الذهب والفضة والحديد والنحاس والجواهر والثمار وأقوات الناس والبهائم، وغير ذلك مما لا يحصيه ٥
إلا الله حتى [لو-^٤] اجتمع كل الناس على جمعه ليلا ونهارا، ولم يكن لهم شغل سوى ذلك، لأعيامهم ولم يقدرُوا عليه، فسبحان الجواد [الواسع-^٥] المعطى المانع، ثم أمر بالنظر في عطاءه^٦ هذا على وجه مرغب في الآخرة مزهد في الدنيا، فقال تعالى آمرا بالاعتبار:
١٠ ﴿انظر﴾ و بين أن حالهم لغرابته أهل لأن يسأل عنه فقال تعالى:
﴿كيف فضلنا﴾ أى بما لنا من العظمة القاهرة ﴿بعضهم على بعض﴾^٧ في هذه الحياة الدنيا بالعطاء، فصار الفاضل يسخر المفضول، والمفضول يرغب في خدمة المفضل ويتشرف بالتقرب إليه، مع أن رزق الله - وهو عطاءه - بالنسبة إلى الكل على حد سواء، خلق ما هو ١٥ موجود في هذه الدنيا للبر والفاجر، وكل حريصون على أن يأخذوا فوق كفايتهم من الأرزاق التي هي أكثر منهم^٨، فما كان هذا التفاضل إلا بقسر^٩ قادر قهرهم على ذلك، وهو من تنزه عن النقص [و-^{١٠}] حاز

(١) سقط من ظ (٢-٢) تكرر ما بين الرقین فی الأصل فقط بعد «من عطاء ربك» (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فی ظ : اعطايه (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ : منها (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ : سر .

كل كمال، فاستحق أن لا توجه رغبة راغب إلا إليه .

ولما نبه على أن ما نراه من التفضيل إنما هو بمحض قدرته ، أخبر
أن ما بعد الموت كذلك من غير فرق فقال : ﴿ وللآخرة ﴾ أكد
الإخبار عما فيها المستلزم لتأكيد الإعلام بوجودها^١ لما لهم من إنكاره
﴿ اكبر درجت ﴾ من هذه الحياة^٢ الدنيا ﴿ واكبر تفضيلاً ﴾ أولاً بالجنة ه
و النار أنفسهما ، وثانياً بالدرجات في الجنة و الدرجات في النار ؛ ولما
كان العلم هنا مقيداً بالذنوب ، ذكر بعد المفاضلة^٣ في الدنيا ، ولعل [في - ٤]

ذلك إشارة إلى أن أكثر من^٥ يزداد في الدنيا تكون / زيادته نقصاً من
آخرته بسبب ذنب اكتسبه أو تقصير ارتكبه ، ولما كان العلم فيما يأتي
في قوله تعالى ” وربك اعلم “ مطلقاً ، طوى بعده الرذائل ، وعطف على ١٠
ذلك المطوى الفضائل ، فقال تعالى ” ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض “ - الآية ، فمن كانت له نفس أية وهمة عليه كان عليه أن يزداد
في علو^٦ فإن لاجل علو الباقي .

ولما تقرر بما مضى أن له سبحانه الأمر كله ، وأنه متصف بجميع
الكمال منزّه عن شوائب النقص ، أتبع أنه لا إله غيره ، فقال تعالى يخاطب ١٥
الرأس لأن ذلك أوقع في أنفس^٧ الاتباع ، وإشارة^٨ إلى أنه لا يوحده

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لوجودها (٢) من ظ و م و مد ،
وفي الأصل : الدنيا (٣ - م) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بعده الفاصلة .
(٤) زيد من م و مد (٥) في ظ : ما ؛ وزيد بعده في الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة
في ظ و م و مد لحذفها (٦) في ظ : النفس (٧) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : اشار .

حق توحیده سواه، و يجوز أن يكون خطابا عاما لكل من يصح أن يخاطب به: ﴿لا نجعل مع الله﴾ الذي له [جميع -^۱] صفات الكمال^۲ ﴿الها﴾ و شيئاً قريبا سر^۳ قوله: ﴿آخر﴾ أنه مفهوم من المعية ﴿فتقعد﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن تقعد أى تصير فى الدنيا قبل
 ٥. الآخرة ﴿مذموما﴾.

ولما كان الذم قد يحتمله بعض الناس [مع -^۱] بلوغ الأمل، بين أنه مع الخية فقال تعالى: ﴿مخذولا﴾ أى غير منصور فيما أرده من غير أن يغنى عنك أحد بشفاعه أو غيرها. ولما قرع الأسماع بهذا النهى المحتم لتوحيده، أتبعه الإخبار بالامر بذلك جمعا فى ذلك بين صريحى الامر والنهى تصرحا بعد التنزيه له عن الشريك بالإفراد له فى العبادة
 ١٠. فى أسلوب الخبر، إعلاما بعظم المقام فقال تعالى: ﴿وقضى﴾ أى نهاك عن ذلك و أمر ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك أمرا حتما مقطوعا به ماضيا لا يحتمل النزاع؛ ثم فسر هذا الامر بقوله تعالى: ﴿الاعتبدوا﴾ أى أنت وجميع أهل دعوتك، وهم جميع الخلق
 ١٥. ﴿آياها﴾ فإن ذلك هو الإحسان.

ولما أمر^۱ بمعرفة الحق المحسن المطلق منها على وجوب ذلك باسم الرب، أتبعه الامر بمعرفة الحق لأول المرين^۲ من الخلق فقال:

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الملك.
 (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ: شرح (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل:
 يحتمل (٥) سقط من م ومد (٦) من م ومد، وفى الأصل و ظ: اخبر.
 (٧) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الخزين.

﴿و بالوالدين﴾ أى وأحسنوا، أى أوقعوا الإحسان بهما ﴿احساناً﴾^١
 بالاتباع فى الحق إن كانا حنيفين^٢ شاكرين لأنعمه كإبراهيم ونوح
 عليهما السلام فإن ذلك [يزيد - ٢] فى حسناتهما، وبالبراءة منهما فى الباطل
 فإن ذلك يخفف من وزرهما واللفظ بهما ما لم يجر إلى فساد ليكون الله
 معكم^٣ فإنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .
 ٥

ولما كان سبحانه عليهما بما فى الطباع من ملال الولد لهما عند
 أخذهما فى السن، قال تعالى: ﴿أما﴾ مؤكداً بادخال 'ما' على الشرطية
 لزيادة التقرير للغنى اهتماماً بشأن الأبوين ﴿يلفن عندك﴾ [أى - ٠]
 بأن يضطر [إليك - ٦] فلا يكون لهما كافل غيرك ﴿الكبر﴾ ونفى
 كل احتمال يتعلق به المتعنت بقوله تعالى: ﴿أحدهما أو كليهما﴾ فيعجز^{١٠}
 بحيث يكونان فى كفالتك ﴿فلا تقل لهما أف﴾ أى لا تنضجر منهما، وفى
 سورة الأحقاف^١ ما ينفع كثيراً هنا؛ ثم صرح بما ينهى عنه^٢ الكلام
 من باب الأولى^٣ تعظيماً لل مقام [فقال - ١٢]: ﴿ولا تنهرهما﴾ فيما لا أرضاه؛
 والنهر: زجر باعلاظ وصياح . وقال الأستاذ أبو الحسن الحرالى
 رحمه الله^٤ فى كتابه فى أصول الفقه: وقد أولع الأصوليون بأن يذكروا ١٥

(١) من م، وفى الأصل و ظ و مد: حقيقين (٢) زيد من م و مد (٣) من م
 و مد، وفى الأصل و ظ: معهم (٤-٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: مال
 الوالد (٥) زيد من مد (٦) زيد من م (٧) فى ظ: فيعجز (٨-٨) من ظ و م
 و مد، وفى الأصل: لا تنضجر منهما (٩) آية ١٧ (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ
 و م و مد، وفى الأصل: أولى (١٢) زيد من ظ و م و مد .

نظم الدرر (سورة الاسراء ١٧ : ٢٣ و ٢٤) ج - ١١

في جملة هذا الباب^١ - أى باب الاستدلال بالملزوم على اللازم و الأدنى على الأعلى - قوله تعالى " و لا تقل لهما [اف - ٢] " بناء على أن التأنيف عندهم أقل شيء يعق به الأب ، و ذلك حائد عن سنن [البيان - ٢] و وجه الحكمة ، لأنه ليس في العقوق شيء أشد من التأنيف^٢ لأنه إنما يقال للمستقذر المسترذل ، و لذلك عطف عليه " و لا تنهرهما " لأنه لا يلزم منه لزوم سواء و لا لزوم أخرى ، و لا يصلح فيما يقع أدنى أن يعطف عليه ما يلزمه سواء ، أو^٣ أخرى ، كما لو قال قائل : من يعمل^٤ ذرة خيرا يره^٥ ، و من يعمل قيراطا يره ، لم يصلح عطفه عليه لإفادة الأول إياه ، و لعل ذلك / شيء وهل فيه واهل فسلك^٦ إثره^٧ من غير اعتبار / ٣٠٠ .

١٠ لقوله - انتهى .

و لما نهاه عن عقوقهما تقدما لما تدرأ به المفسدة ، أمره ببرهما جلبا للصلحة ، فقال تعالى : ﴿ و قل لهما ﴾ أى بدل النهر و غيره ﴿ قولا كريما ﴾ أى حسنا جميلا يرضاه الله و رسوله مع ما يظهر فيه من اللين و الرقة و الشفقة و جبر الخاطر و بسط النفس ، كما يقتضيه حسن الأدب و جميل المروءة ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكتاب (٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : درجة . (٥) من م و مد ، و فى الأصل : التأنيف ، و فى ظ : العقوق (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٧) زيد فى مد : خيرا (٨) زيد فى الأصل بعده : و من يعمل مثقال شريرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها . (٩-١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسلك فيه .

و من ذلك أنك لا تدعوها بأسمائهما^١ ، بل يا أبتاه و يا أمناه - و نحو هذا ﴿ و اخفض لها ﴾ و لما كان الطائر يخفض جناحه عند الذل ، استعار لتعطفه عليهما رعباً لحقوقيهما قوله تعالى : ﴿ جناح الذل ﴾ أى جناح ذلك ، و بين المراد بقوله تعالى : ﴿ من الرحمة ﴾ أى [لا -^٢] من أجل امثال الامر و خوف العار فقط ، بل من أجل الرحمة لها ، بأن لا تزال تذكر نفسك بالأوامر و النواهي و ما تقدم لها من الإحسان إليك ، فصارا مفتقرين إليك و قد كنت أفقر خلق الله إليهما ، حتى يصير ذلك خلقاً^٣ لازماً لك فان : النفس لأماره^٤ بالسوء ، و إن لم تقد إلى الخير بأنواع الإرغاب و الإرهاب و الإمعان في النظر في حقائق الأمور و عجائب المقدور ، و لذلك أتبعه قوله تعالى آمراً بأن لا يكتفى برحمته التي لا بقاء لها ، فان ١٠ ذلك لا يكفى حقهما بل يطالب لها الرحمة الباقية : ﴿ و قل رب ﴾ أى أيها المحسن إلى بعطفهما على حتى ربياني و كانا يقدماني على أنفسهما ﴿ ارحمهما ﴾ بكرمك برحمتك الباقية [وجودك -^٥] كما رحمتها أنا برحمتي القاصرة مع بخلي^٦ و ما في من طبع اللوم^٧ ﴿ كما ربيني ﴾ برحمتها لي^٨ (صغيراً) وهذا مخصوص

(١) في ظ : بأسبابها (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) زيد في الأصل : لك ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لان (٥) من مد ، وفي الأصل : ظ و م : إماره (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من م (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الى .

بالمسلمين بآية^١ 'ما كان للنبي^٢، لا منسوخ، و لقد أبلغ سبحانه في الإيضاء بهما حيث بدأه بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده و نظمه في سلوكه، و ختمه بالتضرع في نجاتهما، جزاء على فعلهما و شكرا لهما، و ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في [أدنى - ٢] شيء من امتهانهما، مع موجبات الضجر و مع أحوال لا يكاد 'يدخل الصبر إليها' في حد الاستطاعة
 ٥ إلا بتدريب كبير .

ولما كان ذلك عسرا جدا، حذر من التهاون به بقوله^٣ تعالى :
 ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم في الحقيقة ، فانه هو الذى عطف عليكم من يريكم و هو الذى أعانهم على ذلك ﴿ اعلم ﴾ أى منكم ﴿ بما فى نفوسكم ﴾
 ١٠ من قصد البر بهما و غيره، فلا يظهر أحدكم غير ما يبطن ، فان ذلك لا ينفعه و لا ينجيّه إلا أن يحمل نفسه على ما يكون سببا لرحمتها
 ﴿ ان تكونوا ﴾ أى كونا هو جلبة لكم ﴿ صلحين ﴾ أى متقين
 أو محسنين فى نفس الامر ؛ و الصلاح : استقامة [الفعل - ٢] على ما يدعو إليه^٤ الدليل، و أشار إلى أنه لا يكون ذلك إلا بمعالجة النفس
 ١٥ و ترجيعها كرة بعد فرة^٥ بقوله تعالى : ﴿ فانه كان للواوين ﴾ أى الرجاعين^٦

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بانه (٢) سورة ٩ آية ١١٣ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : الصبر يدخل اليهما .
 (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل : قوله (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل : كرة (٨) من م و مد، وفى الأصل و ظ : الراجعين .
 إلى (١٠١) ٤٠٤

إلى الخير مرة إثر مرة بعد جماع أنفسهم عنه (غفورا) أى بالغ
الستر، تنديها لمن وقع منه تقصير، فرجع عنه على أنه مغفور .

ولما حث على الإحسان إليهما بالخصوص، عم بالأمر به لكل

ذى رحم وغيره، فقال تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ من جهة الأب

أو الأم وإن بعد ﴿حقه و﴾ آت ﴿المسكين﴾ وإن لم يكن قريبا .

﴿و ابن السيل﴾ وهو المسافر المتقطع عن ماله لتكون متقيا محسنا .

ولما رغب في البذل، وكانت النفس قلما يكون فعلها قواما

بين الإفراط والتفريط، أتبع ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تبذر﴾ بتفريق

المال سرفا، وهو بذله فيما لا ينبغي، وفي قوله: ﴿تذيرا﴾ تنبيه على أن

الارتقاء نحو ساحة التبذير أولى من الهبوط إلى مضيق الشح والتقتير: ١٠

و التبذير: بسط اليد في المال على حسب الهوى جزافا، وأما الجود

فبمقدار^٢ معلوم، لأنه اتباع أمر الله في الحقوق المالية، ومنها معلوم

/ بحسب القدر، ومنها معلوم بحسب الوصف كعاضدة^٣ أهل الملة ٣٠١ /

وشكر أهل الإحسان [إليك -^٤] ونحو ذلك، وقد سئل ابن

مسعود رضى الله عنه عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه، وعن ١٥

بجاهد^٥ رضى الله عنه: لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق ما كان

تبذيرا، ولو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا^٦. ثم علل ذلك بقوله:

(١) في ظ: متحققا (٢) في ظ: فقذار (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ:

لمعاضدة (٤) زيد من ظ وم ومد (٥-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد.

(٦) ألم بالقولين في معالم التنزيل أيضا - راجع لباب التأويل ٤/ ١٢٨ .

(ان المبذرين) أى جيلة و طبعا (كانوا) أى كوناهم راسخون فيه
 (اخوان الشيطين) أى كلهم، البعدين من الرحمة، المحترقين فى
 اللعنة، فان فعلهم فعل النار التى هى أغلب أجزائهم، وهو إحراق
 ما وصلت إليه لنفع وغير نفع، فاذا لم يجدوا أخذوا ما ليس لهم،
 ٥ والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم وتابع أمرهم: هو أخوهم.

ولما كان الاقتصاد أدعى إلى الشكر، والتبذير أقود إلى الكفر،
 قال تعالى: (وكان الشيطان) أى هذا الجنس البعيد من كل خير،
 المحترق من كل شر (لربه) أى الذى أحسن إليه بإيمانه وتربيته
 (كفورا) أى ستورا لما يقدر على ستره من آياته الظاهرة، ونعمه
 ١٠ الباهرة، مع الحجة.

ولما أمر بما هو الأولى فى حالة الوجدان، أمر بمثل ذلك حالة
 العدم، فقال مؤكدا تنبيها على أنه ينبغى أن يكون الإعراض عنهم فى
 حيز الاستبعاد والاستنكار: (واما تعرض عنهم) أى عن جميع
 من تقدم من أمرت بالبذل له، لأمر 'اضطرك' إلى ذلك لا بد لك
 ١٥ منه، لكونك لا تجد ما تعطيه، فأعرضت حياء لا لإرادة المنع، بل

(ابتغاء) أى طلب (رحمة) أى إكرام وسعة (من ربك) ٢
 الكثير الإحسان (ترجوها) فاذا أتتك واستيتهم فيها (فقل لهم)
 فى حالة الإعراض (قولا ميسورا) أى ذا بسر يشرح صدورهم،
 ويبسط رجاءهم، لأن ذلك أقرب إلى طريق المتقين المحسنين الذين أنا

(١) فى ظ: الامر (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: اضطرك (٣) زيد فى
 مد: اى.

مهم ؛ قال أبو حيان: وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطى وسئل قال: يرزقنا الله وإياكم من فضله - [انتهى -^١] . وقد وضع هنا الابتغاء موضع الفقر لأنه سببه، فوضع المسبب موضع السبب .

ولما أمر بالجود الذى هو لازم الكرم، نهى عن البخل الذى هو لازم اللوم، فى سياق ينفر^٢ منه ومن الإسراف، فقال بمثلا لهما بادئا بمثال الشح: ﴿ ولا تجعل يدك ﴾ بالبخل ﴿ مغولة ﴾ أى كأنها بالمنع مشدودة بالغل ﴿ الى عنقك ﴾ لا تستطيع مدّها ﴿ ولا تبسطها ﴾ بالبذل ﴿ كل البسط ﴾ فتبذر ﴿ فتقعده ﴾ أى توجد كالمقعد، بالقبض ﴿ ملوما ﴾ أى بليغ الرسوخ فيما تلام^٣ بسببه عند الله، لأن ١٠ ذلك مما نهى عنه، وعند الناس، وبالبسط ﴿ محسورا ﴾ منقطعا بك لذهاب ما تقوى^٤ به وانحصاره عنك، وكل من الحالتين مجاوز لحد الاعتدال. ولما كان سبب البخل خوف الفقر، وسبب البسط محبة إغناء المعطى، قال مسليا لرسوله^٥ صلى الله عليه وسلم عما^٦ كان يرهقه من الإضافة عن التوسعة على من يسأله بأن ذلك إنما هو لثرية العباد^٧ بما ١٥ يصلحهم، لا لهوان بالمضيق عليه، ولا لإكرام للوسع عليه: ﴿ ان ربك ﴾

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ينفى (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يلام (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يقوى . (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لرسول الله (٦) سقط من ظ (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: المعاد .

أى المحسن إليك (يسبط الرزق لمن يشاء) البسط له دون غيره
 (و يقدر^١) أى يضيق كذلك ' سواء قبض يده أو بسطها ، ولو بسط الله
 الرزق لعباده لبغوا فى الارض ، ولكنه تعالى لا يبلغ بالمبسوط له
 غاية مراده ، ولا بالمقبوض عنه أقصى مكروهه ، فاستنوا^٢ فى إيفاقكم على
 عبادته بسفته^٣ فى الاقتصاد (انه كان) أى كونا هو فى غاية المكنة
 (عباده / خيرا) أى بالغ الخير (جيرا^٤) أى بالغ البصر بما يكون
 من كل القبض والبسط لهم مصلحة أو مفسدة .

/٣٠٢

ولما أتم سبحانه ما أراد 'من الوصية' بالاصول وماتبع ذلك ،
 وختمه بما قرر من أن قبض الرزق وبسطه [منه - °] من غير أن
 ينفع فى ذلك حيلة . أوصاهم بالفروع ، لكونهم فى غاية الضعف وكانوا
 يقتلون بناتهم خوف الفقر ، وكان اسم البنت قد صار عندهم لطول
 ما استهجنوه موجبا للقسوة ، فقال فى النهى عن ذلك مواجهها لهم ، لإعلاما
 ببعده صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن هذا الخلق قبل الإسلام وبعده :
 (ولا تقتلوا اولادكم) معبرا بلفظ الولد الذى هو داعية إلى الحنو والعطف
 ١٥ (خشية املاق^٥) أى فقر متوقع لم يقع بعد ؛ ثم وصل بذلك استثناء
 [قوله - °] : (نحن نرزقهم وإياكم) مقدما ضمير الاولاد لكون
 الإملاق مترقا من الإنفاق عليهم غير حاصل [فى حال القتل ، بخلاف
 (١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ذلك (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ :
 فآمنوا (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لسنة (٤-٤) من م ومد ، وفى
 الأصل وظ : بالوصية (٥) زيد من ظ وم ومد .

- آية الأنعام^١ فان سياقتها يدل على أن الإملاق حاصل -^٢ [عند القتل ،
والقتل للعجز عن الإنفاق ، ثم علل ذلك بما هو أعم منه فقال تعالى :
(ان قتلهم) أى مطلقا لهذا أو^٣ غيره (كان خطأ) أى إنما (كبيرا)
قال الرماني : والخطأ - أى بكسر ثم سكون - لا يكون ؛ إلا تمعنا إلى
خلاف الصواب ، والخطأ - أى محركا - قد يكون من غير تعمد . هـ
ولما كان في قتل الأولاد حظ من البخل ، وفي فعل الزنا داع
من الإسراف ، اتبعه به فقال تعالى : (ولا تقربوا) أى أدنى قرب بفعل
[شيء -^٤] من مقدماته ولو باخطاره بالخاطر (الزنى) مع أن^٥
السبب^٦ الغالب في فعل النساء له الحاجة وطلب التزويج ، وفيه معنى قتل
الولد بتضييع نسبه . [وفيه تسبب -^٧] في إيجاد نفس بالباطل ، كما أن ١٠
القتل تسبب في إعدامها بالباطل ، وعبر بالقربان تعظيما له لما فيه من
المفاسد الجارية إلى الفتن بالقتل وغيره ؛ ثم علله بقوله مؤكدا إبلاغا في التفسير
عنه لما للنفس^٨ من شدة الداعية إليه : (انه كان) أى كونا لا ينفك عنه
(فاحشة^٩) أى زائدة القبح ، وقد نهاكم عن الفحشاء في آية العدل
والإحسان^{١٠} (وساء) الزنا (سيلا) أى ما أسوأه " من طريق ١٥
(١) آية ١٥١ (٢) زيد من م ظ و م ومد (٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل
" و (٤) في ظ : لا تكون (٥) زيد من م ومد (٦) زيد في ظ : اى (٧) سقط
من ظ (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : السبب (٩) من ظ و م ومد ،
وفي الأصل : في النفس (١٠) من سورة النحل (١١) من ظ و م ومد ، وفي
الأصل : ما امنوا .

و التعبير عنه بالسبيل يدل على كثرة متعاطيه بالدلالة على سعة منهجه .

ولما أتم النهي عن هذين الأمرين المتحدّين في وصف الفحش

وفي السبب على تقدير^٢ ، وفي إهلاك الولد بالقتل وما في معناه ، أتبعهما

مطلق القتل الذي من أسبابه تحصيل المال فقال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا النفس ﴾

هـ أى بسبب ما جعل خالفها لها من النفاسة ﴿ التي حرم الله ﴾ أى الملك

الأعلى الذي له الأمر كله بالإسلام أو العهد ﴿ الا بالحق ﴾ أى بأمر

يحلّ الله به تلك الحرمة التي كانت ، فصارت الأسباب المنهى عنها بتحريم

مسيئاتها منع^٣ الموجود بخلاف^٤ ثم بذله إسرافاً^٥ ثم تحصيل المفقود بغياً^٦ ،

ثم عطف على ما أفهم السياق تقديره وهو : فن قتل نفسا بغير حق

١٠ فقد عصى الله ورسوله ﴿ ومن قتل ﴾ أى وقع قتله من أى قاتل كان

﴿ مظلوما ﴾ أى بأى ظلم كان ، من غير أن يرتكب إحدى ثلاث :

الكفر ، والزنا بعد الإحصان ، وقتل المؤمن عمداً^٨ ، عدواناً ﴿ فقد جعلنا ﴾

أى بما لنا من العظمة ﴿ لوليه ﴾ أى سواء كان قريباً أو [سلطاناً -^٩] ﴿ سلطنا ﴾

أى أمراً متسلطاً ﴿ فلا يسرف ﴾ الولي ، أو فلا تسرف أيها الولي ﴿ في القتل ﴾

١٥ بقتل غير القاتل . ولا يزد على حقه بوجه ﴿ انه ﴾ أى القتل ﴿ كان منصوراً ﴾

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : سعة - كذا (٢) من ظ و م ومد ، وفي

الأصل : تقديره (٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : « و » (٤) من م ومد ،

وفي الأصل : تحل ، وفي ظ : يجعل (هـ - هـ) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :

الوجود بخلاف (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : استشرافاً (٧) من ظ و م

ومد ، وفي الأصل : ايضاً (٨) زيدت الواو في ظ (٩) زيد من ظ و م ومد .

في الدنيا بما جبل^١ الله في الطباع من خش القتل، وكرهه كل أحده،
وبغض القاتل والنفرة [منه - ^٢]، والاختذ على يده، وفي الآخرة بأخذ
حقه منه^٣ من غير ظلم ولا غفلة، فمن وثق بذلك ترك الإسراف، فانه
لخوف الفوت أو^٤ للتخويف^٥ من العود.

/ ولما نهى [عن - ^٢] الإغارة^٦ على الأرواح والابضاع التي هي^٧ ٥ ٣٠٣/
سيها، أتبعه النهي عن نهب ما هو عديها، لأن به قوامها، وهو الأموال،
وبدأ بأحق ذلك بالنهي لشدة الطمع فيه لضعف مالها فقال تعالى:
(ولا تقربوا) أي فضلا عن أن تأكلوا (مال اليتيم) فعبر بالقربان
الذي هو قبل الاختذ [تعظيما - ^٢] لل مقام (الابالقي هي احسن) من
طرائق القربان^٨، وهو التصرف فيه بالغبطة تشميرا^٩ لليتيم (حتى يبلغ) ١٠
اليتيم (اشده^{١٠}) وهو إيناس الرشد منه بعد بلوغه.

ولما كانت الوصية نوعا من أنواع العهد، أمر بوفاء ما هو أعم
منها^{١١} فقال تعالى: (واوفوا) أي أوفعوا هذا الجنس في الزمان
والمكان، وكل ما يتوقف عليه الأمر المعاهد عليه ويتعلق به^{١٢} (بالعهد^{١٣})

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: جعل (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) سقط
من ظ (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل «و» (٥) في ظ: التخيوف.
(٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: الاعادة (٧) زيد في الأصل وظ: من،
ولم تكن الزيادة في م ومد فخذناها (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: القرآن.
(٩) من ظ وم ومد، في الأصل: تشميرا (١٠) في ظ: منه (١١-١٢) سقط
ما بين الرقين من م (١٢) تأخر في الأصل عن «من المخافة» والترتيب من ظ
وم ومد؛ والعبارة من بعده إلى «نقص ما» ساقطة من م.

أى بسببه^١ ليتحقق الوفاء به ولا يحصل فيه نقص ما^٢، وهو العقد الذى يقدم للتوثق .

ولما كان العلم بالنكث و الوفاء متحققا ، كان العهد نفسه كأنه هو المسؤول عن ذلك ، فيكون رقبيا على الفاعل به ، فقال تعالى مرها ٥ من المخالفة : ﴿ ان العهد كان ﴾ أى كونا مؤكدا عنه^٣ ﴿ مسؤلاه ﴾ أى عن كل من عاهد [هل - ٢] وفى به ؟ أو مسؤلا عنه من كل من يتأتى منه السؤال .

ولما كان^٤ التقدير بالكيل أو الوزن من جملة الأمانات الخفية كالنصرف لليتيم ، وكان الائتمان [عليه - ٢] كالمعهد فيه ، [أتبعه - ٢] ١٠ قوله : ﴿ وادفوا الكيل ﴾^٥ أى نفسه فانه أمر محسوس لا يقع فيه إلباس واشتباه ؛ ولما كان^٦ صالحا لمن أعطى و من أخذ ، [قال - ٦] : ﴿ اذا كلم ﴾ أى لغيركم ،^٧ فان اكلتم^٨ لانفسكم فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حكم ولم توفوا الكيل ﴿ وزنوا ﴾ أى وزنا متلبسا^٩ ﴿ بالقسطاس ﴾ أى ميزان العدل الذى هو أقوم الموازين ، وزاد فى تأكيد معناه فقال تعالى : ١٥ ﴿ المستقيم ﴾^{١٠} دون شئ من الحيف على ما مضى فى الكيل سواء ﴿ ذلك ﴾

(١) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) سقط من ظ .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) العبارة من هنا إلى « من أخذ » ساقطة من م .
(٥) سقط من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فاذا اكلم (٨) من ظ ، وفى الأصل و م و مد : متلبسا .

أى الأمر العالى الرتبة^١ الذى أمرناكم به ﴿خير﴾ لكم فى الدنيا والآخرة
 وإن ترأى لكم أن غيره خير ﴿واحسن تاويلاه﴾ أى عاقبة فى الدارين ،
 وهو تفعليل من الأول وهو الرجوع ، وأفعل التفضيل^٢ هنا لاستعمال
 [النصفة لإرخاء-^٣] العنان ، أى على تقدير أن يكون فى كل منهما خير ،
 فهذا الذى ذكرناه أزيد خيرا والعامل لا [ينبغي أن -^٤] يرضى لنفسه بالدون . هـ
 و لما كان ذلك مما تشهد القلوب^٥ بحسنه ، وأصداده مما تتحقق
 النفوس قبجه ، لأن الله تعالى جبل الإنسان على ذلك كما قال صلى الله
 عليه وعلى آله وسلم : البر ما سكن إليه القلب واطمأنت إليه النفس ،
 والإثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر وإن أفتاك المفتون وأفتوك^٦ .
 وقال^٧ : «إن مما^٨ أدرك الناس من كلام النبوة [الأولى -^٩] : إذا لم تستح^{١٠}
 فاصنع ما شئت^{١١} » ، وكان قد جمع الضمائر سبحانه^{١٢} ، تلاه^{١٣} سبحانه بما يعمه
 وغيره فقال تعالى^{١٤} «مفردا الضمير ليصوب^{١٥} » النهى إلى كل من الجمع^{١٦} »

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : التفعليل (٣) زيد من ظ
 وم ومد (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : العقول .
 (٦) راجع مسند الدارمى باب دع ما يريك إلى ما لا يريك من كتاب البيوع ،
 ومسند الإمام أحمد ٤/ ١٩٤ و ٢٢٨ (٧-٧) من ظ وم ومد وصحيح البخارى -
 باب ما ذكر فى بنى إسرائيل من كتاب الأنبياء ، وفى الأصل : انما ، ورواه أيضا
 أبو داود فى الأدب وابن ماجه فى الزهد (٨) زيد من ظ وم ومد والصحيح .
 (٩-٩) سقط ما بين الرقين من م (١٠) فى ظ : تلا (١١) العبارة من هنا إلى
 « حد سواء » ساقطة من م (١٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بتصوب .
 (١٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الخم .

نظم الدرر (سورة الاسراء : ١٧ و ٢٦ و ٢٧) ج - ١١

و الأفراد في حالتى الاجتماع و الانفراد على حد سواء: ﴿ولا﴾ أى^١
افعلوا ما أمرتم به من ذلك، و اتهموا عما نهيتهم عنه منه، لما تقرر في
الجيلات من العلم الضروري بخبريته و حسنه، و لا ﴿تقف﴾ أى تتبع أيها
الإنسان مجتهدا^٢ بتتبع الآثار ﴿ما ليس لك به علم﴾ من ذلك و غيره، كل
شيء^٣ بحسبه، لاسيما البهت^٤ و القذف، فإ كان المطلوب فيه القطع
لم يقنع فيه بدونه، و ما اكتفى فيه بالظن وقف عنده؛ ثم علل ذلك^٥
مخوفا بقوله: ﴿ان السمع و البصر﴾ و هما طريقا الإدراك ﴿و الفؤاد﴾
الذى هو آلة الإدراك؛ ثم هوّل الأمر بقوله تعالى: ﴿كل أولئك﴾
أى هذه الأشياء العظيمة، العالية المنافع، البديعة التكوين، و أولاء
١٠ و جميع أسماء الإشارة يشار بها للعاقل و غيره كقوله^٦:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى و العيش بعد أولئك الأيام

﴿كان﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿عنه﴾ أى وحده ﴿مسؤلاً﴾
بسؤال يخصه، هل استعمله / صاحبه في طلب العلم مجتهدا في ذلك،
ليعمل عند الوقوف على الحقائق بما يرضى الله، و يجتنب^٧ ما يسخطه
١٥ أولاً؟ و أول حديث النفس الساج ثم الحاطر ثم الإرادة و العزيمة،
فيؤاخذ بالإرادة و العزيمة لدخولها تحت الاختيار فيتعلق بها التكليف^٨،

/ ٣٠٤

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: مجدا (٣) في ظ: ذلك.
(٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: السب (٥) زيد في الأصل: كان،
و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٦) وهذا القول لجرير على ما رواه
غير واحد - كما في روح المعاني ٤ / ٥٢١ (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل:
يحتسب (٨) في ظ: التكلف.

و لعدم

ولعدم دخول الأولين خفف عنا بعدم المؤاخذه [بهما - '] ، كما قال
صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن الله^٢ تجاوز لآمتي عما حدثت به
أنفسها^٣ ما لم تعمل به أو تكلم^٤ .

ولما كان الكبر والافتقار أعظم موقف عن العلم الداعي إلى
كل خير ، ومرض^٥ بمرض الجهل الحامل على كل شر ، قال تعالى : هـ
(ولا تمش) أى مشيا ما ، وحقق المعنى بقوله تعالى : (فى الأرض)
أى جنسها (مرحاء) وهو شدة الفرح التى يلزمها الخلاء ، لأن ذلك
من رعونات [النفس - '] بطيش الهوى وداعى الشهوة وما طبع^٦
عليه من النقائص ، فانه لا يحسن إلا بعد [بلوغ - '] جميع الآمال
التي^٧ تؤخذ بالجد ولن^٨ يكون ذلك لمخلوق ، ولذلك علله بقوله تعالى : ١٠
(انك لن تحرق) أى ولو بأدنى الوجوه (الأرض)^٩ أى تقطعها
سيرا من مكانك إلى طرفها (ولن تبلغ) أى بوجه من الوجوه
(الجبال طولاً) أى طول الجبال كلها بالسير فيها ، فاذا كنت
[تعجز - '] فى قدرتك وعلمك عن خط مستقيم من عرض الأرض

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م ومد ، وفى
الأصل : أنفسها (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : تتكلم ، وراجع أيضاً
مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٩٣ ، والحديث قد رواه غير واحد فى غير مناسبة .
(٥) فى م : مومن (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : طبقت (٧) من م
ومد ، وفى الأصل وظ : الذى (٨) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ان .
(٩) تكرر فى الأصل فقط بعد " تحرق " .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧ : ٣٨ و ٣٩) ج - ١١

مع الجِدِّ و الاجتهاد و ' عن التناول' على أوتادها فيما ذا تفخر ؟
و بأى شيء تتكبر [حتى تبخر - '] ؟ و ذلك من فعل من بلغ جميع
ما أمل ؟ ثم عظم جميع ما مضى من المنهيات و أضداد المأمورات
بقوله تعالى : (كل ذلك) أى الأمر البعيد من المكارم (كان)
هـ أى كونا غير مزايل .

ولما كانت السيئة قد صارت فى حكم الاسماء كالإثم و الذنب
و زال عنها حكم الصفات ، حملها على المذكر و وصفها به فقال تعالى :
(سيئه) و زاد بشاعته بقوله تعالى : (عند ربك) أى المحسن إليك إحسانا
لا ينبغي أن يقابل عليه إلا بالشكر (مكروهاه) أى يعامله معاملة المكروه
١٠ من النهى عنه و الذم لفاعله و العقاب ، و العاقل لا يفعل ما يكرهه المحسن
إليه حياة منه ، فان لم يكن بخوفاً من قطع إحسانه ، و خضوعاً لعز سلطانه ،
' و يجوز أن يكون المراد بهذا الأفراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم إشارة
إلى أنه لا يقدر أحد غيره على امتثال هذا المعنى على ما ينبغي ، لأنه
لا يعلم أحد العلم على ما هو عليه سواء ، و لأن الرأس ' إذا خوطب بشيء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الطال (٣) من ظ و م
و مد ، وفى الأصل : تفتخر (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل : أضداده (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لاسيما (٧) من م
و مد ، وفى الأصل و ظ : قال (٨) سقط من م (٩) من م ، وفى الأصل
و ظ و مد : خوفاً (١٠) العبارة من هنا إلى « و به أعني » ساقطة من م .
(١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الدارين .

كان الاتباع له أقبل وبه أغنى .

ولما تمت هذه الأوامر [و - '] الزواجر على هذا الوجه الأحكم والنظام الأقوم ، أشار إلى عظيم^٢ شأنه ومحكم إتقانه بقوله على طريق الاستئناف ، تنديها للسامع^٣ على أن يسأل عنه : (ذلك) أى الأمر العالى جدا (بما أوحى^٤) أى بعث فى خفية (اليك ربك) أى المحسن إليك هـ (من الحكمة^٥) التى لا يستطيع نقضها ولا الإتيان بمثلها من الدعاء إلى الخير والنهى عن الشر ، ومن حكمة هذه الأشياء المشار إليها من الأوامر [و النواهي - '] أنها لم تقبل النسخ فى شريعة من الشرائع ، بل كانت هكذا فى كل ملة .

ولما بين أن الجهل سبب لكل سوء ، وكان الشرك أعظم جهل ، ١٠ أتبعه - ليكون النهى^٦ عنه بدءا وختاماً ، دلالة على فرط شناعته عطفاً على ما مضى من النواهي - قوله تعالى : (ولا تجعل) أو - يقدر له ما يعطف عليه نحو : فالزمه ولا تجعل (مع الله) أى الملك الأعظم الذى له الأمر كله (الها) .

ولما كانوا لتعتهم ربما جعلوا^٦ تعداد الأسماء^٦ تعدادا للسميات ١٥ كما ورد فى سبب زول " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن^٧ " قال تعالى مع إلهام المعية للغيرية : (آخر) فان ذلك أعظم الجهل الذى نهى

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : عظم (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : السائل (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل « و » (٦-٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : تعدادا للأسماء . (٧) سورة ١٧ آية ١١٠ .

عن قفوه (قتلقي) أى يفعل بك فى الآخرة فى / الحبس (فى جهنم)
 من الإسراع فيه وعدم القدرة على التدارك فعل من ألقى من عالٍ ،
 حال كونك (ملوماً) أى معنفاً على ما فعلت بعد الذم (مدحوراً)
 أى مطروداً بعد الخذلان ، فهذان الوصفان أشنع من وصفى الذم
 ه والخذلان فى الآية الأولى كما هى ستة تعالى أن يبدأ بالأخف تسليكا
 لعباده ، وإنما كان الشرك أجهل الجهل لأن من الواضح أن الإله
 لا يكون إلا واحداً بالذات فلا ينقسم ، وبالأعتبار فلا يجانس ؛ وعن
 ابن عباس^١ رضى الله عنها أن هذه الثمان عشرة آية كانت فى ألواح
 موسى عليه السلام أولها " لا تجعل مع الله الهاً آخر " وهى^٢ عشر آيات فى
 ١٠ التوراة ، جعل فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك ، لأن التوحيد رأس كل
 حكمة وملاكها^٣ ، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وإن^٤ بذ فيها الحكماء ،
 وحك يافوخه^٥ الساء ، ما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم ، وهم عن
 دين الله أضل من النعم .

و لما كان ادعاءهم أن الملائكة بنات الله ادعاءً لأن له مناسبا ومجانسا
 ه فى أخص الصفات وهى الإلهية^٦ ، وكانت عبادتهم لهم تحقيقاً لذلك ،
 وكان ذلك أزيد من مجرد الشرك فى الجهل ، ساقه مساق التقريب
 والتوبيخ تنبيهاً على ظهور فساد متصل بما مضى من النهى عن الشرك

(١) ذكره فى لباب التأويل ٤ / ١٣١ غير معزو إلى ابن عباس ، ومعزوا إليه
 فى الكشف ١ / ٥٥٠ (٢) فى ظ : هو (٣) من ظ وم ومد والكشاف ، وفى
 الأصل : هلاكها (٤-٥) من م ومد والكشاف ، وفى الأصل : يدتها ، وفى
 ظ : ند فيها (٥) من الكشف ، وفى الأصل وم ومد : يافوخه ، وفى ظ :
 يافوخ (٦) من ظ وم ومد والكشاف ، وفى الأصل : اشعار (٧) فى ظ : الآية .

بالعطف بقاء السبب على " ما " بعد الاستئناف بهمزة الإنكار^٢، فكان كأنه قيل: لا تفعل ذلك كما فعل هؤلاء الذين أفرطوا في الجهل فقسبوا إليه من خلقه أدنى الجزمين كما تقدم [في التحل -^٢] في قوله تعالى " ويجعلون لله البنات " - الآية، ثم عبدوا ذلك الجزء وهم لا يرضونه لأنفسهم؛ ثم التفت إليهم مخاطبا بما دل على تناهي الغضب [فقال -^٥]: هـ (افاصفكم ربكم) أى أخلق المحسن إليكم بنين و بنات فأصفاكم إحسانا إليكم وأنتم تكفرون به^٦ (بالبنين) الذين هم أفضل صنفى الأولاد، (و) لم يحسن إلى نفسه [بأن -^٥] شارككم في البنين، بل (اتخذ) عبر بالافتعال لأن من عدل إلى أحد^٧ الصنفين مع التمكن^٨ من الآخر لا يكون إلا شديد الرغبة فيما عدل إليه (من الملائكة) الذين ١٠ هم أقرب عباد أولاد^٩، ثم ما كفاه نقص الولدية ومعالجة أسبابها حتى جعل ما اتخذته (أنا) فرضي^{١١} لنفسه - وهو إلهكم الخالق الرازق - بما لا ترضونه^{١٢} لأنفسكم، ووصلتم في كراهته في بعض الحالات إلى القتل، فصار مشاركا لكم^{١٣} في البنات مخصصا لكم دونه بالبنين، وذلك خلاف

- (١) سقط من م (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: الاستنكار (٣) زيد من م ومد (٤) راجع آية ٧ هـ (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل: حد (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل: التمكين (٩ - ١٠) من ظ و م ومد، وفي الأصل: عبادك اولاد (١٠) من م ومد، وفي الأصل وظ: فرض (١١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لا يرضونه (١٢) زیدت الواو فی الأصل، ولم تكن فی ظ و م ومد فحذفناها.

عادتكم، فان العبيد لا يؤثرون بالاجود و يكون الادون للسادات،^١ و عبر
 أولا بالبنين دون الذكور لأن اسم الابن الذ في السمع، مرض^٢ لمن
 بشر به من غير نظر في العاقبة، وقد يكون أنشئ الافعال، و لأن اسم
 الذكر مشترك المعنى، و عبر في الثاني بالإناث لإفهام الرخاوة بمدلول
 هـ، اللفظ، و لأنهن بنات بالمعادلة، و يمكن أن تنزل الآية على^٣ الاحتباك،
 فيكون التقدير: بالبنين و رضى لنفسه بالبنات، و خصكم^٤ في نوعكم الذى
 هو أضعف ما يكون بالذكور، و اتخذ من الملائكة الذين منهم من يقدر
 على حمل الأرض و قلب أسفلها على أعلاها إنانا في غاية الرخاوة، و لذلك
 استأنف^٥ الإنكار عليهم معظما [لذلك -^٦] بقوله تعالى: ﴿انكم لتقولون﴾
 ١٠ و أكدته لما^٧ لهم من التهان به و الاجترأ [عليه -^٨] بقوله تعالى:
 ﴿قولا﴾ و زاد في ذلك بقوله: ﴿عظيما﴾ أى في الجهل و الإفك^٩، عليه
 و على ملائكته الذين لا يعصونه^{١٠} ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، قضيفون^{١١}
 إليه الأولاد و هم من خصائص^{١٢} الاجسام ثم "تفضلون أنفسكم" عليه

(١) العبارة من هنا إلى «الرخاوة و لذلك» ساقطة من م (٢) من ظ و مد،
 و في الأصل: يرضى (٣) من ظ و مد، و في الأصل: من (٤) في ظ:
 حكم (٥) في م: ثم استأنف (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد،
 و في الأصل: بما (٨) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ و مد و لم تكن في م
 فحذفناها (٩) من م و مد، و في الأصل: لا يعصون الله، و في ظ: لا يعصون.
 (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: فيضيفون (١١) من م و مد، و في
 الأصل و ظ: خصائص (١٢ - ١٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: يفضلون
 أنفسهم - كذا.

فتجعلون' له ما تكروهون'.

ولما كان في هذا [من - ٣] البيان ما لا يخفى على إنسان ولم يرجعوا،
أشار إلى أن لهم؛ أمثال هذا الإعراض عن أمثال هذا البيان فقال تعالى:
/ (ولقد صرفنا) أى طرقنا طريقا عظيما بأنواع طرق البيان من العبر
والحكم، والأمثال والأحكام، والحجج والأعلام، في قوالب الوعد
والوعيد، والأمر والنهي، والحكم والمشابهة - إلى غير ذلك
(في هذا القرآن) من هذه الطرق ما لا غبار عليه، ونوعاته من جهة إلى
جهة، ومن مثال إلى مثال؛ والتصريف لغة: صرف الشيء من جهة إلى
أخرى، ثم صار كناية عن التبيين - قاله أبو حيان.

ولما كان [ذلك - ٥] مركزا في الطباع، وله في العقول أمثال ١٠
تبرز عرائسها من خدورها بأدنى التفات من النفس، سمي الوعظ بها
تذكيرا بما هو معلوم فقال تعالى: (ليذكروا) أى نوعا من التذكر -
بما أشار إليه الإدغام، فانه سبحانه كريم يرضى باليسير - هذا في قراءة
الجماعة، وقرأ حمزة والكسائي باسكان الذال وضم الكاف إشارة إلى
أن جميع ما في القرآن لا يخرج شيء منه عن العقل، بل هو مركز ١٥
في الطباع، وله شواهد في الأنفس والآفاق، يستحضرها الإنسان بأدنى
إشارة وأيسر تنبيه، إذا أزيل عنها ما سترها عن العقل من الحفظ

- (١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فيجعلون (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل:
- يكرهون (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: انهم.
- (٥) زيد من م ومد (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: مذكور (٧) من ظ
- وم ومد، وفي الأصل: غرائبها (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ثم.
- (٩) من م ومد، وفي الأصل وظ: لا.

و الشواغل ، و أتبعه قوله تعالى معجبا منهم : ﴿ و ما يزيدهم ﴾ التصريف
 ﴿ إلا نفورا ﴾ عن السماع فضلا عن التذكر ، لاعتقادهم أن ذلك ليس
 ببراين ، بل [هو - ^٢] شبه و خيل إلى صرفهم عما هم فيه مما ألفوه
 و تلقوه عن آباؤهم و ^٣ تمادت عليهم الدهور في اعتقاد كونه حقا ،
 ه فكأنه قيل : فما يفعل بهم ؟ فقال تعالى : ﴿ قل ﴾ [لهم - ^٤] و لا تيأس
 من رجوع بعضهم : ﴿ لو كان معي ﴾ أى ربكم الذى تقدم وصفه
 بالإحسان و التنزيه ﴿ الهة كما يقولون ﴾ من هذه الأقوال التى
 لو قالها أعظمكم ^٥ فى حق أدناكم و هو يريد بها حقيقتها لصار ضحكة
 للعباد ﴿ اذا لا تبغوا ﴾ أى طلبوا طلبا عظيما ﴿ الى ذى العرش ﴾
 ١٠ أى صاحب السرير الأعظم المحيط الذى من ناله كان منفردا بالتدبير
 ﴿ سيلا ﴾ أى طريقا سالكا يتوصلون به إليه ليقهره و يزيلوا ملكه
 كما ترون من فعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض ، أو ^٦ ليتخذوا عنده
 يدا تقربهم إليه ، و صرح بالعرش تصويرا لعظمته و تعيينا للبتنى و المبتغى ؛
 ثم نزه نفسه تعظيما عن ذلك و عن كل نقص فقال تعالى : ﴿ سبحانه ﴾
 ١١ أى تنزه التنزه ^٨ الأعظم عن كل شائبة نقص ﴿ و تعلنى ﴾ أى علا

- (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : من (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقطت
 الواو من ظ (٤) فى ظ و م و مد : تقولون ، والياء قراءة ابن كثير و حفص .
 (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : او عظمكم .
 (٧-٧) من م و مد ، وفى الأصل : ليتخذ عندهم ، وفى ظ : ليتخذ عنده .
 (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تنزه .

أعظم العلو بصفات الكمال (عما يقولون^١) من هذه النقائص التي لا يرضاها^٢ لنفسه أحد من عقلاء خلقه فضلا^٣ عن رئيس من^٤ رؤسائكم، فكيف بالعلو الأعلى^٥ وأنى بالمصدر^٦ المجرد في قوله تعالى: (علوا) (إذانا بأن الفعل مجرد في الحقيقة وإن أتى به على صيغة التفاعل إذانا بالمبالغة (كبراء) لا تحتل عقولكم الوقوف على حقيقته ولا تدركون^٧ ه منه أكثر من مفهوم هذا الوصف عندكم بحسب ما تتعارفونه^٨

والامر أعظم من مقالة قائل إن رقق البلاء أو^٩ إن نغموا^{١٠}

ثم استأنف يان عظمة هذا التنزيه مقرونا بالوصف بالكمال فقال

تعالى: (تسبح) أى توقع التنزيه [الاعظم -^١] (له) [أى الإله -^٢]

الاعظم الذى تقدم وصفه بالجلال والإكرام خاصة (السنوت السبع) ١٠

كلها (والارض) أيضا (ومن فيهن^٣) من ذوى العقول (وان) (أى وما، وأعرق فى النقي فقال تعالى: (من شيء) (أى ذى عقل

وغيره (اليسبح) أى ينزه له متلبسا^٤ (بحمده^٥) [أى بوصفه بما له

من صفات الكمال -^٦] بما له تعالى فى ذلك الشيء من الآيات الدالة

(١) قرأه حمزة والكسائى وخلف وأبو الطيب بالتاء الفوقانية (٢) من ظ

وم ومد، وفى الأصل: لا يرضى (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من م

ومد، وفى الأصل وظ: بالمقصد (٥) من ظ وم رمد، وفى الأصل: لا يذكرون.

(٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يتعارفونه (٧) من ظ وم ومد، وفى

الأصل «و» (٨) زيدت الواو هنا فى الأصل، ولم تكن فى ظ وم ومد فخذناها.

(٩) زيد من ظ وم ومد (١٠) من ظ، وفى الأصل وم ومد: متلبسا.

(١١) ليس فى الأصل فقط.

على كل من السلب والإيجاب ، وهذا تسييح بلسان المقال ممن يصح منه ، و بلسان الحال منه ومن غيره ، كما قال الجدار للوتد : لم تشقى ؟ فقال : سل من يدقى . وهو تسييح من جهات شتى ليسمعها العارفون / ٣٠٧

بسمع / الفهم و صفاء الذهن من جهة ذاتها في خلقها^٢ ثم في معنى صفتها بحاجتها من جهة حداثتها إلى صانع أحدثها قديم غير مصنوع ، ومن جهة إتقانها إلى كونه مدبراً حكماً ، ومن جهة فنائها إلى كونه مع ذلك قادراً مختاراً ، قاهراً^٣ جباراً - إلى غير ذلك ، بخلاف ما لو قصر التسييح على لسان المقال فانه يكون من نوع واحد ، وأوضح مرشداً إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ ولكن لا تفقهون ﴾ دون ' تسمعون ' ١٠ ﴿ تسيحهم ﴾ لإعراضكم^٤ عن النظر و تفوركم^٥ عن سماع [الذكر -]^٦ الذى هو أعظم أسبابه ، على أن هذا إنما هو بالنسبة لغامة الخلق ، وأما الخاصة فانهم يسمعون تسييح الجمادات : روى البخارى^٧ عن عبد الله رضى الله عنه قال : كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخوفاً ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم في سفر فقل الماء فقال : اطلبوا ١٥ فضلة من ماء ، فجاءوا بأناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء و قال :

- (١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يقال (٢) زيد في الأصل : ثم وصفها ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لخصائصها (٣) في ظ : قهارا (٤-٥) - سقط ما بين الرقيف من ظ (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لاعراضهم . (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تفورهم (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨) راجع باب علامات النبوة في الإسلام - المناقب (٩) في الصحيح : ثم .
- ٤٢٤ (١٠٦) حتى

حى على الطهور المبارك^١ و البركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع
من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وشرف
وكرم وبجل وعظم - ولقد كنا نسمع تسييح الطعام^٢ وهو يؤكل .
وتسييح الحصى مشهور^٣ ، وفي زبور داود عليه السلام تكرير^٤ كثير
لهذه الآية وحث على تأملها ، قال في المزمور الثامن^٥ والستين : تسبح
له السماوات والأرض والبحار وكل ما يدب فيها^٦ . وفي المزمور
الخامس والثمانين^٧ : فليس مثلك يا ربى وإلهى ولا مثل أعمالك ، لأن
جميع الأمم الذين خلقت يأتون ويسجدون أمامك يا رب ويسبحون
لاسمك ، لأنك عظيم صانع الآيات . وفي الثامن والثمانين^٨ : بذراعك
العزيزة فرقت أعدائك ، لك السماوات ولك الأرض ، أنت أسست الدنيا
بكاملها ، خلقت البر والبحر ، تابور^٩ و حرمون باسمك^{١٠} يسبحان^{١١} ، لك
القوة والجبروت ، تعزز^{١٢} يدك ، وتعلو يمينك ، بالعدل والحكم أقمنا
كرسيك ، الرحمة والعدل ينطلقان أمامك ، طوبى للشعب الذى يعرف

(١) من ظ وم ومد والصحيح ، وفي الأصل : المتبارك (٢) في ظ : القصة .
(٣) راجع على سبيل المثال الخصائص الكبرى ٧٤/٢ (٤) من م ومد ، وفي
الأصل و ظ : تكبير (٥) في مد : الثانى ؛ وفي النسخة التى لدينا : التاسع ..
كذا بزيادة الواحد كما نبهنا عليه قبل ، وراجع آية ٣٤ (٦) في ظ : فيه .
(٧) راجع آية ٨ وما بعدها (٨) راجع آية ١١ وما بعدها (٩) من م ومد
والزمور ، وفي الأصل و ظ : تابور (١٠) في مد : لاسمك (١١) من م ومد ،
وفي الأصل و ظ : فسبحان (١٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : تغير .

تسبحك . وفي الخامس [والتسعين - ١] : سبحوا الرب تسبيحا جديدا^٢ ،
 الأرض كلها تسبح الرب^٣ ، اجدوا للرب في هياكل قدسه لأن جميع
 الأرض تنزل بين يديه ، قولوا في الشعوب : إن الله هو الملك أتعن
 الدنيا^٤ لكيلا تنزل ، يقضى بين الشعوب بالعدل ، تفرح^٥ السماوات
 ه [و - ٦] تنهج الأرض ، ينقلب البحر في عمقه ، تهلل البقاع وما
 فيها ، هنالك يسبح^٧ جميع شجر الغياض قدام الرب . وفي السابع^٨
 والتسعين^٩ : [والله - ١٠] تسبح كل الأرض ، مجدوا وهلوا وسبحوا
 الرب . و^{١١} في الثامن والأربعين بعد المائة^{١٢} : سبحوا الرب من
 السماوات ، سبحوه من العلى يا^{١٣} جميع ملائكته وكل جنوده تسبحه ،
 ١٠ الشمس والقمر يسبحانه ، وجميع الكواكب والنور تسبحه^{١٤} ، يسبح
 الرب سماء الدنيا والمياه التي فوق السماوات ، تسبح جميعا اسم الرب لأنه
 قال فكانوا ، وأمر فخلقوا ، وأقامهم إلى الأبد والدمر ، جعل لها
 مقدارا لا تتجاوزها ، يسبح الرب من في الأرض^{١٥} : [التانين - ١٦]

(١) زيد من ظ وم ومد ، وراجع الآية الأولى فما بعدها (٢) من ظ وم
 ومد ، وفي الأصل : جديرا (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : للرب .
 (٤-٤) من م ومد ، وفي الأصل وظ : لكن لا تنزل يقض (٥) من ظ وم
 ومد ، وفي الأصل : يفرح (٦) زيد من م ومد (٧) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل : تسبح (٨) في ظ : الثامن (٩) وراجع آية ٤ فما بعدها (١٠) زيد
 من ظ وم ومد (١١) سقط من ظ (١٢) راجع الآية الأولى فما بعدها ؛ وهذا
 الباب مع ما يأتي يتفق عددا مع أبواب نسختنا (١٣) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل : ما (١٤) في ظ : يسبحه (١٥) من ظ - وقد زيد فيه قبله : السماوات -
 وم ومد ، وفي الأصل : الدنيا .

و جميع الأعماق^١، النار والبرد والتلج والجليد والريح العاصفة عملت^٢
كلته، الجبال وكل الآكام، الشجر المثمرة وجميع الأرز، السباع
وكل البهائم والوحوش وكل حيوان وكل طائر ذى جناح، ملوك
الأرض وسائر الشعوب العظماء وجميع حكام^٣ الأرض، الشباب
والعذارى والشيوخ والصبيان يسبحون اسم الرب، لأن اسمه قد تعالى^٤

وحده . وفي^٥ الخمسين بعد المائة^٦ : سبحوا الله في كل قدسيه^٧، سبحوه
في جلد قوته، سبحوه كمثل جبروته، سبحوه بكثرة عظمت، سبحوه
بصوت القرن^٨، وسبحوه بأصوات عالية، كل نسمة تسبح الرب .
ولما كان تسليح جميع المخلوقات أمرا واضح الفهم ظاهر الشأن،

فكانوا مستحقين للعقاب في عدم فهمه بعدم^٩ التأمل في المصنوعات^{١٠}
حق التأمل، نبههم على أن عاقبتهم^{١١} إنما هي لحلمه^{١٢} عنهم، فهو ينظرهم
[إلى المدة التي ضربها لهم لأنه لا يجعل لتزهمه عن شوائب النقص الذي
نطق -^{١٣}] كل شيء بتزييه عنها^{١٤} فقال تعالى : (انه كان حليما)
حيث لا يعاجلكم [بالعقوبة -^{١٥}] على إعراضكم عن صرف الأفكار فيما

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل : الاعمال (٢) في الأصل : علت، وفي ظ
وم ومد : عمل، وفي الزمور : الصانعة (٣) في ظ : حكماء (٤) زيد في م : الزمور .
(٥) راجع الآية الأولى فما بعدها (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ : قدسيه، وفي
الزمور : قدسه (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل : القرون (٨) من م ومد،
وفي الأصل وظ : بعد (٩) من م ومد، وفي الأصل وظ : عاقبتهم .
(١٠) من ظ و م ومد، وفي الأصل : الحكمة (١١) زيد ما بين الحاذرين من
ظ و م ومد (١٢) سقط من مد .

أمركم بصرفها إليه .

ولما كانت الغالب على أحوال البشر أن حليمهم إذا غضب

لا يغفر، وإن عفا كان عفوه^١ مكدرًا، قال^٢ تعالى: ﴿غفورًا﴾ مشيرًا بصيغة المبالغة إلى أنه على غير ذلك ترغيا في التوبة .

ولما قرر في سياق التوحيد أنهم في الحضيض من الغباوة، التفت

إلى سيد أولى الفهم، فقال مشيرًا إلى النبوة عاطفًا على " لا تفقهون "

منها على أنهم لا يفهمون^٣ لسان القال فضلًا عن لسان الحال:

﴿وإذا قرأت القرآن﴾ الذي لا يدانيه واعظ، ولا يساويه مفهم،

وهو تبيان لكل شيء ﴿جعلنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿بينك﴾ وبينهم،

١٠. ولكنه أظهر هذا المضر بالوصف المنبه على إعراضهم عن السماع على

الوجه المفهم فقال تعالى: ﴿وبين الذين لا يؤمنون﴾ أي لا يتجدد لهم

إيمان ﴿بالبآخرة﴾ [أي -^٤] التي هي قطب الإيمان ﴿حجابًا﴾

مائلًا لجميع ما بينك وبينهم مع كونه ساترًا لك عن أن يدركوك حق

الإدراك على ما أنت عليه ﴿مستورًا﴾ عنهم وعن غيرهم، لا يراه

١٥. إلا من أردنا،^٥ وذلك أبلغ في العظمة وأعجب في نفوذ الكلمة^٦

﴿وجعلنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿على قلوبهم اكنة﴾ أي أغطية،

كرامة ﴿أن يفقهوه﴾ أي يفهموا القرآن حق فهمه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾

أي^٧ [شيئًا قليلًا -^٨] يمنع سماعهم السماع النافع بالقصور في إدراكهم

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: عفوا (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل:

فقال (٣) في ظ: لا يفقهون (٤) زيد من ظ وم ومد (٥-٥) سقط من ما بين

الرقمين من م (٦) سقط من م .

لا في بيانه ، فرويتهم للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حال التلاوة غير صحيحة كما أن سمعهم وإدراكهم لما يقرأه كذلك كما قال تعالى " ختم الله " على قلوبهم [وعلى سمعهم -^٢] وعلى ابصارهم غشاوة " (وإذا ذكرت ربك) أى المحسن إليك وإليهم (في القرآن) حال كونه (وحده) مع الإعراض عن آلهتهم (ولوا) وحقق المعنى وصوره بما يزيد في بهاشعته تنفيذا عنه [فقال -^٣] : (على أديارهم نفوراه) مصدر من غير اللفظ مؤكد لأنه محصل لمعناه ، أو جمع نافر كقاعد وقعود .

و مادة ' وقر ' بجميع تقاليها الخمسة عشر تدور على الجمع كما مضى في آخر يوسف وأول الحجر ، فالوقر - بالفتح : ثقل في الأذن أو ذهاب [السمع -^٤] كله - لأن ذلك يوجب اجتماعا في النفس وسكونا يحمل ١٠ على الوقار الذى هو السكينة بفقد بعض ما كان يشعب الفكر من^٥ السمع ، ومن ذلك الوقر - بالكسر : الحمل مطلقا أو الثقيل ، أو لأن الحمل جامع لما^٦ فيه والأذن جمعت ما سدها ، فكأنه جمع خرقتها^٧ فصيها صلدا^٨ كالصخرة الصماء لا ينفذ فيها شيء ، ولذلك يسمى الطرش الصمم^٩ . ونخلة ١٥ موقرة ، أى مستجمعة حملا ، واستوقرت الإبل : سميت أى جمعت

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م ومد و القرآن الكريم سورة ٢ آية ٧ (٣) في ظ : كونك (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : يحصل (٦) زيد من ظ و م ومد والقاموس (٧) من م ومد ، وفي الأصل : في ، وفي ظ : عن (٨) العبارة من هنا إلى لا ينفذ ساقطة من مد . (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : جرفها (١٠) زيدت الواو في ظ (١١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : الصمم (١٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : او .

الشحم و اللحم ، و وفر كوعد : جلس - لاستجماع بعض أعضائه^١
إلى بعض ، و الوقير : القطيع من الغنم أو صغارها أو خمسمائة منها أو عام ،
أو الغنم بكليها و حمارها و راعيها كالقرة - لاستجماع بعضها إلى بعض ،
و الوقرى - محركة : راعى الوقير أو مقتى^٢ الشاء و صاحب الحمر و ساكنو
المصر ، و القرة - كعدة^٣ : العيال و الثقل و الشيخ الكبير - لأن
الكبر و الثقل يثمران الوقار الناشئ عن استجماع النفس [و العزم -^٤]
و ترك الاقشار / بالطيش ، و [ما -^٥] قبلها واضح في الجمع ، و الموقر -
كعظم : المجرب العاقل قد حنكته الدهور - لأن ذلك يثمر استجماع
العقل ، و وقرت الرجل توقيرا : بجلته و رزته ، و الدابة : سكتها - فكان
١٠ كأنه جمع إليها حمل ثقلين ، و التيقور فيقول من الوقار تاهه مبدلة من
واو ، يقال : وقر في بيته يقر ، أى جمع نفسه فيه لاجتماع همه ،
و الموقر - كجلس^٦ : الموضع السهل عند سفح الجبل - لعله شبه بالرجل^٧
الوقور المطمئن الساكن النفس . و الحامل الذى يوطئه الحمل ، و الوقرة :
و كته - أى حفرة - تكون فى^٨ الحافر و العين و الحجر - لأن من شأن

/ ٣٠٩

(١) فى ظ : اغصانه (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : مقتنا .
(٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : كعدم (٤) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : الكبرية (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيد من م و مد (٧) زيد
فى الأصل بعده : الموضح ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس
لخذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرجل (٩) العبارة من هنا إلى
« الهزمة تكون فى العظم و » ساقطة من ظ .

الحفرة أن تجمع ما تودعه، ومنه توقيف الشيء : أن تصير له وقرات، أى آثارا، والوقر: الصدع فى الساق كالوكتة أو الهزمة^٢ تكون فى العظم^٣ والحجر والعين، وأقر الله الدابة: أصابها بوقرة، وقير^٤ وقير، أى مكسور العظام أو الفقار، أو تشبيه بصغار الشاء أو إبتاع، أو المعنى أن الدين أوقره، والوقير: النقرة العظيمة فى الصخرة تمسك الماء - وهو واضح فى الجمع . ٥

والروق: القرن - لشدة اجتماعه لصلابته واستدارته، ولأنه يجمع إقدام صاحبه وغمزه، * والروق أيضا: عزم الرجل وفعاله - لجمعهما أمره، والروق من الليل: طائفة - لاجتماع ساعاتها، والروق من البيت: رواقه، أى [شقته^١] التى دون الشقة العليا - لأنها تكمل^٥ جمعه لما يقصد منه من السر، ورواق البيت - ككتاب وغراب: ما أطاف ١٠

به، قال القزاز: وقيل: الرواق كالفسطاط يحمل على عمود واحد فى وسطه، قال فى القاموس: أو سقف فى مقدم البيت وحاجب العين - ولعله شبه بالستر^٦، ومن الليل: مقدمه وجانبه - شبه بجانب البيت، والروق من الشباب: أوله كالريق^٧ بالفتح، والريق ككيس، وأصله ريق^٨ - لأنه يبنى عليه ما بعده ويجتمع إليه كأنه الأصل الذى يجمع ١٥

(١) من م ومد والقاموس، وفى الأصل: تكون (٢) من م ومد والقاموس، وفى الأصل: الهدمة (٣) من م ومد والقاموس، وفى الأصل: المعظم . (٤) من ظ وم ومد والقاموس، وفى الأصل: نصير (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) زيد من ظ وم ومد والقاموس (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لكل (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: بالسير (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الريق (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يريق - كذا .

جميع الفروع ، والريق أيضا أن يصيك من المطر شيء يسير - كأنه
 أول المطر ، والروقة : الشيء اليسير ، وهي من ذلك ، والروق أيضا :
 العمر - لأنه الجامع للحال ، وراقى الشيء : أعجبني - لأن الفكر يجمع
 الخواطر لأجله فلا يظهر له وجه ما صار به معجبا ، ووصيف روقة -
 ٥ إذا أعجبك ، وجارية^١ روقة و غلبان روقة ، جمع رائق ، والروقة : الشيء
 الجميل جدا ، والروق - بالفتح : العجب والإعجاب بالشيء ، ومن الخيل :
 الحسن الخلق يعجب الرائي ، والجمال الرائق ، والريق والروق والرواق :
 الستر - لأنه يجمع البصر والهم عما وراءه ، وهو أيضا موضع الصائد - لأنه
 يجمعه على ما يريد ويوصله إليه ، والروق^٢ : الرواق ومقدم البيت والشجاع
 ١٠ لا يطاق - لاجتماع همه لما يريد ، والفسطاط والسيد - لجمع الفضائل ،
 والصابي من الماء وغيره - لأن الصفاء أجدر باجتماع^٣ الأجزاء ، والروق :
 الجماعة والحب الخالص ومصدر راق^٤ عليه ، أى زاد عليه فضلا - لأن
 الزيادة لا تكون إلا عن جمع ، والروق : البدن^٥ من الشيء - لجمعه له ،
 والحية^٦ - لتحويها^٧ أى تجمعها ، وداهية ذات روقين ، أى عظيمة مشبهة
 (١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : حمارته (٢) زبدت الواو فى الأصل ،
 ولم تكن فى ظ وم ومد فخذناها (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
 بالاجتماع (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : رواق (٥) فى القاموس :
 البذل ، وراجع أيضا اللسان (٦) فى اقاموس : الحقة (٧) فى ظ : لتحريها .
 بالثور (١٠٨) ٤٣٢

بالتور، ورمى بأرواقه على الدابة : ركبها ، أى بجميع أعضائه . ورمى بأرواقه عنها : نزل ، وألقى أرواقه : عدا^١ فاشتد عدوه - كأنه خرج من جميع أعضائه - فعدا روحا بلا بدن فصار أعظم من الطائر ، أى^٢ غلبت روحه على بدنه ، وألقى أرواقه : أقام بالمكان مطمئنا ؛ قال فى القاموس : كأنه ضد - انتهى . والمفعول [فيه -^٣] فى هذا محذوف ، ه

كأنه قال : فى مكان كذا ، ومن المعلوم أن بدنه إذا كان فى مكان / وهو حى فقد أقام به^٤ ، وألقى عليك أرواقه ، وهو أن تحبه^٥ شديدا ، ٣١٠ / والمعنى أنه ألبسك بدنه فصارت روحك مديرة له فصرت إياه^٦ . وتعبير القزاز بقوله « وهو أن تحبه حتى تستهلك فى حبه ، يدل على ذلك ، وألقت السحابة أرواقها . أى مطرها ووبلها أو^٧ مياهها الصافية - وذلك ١٠ هو مجموع ما فيها ، وأوراق الليل : أثناء ظلمته - شبه بالخيمة ، ومن العين : جوانبها - لأنها حاوية لها ، وعبارة القزاز : ضرب الليل بأرواقه - إذا قام^٨ ونبت ، وقيل : أرواقه : مقاديمه ، وأسبلت^٩ العين^{١٠}

(١) من القاموس ، وفى الأصول : جدا ؛ وهذا المعنى حكاه أبو عبيد ، وأنكره شمر وقال : لا أعرف بهذا المعنى . ولكنه أعرفه بمعنى الجدى فى الشيء - راجع التاج (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : أو (٣) زيد من ظ وم ومد . (٤) زيد فى مد : وقام (هـ) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل : يحبه . (٦) سقط من ظ (٧) من القاموس ، وفى الأصول : أى (٨) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : أقام (٩) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل : أسبلت (١٠) ليس فى القاموس .

أرواقها : سالت دموعها ، أى جميع ما فيها - كأن ذلك كناية عن اشتداد البكاء ، و روق الفرس : الذى يمدده الفارس من رمح بين أذنيه - تشبيهه^١ له بقرن الثور ، و ذلك الفرس أروق^٢ ، و منه الروق - محركة ، [و -^٣] هو طول الأسنان - [تشبيها لها بالروق أى القرن - قال القزاز : و قيل : الروق : طول الأسنان -^٤] و انشاءها إلى داخل الفم ، و إشراف^٥ العليا على السفلى^٦ ، و القوم روق - إذا كانوا كذلك ، و هو يصلح لأن^٧ يكون تشبيها بما ذكر ، و لأن يكون من انجمع من أجل الاثناء ، و منه أكل فلان روقه^٨ - إذا أسن فطال عمره حتى تحت أسنانه - المشبهة بالقرن ، و الترويق : التصفية - و قد تقدم أن الشيء إذا خلص من الأغيار كانت أجزاؤه أشد تلاصقا ، و الترويق : أن يبيع سلعة و يشتري أجود منها - مشبهة^٩ بالتصفية ، و الراووق : المصفاة يروق بها الشراب بلا عصر^{١٠} و الكأس بعينها ، و الباطية و ناجود^{١١} الشراب الذى يروق به - لأنها تجمع الشراب .

و القرو : القصد و التبع كالاقتراء^{١٢} و الاستقراء و الطعن -

- (١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : فشييه (٢) من م ومد والقاموس ، وفي الأصل وظ : ارواق (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : للأسنان (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد ، وفي الأصل وظ : اشرف (٧-٧) من اللسان ، وفي الأصل وظ : العلى على السفلى ، وفي م ومد : اعلى على السفلى (٨) في م : ان (٩) من م ومد والقاموس ، وفي الأصل وظ : ورقه (١٠) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : مشبيها (١١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : عصير (١٢) من م ومد والقاموس ، وفي الأصل وظ : باجود .
- (١٣) من ظ و م ومد والقاموس ، وفي الأصل : و الاقتراء .

و هو واضح في الجمع ، و القرو : حوض طويل ترده الإبل ، و عبارة
القزاز : شبه حوض محدود مستطيل إلى جنب الحوض ، يفرغ منه في
الحوض الأعظم ، ترده الإبل و الغنم ، و كذا إن كان من خشب .
و القرو : الأرض لا تكاد تقطع - كأنها حمت اجتماع أجزائها عن
أن يفرقها أحد ، و القرو : مسيل ' المعصرة و مثعبها ' - لاجتماع ما يسيل
فيه ، و أسفل النخلة ينقر فيقتبذ فيه أو يتخذ منه المكن و الإجمانة
للشرب ، و قدح أو إناه صغير ، و مبلغة الكلب ، و حق عليه طبق ،
و منقع الماء ، و العرب تقول : أصبحت الأرض قروا واحدا - إذا
كثر الخصب و المطر ، و كل ذلك واضح في الجمع ، و أن يعظم جلد
البيضتين لريح أو ماء ، أو نزول الأمعاء كالقروة ، و ذلك إما لشبهها
بالقدح أو لجمعها ما أوجب كبرهما ، و قرى ' كفعل : ماء بالبادية - لجمعه ' ^{١٠}
الناس ، و القرى : القرع يؤكل - لأنه صالح لأن يجعل إناه ، و القرا :
الظهر - لجمعه الأعضاء ، و ناقة قرواء : طويلة السنام ، و المقرورى :
الطويل الظهر ، و أقرى : اشتكى - إما أن يكون من شكاية القرا ،
و إما أن يكون للسلب ، أى أزال اجتماع همه و عزمه ، و القرواء : ^{١٥}

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : لا يكاد (٢) من ظ و م
و مد و القاموس ، و فى الأصل : مشبل (٣) من م و مد و القاموس ، و فى
الأصل و ظ : شعبها (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : النخل .
(٥) فى القاموس : فينبذ (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل :
البيضين (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لشبهها (٨) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : لجمعها (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : قر .
(١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجمعه (١١) من م و مد و القاموس ،
و فى الأصل و ظ : القرو .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧: ٤٧ و ٤٨) ج - ١١

العادة - جمعها أهلها، و الدبر - جمعها ما فيها ، و أقرى : طلب القرى ،
و لزم القرى ، و أقرى الجمل على الفرس : ألزمه ، و المقارى :
رؤس الإكام - لأنها تجمع ، و تركتهم قروا واحدا على طريقة
واحدة - أى مجتمعين ، و شاة مقروة^١ : جعل رأسها فى خشبة لثلا ترضع
ه نفسها - أى جمع فكاهها ، و قروة الرأس : [طرفه ، و عبارة القزاز :
و قروان الرأس و قروة الرأس -^٢] : أعلاه - كأنه مجتمع^٣ أمره لأنه
موضع المفكرة ، و قروة الأنف : طرفه - لأنه آخر جامع لجماله^٤ ،
و استقرى الدم : صارت فيه المدة - أى اجتمعت ، و القيروان :
معظم العسكر و معظم القافلة - و سيأتى إن شاء الله تعالى بقية المادة
/ ٣١١
١٠ فى "بورقكم [هذه -^٥] فى الكهف^٦ .

و لما كانوا [ربما -^٧] ادعوا^٨ السمع و الفهم فشككوا [بعض -^٩]
من لم يرسخ [إيمانه -^{١٠}] ، أتبعه تعالى ما يؤكد^{١١} ما مضى و ثبت السامعين
فيه فقال تعالى على طريقة الجواب^{١٢} مهددا و دالا على أن مداركهم معروفة^{١٣} :
(نحن اعلم) أى [من -^{١٤}] كل عالم (بما يستمعون) أى يبالغون
١٥ فى الإصغاء و الميل لقصد السمع (به) من الأذان و القلوب ، أو بسببه

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : مقرواى - كذا (٢) زيد
من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجتمع (٤) فى ظ : الجمال .
(٥) زيد من م و القرآن الكريم (٦) آية ١٩ (٧) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : اودعوا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يؤكد (٩-٩) - فقط ما بين
الرقين من م (١٠) زيد من م و مد .

من إرادة الوقوع على سقطة يجعلونها موضع تكذيبهم واستهزائهم ﴿اذ﴾
 [أى حين -^١] ﴿يستمعون﴾ أى يصغون بجهدهم؛ وبين بعدهم^٢ المغنوى
 بقوله تعالى: ﴿إليك واذ﴾^٣ أى وحين^٤ ﴿م﴾ ذوو ﴿نجوى﴾ أى
 يتناجون بأن يرفع كل منهم سره على صاحبه بعد إعراضهم عن الاستماع؛
 ثم ذكر ظرف النجوى فقال تعالى: ﴿اذ يقول﴾ مبرزاً لضميرهم بالوصف ه
 الدال على [حملهم على -^٥] ما تناجوا به، وهم ﴿الظالمون﴾ ومقولهم^٦:
 ﴿ان تتبعون^٧﴾ أى أيها التابعون له بغاية^٨ جهدكم ﴿الارحلام مسحوراه﴾
 محتاط العقل، فامتطوا في هذا الوصف ذروة الظلم، و سيأتى فى آخر
 السورة سر استعمال اسم^٩ المفعول موضع اسم الفاعل؛ ثم وصل بذلك
 الدليل على نسبته سبحانه لهم إلى الجهل الذى كان نتيجة قولهم هذا فقال ١٠
 تعالى: ﴿انظر﴾ ولما كان أمرهم بما يزيد العجب منه وتوفر الدواعى
 على السؤال [عنه -^{١١}] قال تعالى: ﴿كيف ضربوا﴾ أى هؤلاء الضلال
 ﴿لك الامثال﴾ التى هى أبعد شئ عن^{١٢} صفتك من قولهم: ساحر وشاعر
 ومجنون ونحوه ﴿فضلوا﴾ عن الحق فى جميع ذلك ﴿فلا﴾ أى فتسبب عن
 ضلالهم أنهم لا ﴿يستطيعون سيلا﴾ أى يسلكون فيه، إلى إصابة المحن^{١٣} ١٥

(١) زيد من م (٢) فى ظ: بعدهم (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من م (٤) زيد
 من ظ وم ومد (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: بقولهم (٦) من م ومد
 والقرآن الكريم، وفى الأصل وظ: يتبعون (٧) سقط من م (٨) سقط من ظ .
 (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: من (١٠) من مد، وفى الأصل وظ: المجر،
 وفى م: المحز - كذا .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧ : ٤٩ - ٥١) ج - ١١

في مثل ، أو 'إحكام الأمر في عمل ، وهذا بعد أن نهام الله بقوله تعالى
 "فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم واتم لا تعلمون" فكان هذا
 أدل دليل على ما وصفناهم به من عدم الفهم والسمع فضلا عن أن
 يكون لهم إلى مقاومة هذا القرآن - الذي يدعون أنه قول البشر -
 ه سبيل "أو يغبروا" في وجهه بشبهة فضلا عن دليل .

ولما جرت عادة القرآن بآيات التوحيد والنبوة والمعاد ، وقدم
 الدلالة على الاولين ، وختم بآيات جهلهم في النبوة مع ظهورها ،
 أتبع ذلك أمرا جليا في ضلالهم عن السبيل في أمر المعاد وقرره غاية
 التقرير ، وحرره أتم تحرير . فقال تعالى معجبا منهم : ﴿ وقالوا ﴾ أى
 ١٠ المشركون المنكرون للتوحيد والنبوة والبحث مع اعترافهم بأننا ابتدأنا
 خلقهم ومشاهدتهم في كل وقت أنا نحيي الأرض بعد موتها : ﴿ اذ ﴾
 استفهاما إنكاريا كأنهم على ثقة من عدم ما يتكرونها ، والعامل في "إذا"
 فعل من لفظ "مبعوثون" لا هو . فان ما بعد "إن" لا يعمل فيها
 قبلها . فالمعنى : أنبعث إذا ﴿ كنا ﴾ أى بجملة أجسامنا كونا لازما
 ١٥ ﴿ عظاما ورفاتا ﴾ أى حطاما مكسرا مفتتا وغبارا ﴿ انا لمبعوثون ﴾
 حال كوننا مخلوقين ﴿ خلقا جديدا ﴾ فكأنه قيل : فاذا يقال لهم في
 الجواب ؟ فقيل : ﴿ قل ﴾ لهم : لا تكونوا رفاتا ، بل ﴿ كونوا ﴾

(١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : و(٢-٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :
 عن ان بصروا (٣) زيد في م : اتبعه ثم (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :
 فانهم (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : لا تعمل (٦) في ظ : لا تقولوا .

تراباً ، بل كونوا أصلب التراب (حجارة) أى هى فى غاية اليبس
 (أو خديداً) زاد على يابس الحجارة شدة اتصال الاجزاء (أو خلقاً)
 غيرهما (مما يكبر) أى يعظم عظمة كبيرة (فى صدوركم) عن
 قبول الحياة ولو أنه الموت ، حتى تعلموا حال الإعادة ، كيف يكون
 خالكُم فى الإجابة إلى ما يريد ؟ فإن الكل أصله التراب ، فالذى فضل ٥
 عليكم - الذى خلقكم منه على سائر الطين بالنمو ثم بالحياة ثم بالنطق
 وفضل بعض / الناطقين على بعض بمواهب لا تحصى^٢ - قادر أن ينقل
 ٣١٢ / تلك الفضيلة إلى الطين الذى نقله طورياً بعد طور إلى أن جعله حجراً
 أو خديداً (فيقولون) تماديا فى الاستهزاء : (من يعيدنا) إذا
 كنا كذلك (قل الذى فطركم) أى ابتداء^٣ خلقكم (أول مرة ج) ولم ١٠
 تكونوا شيئاً يعيدكم بالقدرة التى ابتدأكم بها ، فكما لم تعجز تلك القدرة
 عن^٤ البداءة فهى لا تعجز عن الإعادة (فيسيفضون) أى مصوبين
 بوعده لا خلف فيه مشيرين^٥ (اليك رءوسهم) أى يحركونها من شدة
 التعجب والاستهزاء كأنهم فى شدة جهلهم على غاية البصيرة من العلم
 بما يقولون ؛ والنقض و الإنقاض : تحريك بارتفاع وانخفاض ١٥

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : فإن الذى .

(٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لا تخفى .

(٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ابدا .

(٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : على .

(٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : مشيرين .

﴿ويقولون﴾ استهزاء : ﴿متى هو﴾ ثم وصل^١ به قوله تعالى :
 ﴿قل﴾ قول مقصد غير متمنع بحالهم ولا ضيق بقولهم :
 ﴿عسى أن يكون﴾ أى كونا لا انفكاك عنه ﴿قريباً﴾ مطرقاً^٢ إليه
 الاحتمال لإمكانه غير جازم، ثم استأنف جازماً بقوله : ﴿يوم﴾ أى
 ٥ يكون ذلك يوم ﴿يدعوكم﴾ أى يناديكم^٣ المنادى من قبله بالفتنة
 أو بغيرها كأن يقول : يا أهل القبور ! قوموا إلى الجزاء - أو نحو ذلك
 ﴿فتستجيون﴾ أى توافقون الداعى فتفعلون ما أراد^٤ بدعائه و تطلبون
 إجابته وتوجدونها^٥، أو استعار الدعاء والاستجابة^٦ للبعث والانبعاث
 تنيها على سرعتها^٧ و تيسر أمرهما، أو أن القصد بهما الإحضار
 ١٠ [للحساب - ^٨] ﴿بحمده﴾ أى باحاطته سبحانه بكل شيء قدرة و علماً
 من غير تخلف أصلاً، بل لغاية الإذعان كما يرشد إليه صيغة استغفل،
 و أتم مع سرعة الإجابة تحمدون الله تعالى، أى تثبتون له صفة الكمال
 ﴿وتظنون﴾ مع استجابتكم و طول لبكم^٩ ﴿ان﴾ أى ما ﴿لبثتم﴾
 ميتين^{١٠} ﴿الا قليلاً﴾ لشدة ما ترون من [الأحوال التى أحاطت بكم

- (١) من ظ و م ومد، وفى الأصل : فصل (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ :
 متطرقاً (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل : ينادى لكم (٤) زيد فى الأصل : اقه،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فخذوها (٥) من ظ و م ومد، وفى
 الأصل : فخذونها ؛ و العبارة من بعده إلى « الإحضار للحساب » - ملاحظة من
 م (٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل : الاجابة (٧) من م، وفى الأصل وظ :
 سرعتها (٨) زيد من ظ و م ومد (٩) من ظ و م ومد، وفى الأصل : مكثكم .
 (١٠) من م ومد، وفى الأصل وظ : سنين .

والتي تستقبلكم، أو جهلا منكم بحقائق الأمور كما هي حالكم اليوم
كما ترون من -^١] جدة خلقكم وعدم تغيره .

ولما أمره^٢ سبحانه بإبلاغهم هذا [الكلام -^٣] ، وفيه من التهكم بهم
والتبكييت لهم والاستخفاف بقولهم ما لا يعلم مقداره إلا مثلهم من البلاء
والعرب العراء، وكان - لكونه كلام العليم بالعواقب، الخبير بما تبجج الضمائر - ه
ربما، استن به المؤمنون فحاطبواهم بنحوه من عند أنفسهم، نهام عن ذلك
ثلا يقولوا ما يهيج^٤ شرا أو تثير ضرا^٥، فقال تعالى : ﴿ وقل ﴾ أى
قل لهم ذلك من الحكمة والموعظة الحسنة . وقل ﴿ لعبادى ﴾ أى الذين هم
أهل^٦ للإضافة إلى، واعظا لهم ثلا يتجاوزوا الحد من شدة غيظهم من
المشركين، ^٧ إن تقل^٨ [لهم -^٩] ذلك ﴿ يقولوا ﴾ الموعظة والحكمة ١٠
والمجادلة ﴿ التى هى احسن^{١١} ﴾ لا كون معهم لأنى مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون ؛ ثم علل ذلك بقوله تعالى : ﴿ ان الشيطان ﴾ أى
البعيد من الرحمة، المحترق باللعة ﴿ ينزع بينهم^{١٢} ﴾ أى يفسد ويفرى
ويوسوس، وأصل النزغ الطعن، وهم غير معصومين، فيوشك أن
(١) زيد ما بين الحازرين من ظ وم (٢) فى الأصل فراغ قدر كلمة سدناه من
ظ وم ومد (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل :
بما (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل : نهج (٦) من ظ وم ومد، وفى
الأصل : خيرا (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل : اصل (٨) العبارة
من هنا إلى ما سنبه عليه مطموسة فى مد (٩) من ظ وم ، فى الأصل : يقل .

يأتوا بما لا يناسب الحال أو^١ الوقت بأن يذكروا مساوئ غيرهم أو محاسن
 أنفسهم فيوقع في شر؛ ثم علل هذه العلة بقوله تعالى: ﴿ ان الشيطان ﴾
 ﴿ كان ﴾ أى فى قديم^٢ الزمان وأصل الطبع كونا هو مجبول عليه
 ﴿ للانسان عدوا ﴾ أى بليغ العداوة ﴿ ميناء ﴾ ثم فسر^٣ التى هى
 ٥ احسن، مما علمهم ربهم من النصفة^٤ بقوله تعالى: ﴿ ربكم اعلم بكم ﴾
 ثم استأنف فقال تعالى: ﴿ ان يشا ﴾ رحتكم ﴿ ربحكم ﴾ بأن
 يسرلكم أفعال الخير ﴿ او ان يشا ﴾ عذابكم ﴿ يعذبكم ﴾ بأن يسركم
 لأفعال الشر، فاذا قالوا لهم ذلك كانوا جديرين بأن يعرضوا - أو من
 أراد الله منهم - أفعالهم على ما يعملونه^٥ من الخير و الشر فينظروا^٦
 ١٠ / ٣١٣ أيهما أقرب إليها، وربما ردم ذلك / من أنفسهم عن^٧ الفساد، لحسم^٨
 مادة العناد، ويجوز - [وهو -]^٩ عندى أحسن - أن تكون^{١٠} الآية
 استثناء واقعا موقع التعليل للامر؛ يقول الأحسن، أى "ربكم" أيها العباد
 "اعلم بكم" و بما يؤول أمركم إليه من سعادة و شقاوة "ان يشا
 يرحمكم" بهدايتكم "او ان يشا يعذبكم" باضلالكم، فلا تحتقروا أيها
 ١٥ المؤمنون المشركين فتقطعوا بأنهم من أهل النار فتعيروهم بذلك، فانه
 يجر إلى الإحن وحر الصدور و غيظ القلوب بلا فائدة، لأن الخاتمة
 (١) من م، وفى الأصل و ظ « و » (٢) من ظ و م، وفى الأصل: تقديم .
 (٣) من ظ و م، وفى الأصل: الصنعة (٤) زيد فى م: اى (٥) من م، وفى
 الأصل و ظ: عذابا (٦) فى ظ: يعملونه (٧) فى ظ: فينظروا (٨) من ظ و م .
 و فى الأصل: على (٩) من ظ و م، وفى الأصل: نلتم (١٠) زيد من ظ و م .
 (١١) من ظ و م، وفى الأصل: يكون .

مجهولة ، ولا تتجاوزوا [فيهم - ١] ما أمركم به من قول و^١ فعل
فانه الاحسن ؛ ثم رقى الخطاب إلى أعلى الخلق ورأس أهل الشرع
ليكون من دونه أولى بالمعنى [منه - ١] فقال تعالى : ﴿ وما ﴾ أى
فما أرسلناك إلا للدعاء بمثل ذلك على حسب ما نأمرك به ، وما
﴿ أرسلناك ﴾ أى منع ما لنا من العظمة الغنية عن كل شيء ٥
﴿ عليهم وكيلاه ﴾ أى حفيظا وكفيلا لغيرهم على ما يرضى الله ،
وإنما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم وأمر^٢ أصحابك بمداراتهم^٣ .
ولما أمرهم بأن ينسبوا الاعلية بهم إليه سبحانه ، أخبر بما هو
أعم من ذلك فقال تعالى عاطفا على " ربكم " ، إعلاما بأن علمه ليس
مقصورا عليهم ، بل هو محيط ، قاصرا الخطاب على أعلم الخلق به سبحانه ١٠
إشارة إلى أنه لا يعلم هذا حق علمه غيره : ﴿ وربك ﴾ أى المحسن
إليك بأن جعلك أكمل الخلق ﴿ اعلم^٤ ﴾ أى من كل عالم^٥
﴿ بمن فى السموات ﴾ أى كلها ﴿ والارض ﴾ منهم ومن غيرهم ،
بأحوالهم ومقاديرهم وآجالهم وما يستأهل كل واحد منهم . لأنه هو الذى
خلقهم و فأتى بينهم فى أخلاقهم و هيئاتهم فكيف يستبعدون^٦ أن
يكون يقيم أبى طالب - على ما كانوا يقولون - نبيا ، وأن يكون أصحابه
العراة الجياع أفضل منهم .

ولما كان قد فهم من هذا السياق^٧ تفضيل بعض الأشياء على بعض

- (١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : او (٣) فى ظ وم : مر .
(٤) من ظ وم ، وفى الأصل : بمداراتهم - كذا (٥) تقدم فى ظ على
« أى المحسن » (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) فى ظ : يستبعد .

حتى تصير قابلة 'الروح الحياء' بدءا وإعادة، بعد أن فهم من أول السورة
و آخر التي قبلها اختصاص بعض الانبياء بفضائل من روح العلم والحكمة
لم يحزها غيره، صرح بهذا هنا فقال تعالى عطفًا على ما أرشد إليه سياق
الإخبار بالأعلية، ملتفتا إلى مقام العظمة الداعي إليه الحال، وهو
٥ الوصف بالأعلية: ﴿ولقد﴾ أي فيزنا بينهم بالردائل والفضائل تفضيلا
لبعضهم على بعض^١ على حسب^٢ إحاطة علنا^٣ [بهم-^٤] وشمول قدرتنا
لهم^٥ في تأهلهم للسعادة والشقاوة ففضلنا^٦ بعض الناس على بعض، ففضلنا
العلماء على غيرهم، وفضلنا النبين منهم على غيرهم، ولقد ﴿فضلنا﴾ أي
بما لنا من العظمة ﴿بعض النبين﴾ أي سواء كانوا رسلا أو لا ﴿على بعض﴾
١٠ بعد أن جعلنا الكل فضلاء لتقوى كل منهم وإحسانه، فلا ينكر^٧ أحد
من العرب أو بني إسرائيل أو غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذي^٨
صدرنا السورة بتفضيله على جميع الخلائق، فانا نفعل ما نشاء، بما لنا
من القدرة التامة والعلم الشامل، والحاصل أن من أعظم ثمرات العلم
التفضيل باعطاء كل واحد بل^٩ كل شيء ما يستحقه، وبذلك يستدل
١٥ على [تمام-^{١٠}] حكته في شمول [عليه-^{١١}] وكال قدرته، فلذلك^{١٢} ذكر

(١-١) من ظ وم، وفي الأصل: الروح الحياء (٢) العبارة من هنا إلى «على بعض»
ساقطة من ظ (٣) ومن هنا تستأنف نسخة مد (٤) زيد من م ومد (٥) في
مد: لنا (٦) من م، وفي الأصل و ظ ومد: فضلنا (٧) من ظ وم ومد،
وفي الأصل: فلا ينظر (٨) زيد في الأصل و ظ: هو، ولم تكن الزيادة في
م ومد فحذفنا (٩) في م: لما (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: على.
(١١) زيد من ظ وم ومد (١٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: =
٤٤٤ (١١١) التفضيل

التفضيل هنا بعد ذكر العلم المطلق ، و صرح بتفضيل أشرف الخلائق و طوى ذكر غيرهم ، كما ذكر التفضيل في الدنيا بعد إثبات العلم المقيد بالذنوب في قوله ” من كان يريد العاجلة - إلى قوله تعالى : انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض “ .

/ ولما كان القصد^١ إلى بنى إسرائيل في هذه السورة سابقها و لاحقها ه / ٣١٤
 ظاهرا ، و التعريض بهم في كثير منها بينا ، و كان داود عليه السلام هو المؤسس للمسجد الأقصى الذى وقع الإسراء إليه ، و كان قد خص بأن ألين له الحديد الذى^٢ أمر المشركون^٣ أن يكونوه^٤ ، لاستبعادهم الإعادة ، و كان - مع كونه ملكا^٥ - من أشد الناس تواضعا ، و أكثرهم بكاء ، و أبعدهم من المرح في الأرض ، قال تعالى : ﴿ و آتينا ﴾ أى بما لنا ١٠ من العظمة ﴿ داود ﴾ [أى -^٦] الذى هو من أتباع موسى الذى آتينا^٧ الكتاب و جعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا يتخذوا من دونى وكيلا ﴿ زبوراه ﴾ لأنهم قاطعون بأن^٨ من بين موسى و عيسى من أنبياء بنى إسرائيل دون موسى في الرتبة ، و كل منهم داع إلى شريعته ، عامل بحكم التوراة التى شرفه^٩ الله بها ، غير خارج عن شئ من سنتها^{١٠} ، فكان القياس ١٥
 = فكذلك .

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الفضل (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الذين (٣) فى ظ : المشركين (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يكونوا (ه) سقط من ظ (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لان . (٨) من م ومد ، وفى الأصل وظ : شرفها (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : متنها .

يقتضى أن يكونوا^١ في الفضيلة سواء ، فلم يجر ذلك على مقتضى
 عقول الناس ، بل قاوت سبحانه بينهم على حسب علمه بأحوالهم^٢ حتى
 في الوحي ، فخص من بينهم داود عليه السلام بكتاب كله مواظ ،
 والمواظ أشد شيء منافاة للشئ في الأرض مرحا ، ونهيا عنه ، وأعظم
 ٥ شئ أمرا بالقول الذي هو أحسن من الإخلاص والمراقبة والإحسان ،
 هذا [إلى - ٢] ما ذكر فيه من التسييح من كل شئ الذي هو من^٣
 أعظم مقاصد السورة كما تقدم نص الزبور به^٤ قريبا ، فكان ذكر
 تفضيله [به - ٦] هنا أنسب شئ لهذا المقام^٥ ، وفي^٦ ذلك أعظم
 إشارة وأجل تنبيه على فضل بيت المقدس الذي جعله سببا لتفضيل
 ١٠ الأنبياء تارة بالهجرة إليه كإبراهيم عليه السلام وتارة بقصد^٧ تطهيره
 من الشرك وتوثيره بالتوحيد كموسى عليه السلام ، وتارة بتأسيس
 بنيانه وتشديد أركانه كداود عليه السلام ، وتارة بالإسراء إليه والإمامة
 بالأنبياء عليهم السلام به والعروج منه إلى سدره المنتهى والمقام
 الأعلى ، وأما تفضيله وتفضيل ابنه سليمان - على نبينا محمد وعليهما
 ١٥ الصلاة والسلام - بالملك وسعة الأمر فدخل في قوله تعالى ” انظر
 كيف فضلنا بعضهم على بعض “ [و - ٦] روى البخارى في التفسير

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : يكون (٢) في مد : بأعمالهم (٣) زيد
 من م ومد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : فيه .
 (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : المقال (٨) زيد
 في الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها (٩) في ظ :
 بتأسيس .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خفف على داود [القراءة - ^١] فكان يأمر بدوابه^٢ لتسرج ، فكان يقرأ قبل أن يفرغ - يعنى القرآن ، و من أعظم المناسبات لتخصيص داود عليه السلام و زبوره بالذكر هنا ذكر البعث الذى هذا مقامه فيه صريحاً ، وكذا ذكر النار مع خلو التوراة عن ذلك ، أما البعث فلا ذكر له فيها أصلاً ، وأما النار فلم يذكر شيء^٣ عما يسدل عليها إلا الجحيم فى موضع واحد ، وأما الزبور فذكر فيه^٤ النار و الهاوية و الجحيم فى غير موضع ، وأما البعث فصرح به ، وهو ظاهر فى كونه بالروح و الجسد ، قال فى الزمور الثالث بعد المائة^٥ : نفسى تبارك الرب ، [الرب - ^٦] إلهى عظيم جداً ، لبس المجد ، و عظيم البهاء ، و تجلج بالنور كالرداء ، و مد السماء كالخباء ، جعل الماء ١٠ أساسها ، و استوى على السحاب ، و مشى على أجنحة الرياح ، خلق ملائكته أرواحاً^٧ و خدمه ناراً واقدة ، و تجلج بالغمر كالرداء ، و على الجبال تقف المياه ، و من رجرك^٨ قهرت ، و من صوت رعدك تهزع الجبال عالية ، و البقاع منهبطة فى الأماكن التى أسست ، جعلت حداً لا تتجاوزه ، لا تعود^٩ [تغطى - ^{١٠}] الأرض ، أرسل الماء عيوناً فى الأودية ، و بين / الجبال ١٥ / ٣١٥

(١) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٢) كذا فى جميع أصولنا و كتاب الأنبياء من الصحيح ، و فى كتاب التفسير منه : بدابته (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شيئاً (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيها (٥) راجع الآية الأولى فما بعدها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى الزمور : رياحاً (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : زجرك (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تموط .

تجرى المياه لتسقي حيوان البر، وتروى [عطاش - ١] الوحوش، يقع^١
 عليها طائر السماء - إلى أن قال^٢: وكل بحكمة صنعت، امتلأت الأرض
 من خليقتك، هذا البحر العظيم السعة فيه حيتان لا تحصى كبار وصغار،
 وفيه تسلك [السفن - ١]، وهذا التين^٣ الذي خلقته ليتعجب منه،
 ٥ والكل إياك يرجون لتعطيهم طعامهم في حينه، فاذا أنت أعطيتهم
 يعيشون، وعند بسط يدك بالطيات يشبعون، وحين^٤ تصرف وجهك
 يجرعون، تنزع أرواحهم فيموتون، وإلى التراب يرجعون، ترسل
 روحك فيخلقون، وتجدد وجه الأرض دفعة أخرى، ويكون مجد الرب
 إلى الأبد - انتهى . فكان ذلك جواب لقول من^٥ الله يقول للعرب^٦
 ١٠ من اليهود: إن الأمر كما تقولون في^٧ أنه لاقامة^٨ - كما يقوله بعض
 زنادقهم كما ذكر عنهم في نص^٩ الإنجيل وكما^{١٠} نقل عنهم في سورة
 النساء أنهم قالوا: أنتم أهدى سبيلا^{١١}، ودينكم خير من دين محمد،
 وفي الزبور - كما تقدم في^{١٢} أول السورة عن توراة موسى عليه الصلاة
 (١) زيد من ظ و م ومد (٢) في ظ ومد: تقع (٣) راجع آية ٢٤ فما بعدها.
 (٤) في ظ: التين، وفي مد: الثني - كذا (٥ - ٥) من ظ و م ومد، وفي
 الأصل: يروحون لتعظيم (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: انتهت (٧) من
 ظ و م ومد، وفي الأصل: عند (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل:
 الرب (٩ - ٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل: فعله تقول العرب - كذا.
 (١٠) سقط من ظ (١١) في م: قيمة (١٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ:
 بعض (١٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: بما (١٤) راجع آية ٥١ (١٥) سقط
 من م ومد.

و السلام - ألا تتخذوا من دون الله وكيلا ، وذلك من أعظم مقاصد السورة ؛ قال في المزمور الخامس والأربعين بعد المائة : لا تتولوا على الرؤساء ولا على بنى البشر الذين ليس عندهم خلاص ، فإن أرواحهم تفارقهم و يعودون إلى ترابهم ، في ذلك اليوم تبطل أعمالهم .

و لما أثبت أن شأنه تعالى فعل ذلك و أمثاله من التفضيل و التحويل ٥ على حسب علمه و قدرته ، ثبت بغير شبهة أن لا مفزع إلا إليه ، فأمره صلى الله عليه و على آله و سلم تحقيقا لذلك أن يأمرهم بما يظهر به عجز شركائهم ، ردا عليهم في قولهم ٢ : لسا بأهل لعبادته استقلالا ، فنحن نعبد بعض المقربين ليشفع لنا [عنده - ٣] ، فقال تعالى :

(قل ادعوا الذين) و أشار إلى ضعف عقولهم و عدم تثبتهم بالتعبير ١٠ بالزعم فقال تعالى : (زعمتم) أنهم آلهة ؛ و بين سفول رتبهم بقوله تعالى : (من دونه) أى من سواه كالملائكة و عزير و المسيح و الأصنام ، ليطلبوا لكم خيرا ، أو يدفعوا عنكم ضرا (فلا) أى فان دعوتهم أو لم تدعهم [فأنهم لا - ٤] (يملكون كشف الضر) أى البؤس

الذى ٦ من شأنه أن يرض الجسم ٧ كله (عنكم) حتى لا يدعوا شيئا منه ١٥ (ولا تحويلاه) له من حالة إلى ما هو أخف منها ، فضلا عن أن يبدلوه بحالة حسنة أو يحولوه إلى عدوكم ، و الآية نحو قوله تعالى ” فا يستطيعون

(١) راجع الآية الثالثة والرابعة (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ابطل .

(٣) في ظ : قوله (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) من ظ و م ومد ، وفي

الأصل : ان (٦) في مد : اى (٧-٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : يرضى للجسم .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧ : ٥٧ و ٥٨) ج - ١١

صرفا ولاصرًا“ فكيف يتخذ أحدٌ منهم دوني“ وكيلا؟ قالوا: وسبب نزولها شكوى قريش إلى النبي صلى الله عليه و على آله و سلم ما نزل بهم من القحط حين دعا عليهم بسبع كسبع يوسف عليه السلام . ولم ينصب “بملكون“ لئلا يظن أن النبي مسبب عن الدعاء .
٥ فيتقيد به .

ولما بين أنه لا ضرر لهم ولا نفع ، بين أنهم يتسابقون إلى القرب إليه رجاء أن ينفعهم وخوف أن يضرهم فقال تعالى : ﴿ اُولَئِكَ ﴾ أى الذين أعلوا مراتبهم بالإقبال على طاعة الله ، و كان المشركون يعلون مراتبهم بتألههم ، و عبر عن ذلك واصفا للبتدأ بقوله تعالى :
١٠ ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ أى يدعوهم الكفار و يتألهونهم ؛ ثم أخبر عن المبتدأ بقوله تعالى : ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ أى يطلبون طلبا عظيما ﴿ الى ربهم ﴾ المحسن إليهم وحده ﴿ الوسيلة ﴾ أى المنزلة والدرجة و القرية بالأعمال الصالحة ﴿ اِيهِم اقرب ﴾ أى يتسابقون بالأعمال مسابقة من يطلب كل منهم أن يكون إليه أقرب و لديه أفضل ﴿ ويرجون رحمته ﴾ رغبة
١٥ فيما عنده ﴿ ويخافون عذابه ﴾ تعظيما لجناحه ، المكلف منهم كالملائكة و المسيح و عزير بالفعل ، و غيرهم كالاصنام بالقوة من حيث / أنه قادر

/ ٣١٦

(١) سورة ٢٥ آية ١٩ (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ : أحدا (٣) سقط من ظ (٤) راجع روح المعاني ٤/ ٣٩٥ (٥) في مد : عند (٥) من م ومد ، وفي الأصل وظ : النفس (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من مد (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : غيره .

على

[على - ١] أن يخلق فيها قوة الإدراك للطاعة والعذاب فتكون كذلك^١
 فالعابدون لهم^٢ أجدر بأن يعبدوه^٣ ويتفخوا إليه الوسيلة؛ وروى البخارى
 فى التفسير عن عبد الله رضى الله عنه "الى ربهم الوسيلة" قال: كان
 ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم.
 ثم علل خوفهم بأمر عام فقال تعالى: ﴿ان عذاب ربك﴾ أى المحسن ه
 إليك برفع انتقام الاستئصال منه عن أمك^٤ ﴿كان﴾ أى كوننا^٥
 ملازما له ﴿محذورا﴾ أى جديرا بأن يحذر لكل^٦ أحد من ملك مقرب
 ونبي مرسل فضلا عن غيرهم^٧، لما شوهد من إهلاكه للقرون ومن
 صنائه العظيمة.

ولما كان المعنى: فاحذرونا فانا أبدا^٨ الأمم السالفة ودمرنا القرى ١٠
 المشيدة، عطف عليه قوله تعالى: ﴿وان﴾ أى وما؛ وأغرق فى النفي فقال
 تعالى: ﴿من قرية﴾ من القرى^٩ هذه^{١٠} التى أنتم بها وغيرها ﴿الانحن﴾
 أى بما لنا من العظمة ﴿مهلكوها﴾ بنوع من الهلاك، لما هم عليه من
 الكفر أو العصيان، وعن مقاتل^{١١} أنها عامة للصالحه بالموت

(١) زيد من ظ و م ومد (٢-٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: فيكون
 لذلك (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: له (٤) من ظ و م ومد، وفى
 الأصل: يعبدوا (٥) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد
 لحذفها (٦) زيد فى ظ: هو (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: كل (٨) من
 ظ و م ومد، وفى الأصل: غيره (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: اندرنا
 (١٠) فى ظ: قرى (١١) زيد فى الأصل: القرية، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 ومد لحذفها (١٢) وذكر معناه عن مقاتل فى المعالم - راجع الباب ٤/ ١٣٥.

و الطالحة بالعذاب .

ولما كان الممكن ليس له من ذاته إلا العدم ، وذلك مستغرق
لزمان القبل ، حذف الجار فقال تعالى : ﴿ قبل يوم القيمة ﴾ [الذى - ']
أنتم به مكذبون ، كما فعلنا في بيت المقدس في المرتين المذكورتين أول
هـ . السورة لإفساد أهلها فاحذروا مثل ذلك ﴿ او معذبوها ﴾ أى القرية
بعذاب أهلها ﴿ عذابا شديدا ﴾ مع بقائها .

ولما أكد ذلك بالاسمية ، زاده تأكيداً في جواب من كأنه
قال : هل في ذلك من ثنيا^۲ لأن مثله لا يكاد يصدق ؟ فقال تعالى :
﴿ كان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ في الكتب ﴾ الذى عندنا
۱۰ ﴿ مسطوراه ﴾ على وجه الخبر ، والأخبار لا تنسخ ، فلو لم يكن حشر
كان أمرنا^۱ جديراً بأن يمثل^۵ حذرا من سطواتنا ، ولا بد من أن
نخيفكم^۶ بعد طول أمنكم^۷ ونهلك كثيرا من أعزائكم^۸ على يد هذا
الرجل الواحد الذى أنتم كلكم متماثلون^۹ عليه مستهينون بأمره ، مع أنا
أرسلناه لعزكم^{۱۰} وعلو ذكركم ، ولا بد أن ندخله^{۱۱} إلى بلدكم هذا بجنود

(۱) زيد من ظ وم ومد (۲) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : او (۳) من ظ وم
ومد ، وفي الأصل : شيء (۴) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : امر (هـ) من م ومد ،
وفي الأصل وظ : يتمثل (۶) من م ومد ، وفي الأصل : يخيفكم ، وفي ظ : يخففكم .
(۷) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : منكم (۸) من ظ وم ومد ، وفي
الأصل : اعدايكم (۹) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : متماثلون (۱۰) من ظ
وم ومد ، وفي الأصل : بعزكم (۱۱) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : يدخل .

أولى بأس شديد، لإفسادكم فيه واستهاتكم به كما فعلنا^١ بنى إسرائيل حين أفسدوا^٢ في مسجدكم [كما تقدم - ٢]؛ قال الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني في كتاب الفتن: حدثنا^٣ عبد بن أحمد^٤ بن محمد الهروي في كتابه ثنا^٥ عمر^٦ بن أحمد بن عثمان بن شاهين ثنا محمد^٧ ابن هارون الحضرمي ثنا علي^٨ بن عبد الله النعماني ثنا عبد المنعم^٩ بن هادريس قال^{١٠}: أخبرنا أبي عن وهب^{١١} بن منبه قال: الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب [إرمينية، وإرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب - ١٢] الكوفة^{١٣}، ولا تكون^{١٤} الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة، فإذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يدي^{١٥} رجل من بني هاشم، وخراب الأندلس من قبل^{١٦} الزنج، وخراب إفريقية من قبل الأندلس، وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش [فيها - ١٧]، وخراب العراق من قبل الجوع

- (١-١) تكرر ما بين الرقين في ظ (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فسدوا (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الشهر بـان . (٥-هـ) في ظ: عبد الله أحمد بن ؛ وراجع لترجمته تذكرة الحفاظ ١١٠٣ (٦) من ظ، وفي الأصل: أخبر، وفي م: نا، وفي مد: انبا (٧) راجع لترجمته تذكرة الحفاظ ٩٨٧ (٨) ذكره مختصراً في تذكرة الحفاظ ٧٨٧ وتاريخ بغداد ٣/٣٥٧ . (٩) لم تأكد منه (١٠) راجع تاريخ بغداد ١١/١٣١ (١١) سقط من ظ وم ومد (١٢) من الأعلام المشاهير (١٣) زيد من ظ وم ومد (١٤) العبارة من هنا إلى « تخرب الكوفة » ساقطة من ظ (١٥) من م ومد، وفي الأصل: لا يكون (١٦) في ظ: يد (١٧) زيد من م ومد .

والسيف ، و خراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحقرهم حتى
لا يستطيعوا^١ أن يشربوا من الفرات قطرة ، و خراب البصرة من قبل^٢
العراق ، و خراب الأبله^٣ من قبل عدو يحقرهم^٤ مرة برا و مرة بحرا ،
و خراب الرى من قبل الديلم ، و خراب خراسان من قبل تبت ، و خراب
تبت من قبل الصين ، و خراب الصين [من قبل الهند ، و خراب اليمن
من قبل الجراد و السلطان . و خراب مكة -^٥] من قبل الحبشة ، و خراب
المدينة من قبل الجوع ؛^٦ حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد حدثنا
على بن محمد بن نصير حدثنا محمد بن خلف أخبرنا / سالم بن جنادة أخبرنا / ٣١٧
أبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال
١٠ رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم : آخر قرية من قرى الإسلام خرابا
المدينة - انتهى . و قد أخرجه الترمذى^٧ من هذا الوجه .

و لما كانت كفار قريش قد تكرر اقتراحهم للآيات بعد أن اشتد
أذاهم ، و كان صلى الله عليه و على آله و سلم - لشدة حرصه على إيمان كل
أحد فكيف بقومه العرب فكيف بنبي عمه منهم - ربما أحب [أن -^٨]

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يستطيعون (٢) سقط من ظ (٣) من
ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاليتين (٤) من م و مد ، و فى الأصل : يحقرهم ،
و فى ظ : يحقرهم (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) لم نتبكن من ضبط هذا الطريق ،
و الطريق المذكور فى جامع الترمذى هو عن أبي السائب عن سالم بن جنادة و هم
جرا (٧) فى باب ما جاء فى فضل المدينة - كتاب المناقب .

الله تعالى يجيبهم إلى مقترحهم طمعا^١ في إيمانهم وإراحة^٢ [له - ٣]
ولاتباعه من أذام^٤ ، و كان ما رأوا^٥ من آية^٦ الإسراء أمرا باهرا
ثم لم يؤمنوا ، بل^٧ ارتد بعض من كان آمن منهم ،^٨ كان المقام^٩ في قوة
اقتضائه أن يقال بعد ذكر آية العذاب : ما لهم لا يسجل عذابهم
أو يجابون إلى مقترحاتهم ليقضى الأمر؟ فيقال في الجواب : ما منعنا^{١٠}
من تعجيل عذابهم إلا أنا ضربنا لهم أجلا لا بد من بلوغه (و ما منعنا)
[أى - ١] على ما لنا من العظمة التي لا يعجزها شيء ولا يمنعها مانع
(أن نرسل) أى إرسالا يظهر عظمتنا على وجه العموم (بالآيت)
[أى - ٢] التي اقترحتها^{١١} قريش ، فكان كأنه لا آيات عندهم سواها
(الآ) علنا في عالم الشهادة بما وقع من^{١٢} (أن كذب بها) أى ١٠
المقترحات^{١٣} (الاولون^{١٤}) و علنا في عالم الغيب [أن - ٣] هؤلاء
مثل الأولين في أن الشقى منهم لا يؤمن بالمقترحات كما لم يؤمن^{١٥} بغيرها ،
و أنه يقول فيها ما قال في غيرها من أنها سحر ونحو هذا ، و السعيد
لا يحتاج في إيمانه إليها ، فكم أجبا أمة^{١٦} إلى مقترحها فما زاد ذلك أهل
الضلالة منهم إلا كفرا ، فأخذناهم لأن ستننا جرت أنا لا نهمل بعد ١٥
الإجابة إلى المقترحات من كذب بها ، و نحن قد قضينا برحمة هذه الأمة
و تشریفها على الأمم السالفة بعدم^{١٧} استصالتها ، لما يخرج من أصلاب

(١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : طبعاً (٢) من م ومد ، وفي الأصل :
راحة (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد ، وفي الأصل : رآه ، وفي مد :
رواه (٥) من م ومد ، وفي الأصل : لية (٦) في م ومد : ثم (٧-٨) في م :
كالمقام (٩) زيد من م ومد (١٠) زيد من م ومد (١١) في م : بالمقترحات (١٢) من م :
وم ومد ، وفي الأصل : لم يؤمنوا (١٣) في م : سقط من م : بعد .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧ : ٥٩ و ٦٠) ج - ١١

كفرتها من خلص عبادنا؛ والمنع هنا مبالغة مراد بها نفى إيجابتهم إلى
 مقترحاتهم، ولا يجوز أخذه على ظاهره، لأنه وجود ما يتعذر معه
 وقوع الفعل من القادر عليه، ثم عطف على ما دل عليه المقام^٢ وهو:
 فكم^٣ أجبنًا - إلى آخر ما ذكرته. قوله تعالى^٤: ﴿وأتينا﴾ أى بما لنا
 من العزة الباهرة ﴿ثمود الناقة﴾ حال كونها ﴿مبصرة﴾ أى مضيئة،
 جدرة بأن يستبصر بها كل من شاهدها ﴿فظلبوها بها﴾ أى فوقعوا في
 الظلم الذى هو كالظلام بسببها، بأن لم يؤمنوا ولم يخافوا عاقبتها، وخص
 آية ثمود بالذكر تحذيرا بسبب أنهم عرب اقترحوا ما كان سببا
 لاستئصالهم، ولأن لهم من علمها^٥، و علم مساكنهم بقرىها إليهم و كونها
 ١٠ في بلادهم ما ليس لهم من علم غيرها. و خص الناقة لأنها حيوان أخرجه
 من حجر، و المقام لإثبات القدرة على الإعادة ولو كانوا حجارة
 أو حديدًا؛ ودل على سفههم في كلا الأمرين على طريق النشر المشوش
 بذكر^٦ داود عليه السلام إشارة إلى الحديد، و الناقة إشارة إلى الحجارة،
 فلهذه الإشارة ما أدقها و هذه العبارة ما أجملها وأحقها^٧ (وما نرسل)
 ١٥ أى بما لنا من الجلالة التى هى بحيث تذوب لها الجبال ﴿بالأيت﴾
 أى المقترحات وغيرها ﴿الا تخوفاه﴾ أى للرسول إليهم بها، فان خافوا
 نجوا وإلا هلكوا^٨ فاذا كشف الأمر لكم في عالم الشهادة عن أنهم
 (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: النسل (٢-٣) من ظ و م و مد، وفي
 الأصل: فهوكم (٣-٤) في ظ: قال (٤) في ظ: عملها (٥) في ظ: أخرجنا (٦) من
 ظ و م و مد، وفي الأصل: بذكره (٧) في ظ و مد: على ما (٨) في ظ: اهلكوا.
 لا يخافونها (١١٤) ٤٥٦

لا يخافونها وفق ما كان عندنا^١ في عالم الغيب، علم أنه لا فائدة لكم فيها .
ولما كان التقدير للتعريف بمطابقة^٢ الخبر [الخبر - ٢]: اذكر^٣ أنا
قلنا لك "ان الذين^٤ حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية"
و اذكر ما وقع من ذلك ماضيا من آيات الأولين وحالا من قصة
الإسراء، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ واذ ﴾ أي [و - ٢] اذكر إذ ه
﴿ قلنا^٥ ﴾ على ما لنا من العظمة المحيطة ﴿ لك / ان ربك ﴾ المتفضل
بالإحسان إليك بالرفق بأمتك ﴿ احاط بالناس^٦ ﴾ علما وقدره، تجد ذلك
إذ طبقت^٧ بعضه على بعض أمرا سويا حذو^٨ القذة بالقذة لا^٩ تفاوت
فيه، و اعلم أنه^{١٠} مانعك^{١١} منهم وحائطك ومظهر دينك [كما وعدك - ٢]؛
ثم عطف على " و ما نرسل " قوله تعالى: ﴿ وما جعلنا ﴾ أي بما لنا ١٠
من القوة الباهرة التي لها الغنى المطلق ﴿ الرءيا التي ارينك ﴾ أي بتلك
العظمة التي شاهدها ليلة الإسراء ﴿ الا فتنة ﴾ أي امتحانا واختبارا
﴿ للناس ﴾ ليتبين بذلك في عالم الشهادة المتقى المحسن والجاهل المسيء
كما هو عندنا في عالم الغيب، فنقيم^{١٢} بها عليهم الحجة، [لا - ٢]
ليؤمن أحد ممن حقت عليهم^{١٣} الكلمة ولا لنزداد نحن علما ١٥

- (١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: عندها (٢) سقط من مد (٣) زيد من ظ
وم ومد (٤) في ظ: اذ (٥) من ظ و م ومد وآية ٢٦ سورة ١٠، وفي الأصل:
الذي (٦) زيد بعده في الأصل وظ: لك، ولم تكن الزيادة في م ومد لحذفناها.
(٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل: اطبقت (٨-٨) من ظ و م ومد، وفي
الأصل: القدرة بالقدرة لان (٩) في ظ: انك (١٠) من م ومد، وفي الأصل
وظ: ما منعك (١١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لنقيم (١٢) في مد: عليه.

بسرارهم، ولا شك في أن قصة الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى
 السماوات العلى كان يقظة لا مناما بالدليل^٢ القطعى المتواتر من تكذيب
 من كذب وارتداد من ارتد، وهذا مذهب الجمهور وأهل السنة والجماعة،
 وقد ورد في صحته ما لا يحصى من الأخبار - هذا النقل، وأما الإمكان
 العقلى فثبت غير محتاج إلى بيان، فإن كل ذرة من ذرات الموجودات فيها
 من المعجائب والغرائب والدقائق [والرقائق -^٦] ما يتحير فيه العقول،
 لكن لما كان على وفق العادة ألفته الطباع، فلم تنكره الأبصار ولا الأسماع،
 وأما مثل هذا فلما كان على خلاف العادة استنكره ضعفاء العقول الذين
 لا يتجاوز فهمهم المحسوسات، على ما ألفوا من العادات، وأما أولو
 الألباب الذين سلخوا من نزغات الشيطان ووساوس العادة، ونظروا
 بأعين البصائر إلى آثار رحمة الله في صنع المصنوعات وإحداث المحدثات
 في الملك والملوك، والشهادة والغيب، والخلق والأمر، فاعترفوا
 به. وأنه من عظيم الآيات، وبدائع الدلائل^٨ النيرات، وأدل [دليل -^٦]
 على ذلك قوله تعالى "فتنة" [لأنه -^٦] لو كان رؤيا منام لم يكن بحيث
 يستبعده أحد فلم يكن فتنة، ولعله إنما سماه رؤيا - وهى للنام - على وجه
 (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بشرايم (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل: ان فى (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الدليل (٤) من ظ و م
 و مد، وفى الأصل: محبة (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: قل (٦) زيد
 من ظ و م و مد (٧) فى ظ: فما (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل:
 الدلالات (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يستبعد.

التشبيه والاستعارة ، لما فيه من الخوارق التي هي بالنام^١ ألقى في مجارى العادات^٢ ؛ روى البخارى في التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما ” وما جعلنا الرءيا^٣ التي اربئك^٤ “ - الآية ، قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسرى به .

ولما كان كل ما خفى سببه وخرج عن العادة [فتنه -^٥] يعلم به هـ
من في طبعه الحق و من [فى -^٦] طبعه الباطل ، و من هو سليم الفطرة و من هو معكوسها ، و كان قد أخبر أن شجرة الزقوم تنبت فى أصل الجحيم^٧ . و كان ذلك فى غاية الغرابة ، ضمه^٨ إلى الإسراء فى ذلك فقال تعالى : ﴿ و الشجرة ﴾ عطفًا على الرؤيا ﴿ الملعونة فى القرآن^٩ ﴾ بكونها ضارة ، و العرب تسمى كل ضار ملعونًا ، و بكونها فى دار اللعنة ، و كل من له ١٠ عقل يريد بعدها عنه . و هى -^{١١} كما رواه^{١٢} البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما - شجرة [الزقوم -^{١٣}] . جعلناها^{١٤} أيضًا فتنه للناس نقيم^{١٥} بها عليهم الحجة فى الكفر و الإيمان ، فنثبتهم أى من أردنا إيمانهم منهم بالآول و هو الإسراء ﴿ و نخوفهم لا ﴾ بالثانى و أمثاله ﴿ فما يزيدهم ﴾ أى الكافرين منهم التخويفُ حال التخويف ، فما بعده من أزمته الاستقبال أجدر بالزيادة ١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فى المنام (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : المناجات (٣ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م (٦) راجع آية ٦٤ سورة ٣٧ (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ختمه (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : رواية (٩) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (١٠) فى ظ : جعلناه (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يقيم .

(الا طغيانا) أى تجاوزا للحد هو فى غاية العظم (كبيراً) فيقولون
 فى [الأول ما تقدم فى - ١] أول السورة ، وفى الثانى : إن محمداً
 يقول : إن وقود النار^٢ الناس والحجارة . ثم يقول : إن فيها شجراً ،
 وقد علمت أن النار تحرق الشجر ، ولم يقولوا ما هم أعلم الناس به من
 أن^٣ الذى جعل / لهم من الشجر الأخضر ناراً قادر على أن يجعل فى
 النار شجراً ، ومن أنسب الأشياء استحضاراً هنا ما ذكره^٤ العلامة
 شيخ مشايخنا زين الدين أبو بكر ابن الحسين المراغى [بمعجم العين - ١] المدنى^٥
 فى تاريخ المدينة الشريفة^٦ فى أوائل الباب الرابع فى ذكر الأودية فانه
 قال : وادى الشظاة^٧ - أى بمعجمتين^٨ مفتوحتين - يأتى من شرقى
 ١٠ المدينة من أماكن بعيدة عنها إلى أن يصل [إلى - ١] السد الذى
 أحدثته نار الحرة التى ظهرت فى جمادى الآخرة سنة أربع و خمسين
 و ستمائة - يعنى : [وهى - ١] المشار إليها بقول النبى صلى الله عليه و على
 آله و سلم لا تقوم الساعة حتى تخرج [نار - ١] بالحجاز تضىء لها أعناق
 الإبل بصرى^٩ ، قال : وكان ظهورها من وادى^{١٠} يقال له^{١١} أحيطلين فى
 ١٥ الحرة الشرقية^{١٢} ، وصارت من مخرجها إلى جهة الشمال مدة^{١٣} ثلاثة أشهر

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
 ذكر (٤) زيد من م ومد (٥) المتوفى سنة ٥٨١ هـ ، وراجع لمصادر ترجمته معجم
 المؤلفين ٣ / ٦٠ (٦) اسمه تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة (٧) من م ومد ،
 وفى الأصل و ظ : شظاة (٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : معجمتين .
 (٩) والحديث رواه البخارى فى كتاب الفتن - باب خروج النار ، كما رواه مسلم
 فى نفس الكتاب (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : وادى (١١) من ظ
 وم ومد ، وفى الأصل : حيلين بالحرة الشريفة (١٢) من ظ وم ومد وفى الأصل :

تدب ديب النمل ، تأكل كل^١ ما مرت عليه من جبل وحجر ولا تأكل
الشجر ، فلا تمر على شيء من ذلك إلا صار سدا لا مسلك للإنسان فيه
ولا دابة إلى^٢ منتهى الحرة من جهة الشمال - فذكر القصة وهي غريبة^٣ ،
وأسند فيها عن^٤ المطرى^٥ فيما يتعلق بعدم أذاها للخشب .

ولما تقدم أنهم استبعدوا الإعادة من أجل صيرورتهم بعد الموت ه
رفاتا ، وأخبر تعالى بقدرته على ذلك ولو^٦ صاروا إلى ما هو أعسر
عندهم في الإعادة من الرفات بأن يكونوا حجارة أو حديدا ، وأشار إلى
قدرته على التصرف بخرق^٧ العادة في الحديد بالآلة لعبد من عبيده .
[ثم في الحجارة على سبيل الترقى في النشر المشوش بما هو أعجب من
ذلك ، وهو إفاضة^٨ الحياة عليها لعبد آخر من عبيده -^٩] ، أشار إلى ١٠
تصرفه في التراب الذي هو نهاية الرفات الذي حملهم على الاستبعاد بما
هو أعجب من كل ما تقدمه ، وذلك بإفاضة^{١٠} الحياة الكاملة بالنطق عليه

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : (٣) وراجع لمزيد
التفاصيل فتح الباري - باب خروج النار كتاب الفتن (٤) من ظ و م و مد ،
وفي الأصل : (٥) هو محمد بن أحمد بن خالد بن عيسى الأنصارى السعدى المطرى
المدنى ، أبو عبد الله ، مؤرخ ، كان أحد الرؤساء المؤذنين بالمسجد النبوى ، توفى
بالمدينة سنة ٧٤١ هـ ، من آثاره التعريف بما أسست الهجرة من معالم دار الهجرة
في تاريخ المدينة المنورة - وراجع لمصادر ترجمته معجم المؤلفين ٣٥٧/٨ (٦) من
ظ و م و مد ، وفي الأصل : (٧) في ظ : خلق (٨) من م و مد ، وفي ظ :
إضافة (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد ، وفي الأصل وظ : بإضافة .

[من غير -^١] أن تسبق له حالة^٢ حياة أصلا ، وذلك بخلق آدم عليه السلام [الذي هو أصلهم ، مع ما في ذلك من حفظ السياق في^٣ التسلية بأن الآيات لا تنفع المحكوم بشقاوته و بأن آدم عليه السلام -^٤] قد سلط عليه الحاسد^٥ واشتد أذاه له مع أنه صنئ الله و أول أنبيائه ، مع البيان ٥ لان أغلب أسباب الطغيان الحسد^٦ الذي حمل إبليس على ما فعل^٧ فقال تعالى : ﴿ واذ ﴾ أى و اذكر أيضا ما وقع من الطغيان مع رؤية الآيات في أول هذا الكون من^٨ إبليس الذي [هو -^٩] من أعلم^{١٠} الخلق بآيات الله و عظمتها ، ثم بمن^{١١} اتبعه من ذرية آدم عليه السلام بعد تحقق عداوته في مخالفة ربهم المحسن إليهم مع ادعاء ولايته إذ ﴿ قلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى لا يعضى^{١٢} مرادها شئ^{١٣} ﴿ لللشكة ﴾ حين خلقنا أباكم آدم و فضلناه^{١٤} : ﴿ اسجدوا لأدم ﴾ امثالاً لأمرى ﴿ فسجدوا إلا إبليس ﴾ [أبى أن يسجد -^{١٥}] لكونه بمن^{١٦} حقت^{١٧} عليه الكلمة و لم ينفعه ما يعلمه من قدرة الله و عظمتها ، و ذلك معنى قوله : ﴿ قال ﴾ أى لنا منكرا متكبرا : ﴿ اسجد ﴾ [أى -^{١٨}] خضوعا ﴿ لمن خلقت ﴾^{١٩} حال كون^{٢٠} أصله

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) فى ظ : حال (٣) فى ظ : لا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : حمل .
(٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مع (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اعظم (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تبين - كذا (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا يحصى (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فضلا (١٢) فى ظ : خلقت (١٣-١٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اى كونه .

(طيناچ) فكفر^١ بنسبه لنا إلى الجور و^٢ عدم الحكمة، متخيلا أنه أكرم من آدم عليه السلام من حيث أن الفروع [ترجع -^٣] إلى الأصول، و أن النار التي هي أصله أكرم من الطين، و ذهب عليه أن الطين أنفع من النار فهو أكرم، و على تقدير النزول فإن الجواهر كلها من جنس واحد، و الله تعالى الذي أوجدها من العدم يفضل بعضها على بعض بما ه يحدث فيها من الأعراض، كما تقدمت الإشارة إليه في ” و لقد فضلنا بعض النبيّن [على بعض -^٤] “. .

و لما أخبر تعالى بتكبره، كان كأنه قيل: إن هذه لوقاحة عظيمة و اجتراء على الجناب الأعلى، فهل كان غير هذا؟ ف قيل: نعم! (قال ارءيتك) أى أخبرني (هذا الذي كرمت على^٥ ن) بم^٦ كرمته على مع ضعفه و قوتي؟ ١٠ فسكأنه [قيل -^٢]: لقد^٧ أتى بالغاية في إساءة الأدب، فما كان بعد هذا؟ ف قيل^٨: قال مقسما لأجل استبعاد أن يجترئ أحد هذه [الجراءة -^٣] على الملك الأعلى: (لئن اخترن) أى أيها الملك الأعلى تأخيرا ممتدا (إلى يوم القيمة) / حيا متمكنا (لاحتكن) [أى -^٢] بالإغواء (ذريته) ٣٢٠/ أى لاستولين عليهم بشدة احتيالي كما يستولى الآكل على ما^٩ أخذه في ١٥

(١) في مد: فكيف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد في الأصل: من، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و م و القرآن الكريم سورة ١٧ آية هـ (٦) من م و مد، و في الأصل: ثم، و في ظ: بما (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: لو (٨) زيد في الأصل: له، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: مبتدا (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: من .

حنكاً، بتسليطك لي عليهم (الاقليلاه) وهم أولياؤك الذين حفظهم مني، فكأنه قيل : لقد أطال في الاجترار فما قال له ربه بعد الثالثة ؟ فقيل : (قال) مهدياً له : (اذهب) أي امض لثباتك الذي ذكرته بارادتي لا بأمرى. فانك لن تعدو أمرنا فيك وقد حكمنا بشقاوتك و شقاوة ه من أردنا طاعته لك ، و لذلك سبب عنه^٢ قوله تعالى :-(فمن تبعك) أي أدنى اتباع (منهم) أي أولاد آدم عليه السلام، و يجوز أن يراد بتجريد الفعل^٣ أن من تبعه^٢ بغير معالجة من فطرته الأولى لا يكون إلا عريقاً في الشر .

ولما كانت التقدير : أذفته^٤ من خزيك^١ ، عبر عنه بقوله تعالى : ١٠ (فان جهنم) أي الطبقة النارية التي تتجهم داخلها (جزاؤكم) أي جزاءك و جزاءهم ، تجزون ذلك (جزاء موفوراه) مكلاً وافيًا بما تستحقون على أعمالكم الحثيثة .

و مادة 'وفر' بجميع تراكيبها - وهي خمسة عشر، في الواوي ستة : وفر، ورف، فور، فرو، رفو، روف، و في اليائي ثلاثة : فرى^٦، ١٥ رفي، ريف، و في المهموز ستة : رفاً، راف، فرا، فأر، أفر، أرف - تدور على السعة ، و المجاوزة للحد . و العلو على المقدار ، و الفضل عن الكفاية : فالوفر : المكان الكبير ، و سقاء وفر : لم ينقص من أديمه شيء ، و إداوة^٧ وفراء ، و الوفرة : ما بلغ الأذنين من الشعر ، و الوافر :

- (١) من م و مد ، و في الأصل : ممرا ، و في ظ : مدودا (٢) في ظ : عن .
(٣-٣) في ظ : بمن يتبعه (٤-٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : زجرتك .
(٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : عشرة (٦) سقط من ظ (٧) من م ، و في الأصل و ظ : اداه ، و في مد : ادوة .

نظم الدرر (الجزء الخامس عشر) ج - ١١

ضرب من العروض وزنه مفاعلتن^١ ست مرات ، والوفر : الغنى ، ومن المال : الكثير الواسع ، والعام^٢ من كل شيء ، ووفره توفيراً : أكثره ، ووفر له عرضه : لم يشتمه ، ووفر^٣ عطاءه : رده عليه وهو راضٍ ، ووفره توفيراً : أكمله وجمله وافرأ - لأن الكمال لا يكاد يتحقق إلا مع زيادة ، والثوب^٤ : قطعه وافرأ . والوافرة : ألية الكباش إذا عظمت ، ه الدنيا ، والحياة ، و كل شحمة مستطيلة ، وهم متوافرون : فيهم كثرة ، واستوفر عليه حقه : استوفاه .

[و - °] ورف النبات [يرف - °] - إذا رأيت له بهجة من ربه ، ولا يكون ذلك إلا من^١ نضارته واتساعه و كونه ملء العين ، و ورف الظل يرف ورفاً [و - °] ورفياً ووروفاً^٢ : اتسع و طال و امتد ١٠ كأورف و ورف ، والورف : مارق من نواحي الكبد - لزيادته^٣ و استرخائه ، و الرفة - كعدة : الناضر من النبات ، و ورقته توريفاً : مصصته ، و الأرض : قسمتها - كأنه من الإزالة .

وفارت القدر - إذا غلت حتى يعلو ما فيها فتفيض ، و كل حارّ يفور فوراً ، وفار^١ العرق - إذا اتفخ ، زاد في القاموس : و ضرب ، ١٥

(١) من م و مد و القاموس ، وفي الأصل : متفاعلتين ، وفي ظ : مفاعلتين (٢) من م و مد و القاموس ، وفي الأصل و ظ : العلم (٣) في القاموس : بوفرة (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، وفي الأصل : الثواب (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : في (٧) زيد من م و مد و القاموس (٨) في ظ : ورفاً (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : من زيادة (١٠) من ظ و م و مد و القاموس ، وفي الأصل : فارت .

و المسك : انتشر ، و فارة الإبل : فوح جلودها إذا نديت بعد الورد ،
و الفائر : المنتشر العصب من الدواب و غيرها ، و أتوا من فورهم : من
وجههم أو قبل أن يسكنوا - لأن حركتهم توسع و انتشار فسميت
فورا ، و الفار : عضل^١ الإنسان - لأنه آخن [مما دونه -^٢] ، و الفور -
بالضم : الظباء ، جمع فائر - لأنه من أسرع الحيوان نفارا ، و أشدها
وثبا ، و أوسعها عدوا ، و قال القراز : و الفارة و الفورة : ريح [تكون -^٣]
في رسغ الفرس تنفش^٤ إذا مسحت و تجتمع^٥ إذا تركت ، و قال في فآر :
فاذا^٦ مشى انقشت ، و أعاده في القاموس في المهور فقال : و الفارة له -
أى للذكر من الحيوان المعروف - و للأنثى ، و ريح في رسغ الدابة تنفش
١٠ إذا مسحت و تجتمع^٧ إذا تركت كالقورة بالضم ، و الفور : ولد الحمار^٨ -
لخفته و سرعة حركته و وثبه . و فوارتا الكرش : غدتان في جوف
لحيتين ، و قيل : الفوارة : اللحم^٩ - التى فى^{١٠} داخلها الغدة ، و قيل : تكونان
لكل^{١١} ذى لحم ، و ذلك لوجوب^{١٢} الزيادة سواء قلنا : إنها لحمة أو غدة ،

-
- (١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : عضد (٢) زيد من ظ و م
و مد (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : ينفش (٤) من ظ و م
و مد و القاموس ، و فى الأصل : يجتمع (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :
إذا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحمام (٧) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : اللحمية (٨) سقط من مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كل -
(١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوجوب .

و^١ قال القزاز: وقالوا^٢: ماء الرجل إنما يقع في الكلية [ثم -^٣] في الفؤارة^٤ ثم في^٥ / الخصية، فعلى هذا سمي لأنه يقذف ما فيه إلى الخصية، و الفياران - [بالكسر -^٦] : حديدتان تكتنفان^٧ لسان الميزان - [لاتساعهما عن اللسان -^٨]، والفيرة - بالكسر بالهمز وبغيره: تمر^٩ يغلى ويمرس و يطبخ بحلبة تشربها النفساء - قاله القزاز، [و -^{١٠}] في مختصر العين: حلبة^{١١} تطبخ؛ فإذا فارت فوارتها ألقيت في معصرة ثم صفيت^{١٢} وتحسبها النفساء، وأعادته في القاموس في المهموز و قال: و الفئرة^{١٣} - بالكسر - والفؤارة كثنامة^{١٤} والفيرة والفئرة^{١٥} كغنية ويترك همزها: " حلبة تطبخ^{١٦} للنفساء - سميت إما لغليانها وإما^{١٧} للاتساع بجمع التمر و الحلبة .

و الفرو و الفروة: لبس معروف - لخروج صوفها وزيادة الرفق^{١٨} به، كأنها^{١٩} أصل المادة كلها، و فروة الرأس: جلده بشعرها، و الفروة: الأرض البيضاء ليس بها نبات - لأنه أوسع لها من حيث هي، و الفروة^{٢٠}:

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فقالوا (٣) زيد من تاج العروس (٤) من تاج العروس، وفي الأصول: الفوار (٥) سقط من مد.
- (٦) زيد من ظ و م و مد والقاموس (٧) من ظ و م و مد والقاموس، وفي الأصل: يكتنفان (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تمر (١٠) زيد من م و مد (١١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: صفت (١٢) من ظ و م و مد والقاموس، وفي الأصل: الفير (١٣) من ظ و م و مد والقاموس، وفي الأصل: كساسة - كذا (١٤-١٥) في القاموس: حلبة وتمر يطبخ (١٥) في ظ: الا (١٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لانها.
- (١٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الفورة .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧ : ٦٣ و ٦٤) ج - ١١

الغنى والثروة وقطعة نبات مجتمعة يابسة، وجبة شمر كها - لأنه لولا زيادتهما^١
 ما^٢ شمرا، ونصف كساء يتخذ من أوبار الإبل - كأنه شبه بالفروة لطول
 وبره^٣. وخرطة^٤ يحمل السائل فيها صدقته، والتاج - لاتساعه^٥ وعلوه
 وكاله ولغى صاحبه، وخمار المرأة - لزيادته على كفايتها ولسبوغها^٦
 هـ وفصله عن^٧ رأسها .

ورقا الثوب يرفوه : أصلحه ولام خرقة، وقال في القاموس : [في
 المهموز : وضم بعضه إلى بعض، قال القزاز : والهمز أكثر؛ والرفاء -
 ككساء : الالتحام والاجتماع والاتفاق، ومنه ما يدعى به للاتزوج :
 بالرفاء والبنين، وأعادوه في المهموز . وقال في القاموس -^٨ : أى
 ١٠ بالالتحام وجمع الشمل^٩، قال القزاز : [ومعنى -^{١٠}] رقا : تزوج ؛
 والآرقى : العظيم الأذنين فى استرخاء، قال القزاز : والأذن الرفواء هى
 التى تقبل على الأخرى حتى تكاد تماس أطرافهما^{١١}؛ ورفوت الرجل :
 إذا سكته من رعب، وأعادته فى القاموس فى المهموز - لأن ذلك

(١) من ظ وم ومد، وفى الأصل : زيادتها (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وم
 ومد، وفى الأصل : وفره (٤) فى القاموس : الوفضة (٥) من ظ وم ومد،
 وفى الأصل : اتساعه (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل : اتساعه (٧) من ظ
 وم ومد، وفى الأصل : على (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم ومد .
 (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل وظ، ولم تكن فى م لحذفها، والعبارة من هنا
 بما فيها الواو إلى « فى استرخاء » ساقطة من مد (١٠) زيد من ظ وم (١١) من
 م ومد وتاج العروس، وفى الأصل وظ : أطرافها .

أوسع لفكره لأنه أفر لعينه^١ .

والرؤف : السكون - وهو أوسع من الاضطراب لأنه لا يكون
إلا عن قرار العين ، قال في القاموس : وليس من الرأفة ، والرؤفة :
الرحمة ، وراف يراف لغة في راف يرأف - وستأى^٢ بقيتها قريبا إن
شاء الله تعالى .

و لما بدأ سبحانه بالوعيد لطفًا بالمكلفين ، عطف على " اذهب " قوله
بمثلا حاله في تسلطه على من^٣ يغويه بمغوار أوقع بقوم فصوت
بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ، ويقلمهم عن مراكزهم ، وأجلب
عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم : (واستفز) أى
استخف ، والفز أصله القطع ، أى استزله بقطعه عن الصواب - قاله ١٠
الرماني (من استطعت منهم) وهم الذين سلطناك عليهم (بصوتك)
أى دعائك بالغنى والمزامير وكل ما تزينه بالوساوس (واجلب) أى
اجمع أو سق بغاية ما يمكنك^٤ من الصباح (عليهم^٥ بخيلك) أى
ركبان جندك (ورجلك) أى ومشاتهم^٦ : والمعنى : افعل جميع ما تقدر
عليه ، ولا تدع شيئا من قوتك ، فانك لا تقدر على شيء لم أقدره لك . ١٥
و لما كان الشيطان طالبا لشركة الناس في جميع أمورهم بوساوسه الحاملة

(١) في ظ : لعينيه (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : سياتى (٣) في مد : ما (٤) في
ظ : سلطناك (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : و (٦) من ظ وم ومد ،
وفي الأصل : يمسكك (٧) زيد بعده في الأصل فقط : واجلب عليهم (٨) من م
ومد ، وفي الأصل : مشاهيم ، وفي ظ : مساتهم .

[لهم - '] على إفسادها ، فإن أطاعوه كانوا طالبيين لأن يشركوه وإن كانوا لا شعور لهم بذلك ، عبر بصيغة المفاعلة فقال تعالى : ﴿ وشاركهم ﴾ أى بوثوبك على مخالطهم عند ما يشاركوك بفعل ما يوافق هواك ﴿ فى الاموال ﴾ أى التى^٢ يسعون فى تحصيلها ﴿ والاولاد ﴾ أى التى ينسلونها ، إن اقتنوها بوجه محرم أو لم يذكرها اسمى عليها ، وكذا قرأينهم لغير الله وإفقاظهم فى المحرمات وتعليمهم أولادهم المعاصى والكفر مشاركة فيها^٣ ﴿ وعدمهم ﴾ من المواعيد^٤ الباطلة ما يستخفهم ويغرم من شفاعنة الآلهة والكرامة على الله تعالى وتسويق^٥ التوبة - ونحو ذلك ؛ ثم التفت إلى الصالحين من عباده فأخبرهم تنبيها^٦ [لهم -^٧] وتنبيها لغيرهم / على أنه ليس يده شيء ، ١٠ فقال تعالى مظهرا لضميره بما يدل على تحقيره ، تقييحا لأمره وتنفيرا منه : ﴿ وما يعدم الشيطان ﴾ أى المحترق المطرود باللعنة من عدم البعث وطول الأجل وشفاعة الآلهة ونحو ذلك ﴿ الا غرورا ﴾ و الغرور : تزوين الخطأ بما يوم أنه صواب ، ثم رجع إلى مواجهته بما يحقر [أمره -^٨] ، فان المواجهة بالتحقير أنكأ ، مصرحا بنتيجة^٩ ذلك ، وهى أنه غير قادر ١٥ إلا بأذنه سبحانه ، ومنوع عنه ما لم يقدره له ، دفعا لما قد يوهمه ما مضى

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) فى ظ الذين ، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى «الاولاد أى» اقطعة من مد (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل ؛ فيه (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الوعيد (٥) فى ظ وم : التشويق . (٦) من م ، وفى الأصل وظ ومد : فاخبر (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : شيئا (٨) زيد من م (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : نتيجة .

من أنه يؤثر شيئا^١ استقلالا فقال تعالى: ﴿ ان ﴾ أى اجهد جهدك ،
 لأن أهل الشهوات سلطتك عليهم زيادة في شقائك بما أردته منهم قبل
 خلقك وخلقهم ، لا تقدر أن تعدى شيئا منه إلى خالصي [و -^٢]
 من ارتضيته لعبادتي ، إن ﴿ عبادي ﴾ الذين أهلتهم للاضاعة إلى ققاموا
 بحق عبوديتي^٣ بالتقوى والإحسان ﴿ ليس لك ﴾ أى بوجه من الوجوه ه
 ﴿ عليهم سلطان^٤ ﴾ أى فلا تقدر أن تغويهم وتحملهم على ذنب لا يغفر ،
 فاني وقتهم للتوكل على فكفيتهم أمرك ﴿ وكفى بربك ﴾ [أى -^٥]
 الموجد لك المدير لأمرك ﴿ وكيلاه ﴾ يحفظ ما هو وكيل فيه من كل
 ما يمكن^٦ أن يفسده .

ولما ذكر أنه^١ الوكيل الذي لا كافي غيره في حفظه ، لاختصاصه ١٠
 بشمول عليه وتمام قدرته ، أتبعه بعض أفعاله الدالة على ذلك فقال تعالى ،
 عودا إلى دلائل التوحيد الذي هو المقصود الأعظم بأحوال [البحر -^٢]
 الذي يخلصون فيه ، في^٣ أسلوب الخطاب استعطافا لهم إلى^٤ المتاب: ﴿ ربكم ﴾
 أى المحسن إليكم ، هو ﴿ الذي يرزق ﴾ أى يسوق وشدفع : ينفذ ﴿ لكم ﴾
 أى لمنفعتكم ﴿ الفلك ﴾ التي حملكم فيها مع أيكم نوح نبيه السلام ١٥
 ﴿ في البحر لتبتغوا ﴾ أى تطلبوا طلبا عظيما بذلك أنواع المنافع التي
 يتعذر^٥ أو يتعسر الوصول إليها في البر ﴿ من فضله^٦ ﴾ ثم علل فعله

(١) في ظ : شرعا (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل ؛
 عبادتي (٤) زيد من م (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : ان (٧) من م ومد ، وفي
 الأصل : الى ، والحرف ساقط من ظ (٨) في مد : على (٩) في ظ : اي (١٠) من
 ظ وم ومد ، وفي الأصل : تتعذر .

ذلك بقوله تعالى : ﴿ انه ﴾ أى فعل ذلك لكم لانه ﴿ كان ﴾ أى
أزلا وأبدا ﴿ بكم ﴾ أى أيها المؤمنون خاصة ﴿ رحبما ﴾ أى مكرما
بالتوفيق إلى فعل ما يرضيه فى المتجر وغيره ، لا لشيء غير ذلك ، أو
يكون [ذلك - ٢] خطابا لجميع النوع فيكون المعنى : خصكم به من
بين الحيوانات .

و لما كان المراد المؤمنين خاصة وإن كان خطابا للجموع ، خص
المشركين كذلك ٢ [فقال - ٤] : ﴿ واذا ﴾ أى فاذا نعممكم بأنواع
الخير كنتم على إشراككم [به - ٢] سبحانه ، وإذا ﴿ مسكم ﴾
ولم يقل : أمسكم - بالإسناد إلى نفسه ، تأديا لنا فى مخاطبته بنسبة الخير
١٠ دون الشر إليه ، مع اعتقاد أن الكل فعله ، وتنبه على أن الشر مما ينبغي التبرؤ
منه والبعد عنه ﴿ الضر فى البحر ﴾ من هيج الماء و اغتلامه لعصوف الريح
وطمو الأمواج ﴿ ضل ﴾ أى ذهب وبطل ٦ عن ذكركم وخواطركم
﴿ من تدعون ﴾ من الموجودات كلها ﴿ آياها ﴾ وحده ، فأخلصتم له الدعاء
علما منكم أنه لا ينجيكم سواه ﴿ فلما نجحكم ﴾ من الفرق وأوصلكم بالتدرج
١٥ ﴿ الى البر اعرضتم ﴾ عن الإخلاص له ورجعتم إلى الإشراك
﴿ وكان الانسان ﴾ أى هذا النوع ﴿ كفورا ﴾ أى بليغ التغطية
لما حقه أن يشهر ، فأظهر فى موضع الإضمار تنبيهها على أن هذا الوصف
لا يخصهم ، بل يعم ٧ هذا النوع لطبعه على النقائص لإلّا من أخلاصه الله له .

(١) فى النسخ : المؤمنين (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد ، وفى
الأصل : لذلك (٤) زيد من م (٥) سقط من ظ (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ :
يظل (٧) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها .

ولما كان التقدير: أعرضتم بعد [إذ - '] أنجاكم فكفرتم بذلك
 وكان الكفر وصفا لكم لازما ، قسب عن ذلك أنكم أمتم ، أى
 فعلتم بذلك^٢ فعل الآمن ، أنكر عليهم^٣ هذا الامر لكونه من أجهل
 الجهل فقال تعالى : (افا متم) أى أنجوتم من البحر فأتمتم بعد خروجكم
 منه (ان نخسف^٤) أى بما لنا من العظمة (بكم) ودل على شدة ه
 إسرائهم [بالكفر - °] عند وصولهم إلى أول الساحل بقوله تعالى :
 (جانب البر) [أى - '] ففيعيكم^٥ فيه فى أى جانب كان منه ، لأن
 قدرتنا على التغيب فى التراب فى جميع الجوانب كقدرتنا على التغيب
 / فى الماء سواء ، فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب
 / ٣٢٣ / (او) أمتم إن غلظت أبادكم عن تأمل مثل هذا أن^٦ (نرسل^٧ عليكم)
 من جهة الفوق شيئا من أمرنا (حاصبا) أى^٨ يرمى بالحصباء^٩ ، أى
 بالحصى الصغار - قاله الرازى فى اللوامع ، وقال الرماني : حجارة
 يحصب بها ، أى يرمى بها ، حصبه - إذا رماه رميا متابعا - انتهى . يرميكم
 (١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لذلك .
 (٣) فى ظ : انيهم (٤) قراءة أهل المدينة ويعقوب وابن عامر والكوفيين بالياء ،
 وقرأ الباقون بالنون - راجع نثر المرجان ٤ / الآية المتعلقة (٥) زيد من ظ وم مد .
 (٦) العبارة من « ودل على » إلى هنا ساقطة من م (٧) من ظ وم ومد ، وفى
 الأصل : ففيعيكم (٨) تكرر فى ظ (٩) سقط من ظ (١٠) من م ومد ، وفى
 الأصل و ظ : ان (١١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : بالحصى - كذا .

ذلك الحاصب في وجوهكم أو فوق رؤسكم رميا يهلك مثله كما وقع لقوم
 لوط^١ أنا أرسلنا عليهم حاصبا^٢، وقيل : الحاصب : الريح، ولم يقل :
 حاصبة^٣ لأنه وصف لزمها، ولم يكن لها، مذكر تنتقل^٤ إليه في حال^٥
 فكان بمنزلة حاض^٦ (ثم لا تجدوا) أيها الناس (لكم) وأطلق
 ليعم فقال تعالى : (وكيلا^٧) ينجيكم من ذلك ولا من غيره
 كما لم تجدوا في البحر وكيلا غيره (ام امنتم) إن^٨ جاوزت بكم
 الغباوة حدها فلم تجوزوا ذلك (ان نعيدكم^٩ فيه) أي^{١٠} البحر بما
 لنا من العظمة التي تضطركم إلى ذلك فتفرقكم^{١١} عليه وإن كرهتم
 (تارة أخرى) بأسباب تضطركم إلى ذلك (فرسل^{١٢} عليكم) أي
 ١٠ بما لنا من صفة الجلال (قاصفا) وهو الكاسر بشدة (من الريح)
 كما عهدتم أمثاله يا من وقفت أفكارهم مع المحسوسات فرضوا بذلك
 أن يكونوا كالبهائم لا يفهمون إلا الجزئيات المشاهدات (ففرقكم^{١٣})
 أي في البحر الذي أعدناكم فيه، لعظمتنا (بما كفرتم^{١٤} لا) كما يفعل
 (١) سقط من ظ (٢) راجع سورة ٤٤ آية ٣ (٣) في ظ : حاصبا (٤-٥) من ظ
 وم ومد، وفي الأصل : مركز ينتقل (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل : ذلك.
 (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل : خايض (٧-٨) سقط ما بين الرقين من م.
 (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل : أي (٩) هنا أيضا نفس الاختلاف الذي
 أسلفناه عند «نخسف» (١٠) زيد في ظ : من (١١) من ظ وم ومد، وفي
 الأصل : مصركم.

أحدكم إذا ظفر بمن كفر لإحسانه ﴿ ثم لا تجدوا لكم ﴾ وإن أمعتم
 في الطلب ، وطالت أزمانكم في إتقان السبب . ولما كان ^١ إطلاق
 النفي في ختام الآية الماضية - وإن كان لإرادة ^٢ التعميم - يحتمل ^٣
 أن يدعى تقييده بما يخالف المراد ، وكان المقصود هنا التخويف بسطوته
 سبحانه تارة بالخسف وتارة بغيره ، قيد بما عين ^٤ المراد ، وقدم قوله ^٥
 تعالى : ﴿ علينا ﴾ دلالة على باهر العظمة ﴿ به ﴾ أى بما فعلنا بكم
 ﴿ تبعاء ﴾ أى مطالباً يطالبنا به .

ولما قرر بهذه الجمل ما يسر لهم من البر ، وسهل من شدائد البحر
 في معرض التهديد ، أتبعه أنه فعل ذلك تكريماً لهم ^٦ على سائر مخلوقاته ،
 كما هو شأنه في القدرة على ما يريد من المفاوطة بين الأمور التي كانت ^{١٠}
 متساوية عند أول خلقه لها ، ليستدلوا بذلك على سهولة الإعادة ، مشيراً إلى
 أنه ركب جوهر الإنسان من نفس هي أشرف النفوس بما فضلها ^٧ على قوى ^٨
 النفس النباتية من الاغتذاء والنمو والتوليد بالحس ظاهراً وباطناً بالحركة
 بالاختيار ، وخصه على سائر الحيوان بالقوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء
 كما هي ، ويتجلى بها نور معرفة الله ، ويشرق فيها ضوء كبرياته وتطلع ^{١٥}
 على عالمي الخلق والأمر ، ^٩ وتحيط بأقسام ^{١١} المخلوقات من الأرواح

(١) العبارة من هنا إلى « المراد وكان » ساقطة من م (٢) في ظ : الارادة .

(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : تحتمل (٤) العبارة من هنا إلى « المراد »

ساقطة من م (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : علق (٦) سقط من ظ (٧) في

ظ : فضلنا (٨-٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يحيط بأجسام .

و الأجسام كما هي ، فكانت بذلك النفس الإنسانية أشرف نفوس هذا العالم ، و بدنه كذلك ' باختصاصه باعتدال القامة و امتدادها و تناول باليد و غير ذلك ، فقال تعالى [عاطفا - ٢] على ما يرشد إليه السياق من مثل أن يقال : فلقد كرّمناكم بذلك من إزجاء الفلك و إنجائكم في وقت الشدائد ، أو على : ["و لقد فضلنا" - ٢] : (و لقد كرّمنا) أى بعظمتنا تكريما عظيما (بنى آدم) [أى - ٢] على سائر الطين بالنمو ، و على سائر النامى بالحياة ، و على سائر الحيوان بالنطق ، فكان حذف متعلق التكريم دالا على عمومته لجميع الخلق ، و ذلك كله تقديرا للقدرة على البعث (و حملتهم في البر) على الدواب و غيرها (و البحر) على السفن و غيرها ١٠ (و رزقهم) أى رزقا يناسب عظمتهم (من الطيبات) أى المستلذات من الثمرات و الأقوات التى يأكل غيرهم من الحيوان قشها (و فضلهم) فى أنفسهم باحسان الشكل ، و فى صفاتهم بالعلم المنتج لسعادة الدارين ، و فى رزقنا لهم بما تقدم .

و لما حذف متعلق التكريم دلالة على التعميم / ، و كان أغلب أفرادهم ٣٢٤ /

١٥ ضالا ، قال لذلك : (على كثير من خلقنا) أى بعظمتنا التى خلقناهم بها ، و أكد الفعل بالمصدر إشارة إلى إعراقهم فى الفضيلة فقال تعالى : (تفضيلا) هذا ما للجموع ، و أما الخالص فهم أفضل الخلائق لما علمنا من معالجتهم بالإخلاص و جهادهم لاهويتهم ، لما طبعت عليه نفوسهم من النقائص ، (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لذلك (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فشاه .

ولما لها من الدسائس حتى امتطوا بعد رتبة الإيمان درجتي التقوى والإحسان، وتقديم الأمر لللائكة بالسجود لآدم عليه السلام توطئة لهذه الآية أدل دليل على هذا .

ولما قرر سبحانه قدرته على التفضيل في الحياة الحسية والمعنوية، والمفاضلة بين الأشياء في الشيتين قُتِبَتْ بذلك قدرته على البعث، وختم ه ذلك بتفضيل البشر، وكان يوم الدين أعظم يوم يظهر فيه التفضيل، أبدل من قوله "يوم يدعوكم" مرها من سطواته في ذلك اليوم، ومرغبا في اقتناء الفضائل في هذا اليوم قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾ أى بتلك العظمة ﴿كُلِّ النَّاسِ﴾ أى منكم ﴿بِأَمَامِهِمْ﴾ أى بمتبوعهم الذى كانوا يتبعونه، فيقال: يا أتباع نوح ! يا أتباع إبراهيم ! يا أتباع موسى ! يا أتباع عيسى ! يا أتباع محمد ! فيقومون فيميز بين محقيهم ومبطلهم^٢، ويقال: يا أتباع الهوى ! يا أتباع النار ! يا أتباع الشمس ! يا أتباع الأصنام ! ونحو هذا، أو يكون المراد بسبب أعمالهم التى ربطناهم [بها -^٣] ربط المأموم^٤ بامامه^٥ كما قال تعالى "وكل انسان الزمنه ظميره فى عتقه" وسماها إماما لكونهم أموها واجتهدوا فى قصدها، وندفع^٦ إليهم الكتب التى أحصت^٧ ١٥

(١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: قُتِبَتْ (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لذلك (٣) من م ومد، وفى الأصل: مبطلهم، وفى ظ: مثلهم (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: "و" (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: اللومس (٧) فى ظ: بالامام (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يدنع .

حفظتنا فيها تلك الأعمال ﴿فن أوتى﴾ منهم من 'موت ما' ﴿كتبه يمينه﴾
فهم البصراء القلوب لتقوام وإحسانهم ، وهم البصراء في الدنيا ، ومن
كان في هذه [الدنيا - '] بصيرا فهو في الآخرة أبصر وأهدى سبيلا
﴿فاولئك﴾ أى العالو المراتب ﴿يقرءون كتبهم﴾ أى يجددون قراءته
• ويكررونها سرورا بما فيه كما هو دأب كل من سر^٢ بكتاب
﴿ولا يظلمون﴾ بنقص حسنة ما من ظالم ما ﴿قتلاه﴾ أى شيئا هو
في غاية القلة والحقارة، بل يزدادون بحسب إخلاص النيات وطهارة
الآخلاق وزكاه الأعمال ، ومن أوتى كتابه بشماله فهو لا يقرأ كتابه
لأنه أعمى في هذه الدار ﴿ومن كان﴾ منهم ﴿في هذه﴾ الدار ﴿اعمى﴾
١٠ أى ضاللا يفعل في الأعمال فعل الأعمى في أخذ الأعيان ، لا يهتدى
إلى أخذ ما ينفعه وترك ما يضره^٣ ، ولا يميز بين حسن وقبح
﴿فهو في الآخرة﴾ لأن كل أحد يقوم على ما مات عليه ﴿اعمى﴾
أى أشد عمى مما كان عليه في هذه الدار ، لا ينجح له قصد ، ولا يهتدى
لصواب ، ولا يقدر على قراءة كتاب ، لما فيه من موجبات العذاب ،
١٥ ولم يقل : أشد عمى ، كما يقولونه في الخلق اللازمة^٤ للحالة واحدة^٥ من
العور والحرمة والسواد ونحوهما ، لأن هذا مراد به عمى القلب الذى
من شأنه التزايد والحدوث في كل لحظة شيئا بعد شيء ، بخلاف

(١-١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : مومن (٢) زيد من م ومد (٣) من
ظ و م ومد ، وفى الأصل : مشر (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : يزدادون .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اضل لا (٧) من ظ و م
ومد ، وفى الأصل : يضر (٨-٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فى الحالة
الواحدة .

ما 'لا يزيد؛ ولم يمل' أبو عمرو مع إمالة الأول ليدل على أن معناه:
 أفضل^٢ من كذا، فهو وسط، وإمالة إنما يحسن في الأواخر^٣، ولأن هذا
 معناه، عطف عليه قوله تعالى: ﴿واضل سيلا﴾ لأن هذه الدار
 دار الاكتساب والترقى بالأسباب، وإما تلك فليس فيها شيء من
 ذلك؛ فالآية من الاحتباك: أثبت الإتياء باليمين والقراءة أولا دليلا على
 حذف ضدهما ثانيا، وأثبت العمى ثانيا دليلا على حذف ضده أولا.
 ولما قرر أن من ترك سبيل الرشd كان كالأعمى، ومن تبعها^٤
 كان كالصير، أتبعه دليله فقال محذرا للبصراء^٥ عن الاغترار بوساوس
 الاشقياء/ : ﴿وان﴾ أى وأكثر هؤلاء أعمى، قد افتنن فى نفسه بهواه^٦ ٣٢٥ /
 مع 'يانا لطريق' الرشd بما^٧ أوحينا إليك من هذه الحكمة حتى ١٠
 صارت^٨ أوضح من الشمس وإن الأعداء ﴿كادوا﴾ أى قاربوا فى
 هذه الحياة الدنيا لعمام فى أنفسهم عن عصمة الله الك بسبب عمام عما
 جبلت عليه من الفطنة، وجودة الفطرة^٩، وذكاء القريحة، وثقوب^{١٠}
 الفهم، وبعد المرمى فى الوقوف على خداع المخادعين، ومكر الماكرين،
 (١-١) من ظ و م ومد، وفى الأصل : لا يزيدو ولم يملو - كذا (٢) من
 ظ و م ومد، وفى الأصل : العلى (٣) ونفس المبحث ساقه أيضا فى روح المعاني
 ٤/ ٥٥٨ (٤-٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل : فلان (٥) فى ظ : ظا (٦) فى
 مد : اتبعها (٧) من ظ و م ومد، وفى الأصل : للبصر (٨) من ظ و م ومد،
 وفى الأصل : فى هواه (٩-٩) من م ومد، وفى الأصل و ظ : بيان بطريق .
 (١٠) سقط من مد (١١) من م ومد، وفى الأصل و ظ : لصارت (١٢) من
 ظ و م ومد، وفى الأصل : انفكرة (١٣) فى ظ : تقرب .

لتجلى الدقائق في مرآة [قلبك - ١] الصقيلة [وصافى فكرتك الشفافة .
ولما كانت « إن ، مخففة من الثقيلة - ١ » أنى باللام الفارقة بينها وبين
النافية ٢ فقال تعالى : (ليفتنوك) أى ليخالطونك ٣ مخالطة تمليك إلى
جهة قصدهم بكثرة خداعهم باطماعهم لك فى المواقفة لما يعلمون من ظاهر
الحياة الدنيا (عن الذى أوحينا) أى بما لنا من العظمة (اليك) من الحكمة
(لتفترى) أى تقطع متعمدا (علينا) على عظمتنا (غيره) من
طرد ٤ من ٥ أوحينا إليك الأمر بمصابتهم ، إطماعا منهم فى إسلام من
هو بحيث ٦ يرجى بإسلامه ٧ إسلام الجمل الغفير منهم لشرفه ونحو ذلك
بما عناء الله [سبحانه - ٨] وهو أعلم بمراده ٩ قال الرمانى : وأصل
١٠ الفتنة ما ١١ يطلب به خلاص الشيء عما ١٢ لابس (وإذا) أى لو ملت
إلهم (لاتخذوك) أى بغيابة الرغبة (خيلا ١٣) ومن كان خليل
الكفار لم يكن خليل الله ، ولكنك أبصرت رشدك فلزمت أمر الله ،
واستمروا على عماهم إتماما لتفضيلنا لك على كل مخلوق ، وقد تقدم قريبا ١٤
ما تدور عليه مادة 'فرا' وأنه السعة ، وقد ١٥ بقى من تقاليها الياى
١٥ والمهموز ، فعنى فريت الأديم : شققته فاسدا أو صالحا - لأنه يتسع بذلك ،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م . وفى الأصل : اللام ، وفى ظ و مد :
الباقية - كذا (٣) فى مد : يخالطونك (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بقطع .
(٥ - ٥) فى ظ : بطرد (٦) - قط من مد (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
ترجى اسلامه (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عما (١٠) فى
ظ : ما (١١) عند " جزاء موفورا " (١٢) سقط من م .

وقال القزاز: الفرى مصدر فريت الأديم - إذا شققته للإصلاح، وأفريته - إذا شققته للافساد - كأن همزته للإزالة، وحكى أبو عبيدة: فريت الشيء [و-^٢] أفريته: قطعه، وفرى الكذب وأقرأه: اختلقه - لأنه اتساع فى القول وزيادة على ما يكفى من الصدق وتجاوز للحد، وفرى المزادة: خلقها وصنعها^٢، وقال القزاز: خرزها - لأنها تسع^٥ [ما لا تسعه -^٥] قبل الخرز، قال: وأصل الفرى الشق - يعنى: والخرز واقع فى الشق، فالعلاقة المحل، وفرى الأرض: سارها^٦ وقطعها - تشبيها لها بالأديم، وفرى - كرضى: تحير وذهش - من التسمية باسم السبب، لأن سبب الدهش^٧ كثرة وعظم فى المحسوس، وأفراه: أصلحه أو^٨ أمر بإصلاحه - لأن الإصلاح [سعة -^٥] بالنسبة إلى^٩ ١٠ الإفساد، وأفرى فلانا: لامه - لأنه يلزم [منه -^٥] الزيادة فى الكلام لما يحتاج به المعلوم، والفريه: الجلبة - لأنها زيادة عن الكلام المعتاد، وبالكسر: الكذب، وكفى: الأمر المخلق المصنوع أو^٨ العظيم، والواسعة من الدلاء كالفريه، والحليب ساعة تحلب - لارتفاع الرغبة، وتفرى الشيء: انشق، والعين: انبجست، وهو يفرى الفرى كفى: ١٥

(١) فى ظ: كما (٢) زيد من م (٣) فى ظ: متعها (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تسع (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من م ومد والقاموس، وفى الأصل وظ: ساوها (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الرهب (٨) من ظ وم ومد والقاموس، وفى الأصل: «و» (٩) فى مد: الا.

يأتى بالعجب في عمله . وقال القزاز : وتركت فلانا يفرى ويقدا ، أى
حاد في الأمر ، وفلاناً يفرى منذ اليوم - إذا جاء بالعجب ، لأنه
لا يعجب إلا ما زاد على الكفاية .

و الرفه : التبن ^٢ - لأنه ما فضل عن الحب ^٢ ، و الرفه : دويبة
تصيد تسمى عناق الأرض - لأن حالها أوسع من حال ما لا يصيد ،
ذكر هذا صاحب مختصر العين في المعتل بالياء فوزنه ثنية ، وساقه
صاحب القاموس في الهاء وقال فيما مدلوله [التبن - ^٥] : إنه كصرد ، ثم ساقه
في المعتل الواوى في ورق ^٦ [وقال - ^٧] : و الرفه كثة : التبن ، فاضطرب
كلامه فوجب قبول مختصر العين ، لكن ذكره الإمام أبو غالب ابن
التياني ^٨ - وهو من يخضع له - في كتابه الموعب في مقلوب رهف فقال
ناسبا له إلى كتاب العين / ما نصه : و الرفه : التبن ، قال غيره : ويقال
في مثل من الأمثال : استغنت التفه عن الرفه ، و التفه ^٩ : عناق الأرض ،
وهي دويبة كالثعلب خيثة ، تصيد كل شيء ، و " ذلك أنها لا تأكل "

/ ٣٢٦

(١) من م و مد واللسان ، وفي الأصل وظ : يقر (٢) من ظ و م و مد
و القاموس ، وفي الأصل : البير (٣) من م و مد ، وفي الأصل وظ : الحب .
(٤) من م و مد ، وفي الأصل وظ : هنا (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من
م و مد ، وفي الأصل وظ : ورق (٧) زيد من م و مد (٨) قد سبقت ترجمته
غير مرة (٩) من م و مد ، وفي الأصل وظ : كلام (١٠) ذكره أبو حنيفة في
كتاب الأنواء كما في تاج العروس [تفه] (١١) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : او (١٢) في مد : لا يوكل .

إلا اللحم - أبو حنيفة مثله، كله انتهى بحروفه، وقال صاحب القاموس
في المعتل: والتفة ذكر في ت ف ف، وقال في الهاء: والتفه كنية:
عناق الأرض، وقال في الفاء: والتفه - كقفه: دوية يجرو الكلب
أو كالفأرة^٢، واستغنت التفة عن الرقة، ويخففان، يضرب^٣ للشم
إذا شبع. فاعلم هذا الاختلاف لغات - والله أعلم.

قال في مختصر العين: والآرفي مثل كركي: اللين [المحض - °]
الطيب - لفيضة كالفأرة^٤، جعله المختصر يائيا، والقاموس واويا، ثم أعاده
في المهموز فقال: والآرفي - كقمرى: اللين الخالص، وساق القزاز في
الباقى: رافيت الرجل أرافيه مرافاة - إذا وافقته - لأن ذلك أوسع في
العشرة، والريف [بالكسر - °]: الخصب، وقال [في القاموس - °]: ١٠:
أرض فيها زرع وخصب، والسعة في المأكل والمشرب، وما قارب
الماء من أرض العرب. أوجيث الخضر والمياه والزروع، وراف
البدوى: أتى الريف، والراف: الخمر - وهو لا يكون إلا عن سعة،
وأرض ريفة ككيسة: خصبة، وأرافت الأرض: أخضبت.

ومن المهموز: رفا السفينة - كنع وأرفأها: أدناها^٥ من الشط - ١٥

- (١) من ظ وم ومد والقاموس، وفي الأصل: كعفه (٢) في ظ: الفارة.
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الركي، وفي القاموس:
البركي (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل: عن
العابر، وفي ظ: العامر - كذا (٧) من ظ وم ومد والقاموس، وفي
الأصل: أدنا.

لاتساع من فيها بالبر، وبالنسبة إليها يكون للسلب، والموضع مرفأ،
ويضم، ورفأ بينهم: أصلح، و أرفأ، جنح، و امتشط ودنى و أدنى
وحان و دارأ كرفأ و إليه لجأ، و ترافقوا^١ و توافقوا و تواطوا، و اليرفئ^٢
كاليلعى: راعى الغنم و الظليم النافر و الظبى^٣ القفوز المولى و المتزع
ه القلب فزعا - كأنه شبه بالظليم فى اتساع حركته و عدم ثباته، و ذلك
شبهه أيضا بفوران القدر فى مجاوزة الحد، و رفأت العروس ترقته
و ترفيثا - تقدم فى الواوى^٤، و الرأف: الخمر و الرجل الرحيم،
أو الرأفة: أشد الرحمة أو أرقها، و لاشك فى دخول ذلك فى السعة،
و راف: موضع أورملة - و لعلها واسعان، و الفراء - كجبل و سحاب:
١٠ حمار الوحش أو الفئى منه - لشدة نفاذه كالقدر فى فورانها، و أمر^٥
فريء كفريء، و كل الصيد فى جوف الفراء، أى كله دونه، و فراء -
محركة: جزيرة باليمن - لعله بها بكثرة^٦، و الفأر معروف، و الواحدة
فأرة، و الجمع فئران - سمي لقفزه فى جريه، و لانه من أوسع الحشرات
تصرفا بالمشى فى الجدر و السقوف و نحوها، و الفأرة: شجرة و نالجفة

(١) زيد فى الأصل: تواطوا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد ولا فى
القاموس لحدفناها (٢) من م مد و القاموس، وفى الأصل وظ: المرفأى - كذا.
(٣) زيدت الواو بعده فى الأصول، ولم تكن فى القاموس لحدفناها (٤) من م
و مد، وفى الأصل وظ: الواو (ه) من م و مد و القاموس، وفى الأصل
وظ «و» (٦) من ظ و م و مد و القاموس، وفى الأصل: حجاب (٧) من ظ
و م و مد و القاموس، وفى الأصل «و» (٨) من م و مد و القاموس، وفى
الأصل وظ: امرء (٩) من م و مد، وفى الأصل وظ: تكثرة - كذا.

المسك، [قال - ١] في ^٢ القاموس: أو الصواب إيراد فارة المسك في
 ف ور ^٣ لغوران رانحتها، أو ^٢ يجوز همزها لأنها على هيئة الفارة، وفار -
 كمنع: حفر وخبأ ودفن - يمكن أن يكون من السعة ومن سلبها،
 وابن فتر - ككتف: وقعت فيه الفارة، [و أرض فثرة ومفارة:
 كثيرة الفار - ٤]، وأفرت القدر بالفتح تأفر أفرا: اشتد غليانها، ه
 والإنسان: وثب وعدا، والبعير: نشط وسمن بعد الجهد كأفر كفرح
 فيها، وخف في الخدمة، والذي يسعى بين يدي الإنسان ويخدمه منفر،
 والأفرة - بضمين وتشديد الراء: الجماعة - وقيدها في محصر العين
 بذات الجلبة - والبليبة ^٦ والاختلاط، وكل ذلك واضح في الاتساع
 والزيادة على الكفاية، والأفرة أيضا: شدة الشر - لشدة فورانه كالقدر، ١٠
 وشدة الشتاء أو ^٧ مطلق الشدة، ومن الصيف: أوله - لأنه يتسع به،
 قال في القاموس: و يفتح أولها و يحرك في الكل؛ والأرق - بالضم:
 الحد بين الأرضين والعقدة ^٨ - وكان هذا من سلب الاتساع، /و الأرقى
 كقمرى: الماسح، وأرف على الأرض تأريفا: جعلت لها حدود وقسمت،
 (١) زيد من م ومد (٢-٣) ما بين الرقيين بياض في الأصل ملأناه من ظ وم
 ومد (٣) من وم ومد والقاموس، في الأصل وظ «و» (٤) زيد من ظ وم
 ومد والقاموس، غير أن فيه: كثيرها (٥) في الأصل فراغ قدر كلمة، والعبارة
 متصلة في غيره (٦) من القاموس، وفي الأصول: الثلاثة (٧) من م ومد، وفي
 الأصل وظ «و» (٨) من ظ وم ومد والقاموس، وفي الأصل: المعفرة .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧ : ٧٤ و ٧٥) ج - ١١

• تأرييف الحبل : عقده ، وهو مؤارق^١ [حيه -^٢] إلى حدى فى السكى
و المكان - والله الموفق •

و لما ذكره سبحانه بما كان فى ذلك من رشده صلى الله عليه وعلى
آله وسلم ، اتبعه بيان أنه إنما كان بعصمة الله له ليزداد شكرا ، فقال
ه تعالى : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ نَبَذْتَ أَىٰ بِمَالِنَا مِنَ الْغَلْظَةِ عَلَىٰ أَمْرِنَا لَمَّا تَقَدَّمْ
مِنَ أَنَا مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ ، وأنت رأس المتقين والمحسين
﴿ لقد كدت ﴾ أى قاربت ﴿ زكن اليهم ﴾ أى الأعداء ﴿ شيئا قليلا ﴾
لمحبتك فى هدايتهم ، و حرصك على منفعتهم ، و لكننا عصمناك فلم زكن
إليهم لا قليلا ولا كثيرا ، ولا قاربت ذلك ، كما أفادته "لولا" لأنها
١٠ تدخل على جملة اسمية لجملة فعلية [لربط -^١] امتناع الثانية بوجود
الأولى^٢ ، فامتناع قرب الركون مرتبط بوجود التثيت ، و ذلك لأن "لولا"
لاتقاء^٣ الثانى لأجل انتفاء الأول ، وهى هنا داخله على "لا" النافية ، فتكون
لاتقاء^٤ قرب الركون لأجل انتفاء نقي التثيت ، و انتفاء النقي وجود ،
فإذن التثيت موجود ، و قرب الركون متف ، و يجوز أن يكون المراد
١٥ بالدلالة على شدة مكرم و تنهى خداعهم إلى حالة لا يدرك^٥ وصفها ،

(١) من ظ و م ومد والقاموس ، وفى الأصل : رفى (٢) زيد من ظ و م ومد
والقاموس (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : هدايتك (٤) من م و مد ،
وفى الأصل و ظ : الا (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : جملة (٦) زيد من
ظ و م و مد (٧) فى مد : الاول (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : انتفاء
(٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انتفاء (١٠) زيد فى الأصل : تنهى ،
لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

فيكون

فيكون الفعل مسندا إليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والمراد إسناده إليهم ليكون المعنى : كادوا أن يملكوك مقاربا للركون إليهم ، كما تقول [لصاحبك - ١] : لقد كيدت تقتل نفسك ، أى فعلت ما قاربته به أن يقتلك غيرك لأجل فعلك ، وهذه الآية من الإدلة الواضحة على ما خص به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الفضائل في شرف جوهريه ، ٥ و زكاه عنصره ، و رجحان عقله ، و طيب أصله ، لأنها دلت على أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لو وكل إلى نفسه و ما خلق الله في طبعه و جلته من الغرائز الكاملة و الأوصاف الفاضلة ، و لم يتداركه بما منحه من التثيت زيادة على ذلك حال النبوة "لم يكن" إليهم ، و هم أشد الناس أفكارا ، و أصفاهم [أفهاما - ٦] ، و أعلمهم بالخداع ، مع كثرة عددهم ، ١٠ و عظم صبرهم و جلدتهم - ركونا ما أصلا ، و إنما [كان - ٦] قصاراهم أن يقارب الركون شيئا قليلا ، فسبحان من يخص من يشاء بما يشاء ، و [هو - ١] ذو الفضل العظيم (إذا) أى لو قاربت الركون الموصوف إليهم (لا ذقتك) أى بعظمتنا (ضعف) عذاب (أخيوته و ضعف) عذاب (الممات) أى ذلك العذاب مضاعفا . ١٥ و هذه المادة تدور على الوهى ، و يلزمه التقوية بالضعف - بكسر الضاد أى المثل و " ما زاد " ، و كل شيء له مكائثر فهو ضعيف بدونه ،

- (١) زيد من م و مد (٢) في ظ : طلب ، و في مد : أطيب (٣-٢) في ظ : و لم يكن (٤) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها . (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : صانهم (٦) زيد من ظ و م و مد . (٧) في القاموس : الي (٨) من م و مد و القاموس ، و في الأصل و ظ : زاده .

و يلزم الضعف الذي هو المثل المضموم إلى^١ مثله : القوة ، فمن الوهي :
الضعف والضعف - بالفتح والضم ، وهو خلاف القوة ، وقيل :
الضعف بالفتح في العقل والرأى ، وبالضم في الجسد ، والضعيف : الأعمى -
حيرىة ، وأرض مضعفة للفعول : أصابها مطر ضعيف ، وضعف الشيء
بالكسر : مثله - لأن كل ما له مثل فهو ضعيف ، وضعفاء مثلاه^٢ .

ويقال : لك ضعفه ، أى مثلاه ، وثلاثة أمثاله - لأن أصل الضعف
زيادة غير محصورة ، وضاعفت الشيء ، أى ضمنت إلى الشيء شيئين
فصار ثلاثة ، وأضعاف الكتاب : أثناء سطوره - لأنها أمثال للسطور
من البياض وزيادة عليها . و^٣ من القوة التى تلزم المثل : أضعاف^٤
١٠ البدن وهى أعضاؤه - لأن غالبها مثنى ، أوه هى عظامه - لأنها أقوى
ما فيه ، ومن الضعف أيضا مقلوبه الذى / هو ضعف^٥ - إذا أحدث وضرط ،
[وكذا -^٦] مقلوبه فضع ، والضعف نجو القيل ، والضعفانة^٧ : تمرة
السعدانة ذات الشوك مستديرة - كأنها فلسكة ، فالمعنى - والله أعلم :
أذقناك وهى الحياة وهى الممات مضاعفا أضعافا كثيرة .

٣٢٨ /

١٥ ولما كانت القوة بعد هذا فى غاية البعد ، عبر بأداة التراخى فى قوله
تعالى : ﴿ ثم لا تجد لك ﴾ أى وإن كنت أعظم الخلق وأعلام همه

(١) من ظ و م ومد . وفى الأصل : اى (٢) من م ومد والقاموس ، وفى
الأصل و ظ : مثلاً (٣) سقطت الواو من مد (٤) من ظ و م ومد والقاموس ،
وفى الأصل : اضعف (٥) من م ومد والقاموس ، وفى الأصل و ظ « و » .
(٦) من ظ و م ومد والقاموس ، وفى الأصل : صبح - كذا (٧) زيد من
ظ و م ومد (٨) من ظ و م ومد والقاموس ، وفى الأصل : الضعفانة .

(علينا نصيراه) و الآية دالة على أن الفيح يعظم قبحه بمقدار عظيم شأن مرتكبه و ارتفاع منزلته . و على أن أدنى مداينة للغواة مضادة لله و خروج عن ولايته ، فعلى من تلاها أن يتدبرها و أن يستشعر الحشية و عظيم التصلب في الدين .

ولما بين أنهم استمالوه بالرفق حتى كادوا - لولا العصمة - أن يميلوه ، دل على أنهم أخافوه بعد ذلك حتى كادوا أن يخرجوه من وطنه قبل الإذن الخاص بالهجرة فقال تعالى : (و ان) أى و إنهم (كادوا) أى الاعداء (ليستفزونك) أى يستخفونك بكثرة الأذى الذى من شأنه ذلك فيما جرت به العوائد (من الارض) [أى المكبة التى هى الأرض - ٢] كلها لأنها ١ أمها (ليخرجوك منها) ٣ مع ١٠ أن وجودك عندهم رحمة لهم ، فلا أعى منهم ١ و أصل الفز القطع بشدة - قاله الرماني (و اذا) أى و إذا أخرجوك (لا يلبثون خلفك) ٤ أى بعد إخراجك لو أخرجوك (الا قليلا) ٥ و سيعلمون إذا ٦ أدنا لك في النزوح كيف نصب عليهم العذاب بعد خروجك بقليل ، برحك ٧ الطويل ، و سيفك الصقيل ، و سيف ٨ أتباعك ٩ المؤمنين ، لثبوت هذا ١٥ الدين ، و قد حقق الله سبحانه هذا الوعيد بقتل صناديدهم في غزوة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خافوه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : كانها (٤) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها . (٥) ليس فى الأصل وظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ربحك (٨) فى ظ : سياف (٩) زيد فى الأصل وظ : على ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فخذناها .

بدر [في رمضان - ١] من السنة الثانية من الهجرة بعد ثمانية عشر شهرا
 من مهاجرته^٢ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وحرم على المشركين
 الذين أخرجوه صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مكة المشرقة الدخول
 إليها والإقامة في حريمها من جزيرة العرب ، إكراما له صلى الله عليه
 ه وعلى آله وسلم ، وانتقاما ممن يعتقد شيئا من كفر من أخرجوه ؛
 ورفع " يلبثون " لأن " إذن " إذا وقعت بعد الواو والقاء جاز فيها
 الإلغاء . لأنها متوسطة في الكلام كما أنه لا بد [من - ١] أن تلتقى
 في آخر الكلام ، وفي الآية يان لأن الجاهل لا يزال^٣ ينصب
 للعالم الحباثل^٤ ، ويطلب له الغوائل . فيعود ذلك عليه بالوبال ، في
 ١٠ الحال والمآل .

ولما أخبره بذلك ، أعلمه [أنه سنته - ١] في جميع الرسل فقال
 تعالى : ﴿ أي كسنة أو سنتنا بك سنة ﴾ (من قد أرسلنا) أي
 بما لنا من العظمة .

ولما كان الإرسال قد عمت بركته بهذه العظمة جميع الأزمان
 ١٥ بما حقه به^٥ من قويم الفطرة ، أسقط الجار فقال تعالى : ﴿ قبلك ﴾
 أي في الأزمان الماضية كلها^٦ ﴿ من أرسلنا ﴾ بأن جعلنا وجودهم بين
 ظهراني قومهم رحمة لقومهم^٧ ، فاذا أخرجوهم عاجلنا^٨ من رضى باخراجهم

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) في مد : مهاجرة (٣) زيد في الأصل : ان ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :
 نحابل - كذا (٥) سقط من ظ (٦) سقط من م (٧) من ظ و م ومد ، وفي
 الأصل : لهم (٨) في ظ : عاجلنا .

بالعقوبة ﴿ ولا تجد لستنا ﴾ أى لما لها من العظمة^١ ﴿ تحويلاً ﴾ أى
بمحول غيرنا يحولها ، لكنهم خصوا عن الأمم السالفة بأنهم لا يعذبون
عذاب الاستئصال تشريفاً لهم بهذا النبي الكريم .

ولما قرر [أمر - ٢] أصول^٢ الدين بالوحدانية والقدرة على
المعاد ، وقرر أمرهم أحسن تقرير ، واستعطفهم بنعمه ، وخوفهم من ه
نقمه ، وقرر أنه سبحانه عصمه عليه الصلاة والسلام من قتلهم بالسراء
والضراء بما أنار به من بصيرته ، وأحسن من علانيته [وسريته - ١] ،
صار من المعلوم أنه قد تفرغ للعبادة ، ونهاياً للرقابة ، فبدأ بأشرفها
فوصل بذلك قوله تعالى : ﴿ اقم ﴾ / أى حقيقة بالفعل و مجازاً بالعزم ٣٢٩/
عليه ﴿ الصلوة ﴾ بفعل جميع شرائطها و أركانها ومبادئها وغاياتها ، ١٠
بحيث تصير كأنها قائمة بنفسها ، فانها لب العبادة بما فيها من خالص
المناجاة بالإعراض عن^٣ كل غير ، وفناء كل سوى ، بما أشرق من
أنوار الحضرة التي اضمحل لها كل فإن ، وفي ذلك إشارة عظيمة إلى
أن الصلاة أعظم ناصر على الأعداء الذين يريدون بمكرهم استفزاز
الأولياء ، وأدفع^٤ الأشياء للضراء ، وأجلبها لكل سراء ، ولذلك كان ١٥
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة كما
تقدم^٥ تخريج^٦ه في آخر الحجر ؛ ثم عين له الأوقات بقوله تعالى :

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : الحكمة (٢) زيد من م ومد (٣) في ظ :
اصل (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : من (٥) من م ومد ، وفي
الأصل و ظ : انفع (٦) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : تقدمها .

(لدلوك الشمس) أى زوالها واصفرارها وغروبها ، قال فى القاموس :
 دلكت الشمس : غربت أو اصفرت أو مالت أو زالت عن كبد السماء .
 فحينئذ فى هذه اللفظة دلالة على الظهر والعصر والمغرب من استعمال
 المشترك فى معانيه ، أما فى الظهر والمغرب فواضح ، وأما فى العصر
 ه فلان أول وقتها أول أخذ الشمس فى الاصفرار . وأدل دليل على
 ذلك أنه غيّا الإقامة بوقت العشاء فقال تعالى : (الى) حثا على نية أن
 يصلى كلما جاء الوقت ليكون مصليا دائما ، لأن [الإنسان فى - ١]
 صلاة^٢ ما كان ينتظر الصلاة ، فهو يان لأن وقت المغرب من الدلوك
 الذى هو الغروب إلى أن يذهب الشفق (غسق اليل) فالغسق :
 ١٠ ظلمة أول الليل ، وهو وقت النوم ؛ [و - ٢] قال [الرازى - ٢] فى
 اللوامع : وهو استحكام ظلمة الليل ، وقال الرماني : ظهور ظلامه ؛ ثم
 عطف عليه بتغيير السياق قوله تعالى : (وقرآن) فكأنه قال : ثم تم
 وأقم قرآن (الفجر) إشارة إلى الصبح ، وقيل : نصب على الإغراء ،
 وكأنه عبر عنها بالقرآن لأنه مع كونه أعظم أركان الصلاة يطول فيها^٣
 ١٥ القراءة ما لا يطول فى غيرها ، ويجهرب فيها دون أخذها [العصر - ٢]
 وتشويقا بالتعبير به إليها لثقلها بالنوم .

ولما كان القيام من^٤ المنام صعبا ، علل مرغبا مظهرا غير مضر

- (١) زيد من م ومد (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الصلاة (م) زيد
 من ظ وم ومد (٤) زيد فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد
 فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها .
 (٦) فى م : عن .

لأن المقام مقام تعظيم فقال تعالى: ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾
 يشهده فريقا الملائكة ، وهو أهل لأن يشهده كل أحد ، لما له من
 اللذة في السمع ، والإطراب^١ للقلب ، والإنعاش للروح ، فصارت
 الآية جامعة للصلوات ؛ روى البخارى في التفسير عن أبي هريرة رضى الله
 عنه قال : فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون^٢ درجة ، ه
 وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر^٣ ، يقول أبو هريرة :
 اقرأوا إن شئتم "ان" قرآن الفجر" - الآية . قالوا : وهذا دليل على وجوب
 الصلاة بأول الوقت ، وأن^٤ التغليس بصلاة الفجر أفضل ؛ ثم حث
 بعدها على التهجيد لأفضليته وأشديته^٥ فقال تعالى : ﴿ ومن ﴾ أى وعليك
 [بعض - ^٦] ، أو^٧ قم بعض ﴿ ألب فتعجد ﴾ أى اترك المجود - وهو ١٠
 النوم - بالصلاة ﴿ به ﴾ أى بمطلق القرآن ، فهو من الاستخدام الحسن
 ﴿ نافلة لك ﴾ أى زيادة محصنة بك ؛ قال عبد الغافر^٨ الفارسي في مجمع
 الغرائب : وأصل النفل الزيادة ، ومنه الأنفال الزائدة على الغنائم التي أحلها
 الله لهذه الأمة ، [و - ^٩] قال أبو عبد الله القزاز : النوافل : الفواضل ،
 ومن هذا يقولون : فلان ممن ترجى نوافله - انتهى . فهو زيادة للنبي ١٥

- (١) في ظ : الاضطراب (٢) في ظ : عشرين (٣) في الصحيح : الصبح (٤) - فقط
 من ظ (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لان (٦) في ظ : ارشديته .
 (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل و .
 (٩) هو ابن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر
 الفارسي ثم النيسابوري الشافعي المتوفى سنة ٥٢٩ هـ - وراجع لمصادر ترجمته
 معجم المؤلفين ٥ / ٢٦٧ (١٠) زيد من م و مد .

١٣٠ / صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الفرض وللآمة في التطوع، وخص به ترغيا للآمة لأنهم يعلمون أنه لا ينحصر إلا بخير الخير، / لأنه الوقت الذي كفى فيه عن استجابة الدعاء بالنزول إلى السماء الدنيا اللازم [منه - ٢] القرب الوارد في الأحاديث الصحيحة [أنه يكون - ٢] في جوف الليل، لأن من عادة الملوك في الدنيا أن يجعلوا فتح الباب والقرب منه ورفع الستر والنزول عن محل الكبرياء أمانة على قضاء الحوائج، وكل ما يعبر به عن الله تعالى بما يزه سبجانه عن ظاهره يكون كناية عن لازمه، وبين ذلك حديث رويناه في جزء العبيس عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن في الليل ساعة يفتح فيها أبواب السماء فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له؟ إلى آخره، فهذا شاهد عظيم لهذا التأويل. ولما أمره سبجانه بالتهجد والتذلل، وكان السياق للعلظة رجاء في النوال بما يليق بالسياق فقال تعالى: ﴿عسى أن﴾ أي لتكون بمنزلة الراجي لأن ﴿يغفرك﴾ ولما كان السياق قد انصرف للترجئة، ١٥ عبر بصفة الإحسان فقال تعالى: ﴿ربك﴾ أي المحسن إليك بعد الموت الأكبر وقبله، كما بعث نفسك من الموت الأصغر إلى خدمته ﴿مقاماً﴾ نصب على الظرف ﴿محموداً﴾ وذلك لأن عسى للترجي

(١) العبارة من هنا إلى «يليق بالسياق فقال تعالى» س ١٣ ساقطة من م (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد، وفي الأصل وظ: عن (٤ - ٤) في ظ: اللازمة. (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: العيش، والعبيس يبدو أنه عبيد بن عمر بن أحمد العبيس الشافعي (٦ - ٦) ما بين الرقنين ساقط من م، وزيد في مد بعده: لانتجثة (٧) من م و مد، وفي الأصل وظ: بصيغة.

في المحبوب و الإشفاق [في المكروه - '] ، و قد يضعف ذلك فيلزم
الشك في الأمر ، و قد يقوى فيأتى اليقين ، و هي^٢ هنا لليقين ، قالوا :
[إن - '] ' عسى ' تفيد الإطماع ، [و من أطمع أحدا في شيء ثم حرمه
كان عارا ، و الله تعالى أكرم من أن يفعل ذلك ، و عبر بها دون
ما يفيد القطع لأن ذلك أقعد في كلام الملوك لأنه أدل على العظمة - '] ، هـ
و للبخارى [في التفسير - '] عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن
الناس يصيرون يوم القيامة [جئ - ٢] ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون :
يا فلان اشفع^١ [يا فلان اشفع - ٢]^١ حتى تنتهى الشفاعة إلى النبي
صلى الله عليه و على آله و سلم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود . أى
فيظهر ما له من الحظ من اسمه أحمد و محمد في ذلك الحين بحمد كل ١٠
ذى روح بايصال الإحسان إلى كل منهم بالفعل^٢ ، و له في التفسير
و غيره عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و آله
و سلم قال : من قال حين يسمع النداء " اللهم رب هذه الدعوة التامة
و الصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة و الفضيلة و ابثه مقاما محمدا الذى
وعدته " حلت له شفاعتى يوم القيامة . يعنى - و الله أعلم - الشفاعة ١٥
الخاصة ، و أما العامة فللكل بغير شرط .

و لما كان هذا المقام صالحا للشفاعة و لكل مقام يقومه ، و كان
كل مقام يحتاج إلى التوفيق في مباشرته و الانفصال عنه ، تلاء حائلا

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٣) زيد
من ظ و م و مد و الصحيح (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى الفعل .
(هـ) فى ظ : بلا (٦) فى ظ : حثا .

على دوام المراقبة و^١ استشعار الافتقار^٢ بقوله مقدما المدخل لأنه أهم :
 ﴿وقل رب﴾ أى أيها الموجد لى ، المدبر لأمري ، المحسن إلى
 ﴿ادخلني﴾ فى كل مقام تريد إدخالى فيه حسى ومعنوى دنيا وأخرى
 ﴿مدخل صدق﴾ يستحق الداخل فيه أن يقال له : أنت صادق فى
 قولك وفعلك ، فإن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها ﴿واخرجني﴾
 من كل ما تخرجني منه ﴿مخرج صدق﴾ .

ولما كان الصدق فى الأمور قد لا يقارنه الظفر ، قال تعالى :
 ﴿واجعل لى﴾ أى خاصة ﴿من لدنك﴾ أى عندك من الخوارق
 التى هى أغرب الغريب ﴿سلطنا﴾ أى حجة وعزا ﴿نصيراه﴾ وفيه
 ١٠ إشعار بالهجرة وأنها تكون على الوجه الذى كشف عنه الزمان من
 العظمة^٣ التى ما لأحد بها من يدان .

ولما كان الدعاء قد لا يستجاب ، قال مبشرا له بأنه ليس بين دعائه
 وبين استجابته إلا قوله ، ومحققا لتلك البشرى بالامر بأن يخبر بها :
 ﴿وقل﴾ أى لأوليائك وأعدائك : ﴿جاء الحق﴾ و [هو - ٢]
 ١٥ كل ما أمرنى به ربى وأنزله إلى ﴿وزهق﴾ أى اضمحل وبطل و^٤ هلك
 ﴿الباطل^٥﴾ وهو / كل ما خالفه : ثم علل زهوقه بقوله : ﴿ان الباطل كان﴾
 فى نفسه بجبلته وطبعه ﴿زهوقاه﴾ قضاء قضاء الله تعالى من الازل ؛
 روى البخارى فى التفسير وغيره^٦ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

/ ٣٣١

(١-١) فى ظ : استشعار الافتراق (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد .
 (٤) زيد فى مد : هو (٥) راجع على سبيل المثال باب أين ركز النبي صلى الله
 عليه وسلم الراية يوم الفتح - المغازى .

دخل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحول البيت^١ ستون وثلاثمائة
نصب ، فجعل يطعنهما يعود في يده ويقول ”جاء الحق وزهق الباطل ان
الباطل كان زهوقاً“^٢، ”جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد“ .
ولما كان القرآن الذى نوه به فى آية ”اقم الصلوة“ هو السبب
الاعظم فى إزهاق الباطل^٣ الذى هو كالسحر خيال وتمويه ، وهو ه
الجامع لجميع [ما مضى - ٤] من الإلهيات والبعث وما تبع ذلك ، قال
عاطفا [على - ٥] ”ولقد كرمتنا“ : ﴿ ونزل ﴾ أى بعظمتنا ؛ ثم بين
المنزل بقوله تعالى : ﴿ من القرآن ﴾ أى الجامع الفارق الذى هو أحق
الحق ﴿ ما هو شفاء ﴾ للقلوب والأبدان ﴿ ورحمة ﴾ أى إكرام^٦
وقوة ﴿ للمؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، لإنارته لقلوبهم من صلا ١٠
الجهل ، وحمله لهم على سبيل الرشده الذى هو سبب الرحمة . والحراسته
لهم من كل شيطان ومرض ومحنة إذا وقع الصدق فى الاستشفاء
به ، هو كله كذلك^٧ وكذا جميع أبعاضه ؛ قال الرازى فى اللوامع : وهو
أنس المحبين ، وسلوة المشتاقين . وإنه النور [المبين - ٨] ، الذى^٩ من
(١) زيد فى الأصل : ثلاثمائة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد والصحيح
لحذفها (٢ - ٢) تأخرت هذه الآية فى النسخ كلها عن الآية التى بعدها فزبنها
على وفق الصحيح (٣) زيد فى الأصل وظ : ان ، ولم تكن الزيادة فى م ومد
لحذفها (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) سقط من ظ (٦) من م ومد ، وفى
الأصل وظ : اكراما (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لذلك (٨) زيد
فى الأصل وظ : هو ، ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفها

استبصر به انكشف له^١ من الحقائق ما كان مستورا، وانطوى عنه من
البواطن^٢ ما كان منشورا، كما أن الباطل^٣ داء ونقمة للكافرين ﴿و﴾ من
أعجب العجب أن هذا الشفاء ﴿لا يزيد الظلین﴾ أى الراستخين فى هذا
الوصف، وهم الذين يضعون الشيء فى غير موضعه، باعراضهم^٤ عما يجب
ه قبوله ﴿الا خساراه﴾ أى نقصانا، لأنهم إذا جاءهم وقامت به الحجة
عليهم. أعرضوا عنه، فكان إعراضهم ذلك زيادة فى كفرانهم، كما
أن قبول [المؤمنين - °] له وإقبالهم على تدبره [زيادة فى إيمانهم - °]،
وفى الدارمى^٥ عن قتادة قال: ما جالس [القرآن - °] أحد فقام عنه
إلا بزيادة أو نقصان - ثم قرأ هذه [الآية - °]؛ ثم عطف على هذا
١٠ المقدر المعلوم تقديره ما هو أعم منه وإبين فى الفتنة والاجترأ فقال
تعالى: ﴿واذا انعمنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿على الانسان﴾
أى هذا النوع هؤلاء وغيرهم بأى نعمة كانت، ^٦من إنزال القرآن
وغيره ﴿اعرض﴾ أى عن ذكر^٧ المنعم كاعراض هؤلاء^٨ عند بحىء
[هذه - °] النعمة التى لانهمة مثلها ﴿وتأ﴾ أى تباعد تكبرا

- (١) سقط من مد (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: البواريق (٣) من
م ومد، وفى الأصل وظ: للباطل (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل:
باعراضه (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) فى باب تعاهد القرآن - كتاب فضائل
القرآن (٧) زيد من ظ وم ومد والدارمى (٨-٨) من ظ وم ومد، وفى
الأصل: بانزال (٩) سقط من ظ (١٠) من م ومد، وفى الأصل وظ: ذلك.
(١١) زيد فى الأصل: لا، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها.

(بجانبه ج) بطرا وعمى عن الحقائق (و اذا بسنه الشر) أى هذا النوع وإن قل (كان يثوساه) أى شديد اليأس هلما و قلة ثقة بما عنده من رحمة الله إلا من حفظه [الله - ١] و شرفه بالإضافة إليه فليس للشيطان عليه سلطان .

- و لما كان المفرد المحلى^٢ باللام يعم ، كان هذا ربما^٣ اقتضى من بعض^٥ المتعنتين اعتراضا^٤ بأن يقال : إنا نرى [بعض - ١] الإنسان إذا أعطى شكر ، و إذا ابتلى صبر ، وكان هذا الاعتراض ساقطا لا يعا به ، أما أولا فلائنه^٦ قد تقدم الجواب عنه فى سورة يونس عليه السلام فى قوله تعالى ” كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون “^٧ بأن هذا فى المسرفين دون غيرهم ، و بقوله تعالى فى سورة هود عليه السلام ” الا الذين صبروا “^٨ ١٠ و لعله طواه فى هذا المقام إشارة إلى أنه لقلة أفراده كأنه عدم ، و أما ثانيا فلائن المحلى باللام سواء كان مفردا أو جمعا فى قوة الجزئى^٩ حتى يرد ما يدل على أنه كلى^{١٠} ، فلذلك أعرض تعالى عنه / وأخره ٣٣٢/ بالجواب عن القسمين المشار إليهما و المنصوص عليه فقال تعالى : ﴿ قل ﴾ أى يا أشرف خلقنا ا ﴿ كل ﴾ من الشاكر و الكافر ﴿ يعمل ﴾ على شاكلته^{١١} ١٥

- (١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : المحل (٣-٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : اقتصر ببعض (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : اعراضا (٥) فى ظ : فانه (٦) آية ١٢ (٧) آية ١١ (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الخزى (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كل (١٠) تكرر فى الأصل فقط .

أى ' طريقته التى تشاكل روحه و تشاكل ما طبعناه عليه من خير
 أو شر (فربكم) أى قيسب عن ذلك أن الذى خلقكم و درجكم فى
 أطوار النمو ، لا غيره (اعلم) مطلقا (بمن هو) منكم (أهدى سبيلا)
 أى ' أرشد و أقوم^٢ من جهة المذهب بتقواه و إحسانه ، فيشكر و يصبر
 ٥ احتسابا فيعطيه^٣ الثواب ،^٤ و من هو ' أضل سبيلا ، فيحل به العقاب ،
 لانه يعلم ما طبعهم عليه فى أصل الخلقة و غرضه فيهم من الخلاق ،
 و غيره إنما يعلم أمور الناس فى طرائقهم بالتجربة ؛ و قد روى الإمام
 أحمد^٥ - لكن بسند منقطع - عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله
 عليه و على آله و سلم قال : إذا سمعتم بجبل زال عن^٦ مكانه فصدقوا ،
 ١٠ و إذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به ، فانه^٧ يصير إلى ما
 جبل عليه . هذا كله إذا كان الإعراض بالفعل ، و إن كان بالقوة
 الترمنا^٨ أنها كلية ، و الله أعلم بالمهتدى فيحفظه من الإعراض و اليأس
 بالفعل بما هو فيه بالقوة .

و لما بين سبحانه - بعد التعجب من إنكارهم البعث - جهل الإنسان ،
 ١٥ و ما هو عليه من الضلال و النسيان . إلامن فضله^٩ على أنباء نوعه

(١) زيد فى الأصل وظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢-٢) من
 ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشد و اقوى (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : ما يعطيه - كذا (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو من .
 (٥) فى المسند ٤٤٣/٦ (٦) من المسند ، و فى النسخ : من (٧) فى المسند : واته .
 (٨) من ظ و م و مد و فى الأصل : الترمنا (٩) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

كما فضل طيبته^١ على سائر الطين ، و ختم بآية المشاكلة التي منها مشاكلة
[بعض الأرواح -^٢] لبعض ومشاكلتها للطباع . و بارت بذلك أنه
سبحانه و تعالى قادر على فعل ما يشاء عالم بكل معلوم . رجع إلى التعجب
منهم بما هو من شأن الأرواح التي من شأنها التشاكل فقال تعالى عاطفا
على ” وقالوا اذا كنا عظاما “ : ﴿ ويسئلونك ﴾ أى تعنتا و امتحانا .
﴿ عن الروح^٣ ﴾ الذى تقدم أنها تعاد إلى أجسادهم يوم البعث ولو كانوا
حجارة أو حديد : ما هى ؟ هل هى جسم أم^٤ لا ؟ هل هى متولدة من
امتزاج الطباع التي في البدن أم امتزاجه^٥ مبتدأ ؟ و هل هى قديمة
أم حادثة ؟

- و لما كان ذلك تعنتا ، مع أنه لا يقتصر إليه في صحة اعتقاد ، أمره ١٠
بأن يحسيهم عنه^٦ بما يليق بحالهم بقوله تعالى : ﴿ قل الروح ﴾ أى هذا
النوع الذى تصير به الأجسام حية ﴿ من امر ربي ﴾ أضافها إلى الأمر
وهو الإرادة و إن كانت من جملة خلقه ، تشريفا لها و إشارة إلى أنه
لا سبب من غيره يتوسط بينها و بين أمره ، بل هو يبدعها من العدم ،
أو يقال - وهو أحسن : إن الخلق قسمان : ما كان بتسييب و تنمية ١٥
و تطوير ، وهو الذى يترجم في القرآن^٧ بالخلق ، و ثانى ما كان إخراجا
من العدم بلا تسييب و لا تطوير ، وهو المعبر عنه بالامر ، ومنه هذه
الروح المسئول عنها و كل روح في القرآن^٨ ، و كذا ما هو للحفظ و التدبير

(١) من ظ و م ومد . وفي الأصل : طيبته (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد ،
وفي الأصل وظ : او (٤) من ظ و م ومد . وفي الأصل : امر آخر (٥) من ظ
وم ومد . وفي الأصل : عنهم (٦-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ .

كالآديان، والجامع لذلك القيومية كما مضى عن الحرالي عند روح القدس في البقرة، فأفادت هذه العبارة أنها محدثة، وأنها غير مطورة ولا مسية، وهي جسم لطيف سارٍ في البدن كما ورد [في الورد - ١] على الصحيح عند أهل السنة، وأمسك السلف عن الإمعان في الكلام على الروح أدبا، لأنهم علموا أن في عدم الجواب لسؤالهم بغير هذا إشارة إلى أن السكوت عنه أولى لهم؛ ثم أتبعه التنبيه على جهلهم لتعكيسهم في الأسئلة بتركهم الإقبال على ما يفهمونه بلا شك وينفعهم في الدارين^١ من هذا الروح المعنوي وهو القرآن، وإقبالهم على ما لا يفهمونه^٢

١٠ / من الروح المحسوس لقلة عليهم، ومن فهمه منهم لا يفهمه إلا بعسر عظيم، وفيه أسئلة كثيرة جدا لا برهان على أجوبتها، منها أنه متحيز أم لا؟ وأنه مغاير للنفس أم لا؟ وهل تبقى بعد الموت أم لا؟ فعلينا به أنه^٣ إما هو على الإجمال، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه، فإن أكثر حقائق الأشياء مجهولة، وهي موجودة. فالسكنجين خاصيته قمع الصفراء، وحقيقة تلك الخاصية مجهولة، وهي معلومة الوجود، وليس وراء العلم بما سألوا عنه من الروح بعد فهمه من الفائدة ما لذلك الذي تركوه ولا قريب منه، فقال تعالى دالا على حدوثه بتغيره، فانه يكون في المبدأ جاهلا ثم يحدث له العلم شيئا بعد شيء،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) تكرر ما بين الرقنين في الأصل وظ فقط مع سقوط كلمة «المعنوي» فيما تكرر (٣) سقط من مد (٤) من م و مد، وفي الأصل وظ: قريبا (٥) زيد في مد: بقية.

و كل متغير حادث : ﴿ وما اوتيتم ﴾ أى من أى مؤت كان بعد أن كنتم لا تعلمون شيئا ﴿ من العلم ﴾ أى مطلق هذه الحقيقة ، فكيف بالمشكل منها ﴿ الا قليلا ﴾ وما تجهلونه أمور ضرورية لكم ، لأن تلاميذكم على الجهل بها سبب لهلاككم فى الدارين ، فمن أجهل الجهل وأضل الضلال أن تسألوا عما لا يضركم الجهل [به - ١] ، و يتوقف إثباته على أمور دقيقة ، و مقدمات صعبة ، و تركوا ما يضركم الجهل به فى الدين و الدنيا ، مع كونه فى غاية الوضوح ، لكثرة ما قام عليه من الأدلة ، وله بحضرتكم من الأمثلة ، و الذى سيأتموه منزه عن الغش و الضيق ، فهو ينبهكم على ٢ عبثكم نصيحة [لكم - ٣] و يعدل عن جوابكم عنه إلى ما ينفعكم رفقا بكم ، و لفهم [هذا - ٤] سكت السلف ١٠ عن الخوض فى أمره ، و الخطاب لليهود و العرب ، أما العرب فواضح ، و أما اليهود فانهم و إن كانوا أهل الكتاب فذلك إشارة إلى تلاشى علمهم فى جنب علم الله ؛ كما ستأتى الإشارة إليه بقول الخضر لموسى عليهما الصلاة و السلام فى العصفور الذى نفر من البحر نقرة أو قرتين ، فحيث ورد تعظيم علم أحد و تكثيره فهو بالنسبة إلى غيره من الخلق . ١٥ و حيث ورد تقليده ٦ - كما فى هذه الآية - فهو ٨ من حيث إضافته إلى

- (١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ضروريات (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣) فى ظ : عن (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : سكن (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : كتاب (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تقليده (٨) سقط من مد .

علم الله تعالى ، وهذه الآية ورد في سبب نزولها ما يظن أنه متناقض ،
فانه روى في الصحيح^١ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه كان
يمشى مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المدينة ، فسأله اليهود عن
الروح فأوحى إليه ، فلما انجلى عنه الوحي تلا عليهم - الآية . وفي السيرة^٢
الهشامية^٣ والدلائل للبيهقي^٤ وتفسير البغوى^٥ وغيره من التفسير^٦ عن
ابن عباس رضى الله عنهما أن قريشا أرسلت إلى اليهود قبل الهجرة تسألهم
عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأنهم أهل الكتاب الأول وعندهم
من علم الانبياء ما ليس عند قريش . فأمرهم أن يسألوه عن الروح .
وعن قصتي أصحاب الكهف وذى القرنين ، فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم : أخبركم بما سألتهم عنه غدا - ولم يستثن ، فانصرفوا
عنه ، فذكرت فيما يذكرون خمس^٧ عشرة ليلة ، لا يحدث الله إليه في
ذلك وحيا ، حتى أرجف به أهل مكة ، وحتى حزن رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، وروى
[أيضا -^٨] أن لبث الوحي كان أربعين ليلة^٩ . وروى : اثنتى عشرة

(١) رواه في غير مناسبة ، راجع على وجه المثال باب قوله تعالى « وما أوتيتم
من العلم الا قليلا » من كتاب العلم (٢) ١٠٢/١ و ١٠٣ (٣) من م ومد ، وفي
الأصل و ظ : الهاشمية (٤) راجع الخصائص الكبرى للسيوطى باب امتحانهم
إياه بالسؤال ، حيث أورد الحديث عن البيهقي (٥) راجع هامش باب التأويل
١٤٧/٤ (٦) كالكشف للزمخشري (٧) في ظ : خمسة (٨) زيد من ظ وم ومد .
(٩) قاله عكرمة .. راجع معالم التنزيل .

ليلة^١، وفي مسند أبي يعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قالت
 قريش لليهود : أعطونا شيئا نسأل^٢ عنه هذا الرجل ! فقالوا : سلوه
 / عن الروح ، فسألوه ، ونزلت " ويسئلونك " - الآية . وليس ذلك
 ٣٣٤ / وأمثاله بحمد الله بمشكل ، فانه محمول على أنه نزل للسبب الأول ، فلما
 سئل عنه [النبي - ٢] صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثانيا لم يجب فيه هـ
 بالجواب الأول ، إما لرجاء أن يؤتى^٣ بأوضح منه ، أو خشية أن يكون
 نسخ - أو نحو ذلك لأمر رآه^٤ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فيعيد
 الله سبحانه إنزاله عليه تثيتا له وإعلاما بأنه هو الجواب ، وفيه مقنع^٥،
 وفي تأخير الجواب في هذا الأمر برهان قاطع لقريش وكل من له أدنى
 لب على صدق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أن هذا القرآن ١٠
 من عند الله ، لا يقدر عليه غيره ، لأنه لو كان قادرا على الإتيان بشيء
 منه من عند نفسه أو من عند أحد من الخلق لبذل جهده في ذلك ، تنزيها
 لنفسه الشريفة ، وهمة المثيفة ، وعرضه الطاهر ، عن مثل ما خاضوا فيه
 بسبب إخلاف موعدهم . ولما كانت الروح من عالم الأمر الذى هو
 من سر الملكوت ، ضمت إلى سورة الإسراء الذى هو [من - ٢] أبطن ١٥
 سر الملكوت لا سيما بما علا به من المعراج الذى جعل لغرابته كالرويا^٦
 (١) قاله مجاهد - راجع معالم التنزيل (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ :
 فسئل (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد ، وفي الأصل وظ : يرى .
 (٥) من م ومد ، وفي الأصل وظ : اره (٦) في مد : قلع - كذا (٧) سقط
 من ظ .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧: ٨٦ و ٨٧) ج - ١١

”وما جعلنا الرءيا التي اريئك الا فتنه للناس“ ولذلك فصلت عن
السؤالين الآخرين، لأنهما من عالم الملك، وسيأتى بقية الكلام على
هذا في سورة الكهف إن شاء الله تعالى.

و لما شرح إرادتهم الفتنة عما جاءهم [من -^٢] العلم بتبديل المنزل،
٥ و إخراج المرسل، و ماتبع ذلك حتى ختم بتجهيلهم إذ سألوا تعنتا عن الروح
الحسى، و كان الأنفع لهم سؤالهم استفادة و تفهما عن دقائق الروح
المعنوى الذى أعظم الله شرفهم به بانزاله إليهم على لسان رجل [منهم -^٢]
هو أشرفهم مجدا، و أظهرهم نفسا، و أعظمهم مولدا، و أزكاهم عنصرا،
و أعلامهم همة، و ختم بتقليل [عليهم -^٢] إشارة إلى أنهم لا يفهمون
١٠ [إلا أن يفهموه -^٢] سبحانه [و -^٢] هو أعلم بما يفهمونه و ما
لا يفهمونه، قال عاطفا على ”و ان كادوا ليفتنونك“ تنبيها [لهم -^٢] على
أنه لو شاء لذهب بسبب هذا العلم القليل الذى وهبهموه، ففهمهم الجهل كما
كانوا، و على أنه لم يكفهم ترك السؤال عما يعينهم حتى [سألوا عما -^٢]
لا يعينهم، و أرادوا تبديل ما ينفعهم [و يعينهم بما يبيد -^٢] و يفنيهم،
١٥ فضلوا قولاً و فعلاً: ﴿ولئن شئنا﴾ و مشيئتنا لا يتعاضدا شيئا،
ولامه موطئة للقسم، و أجاب عن القسم بما أغنى عن جواب الشرط
فقال تعالى: ﴿لنذهبن﴾ أى بما لنا من العظمة ذهابا محققا
﴿بالذى أوحينا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿إليك﴾ بما أرادوا الفتنة

(١) زيد فى الأصل و ظ : ما، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (٢) زيد
من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل:
يفهمونه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: توطئة.

فيه من القرآن على أن فيه من العلم ما يغنيهم - لو أقبلوا على تفهمه -
 عن شيء من الأشياء فلا تبقى [عندك - ١] نحن ولا وحينا، وإفادة
 هذا لم يقل : لأذهبنا . (ثم) أى بعد الذهاب به (لا تجدد لك)
 [ولما - ١] كان السياق هنا للروح الذى هو الوحي ، فكانت ' العناية
 [به - ١] أشد ، قدم قوله : (به) ولما كان السياق لمن يأخذ ما يريد ه
 طوعا أو كرها ، قال تعالى : (علينا) أى بما لنا من العظمة التى لا تعارض
 (وكيلاً) يأتيك به أو بشيء منه .

ولما كان لا ملجأ منه سبحانه إلا إليه ، قال تعالى : (إلا) أى
 لكن تجد (رحمة) مبتدئة وكأنته (من ربك) أى المحسن إليك بأن
 أوجدك ورباك ، ولم يقطع إحسانه قط عنك ، يعيد بها إليك ، ويأتيك ١٠
 بما يقوم مقامه ، وعبر عن أداة الانقطاع بأداة الاتصال إشارة إلى
 [أن - ١] رحمته سبحانه [له - ٢] - التى اقتضتها صفة إحسانه [إليه - ١]
 لعظمها - كالوكيل الذى يتصرف بالغبطة على كل حال .

ولما / كان فى إزاله [إليه - ١] ثم إبقائه لديه من النعمة [عليه - ٢]
 وعلى أمته ما لا يحصى ، نبه على ذلك بقوله تعالى مستأنفا مؤكدا ١٥
 لأن كون^٢ الرحمة هكذا من أغرب^١ الغريب ، فهو [بحيث - ١] لا يكاد
 (١) زيد من ظ و م ومد (٢) من مد ، وفى الأصل وظ و م : وكانت .
 (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لشيء (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل :
 ذلك (٥) زيد من مد (٦) زيد من م ومد (٧) فى ظ : يكون (٨) من ظ و م
 ومد ، وفى الأصل : اغراب .

يصدق ، وهو بما يتلذذ بذكره ﴿ ان فضله كان ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ عليك ﴾ أى خاصة ﴿ كبيرا ﴾ أى بالغ الكبر ، وقد ورد أنه يذهب بالقرآن فى آخر الزمان ، يسرى بما فى المصاحف وبما فى القلوب ، وقد أفهمت ذلك هذه الآية لأن كلام الملوك يفهم أصل الشيء . ولو كان فى سياق الشرط .

ولما كان بمعرض أن يقولوا : إن ذهب عليك [منه شىء - ١] فانت بمثله من عند ٢ نفسك وبما اكتسبه منه من الأساطير ٣ ، أمره أن يجيبهم عن هذا بقوله ٤ دلالة على مضمون ما قبله ٥ : ﴿ قل ﴾ .

ولما أريد هنا المماثلة فى كل التفصيل إلى جميع السور فى المعانى ١٠ الصادقة ، والنظوم الرائقة ، كما دل عليه التعبير بالقرآن ، زاد فى التحدى قيد ٥ الاجتماع من الثقيلين و صرف الهمم للتظاهر والتعاون والتظاهر بخلاف ما مضى فى السور السابقة ، فقال تعالى مؤكدا باللام الموطئة للقسم لادعائهم أنهم لو شاؤا أتوا بمثله ، والجواب حينئذ للقسم ، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم : ﴿ لئن اجتمعت الانس ﴾ الذين ١٥ تعرفونهم وتعرفون ما أتوا من البلاغة والحكمة والذين لا تعرفونهم ، وقدمهم لسهولة اجتماعهم بهم ولأنهم عندهم الأصل فى البلاغة ﴿ والجن ﴾ ٦ الذين يأتون كهانكم ويشجعون لهم ويعلمونهم ببعض المغيبات عنهم ،

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : عندك .
(٣) فى ظ : اساطير الاولين (٤-٤) سقط ما بين الرقين من م (هـ) من م ومد ، وفى الأصل وظ : قبل (٦) زيد فى مد : اى .

وترك الملائكة لأنهم لا عهد لهم بشيء من كلامهم ﴿ على ان ياتوا ﴾
 أى يجددوا إيتاء ما فى وقت ما فى حال اجتماعهم ﴿ بمثل هذا القرآن ﴾
 أى جميعه على ما هو عليه من التفصيل ، وخصه بالإشارة تنديها على أن
 ما يقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الله وحى من الله ، ليس فيه
 شيء من عند نفسه ، وأن المراد فى هذا السياق المتحدى به الذى اسمه ٥
 القرآن خاصة ﴿ لا ياتون ﴾ .

و [لما - ٢] كانت هذه السورة مكية ، فكان ٣ أكثر ما يمكن فى
 هذه الآية أن يكون آخر المسكى فيختص التحدى به ، وكان المظهر إذا
 أعيد مضمرأ أمكن فيه الخصوص ، وكان المراد إنما هو الشمول ، ومتى
 أريد الشمول استوقف له إحاطة باستئناف إظهار محيط كما يأتى عن ١٠
 الحرالى فى أواخر سورة الكهف ، لم يقل هنا " به " لذلك ، ولثلا يظن
 أنه يعود على القرآن لا على مثله ، بل أظهر فقال دالا على أن المراد
 جميع المسكى والمدنى : ﴿ بمثله ﴾ أى لا مع التقيد بمعانيه ١ الحققة الحكيمة ٢
 حتى يأتوا ٣ بكلام فى أعلى طبقات البلاغة ، مينا لأحسن المعانى بأوضح
 المباني ، ولا مع الاتفكاك عنها إلى معاني مقترأة ٤ ؛ ثم أوضح أن ١٥
 المراد الحكم لعجزهم مجتمعين ومنفردين متظاهرين وغير متظاهرين فقال
 تعالى : ﴿ ولو ﴾ [ولما كان - ٢] المكلفون ٦ مجبولين على المخالفة

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : اشهر (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من
 ظ وم ومد ، وفى الأصل : وكان (٤-٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
 الخفة الحكمة (٥) فى ظ : يأتى (٦) فى ظ : متقاة (٧) من ظ وم ومد ، وفى
 الأصل : المكلفين .

وتتأني الأغراض قال^١ تعالى : ﴿ كان ﴾ أى جملة و طبعاً على خلاف العادة ﴿ بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ أى معنا بضم أقوى ما فيه إلى أقوى ما فى صاحبه ، وقد تقدم فى السور المذكور فيها التحدى ما يتم هذا المعنى .

و لما تمت هذه الجمل على هذا الوجه الجميل ، و الوصف الجميل ، نبه على ذلك سبحانه بقوله عطفاً على نحو : صرفنا هذه الأمثال كما ترون على أعلى منهاج^٢ و أبلغ سياق فى "أبدع انتظام" : ﴿ ولقد صرفنا ﴾ أى رددنا و كررنا تكريراً كثيراً بما لنا من العظمة ؛ و لما كان مبنى السورة على بيان العناية بالناس الذين اتقوا و الذين هم / محسنون ، اقتضى

/ ٣٣٦

١٠. المقام لمزيد الاهتمام بتقديم قوله تعالى : ﴿ للناس ﴾ أى الذين هم [ناس - °] ﴿ فى هذا القرآن ﴾ الهادى للتي هي أقوم ﴿ من كل مثل ذ ﴾ أى من كل ما هو فى غرابته و سيره فى أقطار الأرض و بلاغته و وضوحه و رشاقته كالمثل الذى يجب الاعتبار به ؛ و التصريف : تصوير المعنى دائراً^٣ فى الجهات المختلفة بالإضافة [والصفة - °] و الصلة و نحو ١٥ ذلك ﴿ فابى ﴾ أى فتسبب عن ذلك الذى هو سبب للشفاء و الشكر و الهدى ، تصديقا لقولنا "ولا يزيد الظالمين الا خسارا" أنه أبى

(١) فى مد : فقال (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : منها (٣ - ٣) من م و مد ، وفى ظ : ابتدع انتظام ، وفى الأصل : ابدع نظام (٤ - ٤) ما بين الرقين تكرور فى مد بعد « الذين هم » (٥) زيد من م و مد (٦) فى مد : تطريق . (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : داير .

أكثر

(أكثر الناس) وهم من هم [في - ١] صورة الناس وقد سلبوا معانيهم .
ولما كان ' أبى ' متأولا بمعنى النفى ، فكان المعنى : فلم يرضوا مع الكبير
و الشاخه ، استقبله بأداة الاستثناء فقال تعالى : ﴿ الا كفورا ٥ ﴾ لما لهم
من الاضطراب .

- ولما كان [هذا - ١] أمرا معجبا ، عجب منهم تعجبا آخر ، ٥
عاطفاله [على - ١] " ويسئلونك " إن كان المراد بالناس في قوله
" فابى أكثر الناس " الكل ، وعلى " فابى " إن كان المراد بهم قريشا
فقال تعالى : ﴿ وقالوا ﴾ أى كفار قريش ومن والاهم تعنتا بعد ما
لزمهم من الحجة ^٢ ببيان مجزم عن المعارضة و اغير ذلك فعل المبهوت
المحبوج المعاند ، مؤكداين لما لزمهم من الحجة ^٢ التى صاروا بها في حيز من ١٠
يؤمن قطعا من غير توقف : ﴿ لن تؤمن ﴾ أى نصدق بما تقول مذعنين
﴿ لك حتى تفجر ^٢ ﴾ أى تفجيرا عظيما ﴿ لنا ﴾ أى : أجمعين
﴿ من الارض ينبوعا ﴾ أى عينا لا ينضب ماءها ﴿ او تكون لك ﴾
أى أنت وحدك ﴿ جنة من نخيل و ﴾ أشجارا ﴿ عنب ﴾ عبر عنه
بالثرة لأن الارتفاع منه بغيرها قليل ﴿ ففجر ﴾ أى بعظمة زائدة ١٥
﴿ الانهر ﴾ الجارية ﴿ خللها تفجيرا ﴾ وهو تشقيق عما يجرى من ماء
أو ضياء أو نحوهما ؛ فالفجر : شق الظلام عن عمود الصبح ، و الفجور :
(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) فى الفسخ
كلها؛ يفجر - كذا بالياء ، و القراءة بالتاء مما لا خلاف فيه (٤) سقط من مد .
(٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يمينا (٦) زيدت الواو فى ظ .

شق جلباب الحياء بما يخرج إلى الفساد ﴿ او تسقط السماء ﴾ أى نفسها
 ﴿ كما زعمت ﴾ فيما توقعنا به ﴿ علينا كسفا ﴾ أى قطعاً جمع كسفة
 وهى القطعة ، ويجوز أن يكون المراد بذلك الحاصب الآتى من جهة
 العلو وغيره مما توقعوا به فى ' نحو قوله " ان يبعث عليكم عذاباً من
 فوقكم " ، وتسمية ذلك سماء كتسمية المطر ^٢ بل والنبات ^٣ سماء :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً

﴿ او تاتى ﴾ معك ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ والملائكة قبيلاً ﴾
 أى إتيانا عياناً ومقابلة ينظر إليه لا يخفى على أحد من شئ منه ، وكان
 أصله الاجتماع الذى يلزم منه المواجهة بالإقبال من قبائل الرأس الجامعة
 ١٠ ﴿ او يكون لك ﴾ أى خاصاً بك ﴿ بيت من زخرف ﴾ أى ذهب
 كامل الحسن والزينة ﴿ او ترقى ﴾ أى تصعد ﴿ فى السماء ^٤ ﴾ درجة
 درجة ونحن نظر إليك صاعداً ﴿ ولن تؤمن ﴾ أى نصدق مدعين ^٥
 ﴿ لريقك ﴾ أى أصلاً ﴿ حتى تنزل ﴾ وحققوا معنى كونه " من
 السماء " بقولهم : ﴿ علينا كتباً ﴾ ومعنى كونه ، " فى رق " ، أو نحو قولهم
 ١٥ [بقولهم - '] : ﴿ نقرؤه ^٦ ﴾ يأمرنا فيه باتباعك .

فلما تم تعنتهم فكان لسان الحال طالباً من الله تعالى الجواب عنه ،
 أمره الله تعالى بجوابهم بقوله : ﴿ قل سبحان ربي ﴾ أى تنزهه عن أن

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل « و » (٢) سورة ٦ آية ٦٥ (٣-٣) من
 ظ و م ومد ، وفى الأصل : بالنبات - كذا (٤) البيت لمعاوية بن مالك كما
 فى اللسان [سما] (٥) فى ظ : الاعلى (٦) زيد فى ظ : اليك (٧) زيد من ظ
 وم ومد .

يكون له شريك في ملكه^١ يطلب منه ما [لا -^٢] يطلب إلا من إلالة .
 فهو تزيه لله و تعجيب منهم لوضوح^٣ عنادهم بطلبهم^٤ ما لا قدرة عليه
 إلا للالة بمن [لا -^٥] قدرة [له -^٦] على شيء منه إلا بأذن الله ،
 ولم يدع قط أنه قادر على شيء منه ، فحسن الاستفهام جدا في قوله تعالى :
 ﴿ هل كنت الا بشرا ﴾ لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر ﴿ رسولا ﴾ ٥
 كما كان من قبلي / من الرسل ، لا أتعدى ما أمرت به من التبليغ ، فلا آتى
 بشيء إلا بأذن الله ، ولم أقل^٦ : إني إله ، حتى يطلب مني ما يطلب من
 الإله و رتبوا أنفسهم هذا الترتيب لأنهم حصروا حاله في دعوى أن يكون
 عظيما بالرسالة أو غيرها ليتبعه الناس ، فان كان الأول كان^٧ مقبول القول^٨
 عند مرسله ، و حينئذ فاما أن يسأله في نفع عام بالنبوع ، أو خاص ١٠
 به بالجنة إن بخل بالعام ، أو ضر^٩ بالكشف أو يسأله في^{١٠} الإتيان مع
 جنده لأن يصدقه ، و إن كانت عظمتة بغير ذلك فاما أن يكون ملوكا
 ليكون له البيت المذكور بما جرت العادة أن يكون تابعا له ، أو يكون
 [بمن -^{١١}] يجتمع بالملك الذي أرسله فيرقى على ما قالوا .

ولما أمر بما تضمن أنه^{١٢} كإخوانه من الرسل في كونه [بشرا -^{١٣}] ، ١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الملك (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من
 م و مد ، وفي الأصل و ظ : لوضوح (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
 بطلب ؛ و زيد بعده في ظ : منه (٥) في مد : ولا (٦) من م و مد ، وفي الأصل
 و ظ لم يقل (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : مقبولا (٨) من ظ و م
 و مد ، وفي الأصل : عبر (٩) سقط من ظ (١٠) زيد في الأصل : كان ، ولم
 تكن الزيادة في ظ و م و مد لخذفناها .

أتبعه قوله تعالى عطفاً على : " فإني " أو " فقالوا " : (وما منع الناس)
 أى قريشا ومن قال بقولهم لما^١ لهم من الاضطراب (ان يؤمنوا)
 أى لم يبق لهم مانع من الإيمان ، والجملة مفعول ' منع ' (اذ جاءهم الهدى)
 أى الدليل القاطع على الإيمان وهو القرآن وغيره من الأدلة (الآ)
 ٥ و فاعل منع (ان قالوا) أى منكرين غاية الإنكار متعجبين متهمكين :
 (ابعث الله) أى بما له^٢ من العظمة الباهرة من صفات الجلال
 والإكرام (بشرارسلناه) وسبب اتباع الضلال - مع [وضوح -^٣]
 ضره - وترك الهدى - مع ظهور قفحه - وقوع^٤ الشبهة أو الشهوة
 لضعفاء العقول - وهم أكثر الناس - فى أوله ثم تقليد الرؤساء وتمكن
 ١٠ العادة السيئة فيما بعد ذلك ، فلما أنكروا كون الرسول بشرا بعد أن جعلوا
 الإله حجرا ، علمه جوابهم بقوله تعالى : (قل) لهم : قال ربى سبحانه
 وتعالى : (لو كان) أى كونا متمكنا (فى الارض) التى هى مسكن
 الآدميين (ملئكة يمشون) عليها كالآدميين من غير طيران كالملائكة
 إلى السماء (مطمئين) باتخاذهم لها قرارا كما فعل البشر (لازلنا)
 ١٥ أى بما لنا من العظمة (عليهم) مرة^٥ بعد مرة كما فعلنا فى تنزيل
 جبريل عليه السلام على الأنبياء من البشر ، وحقق الأمر بقوله تعالى :
 (من السماء ملكا رسولا^٦) لتمكنهم من التلقى منه لمشاكتهم له بخلاف
 (١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد : لنا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) ونسخة
 مد كعادتها مطموسة من هنا إلى ما يستنبه عليه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
 و قرع (٦) فى ظ : من .

البشر كما هو مقضي الحكمة ، لأن رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم ، إذ الشيء عن شكله أنهم ، وبه آنس ، وإليه أحسن ، وله آلف ، إلا من فضله بتغليب نفسه وعقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقى من الملك .

ولما نصب البرهان القاطع على أن القرآن الموحى إليه من عند الله ، ه
ونفى شبهتهم في إنكار كون الرسول بشرا ، بأنه ما خرج عن عادة
من قبله ممن كانوا مقرين بأنهم أنبياء ، وبأن الجنس لا يفهم عن جنس
آخر ، فالبشر لا يفهم عن الملك إلا بخارقة ، ولا يكون ذلك إلا
للرسل^١ ومن أراد الله من أتباعهم ، لم يبق إلا محض العناد الذى لا رجوع
فيه إلا إلى السيف عند^٢ القدرة ، وإلى الله عند قدما ، وكان في مكة ١٠
المشرقة غير قادر على السيف . أمره الله تعالى بالرجوع إلى السيف فقال
تعالى : ﴿ قل كفى بالله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿ شهيدا ﴾
أى فيصلا يكون ﴿ بينى وبينكم ﴾ يعامل كلامنا بما يستحق ؛ ثم علل
كفايته لذلك بقوله تعالى : ﴿ انه كان بعباده ﴾ قبل أن يخلقهم
﴿ خيرا ﴾ بما يؤول إليه أمرهم^٣ بعد إيجادهم ﴿ بصيرا ﴾ بما يكون ١٥
منهم بعد وجوده .

ولما تقدم أنه سبحانه و تعالى أعلم بالمهتدى والضال ، وكان ختم
هذه الآية مرشدا^٤ إلى أن المعنى : فمن علم منه / بجوابه قابلية للخير
وقفه للعمل على تلك المشاكلة ، ومن علم منه قابلية للشر أضله ، عطف

(١) في ظ : للرسول (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الى (٣) من ظ و م ،
وفي الأصل : امر (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : واشدا .

عليه قوله تعالى: ﴿ومن يهد الله﴾ أى الذى له الأمر كله لأنه لا شريك له، بخلق الهداية فى قلبه، وأشار إلى قلة المهتدى على طريقة الإحسان بافراد ضميره، وإلى كثرة الضال بجمعه فقال تعالى: ﴿فهو﴾ أى لا غيره (المهتدج) لا يمكن أحداً غيره أن يضله ﴿ومن يضلل﴾ فهو الضال لا هادى له، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿فلن تجد لهم﴾ أى للضالين (أولياء) أى أنصاراً فى هذه الدنيا ﴿من دونه﴾ يهدونهم ولا ينفعونهم بشئ. أراد الله غيره، ولذلك نفوا أصلاً ورأساً، لأنهم إذا اتقى قمعهم كانوا كالعدم، وإذا اتقى 'عن الجمع' اتقى عن المفرد من باب الأولى؛ فالآية من الاحتباك: خبر الأول يدل على حذف ١٠ ضده ثانياً، ونتيجة الثانى تدل على حذف ضدها من الأول.

ولما كان يوم الفصل يوماً يظهر فيه لكل أحد فى كل حالة من عظمته تعالى ما يضمنحل معه كل عظمة قال تعالى: ﴿ونحشرهم﴾ بنون العظمة أى نجعلهم بكره (يوم القيامة) أى الذى هو محط الحكمة (على وجوههم) يمشون أو مسحوبين عليها إهاته لهم فيها ١٥ كما لم يذلوها بالسجود لنا (عمياً وبكماً وصماً) كما كانوا فى الدنيا لا ينفقون بأبصارهم ولا نطقهم ولا أسماعهم، بل يكون ضرراً عليهم لما ينظرون من المعاطب، ويسمعون من المصائب، وينطقون به من المعاييب؛ قال الرازى فى اللوامع: إذ 'يحشر المرء' على ما مات عليه،

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: احد (٢-٣) فى ظ: الشئ (٣) فى ظ: حال.
(٤) ومن هنا استأنفت نسخة مد (ه) من ظ و م و مد، وفى الأصل "و".
(٦) سقط من ظ.

فلم يكن له في الآخرة شيء إلا حصل أوله ومبدأه في الدنيا وتماه
في الآخرة - انتهى .

ولما كان المقام الانتقال من مقام إلى آخر، قدم البصر لأنه العدة
في ذلك، وثنى بالنطق [لأنه يمكن - ٢] الأعمى الاسترشاد، وختم بالسمع
لأنه يمكن معه [وحده - ٢] نوع رشاد، وعطفها بالواو إن كان ه
لتشريك الكل في كل من الأوصاف فلتحويل، لأن المتكلم إذا نطق
بالعاطف ظن السامع [الانتقال - ٢] إلى شيء آخر، فاذا أتى بالوصف
كان أروع للعلم بأن صاحبه عريق فيه، لما تقدم في براءة، وإن
كان للتويع فلتصويرهم بأقبح صورة من حيث أنه لا يتفجع فريق منهم
بالآخر كبير^٢ تقع، فكأنه قيل: إلى أي مكان يحشرون؟ فقال تعالى: ١٠
(ما دبرهم جهنم^٣) تستعر عليهم وتجههم^٤، كل واحد [منهم - ٢]
يقاسى عذابا وحده وإن كان وجهه إلى وجه صاحبه، لأنه لا يدرك
سوى العذاب للختم على مشاعره، فيا طولها من غربة! ويا لها من كربة!
فكأنه قيل: هل يفتر عنهم عذابها؟ فقل: لا! بل هم كل ساعة في زياده، لأنها
(كلما خبت) [أي - ٢] أخذ لها في السكون عند إنضاجها لجلودهم ١٥
(زدنيهم) أي بما لنا من العظمة (سعيراء) باعادة الجلود؛ ثم بين
علة تعذيبهم ليرجع منهم من قضى بسعاده فقال تعالى: (ذلك) أي
العذاب العظيم (جزأؤهم بانهم) أهل الضلالة (كفروا بآيتنا)
(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: لأن (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من
ظ وم ومد، وفي الأصل: كثير (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تتهجم.
(٥) تكرر في الأصل فقط .

القرآنية وغيرها. مع^١ ما لها من العظمة بنسبتها إلينا، و كانوا كل يوم
يزدادون كفرا، وهم عازمون على الدوام [على ذلك -^٢] ما بقوا
﴿ وقالوا ﴾ إنكارا لقدرتنا ﴿ إذا كنا عظاما ورفاتا ﴾ ممزقين في الأرض :
[ثم -^٣] كرروا الإنكار كأنهم^٤ على ثقة من أمرهم هذا الذي بطلانه أوضح
من الشمس بقولهم : ﴿ أنا لمبعوثون ﴾ أى ثابت بعثنا ﴿ خلقا جديدا ﴾
فنحن نريهم جزاء على هذا الإنكار [المكرر الخلق الجديد في جلودهم
مكررا كل لحظة " كلما فضجت جلودهم بدلثهم جلودا غيرها ليدوقوا
العذاب "] تم اتبعه بقاطع في بيان جهلهم فقال منبها على أنهم أولى بالإنكار -^٥ [
عاطفا على ما تقديره: ألم يروا أن [الله -^٦] الذى ابتداء خلقهم قادر
على أن يعيدهم ﴿ او لم يروا ﴾ أى يعلموا بعيون بصارهم علما هو كالرؤية
بعيون أبصارهم لما قام عليه من الدلائل، و نادى / بصحته من الشواهد
الجلال (ان الله) أى الملك الأعلى المحيط بكل شئ قدرة و علما لاغيره
﴿ الذى خلق السموات ﴾ جمعها لما دل على ذلك من الحسن، و لما
لم يكن للأرض [مثل -^٧] ذلك أفردا "مريدا الجنس" الصالح
١٥ للجمع فقال تعالى : ﴿ و الأرض ﴾ على كبر أجرامها، و عظم أحكامها،
و شدة أجزائها. و سعة أرجائها، و كثرة ما فيها من المرافق و المعاون
التي يمزقها و يفتتها ثم يجددها و يحييها ﴿ قادر على أن يخلق ﴾ أى يحدد في
(١) في ظ : على (٢) زيد من ظ و م و مد (م) من ظ و م و مد، و في
الأصل : هم (٤) راجع سورة ٤ آية ٥٦ (هـ-ه) من ظ و م و مد، و في الأصل:
مرتبا للجنس (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : عظيم .

أى وقت أراد (مثلهم) بدءاً فكيف بالإعادة وهم أضعف أمرا وأحقر
 شأننا (و) أنه (جعل لهم أجلا) لعذابهم أو موتهم أو بعثهم لأنه معلوم
 في نفسه (لا ريب فيه^١) بوجه من الوجوه لما تكرر لهم من مشاهدة أنه^٢
 لا تؤخر نفس إذا جاء أجلها، وكذا^٣ لا تقدم على أجلها، فكم بمن اجتهد
 الضراغمة الأبطال و فحول الرجال في ضره أو قتله ؛ وهم قاطعون أنه ه
 في قبضتهم فلم يقدروا على ذلك، ثم كان ذلك بأضعف الناس أو بأوهى^٤
 سبب فلم بذلك أنه المنفرد بالقدرة على الإيجاد والإعدام (فابى)
 أى بلى قد علموا ذلك علما كالمحسوس المرئى فتسبب عن ذلك السبب
 للإيمان أن أبوا - هكذا كان الأصل فأظهر تعميما وتعليقا بالوصف
 [قال -^٥] : (الظلمون) أى أبى هؤلاء المتعتون لظلمهم (الا كفوراء) ١٠
 أى جحودا^٦ لعدم الشراكة .

ولما قدم في هذه السورة أنه هو المعطى وأن عطاءه الجم - الذى
 فات الحصر، وفضل عن الحاجة، وقامت به الحجة على العباد في تمام
 قدرته وكال عله - غير محذور عن أحد، وأنهم يقتلون أولادهم مع
 ذلك خشية الإملاق، وهم يطلبون أن يظهر لهم من جنس ما خلق من ١٥
 الناييع والجنات والذهب والزخرف على كفيات مخصوصة لغير حاجة
 ما تقدم ذكره، وقد امتنعوا بخلا وأنفة^٧ و جهلا عن الاعتراف له
 بما أوجه عليهم شكرا لنعمته، واستدفاعا لنقمته، بعد قيام الدلائل وزوال

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل «و» (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل:
 انها (٣) سقط من ظ (٤) في ظ «و» (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من
 ظ و م و مد، وفي الأصل: جحود (٧) في ظ: نفقة .

- الشبه^١ . فلا أبخل^٢ منهم لأنهم بخلوا بما يجب عليهم من الكلام كما قال النبي صلى الله عليه و على آله و سلم : أبخل الناس من بخل بالسلام^٣ . أمره أن ينههم على سفههم في ذلك بقوله تعالى : ﴿ قل لو ﴾ .
- ولما كان من حق 'لو' الدخول على الأفعال ، علم أن بعدها فعلا^٤ .
- ٥ من جنس ما بعد تقديره : تملكون . ولكنه حذفه و فصل^٥ الضمير لأن المقصود الحكم عليهم بادئ بدء فقال تعالى : ﴿ انتم ﴾ أى دون غيركم ﴿ تملكون خزائن ﴾ عبر بصيغة منتهى الجموع ، لأن المقام جدير بالمبالغة ﴿ رحمة ﴾ أى إرزاق و إكرام ﴿ ربى ﴾ المحسن إلىّ بايتائى جميع ما ثبت أمرى و أوضحه ، و هى مقدوراته التى يرحم بها عباده باضافتها^٦ عليهم
- ١٠ ﴿ اذا لامسكم ﴾ أى لوقع منكم الإمساك عن الإنفاق^٧ فى بعض الوجوه التى تحتاجونها ﴿ خشية ﴾ عاقبة ﴿ الانفاق^٨ ﴾ أى الموصل إلى الفقر ثم استدل على صحة هذا المفروض بالمشاهد من مضمون قوله تعالى : ﴿ وكان ﴾ أى جلبة و طعنا ﴿ الانسان ﴾ أى الذى من شأنه [الإنس - ٩] بنفسه ، فهو لذلك لا يعقل الأمور حق عقلها ﴿ قورا ع ﴾ أى بخيلا ممسكا غاية الإمساك لإمكان
- ١٥ أن يكون فقيرا فلا تراه إلا مضيقا [فى النفقة - ٩] على نفسه ، و من
-
- (١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشك (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بخل (٣) راجع معناه فى مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٢٢٨ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صقلا .. كذا (٥) فى مد : صقلا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بافاضلها (٧) من ظهوم و مد ، و فى الأصل : الامساك .
- (٨) زيد من ظ و م و مد .

تألمه نفقته، شديداً في^١ ذلك [و إن -^٢] اتسعت أحواله ، وزادت
 على الحد^٣ أمواله ، لما فيه من صفة النقص اللازمة [بلزوم -^٤] الحاجة
 له ، طبع على ذلك فهو في غريزته بالقوة ، فكلهم يفعلهُ إلا من وفقه الله تعالى
 فقلب عقله على هواه وقليل^٥ ما هم^٦ أي فاذا كان هذا أمرهم فيما
 تملكونه^٧ مع الحاجة إلى الوجوه المنفق فيها فكيف تطلبون من النبي
 صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما لا يملكه ، ولا ادعى القدرة عليه ؟ أو من
 الخالق الحكيم أن يفعل ما تتعتون به عبثاً بغير^٨ حاجة أصلاً ، لأنه
 إن كان / لإثبات قدرته فأتهم لا يمترون فيها ، وإن كان لإثبات رسالة
 نبيكم فقد ثبت بأمور أعظمها هذا القرآن الذي مر آنفاً إقامة الدليل
 عليها به ، وهتك أستار شهتكم في استبعاد كون الرسول بشراً ، والله تعالى
 قد أكرمكم بنبيكم عن أن يعاجلكم بالاستئصال عند العصيان بعد كشف
 الغطاء كما جرت به سنته في جميع الأمم ، وإن كان لإثبات غناكم
 فهو شيء لا يغني قفوسكم فيردها عن طلب المزيد وعن التقثير لما طبعتم
 عليه ، بل تكونون^٩ عند حصول ذلك لكم لحصول الغنى كالمستجير
 من الرمضاء بالنار ، وهو قد قضى أنه يظهر أمره على كل من ناواه
 وإن كره الكافرون ، وقد علم من يؤمن فيفسر^{١٠} له الإيمان ويحمله

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : فمن (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) سقط
 من ظ (٤) من م ومه ، وفي الأصل : جليل ، وفي ظ : قيل (هـ) من ظ و م
 ومد ، وفي الأصل : يملكونه (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : لغير .
 (٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : يكونون (٨) من م ومد ، وفي الأصل
 و ظ : فيفسر .

عونا لحزب الرحمن ، و من لا يؤمن ^١ فهو يجعله مع ^٢ اربابه الشيطان ،
 و يذيق ^٣ الكل الهوان ، و يجعلهم ^٤ وقودا للنيران ، فلم يبق بعد هذا
 كله في إجابتكم إلى تمتكم إلا البعث ^٥ الذى هو سبحانه متعال عنه ، فلا وجه
 يحصل به الإنسان الفنى إلا اتباع السنة و الانسلاخ عن الهوى ، فن
 وصل إلى ذلك استوى عنده الذهب و الحصاء .

ولما قدم سبحانه أن أكثر الناس جحد الآيات لكونه حكم
 بضلاله ^٦ ، و من حكم بضلاله ^٧ لا يمكن هداه ، و ختم بأن من جبل على
 شيء لم ينفك عنه ، شرع يسلى ^٨ نبيه عليه الصلاة و السلام بما اتفق لمن
 قبله من إخوانه ^٩ الأنبياء ، مع التنبيه على أنه يجود بالآيات على حسب
 ١٠ المقتضيات ، و على أن خوارق العادات لا تنفع فى إيمان من حكم عليه
 بالضلال ، و توجب ^{١٠} - كما سنه الله - إهلاك من عصى بعد ذلك بعذاب
 الاستئصال ، فقال عاطفا على قوله "و لقد صرفنا للناس" : (و لقد آتينا)
 أى بما لنا من العظمة (موسى) ابن عمران المتقى المحسن عليه السلام
 لما أرسلناه إلى فرعون (تسع آيت يئنت) وهى - كما فى التوراة :
 ١٥ العصي ، ثم الدم ، ثم الضفادع ، ثم القمل ، ثم موت البهائم ، ثم البرد

(١-١) من م و مد ، وفى الأصل : فيجعله مع ، وفى ظ : فهو مع (٢) فى ظ :
 نذيق (٣) فى ظ : نجعلهم (٤) فى ظ : البعث (٥) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : لضلالهم (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لضاله (٧) من م
 و مد ، وفى الأصل و ظ : يسيل (٨) فى ظ : اخواننا (٩) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : يوجب .

الكبار التي أنزلها الله مع النار المضطربة ، فكانت تهلك كل ما مرت^١
 عليه من نبات وحيوان ، ثم الجراد ، ثم الظلة ، ثم موت الأبقار من
 الآدميين وجميع الحيوان - كما مضى [ذلك - ؟] في^٢ هذا الكتاب
 عن التوراة في سورة الأعراف^٣ ، وكأنه عد^٤ اليد مع العصي آية ،
 ولم يفرد اليد لانه ليس فيها ضرر^٥ عليهم . وقد نظمها ليهون^٥
 حفظها فقلت :

عصى قمل موت البهائم ظلة جراد دم ثم الضفادع و البرد
 وموت بكور الآدمي وغيره من الحي آتاها الذي عز وانقرد
 وهي ملخصة في الزبور فانه قال في المزمور السابع والسبعين^٦ : صنع آياته
 وعجائبه في مصارع صاعان ، وجعل أنهارهم دما وصهاريجهم لكيلا يشربوا^{١٠}
 الماء ، أرسل عليهم الهوام وذباب الكلاب فأكلهم^٧ الضفادع وأفسدم ،
 أطعم^٨ القمل ثمارهم والجراد كدم ، كسر بالبرد كرومهم . وبالجليد تبهم ،
 أسلم للبرد^٩ مواشيهم وللحريق أمواهم ، أرسل عليهم شدة حنقه سخطا وغضبا ،
 أرسل ملائكة الشر ، فتح طرق^{١٠} سخطه ، ولم يخلص من الموت أنفسهم ،

(١) في ظ : امرت (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) في ظ : عن (٤) راجع نظم الدرر
 ٥/٨ وما بعدها (٥) زيد بعده في الأصل : مع ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 ومد لحذفها (٦) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : شئ برز - كذا (٧) عبتنا :
 الثامن والسبعين ، وتطرد هذه الزيادة فيما يأتي أيضا كما أسلفنا التنبيه عليه ،
 وراجع الآية ٣٤ فما بعدها (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : فاحلهم .
 (٩) سقط من مد (١٠) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : بالبرد .

أسلم للوت دوابهم ، قتل جميع أبكار مصر و أول أولادهم في مساكن حام .
 وقال في المزمور الرابع بعد المائة [بعد - ١] أن ذكر صنائع الله عند بني
 إسرائيل و آبائهم ^٢ / : بعث جوعا على الأرض ، حطم زرع أرضهم ، أرسل
 أمامهم [رجلا - ١] ، بيع يوسف للعبودية ، و أوثقوا بالقيود رجله ،
 ٥ صارت [نفسه - ١] في الحديد حتى جاءت كلمته ، و قول الرب ابتلاه ،
 أرسل الملك فأطلقه ، و جعله رئيسا على شعبه ، و أقامه ربا على بني ،
 و سلطانه على كل ماله ، ليؤدب أراجينه كنفسه و يفقه مشايخه ، دخل
 إسرائيل مصر ، و تقرب يعقوب في أرض حام ، و كثرت شعبه جدا ،
 و علا على أعدائه ، صرف قلبه لينض شعبه و يغدر بعيده ، أرسل موسى
 عبده و هارون صفيه ، فضننا^٣ فيهم آياته و عجائبه في أرض حام ، بعث
 ظلة فصار ليلا ، و أمخطوا كلامه ، تحول مياههم دما ، و أمات حيتانهم ،
 و انبعث^٤ أرضهم ضفادع في قياطين^٥ ملوكهم ، أمر الهوام فجاء و ذباب
 الكلب و القمل في جميع تخومهم ، جعل أمطارهم بردا^٦ ، و اشتعلت النار في
 أرضهم ، ضرب كرومهم و تبنهم ، و كثر شجر تخومهم ، أذن للجراد فجاء
 ١٥ و ذباب لا يحصى ، فأكل جميع عشب الأرض و ثمارها ، و قتل كل أبكار
 مصر و أول ولد [ولد - ١] لهم غير أنه لم يذكر العصي ، و كأن ذلك لشهرتها

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) راجع آية ١٦ فما بعدها (٣) من ظ و م و مد ،
 وفي الأصل : بقيقه (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فترك (٥) من ظ و م
 و مد ، وفي الأصل : فصنع (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : انبعث .
 (٧) جمع قيطون : المخدع (٨) من م و مد ، وفي الأصل : برد ، وفي ظ : قطرا ،

جدا عندهم ، ولأن جميع الآيات كانت بها ، فهي في الحقيقة الآية الجامعة للكل ، وإنما قلت : إن الآيات هذه ، لأن السياق [يدل - ١] على أن فرعون رآها كلها ، وعاند بعد رؤيتها ، وذلك إشارة إلى أنه لو أعطى كفار قریش ما اقترحوه من تفجير ينبوع وما [فمه - ١] ، لم يكفهم عن التنادي ، فالإتيان به عبث لا مصلحة فيه .

- و لما كان اليهود الذين أمرؤا قریشا بسؤال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الروح التي مضى الجواب عنها - كما في بعض الروايات - وعن أهل الكهف و^٢ ذى القرنين الآتي تشرح قصتهما^٣ في الكهف ، فبهتم على سؤالهم : إن كانوا يقبلون كلامهم : عن أمر موسى عليه السلام في كونه كهذا^٤ النبي الكريم في أنه بشر مع كونه رسولا^٥ [وفي كونه - ١] أتى بالخوارق فكذب بها المعاندون فاستوصل المكذب ، فقال تعالى : ﴿ فسئل ﴾ أى يا أعظم خلقنا ﴿ بنى إسرائيل ﴾ أى عامة الذين نبهوا قریشا على أمر الروح عن حديث موسى عليه السلام أو المؤمنين كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ إذ ﴾ أى عن ذلك حين ﴿ جاءهم ﴾ أى جاء آباءهم ، فوقع له من التكذيب^٦ بعد إظهار المعجزات الباهرات^٧ ما وقع لك ، ولم يكذب^٨ لخلل من أمره ولا لقوة من عدوه على مدافعة

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) زيد بعده في الأصل وظ : عن ، ولم تكن الزيادة في م ومد فخذفناها (٣-٣) من م ومد ، وفي الأصل وظ : بشرح قصتهما . (٤) من م ومد ، وفي الأصل وظ : لهذا (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : لم تكذب .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧ : ١٠١ و ١٠٢) ج - ١١

العذاب ، وإنما كان جهلا وعنادا ، ليكون [ذلك - ^١] مسلاة لك
وعلمنا على خبث طباعهم وحجة قاطعة عليهم (فقال) أى قذهب إلى
فرعون فأمره بارسالهم معه فأبى فأظهر له الآيات واجدة بعد أخرى ،
فتسبب عن ذلك ضد ما يقتضيه الحال ، وهو أن قال (له^٢ فرعون)
ه عتوا واستكبارا : (انى لاظنك) أكد قوله لما أظهر موسى عليه السلام بما
يوجب الإذعان له والإيمان والإنكار لأن يكذبه أحد (يعمى مسحورا)
أى فكل ما ينشأ عنك فهو من آثار السحر الذى بك ، خيال لا حقيقة
له ، وأنت فى الحقيقة مسحور ، ولوجود السحر عنك ساحر ، قال
أبو عبيد : كما يقال : ميمون - بمعنى يأمن . وكأنه موه^٣ على جنوده
١٠ لما أراهم^٤ آية اليد بهذه الشبهة ، وهذا كما قالت قريش " ان تبصرون
الا رجلا مسحورا^٥ " وقالوا^٦ فى موضع آخر : ساحر^٧ ، فانهم^٨ ربما
أطلقوا اسم المفعول مرادين اسم الفاعل مبالغة فى أنه كالجبر على الفعل ،
وفى الأمر بسؤال اليهود^٩ تنبيه على ضلالهم^{١٠} ، قال الشيخ ولى الدين
الملوى : ولعل منه اقتباس الأئمة فى المناظرة مطالبة اليهود والنصارى
١٥ ونحوهم بآيات نبوة أنبيائهم ، فكل طريق يسلكون يسلك مثله فى تقرير

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) ليس فى الأصل فقط (٣) فى ظ : موههم .
(٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : راهم (٥) سورة ٢٥ آية ٤٧ (٦) فى
ظ : قال (٧) راجع آية ٤ من سورة ٣٨ (٨) فى ظ : لانهم (٩) تكرر فى
الأصل فقط (١٠) فى مد : اضلالهم (١١) هو محمد بن أحمد بن عثمان العثماني
الديباحي الملوى أبو عبد الله فقيه صوفي مفسر نحوي توفي سنة ٧٧٤ هـ - راجع
معجم المؤلفين ٨ / ٢٨٩ .

- ٣٤٢ / نبوة محمد صلى / الله عليه و على آله و سلم ، وكل اعتراض يوردونه يورد عليهم مثله ، وما كان جوابا [لهم فهو جواب لنا ، ومن تفتن للآية الكريمة رأى منها العجب فى ذلك - انتهى -^١] ولم يؤمن فرعون على تواتر تلك الآيات و عظمتها ، فكأنه قيل : فما قال موسى عليه السلام ؟ فقيل :
- (قال) لفرعون : (لقد علمت) أى أنا - بضم التاء على قراءة الكسائي و ليفيد أن عنده العلم القطعى بأن ما آتى به منزل من ربه ، فهو أعقل أهل ذلك الزمان وليس على ما ادعاه فرعون ، أو بفتح التاء - على قراءة الباقيين أى أنك يا فرعون صرت بما أظهرته أنا من الأدلة فى عداد من يعلم أنه (ما أنزل) على يدى (هؤلاء) الآيات (الأرب السموات و الأرض)
- أى خالقهما و مدبرهما حال كون هذه الآيات (بصائر) أى ١٠
- بينات ثابتة أمرها عليا قدرها ، ' يبصرها ' صدق ، وأما السحر فانه لا يخفى على أحد أنه خيال لا حقيقة له (و انى) أى وإن ظننتى يا فرعون مسحورا (لا ظنك) أكد لما كان مع فرعون من ينكر قوله^٢ و يظهر القطع بسعادة فرعون (يفرعون مشورا) أى ملعوننا مطرودا مغلوبا^٣ مهلكا ممنوعا من الخير فاسد العقل ، و ظنى قريب إلى الصحة ١٥
- بخلاف ظنك لعنادك لرب العالمين ، لوضوح مكابرتك للبصائر التى كشف عنها و بها الغطاء ، فهى أوضح من الشمس ، و ذلك لإخلادك إلى الحال
- (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م ومد (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ :
- عندهم (٣) فى ظ : اوتى (٤ - ٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : يبصرها .
- (٥) سقط من ظ (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) فى مد : مغلوبا .

التي أنت بها وكسلك عن الانتقال عنها إلى ما هو أشرف منها ؛ وقد
يئس مداز^١ "نبر" في "لا تريب" في سورة يوسف عليه السلام^٢ ، فإذا
راجعتها اتضح لك ما أشرت^٣ إليه (فاراد) أي لما تسبب عن هذا
الذي هو موجب الإيمان في العادة إلا أن فرعون أراد (أن يستفهم)
ه أي يستخف موسى و من آمن^٤ معه ويخرجهم فيكونوا كالماء إذا سال،
من قولهم: فز الجرح: سال (من الأرض)^٥ بالنفي والقتل للتمكن^٦
من استبعاد^٧ الباقيين كما أراد هؤلاء أن يستفروك من الأرض ليخرجوك
منها للتمكن مما هم^٨ عليه من الكفر والعناد، ثم أخذ يحذرهم سطواته
بما فعل بمن كانوا أكثر منهم وأشد فقال: (فاغرقنه) أي فتسبب
١٠ عن ذلك أن رددنا - بما لنا من العظمة - كيده في نحره: فلم نقدره^٩
على مراده واستفروناه نحن فلم يقدر^{١٠} على الامتناع، بل خف غير عالم
بما نريد^{١١} به حتى أدخلناه في البحر حيث أدخلنا بني إسرائيل فأنجيناهم
وأغرقناه (ومن معه جميعاً) كما جرت به سنتنا فيمن عاند بعد أن
(١) من ظ وم، وفي الأصل ومَد: مادة (٢) آية ٩٢ (٣) من ظ وم ومَد،
وفي الأصل: أثرت (٤) من ظ وم ومَد، وفي الأصل: يوجب (٥) سقط
من ظ (٦) زيد في الأصل: أي، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومَد فحذفناها.
(٧) من ظ وم ومَد، وفي الأصل: للتمكن (٨) من م ومَد، وفي الأصل
وظ: استبعاد (٩) من ظ وم ومَد، وفي الأصل: هو (١٠) من م ومَد، وفي
الأصل وظ: فلم يقدره (١١) من ظ وم ومَد، وفي الأصل: فلم نقدر (١٢) من
ظ وم ومَد، وفي الأصل: يريد.

رأى الخوارق وكفر النعمة وأفرط 'فى البغى' بعد ظهور الحق .
 فليحذر هؤلاء مثل ذلك ولا سيما إذا أخرجنا رسولنا من بين ظهرانيهم ،
 فى هذه الآية و أمثالها بشارة له بأسلاكنا له فى النصرة . التمكن سبيل
 إخوانه من الرسل عليهم السلام ﴿ و قلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى
 لا يتعاضدها شئ .

و لما كان هذا القول غير مستغرق لزمان البعد ، أثبت الجار فقال
 تعالى : ﴿ من بعده ﴾ أى الإغراق ﴿ لى اسراءيل ﴾ الذين كانوا تحت
 يده أذل من العبيد لتقوam وإحسانهم : ﴿ اسكنوا الأرض ﴾ أى مطلق
 الأرض - إشارة إلى أن فرعون كان يريد محوم^٢ عن الأرض أو^٣ إلى
 أن سكنهم مع وجوده كانت عدما ، لما بهم من الذل - و الأرض التى ١٠
 أراد أن يستغزم منها ، وهى أرض مصر ، أى صيروا بحيث تسكنونها
 لا يد لأحد عليكم ، ولا مانع لكم بما تريدون منها ، كما كان فرعون وجنوده
 إذا شتم مملكين فيها بعد أن كنتم عبيدا تسامون سوء العذاب ﴿ فاذا جاء ﴾
 أى مجيئا محققا ﴿ وعد الآخرة ﴾ أى القيامة بعد أن سكنتم الأرض
 أحياء ودفنتم فيها أمواتا ﴿ جئنا ﴾ أى بما لنا / من العظمة ﴿ بكم ﴾ ١٥ / ٣٤٣
 منها ﴿ لفياف ﴾ أى بعشائكم وإيامم محتلطين ، لا حكم لأحد على آخر ،
 ولا دفع لأحد عن آخر على غير الحالة التى كانت فى الدنيا ، ثم ميزنا
 (١-١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : النعمة (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : بأسلاك (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نحوهم (٤) من ظ
 و م و مد ، وفى الأصل « و » .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧: ١٠٥ و ١٠٦) ج - ١١

بعضكم عن بعض ، و نعمنا الطيب منكم باهانة الخبيث ، إن يسأل بنو إسرائيل
- الذين يقبل ' هؤلاء المشركون ' الجهلة كلامهم و يستصحونهم ^٢
في أمورهم - عن هذا الذي تلوناه عليك يخبروا به كما أخبرناك ، فيثبت
حيثند عندهم أمر الآخرة ، و إلا كان قبولهم لبعض كلامهم دون بعض
٥ بغير دليل تحكما و ترجيحاً من غير مرجح .

و لما [ثبت - ٤] أمر الحشر بأثبات القدرة على كل ممكن تارة ،
و باخبار بنى إسرائيل الذين ألزموا أنفسهم قبول كلامهم و قطع المفاوز
إليهم لسؤالهم عن بعض الأمور أخرى ، ثبت أن هذا القرآن المخبر
بذلك حق ، و كانوا قد سألوه عن المسائل المذكورة فأجابهم عن أولها
١٠ - وهى الروح - بأمر مجمل و عقبه ^٥ بأنهم سألوه فى أشياء اقترحوها و قالوا : لن
ثؤمن لك حتى تفعلها ، و أشار [تعالى - ٦] بالإخبار عن آيات موسى
عليه السلام إلى أنه لم يترك إجابتهم بخلا و لا عجزا ، فانها من جنس ما
سألوا من التصرف ^٧ فى المياه تارة بانزالها و تارة بقلبها دما الموجب
للقدرة على إنبات الأشجار بها ، و من إسقاط السماء كسفا باسقاط البرد
١٥ المهلك ، ^٨ فثبت بذلك ^٩ صحة الإخبار بتصريف الأمثال فى هذا الكتاب ،

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : مثل (٢) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : المشركين (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يستصحونهم (٤) زيد
من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل : ظ : عقبهم (٦) زيد من ظ
و م و مد (٧) فى مد : المقترن (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :
فيثبت ذلك .

فعطف على قوله "ولقد صرفنا" قوله تعالى: ﴿وبالحق﴾ أى من المعاني الثابتة التى لا مرية [فيها - ١] لا بغيره ﴿انزلته﴾ نحن أى القرآن أو هذا الذى أخبر منه بالحشر لبنى اسرايل ملتفين بالقبط وبما قبله على ما لنا من العظمة ﴿وبالحق﴾ لا بغيره ﴿نزل ٢﴾ هو وصل إليهم على لسانك^٣ بعد إنزاله عليك كما أنزلنا سواء غضا طريا محفوظا لم يطرأ عليه طارئ، فليس ه فيه شيء من تحريف ولا تبديل كما وقع فى كتاب اليهود الذين يسألهم قومك، فأفاد هذا أن القرآن معجز بكونه^٤ مع إعجازه بالبلاغة فى تصريح الأمثال، وغيرها من نظم المقال ﴿وما أرسلناك﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿الامبشرا ونذيرا﴾ على غاية التمكن فى كل من الوصفين - بما أشار إليه الواو والصيغة، تبلغهم ما^٥ فيه من بشارة لمن آمن بذلك اليوم، ١٠ ونذارة لمن لم يؤمن به، فان قبلوا فهو حظهم، وإن لم يقبلوا كان عليهم وزرهم، ولم يكن عليك لوم، فانا ما أرسلناك عليهم وكيلا، وسنزهق باطلهم بهذا الحق لا محالة، فلا تستعجل لهم "ان الباطل كان زهوقا"، ولم نرسلك لتفجير [الأنهار - ١] ولا إنبات الأشجار؛ ثم أخبر أن الحكمة فى إنزال القرآن منجما فقال تعالى: ﴿وقرانا﴾ أى ١٥ وفصلنا أو أنزلنا قرآنا ﴿فرقته﴾ أى أنزلناه^٦ منجما فى أوقات

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ: احسانك (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لكونه (٤) فى ظ: كما (٥) زيد فى الأصل و ظ: هم، ولم تكن الزيادة فى م و مسد لحذفها (٦) من م و مد، وفى الأصل وظ: أنزلنا.

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧ : ١٠٦ و ١٠٧) ج - ١١

متطاولة و ميزناه^١ بالحقيقة عن كل باطل ، وبالإعجاز عن كل كلام
(لتقراه على الناس) أى عامة كل من أمكنك منهم ، فانك مرسل
إليهم كلهم .

و لما كانوا لما لهم من النوس فى غاية الزلزلة . لا يتهذبون [إلا-^٢]
ه فى أزمان طويلة و علاج كبير ، قال مشيرا إلى ذلك : (على مكث)
أى تودة و ترسل بأن تقرأ منه كل نجم فى وقته [الذى أنزلناه فيه -^٣]
فى مدة^٤ ثلاث و عشرين سنة (و نزلته) من عندنا بما لنا من العظمة
(تنزيلا) بعضه فى إثر بعض ، مفرقا بحسب الوقائع لانه أتقن فى
فصلها ، و أعون على أفهم أطول التأمل لما نزل من نجومه فى مدة
١٠ ما بين النجمين لغزارة ما فيه من المعاني ، و كثرة ما تضمنه من الحكم ،
و ذلك أيضا أقرب للحفظ ، و أعظم تثبيتا للنفوس ، و أشرح للصدر ،
لأن أخبار الحبيب إذا كانت متواصلة كان الحب^٥ كل يوم فى عيد ،
بهناه^٦ جديد^٧ . فعلنا بك ذلك لما^٨ / تقدم من أن الله مع الذين اتقوا
و الذين هم محسنون ، فلما طالت الدلائل ، و زالت الشبه^٩ ، و علم أن
١٥ الحظ لمن أقبل . و الحية لمن أدبر ، أمره أن يقول منبها لهم على ذلك

/ ٣٤٤

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نزلناه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م
و مد ، وفى الأصل و ظ : مرة (٤) زيد فى ظ : فى (٥) سقط من م (٦) من م
و مد ، وفى الأصل و ظ : هنا (٧) فى ظ : جيد (٨) سقط من ظ ، و زيد فيه
وفى الأصل : من ان ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) من م و مد ،
وفى الأصل و ظ : الشبهة .

مبتكنا^۱ لهم بتقاعسهم عنه و عنادهم فيه بقوله تعالى : ﴿ قل آمنوا به ﴾
 أى القرآن^۲ ﴿ او لا تؤمنوا^۳ ﴾ فالإيمان به غير محتاج إليكم ولا موقوف
 عليكم لأنكم إن آمنتم به كانت الحظ لكم ، وإلا لم تضرروا
 إلا أنفسكم ، وهو احتقار لهم حيث صرف لهم من كل مثل فأبوا إلا
 كفروا ، ثم علل ذلك بما [يقبل - ۲] بكل ذى لب إليه ، فان كان ه
 ليد قل ، فهو تسلية له صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وإن كان لما بعدها
 فهو تبكيت [لهم - ۲] و تحقير ، فقال تعالى : ﴿ ان الذين اوتوا العلم ﴾
 و بنى للفعول دلالة على [أن - ۴] العلم الربانى - وهو العلم فى الحقيقة
 - من أى مؤت كان ، حاث على الإيمان بهذا القرآن ، و تنبيه على
 أن من كان يعلم - [ولا يحمله علمه على الإيمان بهذا الكتاب - ۴] الذى ۱۰
 لا شيء أبين من حقيقته بمصادقته لكتب الانبياء الذين ثبتت رسالاتهم
 و مضت عليها الدهور ، و اطمانت بها النفوس ، و زيادته عليها بما أودعه الله
 من الإعجاز و الحكم - فعلمه كلاً علم بل هو أجهل الجهلة ، سواء كان عن
 سألته عنى أو من غيرهم - كما سيأتى إن شاء الله تعالى تحقيقه فى الزمر .
 و لما كان المراد [أن - ۴] من اتصف بهذا الوصف ولو زماناً ۱۵
 يسيراً نفعه ، أدخل الجار فقال مرغبا فى العلم ليحمل على الإيمان
 بالقرآن : ﴿ من قبله ﴾ أى قبل إزاله من آمن من [نبي - ۲] إسرائيل

(۱) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مبتكنا (۲) زيد فى الأصل : العظيم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (۳) زيد من ظ و م و مد (۴) زيد من م
 و مد (هـ - هـ) ما بين الرقین متكرر فى الأصل و ظ ، وليس فيها مؤت .
 (۶) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بلا .

الذين أمرني^١ الله [بسؤالهم -^٢] تسميعا لكم و تثيتا لكونكم أقبلتم عليهم
بالسؤال و جعلتموهم محط الوثوق: ﴿إذا بتلى﴾ أي من أي تال كان
﴿عليهم﴾ في وقت من الاوقات ، ينقلهم من حال إلى حال ، فيرقيهم
في مدارج القرب و معارج الكمال ، إلى أعلى الرتب ، بأنهم ﴿يخرجون﴾
ه أي يسقطون بسرعة ؛ و أكد السرعة و أفاد الاختصاص بقوله تعالى :
﴿للأذقان﴾ باللام دون إلى^٣ أو على^٤ ، دالا بالأذقان على أنهم من شدة
ما يحصل لهم من الخشوع يسقطون سقوط^٥ من ليس له اختيار ، و أول
ما يلاقى الأرض من يسقط كذلك^٦ ذقته ، وهو مجتمع اللحين من
منبت لحيته - فان الإنسان مجبول بالطبع على صيانة وجهه ، فهو^٧ يرفع
١٠ رأسه قصير^٨ ذقته و فته^٩ أقرب ما في وجهه إلى الأرض حال السقوط ،
ولهذا قال شاعرهم : نخر سريعا للدين و للقم^{١٠} .

ثم بين أن ذلك ليس سقوطا اضطراريا من كل جهة^{١١} بقوله تعالى :
﴿سجدوا﴾ أي يفعلون ذلك لما يعلمون من حقيقته^{١٢} بما أوتوا من العلم
السالف^{١٣} ، و ما في قلوبهم من الإذعان ، و الخشية للرحمن ﴿ويقولون﴾
١٥ أي [على -^{١٤}] وجه التحديد المستمر : ﴿سبحن ربنا﴾ أي تنزه

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : امرك (٢) زيد من م و مد (٣-٢) سقط
ما بين الرقين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ :
لذلك (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : فاته (٧) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : فيصير (٨) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : رأسه (٩) من ظ و م
و مد و الكشف / ٥٦٢ ، وفي الأصل : ألقم (١٠) من م و مد ، وفي الأصل
و ظ : وجهة (١١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : حقية (١٢) من م و مد ، وفي
الأصل و ظ : السالك (١٣) زيد من ظ و م و مد .

الموجد لنا، المدبر لأمورنا، المحسن إلينا، عن شوائب النقص، لأنه وعد
على السنة رسلنا أن يعثنا بعد الموت ووعده الحق، فلا بد أن يكون،
و وعد أن يأتي بهذا الكتاب على لسان هذا النبي العربي، وأوصل [هذا-^١]
الوعد إلينا في الكتب السالفة فأنجز ما سبق به وعده (ان) أى إنه
(كان) ' [أى-^٢] كونا لا ينفك^٢ (وعد ربنا) أى المحسن إلينا هـ
بالإيمان، وما تبعه من وجوه العرفان (لفعولا) دون خلف، ولا بد أن
يأتى جميع ما وعد به من الثواب والعقاب^٤. وهو تعرض بقريش حيث
كانوا يستهزؤن بالوعد في قولهم "أو تسقط / السماء كما زعمت علينا
كسفا" ونحوه مما معناه الطعن في قدرة الله القادر على كل شيء (ويخرون)
عند تكرار سماعه (للاذقان) مع مجودم (يكون ويزيدم) تكراره ١٠
(خشوعا الحجة) أى خضوعا وتواضعا وإخباتا، فإن كان سؤالكم إياهم
لتؤمنوا إذا أخبروكم أنى على الحق فآمنوا، وإن كان لغير ذلك فقد تبين سفهكم
وضعف أمركم وسوء رأيكم، وعبر في البكاء بالفعل إشارة^٥ إلى تجددته في
بعض الأحيان لما لهم في بعضها من السرور ببعض^٦ ما أبيع من الملاذ،
وفي السجود بالاسم إشارة إلى دوام ذلهم^٧ بالسجود المشروع، أو بمطلق ١٥
الخضوع^٨، و سيأتى في سورة [مريم-^٩] ما يزيد^٩ وضوحا .

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، وفي
الأصل: لا ينفك (٤) في مد: العذاب (٥) سقط من ظ (٦) من م ومد، وفي
الأصل وظ: بعض (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: لهم (٨) من م ومد،
وفي الأصل وظ: الخشوع (٩) من م ومد، وفي الأصل وظ: يزيدم .

ولما كان إيمان أهل العلم الأول به وإذعانهم [له - '] و^٢
تركهم لأديانهم - التي أخذوها عن الأنبياء الآتين إليهم بالكتب لأجله
بعد إقامة الدليل القاطع على أنه من عند الله - موجبا لكل من له أدنى
إنسانية أن يؤمن به ويقبل عليه ويدعو من^٣ أنزله دون غيره دائماً ،
هـ لا في أوقات الشدة فقط ” وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
إلا إياه “ و كانت أوقات الإجابة أولى بالدعاء من غيرها ، و كانت
حالة السجود لا سيما مع البكاء والخشوع أولها وأقرب ما يكون
[العبد - '] من ربه وهو ساجد ، كان المعاندون^٤ من العرب كأنهم
قالوا لأن ذلك من شأنهم و من حقهم بعد ما قام من الأدلة : آمنا
١. فَعَلَّمَنَا كيف ندعو وبأى اسم نهتف ؟ ولما كان الجلالة هو الاسم
الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى ، وكان قد ورد في النحل من التوبة
[به - '] ما لم يرد في غيرها لما تقدم من الأسرار مع [أنه - °]
عد فيها من النعم ما لم يعد في غيرها ، ومنها تعليم الإنسان البيان ، وذلك
ألق باسم الرحمن ” الرحمن ” علم القرآن - الآيات ، وكانت الرحمة دنيوية
١٥ و أخروية من الخالق ومن الخلاق قد كررت في هذه السورة ثمانى
مرات ” عسى ربكم أن يرحمكم “ ، ” جناح الذل من الرحمة “ ،

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ : او (٣) من م ومد ،
وفي الأصل وظ : بمن (٤) من م ومد ، وفي الأصل وظ : العابدون .
(٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد وأول سورة الرحمن ، وفي الأصل
وظ : الرحيم .

”وقل رب ارحمهما“، ”ابتغاء رحمة [من ربك“، ”ربكم اعلم بكم ان شاء
 برحمكم“، ”انه كان بكم رحيمًا“، ”الا رحمة من ربك“، ”خزائن رحمة -١-
 وب“، وكان ذلك ظاهرا في إرادة عمومها، فكان اسم الرحمن به أليق، وقع
 الجواب بقوله تعالى: ﴿ قل ادعوا الله ﴾ أى الملك الأعظم ذا الجلال والإكرام
 في ذات إحاطته ﴿ او ادعوا ٢ الرحمن ﴾ في معنى استغراقه بالرحمة، أى ه
 سموا - أى أوقعوا الدعاء مسمين في حال دعائكم - ربكم الذى سبجتموه في
 السجود بأى ٣ اسم أردتم بما أذن فيه، فاهتفوا بهذا الاسم الدال على الجلال،
 واستحقاق مسماه الدعاء لذاته، أو بهذا الاسم الدال على الجلال واستحقاقه
 الدعاء لإنعامه، مطلقا وفي حالة ٤ السجود ﴿ ايا ما تدعوا ﴾ أى به من
 أسمائه فقد حصلتم ٥ به على القصد، فان المسمى واحد وإن تعددت ١٠
 أسماءه الدالة على الشرف. ولما كان [في - ٦] الرحمن جمال
 ظاهر في باطنه جلال، لأن عموم الرحمة لبعض نعمة، و [لبعض - ٧]
 استدراج [و - ٨] نفعة، فكان لذلك جامعا لجميع الأسماء الحسنى
 والصفات العلى، سبب عن ذكر ٩ كل من الاسمين: العلم الجامع،
 والوصف الواقع موقعه، قوله: ﴿ فله ﴾ أى المسمى بهذين الاسمين ١٥
 وحده، وهو الواحد الأحد ﴿ الاسماء الحسنى ﴾ هذان الاسمان

(١) زيد من م ومد (٢) في ظ : ذو (٣) سقط من ظ (٤) من م ومد،
 وفي الأصل وظ : اى (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل : حال (٦) في ظ :
 خلصتم (٧) زيد من م ومد (٨) في ظ : ذلك (٩) تكرر في الأصل فقط .

وغيرهما بما ورد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو دال^١ على التمجيد [والتمجيد -^٢] والتقديس والتعظيم، فهذا الضمير استخدام، وقد تضمن هذا القول أن معنى اسم الرحمن أشمل من اسم الرحيم وإن كان بناء كل منهما^٣ للبالغة؛ قال الإمام أبو الحسن / الحرالي رحمه الله في شرحه / ٣٤٦

للاسماء الحسنى: الرحمانية استغراق الخلق بالرحمة في إنشائهم، والرحيمية إجراء^٤ الخلق على ما يوافق حسهم و يلائم خلقهم^٥ وخلقهم^٥ ومقصد أفندتهم، فاذا اختص ذلك^٦ بالبعض كان رحيمية، وإذا استغرق كان رحمانية، ولاستغراق معنى [اسم -^٧] الرحمن لم يكن لتمام معناه وجود في الخلق، فلم يجر بحق على أحد منهم، وإنما يوجد فيهم حظ ١٥ خاص من معناه يجرى عليهم به اسم الرحيم لا اسم الرحمن، فلذلك لحق اسم الرحمن في معنى استغراقه باسم الله في ذات إحاطته فقال تعالى "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن" فاذا تحقق القلب اختصاصه بالله علما^٨ كان أصلا للفظ به قولاً فعلت أنه لا رحمن إلا الله كما أنه لا إله إلا الله^٩، ولحق باسم الإله فقد علم فقد التمام لمعناه في الخلق ١٥ كما قد^٩ أصل علم الاعتبار من معناه في^٩ اسم إله، والتوحيد في^٩ اسم الرحمن واجب لاحق بالفرض في توحيد الإله، ولذلك ولى اسم الله في^٩ موارده في الكتب وفي هذا التعديد^٩ أى الوارد في

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: وارد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: منهم (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: احد (٥-٥) سقط ما بين الرقين من مد (٦) زيد في مد: بالفعل (٧) زيد من م ومد (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) تكرر في الأصل فقط (١٠) في ظ: من (١١) من م ومد، وفي الأصل: التقدير، وفي ظ: التقليد.

حديث الترمذی و البزار و غیرهما من أسماء [الله - ۱] الحسنی عن
 أبی هريرة رضی الله عنه - انتهى . وقد مر فی آخر الحجر ما ینفع هنا .
 ولما ذکر السجود و عقبه بالدعاء ، أشار إلى أنه فی کل حالة حسن ،
 و فی الصلاة أولى و أحسن ، بعد أن ذکر قریبا الصلوات الخمس ، و كان
 ربما فهم من قوله ” ان قرآن الفجر كان مشهودا “ و من قوله ” اذا ه
 یتلى علیهم “ قوة الجهر به قال تعالى : ﴿ ولا یتجهر بصلواتك ﴾ أى بقراءتك
 فیها ، أو سعى القراءة صلاة لانها ۲ شرط فیها جهرًا قویا ۳ حتى تسمعه
 المشركون ، فان المخالفین قد عرف عنادهم فلا یؤمن سیمهم للقرآن و لمن
 أنزله و لمن جاء به ، بل كانوا یفعلون ذلك و یلقنون ۴ ، و ربما صفقوا
 و صفروا لیغلطوا ۵ النبی صلی الله علیه و علی آله و سلم و یخبطوا علیه ۱۰
 قراءته ﴿ ولا تخافت ﴾ أى تسر ﴿ بها ﴾ لإسرارها بلیغا كأنك تناظر فیہ آخر
 بحيث لا تسمع ۶ من وراءك ۷ لیاخذوه عنك ﴿ و ابتغ ﴾ أى اطلب بغایة
 جهدك ﴿ بین ذلك ﴾ أى الجهر و المخافة التی ۸ أفهمت أداة البعد عظمة
 شأنها ﴿ سیدلاه ﴾ أى طریقًا وسطًا ؛ روى البخاری فی التفسیر عن ابن عباس
 رضی الله عنهما فی هذه الآیة قال : نزلت و رسول الله صلی الله علیه و علی ۱۵
 آله و سلم محتف ۹ بمكة ، كان ۹ إذا صلی بأصحابه رفع صوته بالقرآن ،

(۱) زید من م و مد (۲) من ظ و م و مد ، و فی الأصل : لانه (۳) من ظ
 و م و مد ، و فی الأصل : قوما (۴) فی ظ : یلقنون (۵) من م و مد ، و فی
 الأصل و ظ : لیغلط (۶) من م و مد ، و فی الأصل و ظ : لا یسمع (۷) زید
 فی الأصل و ظ : لیاخذوك ، ولم تكن الزیادة فی م و مد تخففناها (۸) یمكن كونها :
 اللین - بحسب إرجاع الضمیر (۹ - ۹) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فی
 الأصل : بأصحابه كلما .

نظم الدرر (سورة الإسراء ١٧ : ١١٠ و ١١١) ج - ١١

فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن و من أنزله و من جاء به فقال الله عزوجل لنيه صلى الله عليه و على آله وسلم "ولا تجهر بصلاتك" أى بقرائكته ، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن "ولا تخافت [بها - ١]" عن أصحابك فلا تسعهم - انتهى . أطلق هنا اسم الكل على الجزء إشارة إلى أن المقصود الصلاة و فيما تقدم اسم الجزء على الكل لأن المقصود الأعظم هناك القراءة في الفجر ، و روى البخارى^١ عن عائشة رضى الله عنها أن هذه الآية نزلت في الدعاء ، و قد تقدم غير مرة أنه ليس بيدع أن يكون للشيء أسباب كثيرة .

و لما تقدم إحاطة هذين [الاسمين - ٢] ، أما الله فجميع معاني ١٠. الأسماء الحسنى ، و أما الرحمن فبالرحمانية . المأمور بالدعاء بهما كل مخاطب ، [خصه - ٣] صلى الله عليه و على آله وسلم بالأمر بالتحميد الذى معناه الإحاطة و اسمه صلى الله عليه و على آله وسلم مشتق منه لا تصافه [به - ٤] حامدا و محمدا . و بالتكبير عن كل ما يفهمه العباد من أسمائه الحسنى فقال تعالى : (و قل الحمد) أى الإحاطة / بالأوصاف الحسنى / ٣٤٧

١٥ (لله) أى الملك الأعظم (الذى لم يتخذ) لكونه محيطا بالصفات الحسنى (ولدا) فان ذلك لا يكون إلا للحاجة و بالحاجة و هى من أسوأ الأوصاف (و لم يكن) [أى يوجد بوجه من الوجوه - ٢] (له شريك فى الملك °) (°)

(١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم (٢) فى نفس الباب من التفسير .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (هـ - هـ) ما بين الرقین ليس فى الأصل فقط .

ولا (١٣٥) ٥٤٠

[ولا ولد ولا غيره فان ذلك لا يكون إلا للعجز-^١] (و لم يكن له^٢ ولي) ناصر أعم من أن يكون ذلك الناصر ولدا أو شريكا أو غيره؛ ثم قيده واصفا بقوله تعالى: (من الذل) إلهاما بأن له أولياء جاد عليهم بالتقريب وجعلهم أنصارا لدينه^٣ رحمة منه لهم لا احتياجا منه إليهم (وكبره) عن أن يشاركه أحد في شيء من الأشياء وعن هـ كل ما يفهمه فاهم، ويصفه به واصف، والتكبير أبلغ لفظ للعرب في معنى التعظيم والإجلال - قاله أبو حيان. قال: وأكّد بالمصدر تحقيقا له وإبلاغا في معناه، أى فقال: (تكبيرا) عن أن يدرك أحد كنه معرفته أو يحمله أحد من كل وجه، بل احتجب سبحانه بكبريائه وجلاله فلا يعرف، وتجلّى باكرامه وكأله فلا ينكر^٤، فكان صريح اتصافه بالحمد ١٠ أنه تعالى متصف بجميع صفات الكمال؛ وصريح وصفه بنفى ما ذكر أنه منزّه عن شوائب النقص وأنه أكبر من كل ما يخطر للعباد المطبوعين على النقص المجبولين^٥ على غرائز العجز^٦، ولذلك وغيره من المعاني العظمى سمي النبي صلى الله وعلى آله وسلم هذه الآية [آية -^٧ العز - كما رواه الإمام أحمد^٨ عن سهل عن أبيه رضى الله عنهما، وذلك عين^٩ ما افتتحت^{١٠} ١٥

- (١) زيد من ظ وم ومد (٢-٢) ما بين الرقيين ليس في الأصل فقط (٣) سقط من ظ (٤) من م م مد، وفي الأصل وظ: العرب (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: ينكره (٦) العبارة من هنا إلى رضى الله عنهما ساقطة من م. (٧) زيد من ظ وم مد (٨) في ٤٣٩/٣ من مسنده (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: نحن (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: افتتحت.

به السورة من التنزيه وزيادة- والله ' سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ،
وإليه المرجع والمآب ' .



(١ - ا) ما بين الرقین فی ظ و م و مد : الموفق ؛ وزید بعده فی ظ : تم الجزء
المبارک من مناسبات البقاعی رحمة الله تعالى علیه آمین و صلی الله علی سیدنا محمد
وعلی آله وصحبه وسلم ، وفی م : والحمد لله رب العالمین وافق الفراغ من
كتابة هذا الجزء المبارك فی سادس عشر شهر الله المحرم الحرام أول شهور عام
أحد وسبعین وثمانائة . أحسن الله تقصیها علی يد عبد القادر بن محمد بن عبد الله
العربانی حامداً لله ومصلیاً علی نبيه وحسبى الله ونعم الوکیل ، بتلوه إن شاء الله
تعالى فی الجزء الخامس سورة الکهف .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الحادى عشر من تفسير
 "نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين
 أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى ، يوم الاربعاء
 مستهل ربيع الثانى سنة ١٣٩٧ هـ = الثانى و العشرين من مارس ١٩٧٧ م .
 تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها السيد شرف الدين أحمد قاضى المحكمة
 العليا سابقا - بارك الله جهوده و ضاعف له أجوره .

و قد تقلد مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى
 الفاضل محمد عمران الأعظمى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) ،
 و ساعده على المقابلة وقت الطبع مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى
 محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله ،
 و اهتم بتنقيحه خادام العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .
 و يليه الجزء الثانى عشر باذن الله و مشيئته و يستهل بسورة الكهف .
 و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه
 و هو المسؤول لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فوائده الخير
 و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا
 أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية